

محمد حافظ إبراهيم

المؤلفات الكاملة



المؤلفات الكاملة

الديوان

تأليف

شاعر النيل محمد حافظ إبراهيم



المؤلفات الكاملة

محمد حافظ إبراهيم

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إن مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٠١٠٨ ٥

صدر هذا الكتاب عام ١٩٠٣.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٠.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة

المشاع الإبداعي: نَسْبُ المَصْنَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل

الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	نموذج بخط المؤلف
٩	المَدَائِحُ والتَّهَانِي
٧٧	التقريظات
٨٣	الأَمْحَاجِي
٨٧	الإِخْوَانِيَّات
١٠٩	الْوَصَف
١٢٧	الْخَمْرِيَّات
١٣١	الْغَزَل
١٣٥	الاجْتِمَاعِيَّات
١٧٣	السِّيَاسِيَّات
٢٢٥	الشُّكُوى
٢٣٥	المَرَاثِي

نموذج بخط المؤلف

المدائح والتّهاني

(١) تهنئة عبد الحليم عاصم باشا بإسناد إمارة الحجّ إليه (سنة ١٣١٣هـ)

حَالٌ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ
أَنَا وَالْأَيَّامُ تَقْذِفُ بِي
لِي فُؤَادٌ فِيكَ تُنْكِرُهُ
وَزَفِيرٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ
يَا لَقَوْمِي إِنَّنِي رَجُلٌ
أَجَفَاءُ أَشْتَكِي وَشَقَاءُ؟
يَا هُمَامَا فِي الزَّمَانِ لَهُ
وَفَتًى لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ
يَا أَمِيرَ الْحَجِّ أَنْتَ لَهُ
هَزَكَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ لَهُ
فَرِحْتَ أَرْضَ الْحَجَّازِ بِكُمْ
وَسَرَتْ بُشْرَى الْقُدُومِ لَهُمْ
حَائِلٌ لَوْ شِئْتَ لَمْ يَكُنْ
بَيْنَ مُشْتَاقٍ وَمُفْتَتِنٍ
أَضْلَعِي مِنْ شِدَّةِ الْوَهْنِ
خِلْتَ نَارَ الْفُرْسِ فِي بَدَنِي
حَرْتُ فِي أَمْرِي وَفِي زَمَنِي
إِنَّ هَذَا مُنْتَهَى الْمَحَنِ
هَمَّةٌ دَقَّتْ عَنِ الْفِطَنِ
فِي لِيَالِي الدَّهْرِ لَمْ تَخُنْ
خَيْرٌ وَاقٍ خَيْرٌ مُؤْتَمِنٌ
هَزَّةَ الْمُشْتَاقِ لِلْوَطَنِ
فَرَحَهَا بِالْهَاطِلِ الْهَتَنِ
بِكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنِ

(٢) تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده بمنصب الإفتاء (١٣١٧هـ - ١٨٩٩م)

ولمّا أقفَ بَيْنَ الهَوَى والتَّذَلُّلِ
ولمّا أُنْتَجِلَ فَخْرًا ولمّا أُنْتَبَلِ
تَجُولُ بِهِ زِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
فَقُلْتُ (أَبُو حَفْصٍ) بُرْدِيكَ أَم (عَلِي)
تَدَارَكْتُهَا وَالْحَطْبُ لِلْحَطْبِ يَعْتَلِي
وَكُنْتَ لَهَا فِي الْفَوْزِ قَدَحَ (ابْنِ مُقْبِلِ)
بَحَدِّيهِ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ
وَأُثْبِتَ مَا أُثْبِتَ غَيْرُ مُضَلَّلِ
لَقَدْ ظَفَرَ الْإِسْلَامُ مِنْكَ بِأَفْضَلِ
سِوَاكَ وَلَا أَرْبَى عَلَى كُلِّ حَوْلِ

بَلَّغْتُكَ لَمْ أَنْسُبْ وَلَمْ أَتَغَزَّلِ
ولمّا أَصِفُ كَأَسَا وَلَمْ أَكُ مَنْزِلًا
فَلَمْ يُبْقِ فِي قَلْبِي مَدِيحُكَ مَوْضِعًا
رَأَيْتُكَ الْأَبْصَارُ حَوْلَكَ خُشَّعُ
وَحَقَّقْتُ مِنْ حَزْنِي عَلَى مَجْدِ أُمَّةٍ
طَلَعَتْ بِهَا بِالْيَمَنِ مِنْ خَيْرِ مَطْلَعِ
وَجَرَدْتُ لِلْفُتْيَا حُسَامَ عَزِيمَةٍ
مَحَوْتُ بِهِ فِي الدِّينِ كُلَّ ضَلَالَةٍ
لِئِنْ ظَفَرَ الْإِفْتَاءُ مِنْكَ بِفَاضِلِ
فَمَا حَلَّ عَقْدَ الْمُشْكِلَاتِ بِحِكْمَةٍ

وقال يمدحه ويصف حضرته:

مَا كُلُّ مُنْتَسِبٍ لِلْقَوْلِ قَوْلُ
هَلْ بَعْدَ هَذَيْنِ إِحْكَامُ وَإِجْلَالُ
نُورًا بِهِ تَهْتَدِي لِلْحَقِّ ضَلَالُ
بِبَابِهَا اِزْدَحَمَتْ لِلنَّاسِ آمَالُ
عَلَيْهِ (فَارُوقُ) هَذَا الْوَقْتُ يَخْتَالُ
يُحِبُّهَا اللَّهُ لَا تِيَهُ وَلَا خَالُ
لَمَّا سَمَوْتَ إِلَيْهَا وَهِيَ مِعْطَالُ
الْعَدْلُ يَنْظُمُ وَالتَّوْفِيقُ لِنَّالُ
كَمَا تُشَدُّ لَبِيَّتِ اللَّهِ أَرْحَالُ
لَهَا عَلَى أُخْتِهَا فِي الرُّوضِ إِذْلالُ
مِنْكَ الْقَبُولُ وَفِيهَا نُورُ الْقَالُ
فَرَاخٌ يَنْظُمُهُ فِي وَصْفِكَ الْبَالُ
أَدْرِكُ فَتَاكَ فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَالُ

قَالُوا صَدَقْتَ فَكَانَ الصَّدَقُ مَا قَالُوا
هَذَا قَرِيزِي وَهَذَا قَدْرُ مُمْتَدَحِي
إِنِّي لِأَبْصِرُ فِي أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ
حَلَلْتُ دَارًا بِهَا تُتْلَى مَنَاقِبُهُ
رَأَيْتُ فِيهَا بِسَاطًا جَلَّ نَاسِجُهُ
بِمَشْيَةٍ بَيْنَ صَفَيِ حِكْمَةٍ وَتَقَى
تَبَسَّمَ الْمِصْطَفَى فِي قَبْرِهِ جَدَلًا
فَكَانَ لَفْظُكَ دُرًّا حَوْلَ لَبَّتِهَا
لِي كُلِّ حَوْلٍ لَبِيَّتِ الْجَاهِ مُنْتَجَعُ
وَزَهْرَةٌ غَضَّةٌ أَلْقَى الْإِمَامَ بِهَا
تَفْتَحُ الْحَمْدُ عَنْهَا حِينَ أَسْعَدَهَا
نَثَرْتُ مَنْظُومَ تَبِجَانِ الْمُلُوكِ بِهَا
يَا مَنْ تَيَمَّنْتَ الْفُتْيَا بَطْلَعَتِهِ

(٣) مدحة محمود سامي البارودي باشا (نشرت في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠م)

فَمَا أَثِمْتُ عَيْنِي وَلَا لَحْظُهُ اعْتَدَى
وَعُذْرَكَ أَنِّي هَجْتُ سَيْفًا مُجَرَّدًا
وَلَكِنَّا زِدْنَا مَعَ الْحُبِّ سُودًا
بِأَيْسَرِ مَنْ حُكِمَ السَّمَاحَةُ وَالنَّدَى
بَنَاهَا التَّقَى وَاخْتَارَهَا الْحُبُّ مَعْبَدًا
فَرَاخَ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْوَحْيِ وَاعْتَدَى
وَحَاسِدُهَا فِي الْأَفْقِ يُغْرِي بِي الْعَدَا
وَهَلْ حَزِرْتَ قَبْلِي الْكَوَاكِبُ رُصْدًا
وَمَا أَبْصَرُوا إِلَّا قَضَاءَ تَجَسَّدَا
فإِنَّا نَرَى حَتْفًا بِحَتْفٍ تَقَلَّدَا
وإِلَّا أَعَلَ السَّيْفُ مِنَّا وَأُورِدَا
شَبَا صَارِمِي عَنْهُمْ وَقَدْ كَانَ مُغَمَّدَا
نِيَامُ سَقَاهُمْ فَاجِئِ الرَّعْبِ مُرْقَدَا
وَحَيْثُ حَدَا بِي مِنْ هَوَى النَّفْسِ مَا حَدَا
وَتَسَالُ عَنِّي كُلَّ طَيْرٍ تَغَرَّدَا
عَلَى الْبَدْرِ سِتْرًا حَالِكِ اللَّوْنِ أَسْوَدَا
فحَاكُوا لَهُ مِنْهَا نِقَابًا إِذَا بَدَا
وَلَمْ تَتْنِنِي عَنْ مَوْعِدِي خَشْيَةُ الرَّدَى
وَلَمْ تَتَّخِذْ إِلَّا الطَّرِيقَ الْمُعْبَدَا
وَأُسيَافَهُمْ هَلْ صَافَحَتْ مِنْهُمْ يَدَا
صُدُورُهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا مِنْكَ مَقْصِدَا
فَقَدْ يُقْنِصُ الْبَازِي وَإِنْ كَانَ أَصِيدَا
أَصَاحِبُ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيَّ أَيْدَا
فَحَدَّثْتُ نَفْسِي وَالضَّمِيرَ تَرَدَّدَا
فَتَاكَ فَيَدْعُونِي هُدَاكَ إِلَى الْهُدَى

تَعَمَّدْتُ قَتْلِي فِي الْهَوَى وَتَعَمَّدَا
كِلَانَا لَهُ عُدْرُ فَعُدْرِي شَبِيبَتِي
هَوِينَا فَمَا هُنَا كَمَا هَانَ غَيْرُنَا
وَمَا حَكَمْتُ أَشْوَاقُنَا فِي نَفُوسِنَا
نُفُوسُ لَهَا بَيْنَ الْجُنُوبِ مَنَازِلُ
وَفَتَانَةٍ أَوْحَى إِلَى الْقَلْبِ لَحْظُهَا
تَيَمَّمْتُهَا وَاللَّيْلُ فِي غَيْرِ زِيَّه
سَرَيْتُ وَلَمْ أَحْضِرْ وَكَانُوا بِمَرْصِدِ
فَلَمَّا رَأُونِي أَبْصَرُوا الْمَوْتَ مُقْبِلًا
فَقَالَ كَبِيرُ الْقَوْمِ قَدْ سَاءَ فَالْنَا
فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا اتِّقَاءُ سَبِيلِهِ
فَغَطُّوا جَمِيعًا فِي الْمَنَامِ لِيَصْرِفُوا
وَحُضْتُ بِأَحْشَاءِ الْجَمِيعِ كَأَنَّهُمْ
وَرُحْتُ إِلَى حَيْثُ الْمُنَى تَبَعْتُ الْمُنَى
وَحَيْثُ فَتَاهُ الْخَذِرُ تَرَقَّبُ زُورَتِي
وَتَرَجُّو رَجَاءَ اللَّصِّ لَوْ أَسْبَلَ الدُّجَى
وَلَوْ أَنَّهُمْ قَدُّوا غَدَائِرَ فَرْعِهَا
فَلَمَّا رَأْتَنِي مُشْرِقَ الْوَجْهِ مُقْبِلًا
تَنَادَتْ وَقَدْ أَعْجَبْتُهَا — كَيْفَ فَتُهُمْ
فَقُلْتُ: سَلِي أَحْشَاءَهُمْ كَيْفَ رُوِّعْتُ
فَقَالَتْ: أَخَافُ الْقَوْمَ وَالْحِقْدُ قَدْ بَرَى
فَلَا تَتَّخِذْ عِنْدَ الرَّوَّاحِ طَرِيقَهُمْ
فَقُلْتُ: دَعِي مَا تَحْذَرِينَ فَإِنِّي
فَمَالَتْ لِتُغْرِينِي وَمَالَهَا الْهَوَى
أَهْمٌ كَمَا هَمَّتْ فَأَذْكَرُ أَنَّنِي

به الخَطْبُ إِلَّا كَانَ ذِكْرُكَ مُسْعِدًا
بِمَدْحٍ وَمَنْ لِي فِيكَ أَنْ أُلْبَغَ الْمَدَى
تَخَطُّ وَأَقْرُضَنِي الْقَرِيضَ الْمُسَدَّدَا
وَكُلَّ نَفُورٍ مِنْهُ أَنْ يَتَوَدَّدَا
عَلَى ضَوْئِهَا أُسْرِي وَأَقْفُو مَنْ اهْتَدَى
(إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا)
فَأَمْسَتْ بِحَارِ الشَّعْرِ لِلدُّرْمُورِدَا
نَظِيمًا بِأَسْلَافِ الْمَعَانِي مُنْضِدَا
إِذَا مَا تَلَّوْهَا أَلْقَى النَّاسُ سَجْدَا
وَدَاعِي الْهَوَى مِنْهَا أَقَامَ وَأَقْعَدَا
نَرَى الصَّارِمَ الْمَخْضُوبَ خَدًّا مُورِدَا
بِفَخْرِكَ مَا أَبْقِيَتْ فِي النَّاسِ سَيِّدَا

كَذَلِكَ لَمْ أَذْكُرْكَ وَالْخَطْبُ يَلْتَقِي
أَمِيرَ الْقَوَافِي، إِنْ لِي مُشْتَهَامَةٌ
أَعَزَّنِي لِمَدْحِكَ الْيَرَاعَ الَّذِي بِهِ
وَمُرُّ كُلِّ مَعْنَى فَارِسِيَّ بِطَاعَتِي
وَهَبْنِي مِنْ أَنْوَارِ عِلْمِكَ لِمَعَةٍ
وَأَرْبُو عَلَى ذَاكَ الْفَخُورِ بِقَوْلِهِ:
سَلَبْتُ بِحَارِ الْأَرْضِ دُرَّ كُنُوزِهَا
وَصَيَّرْتُ مَنُثُورَ الْكَوَائِبِ فِي الدُّجَى
وَجِئْتُ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَصَلْتُ
إِذَا ذَكَرُوا مِنْهُ النَّسِيبَ رَأَيْتُنَا
وَأِنْ ذَكَرُوا مِنْهُ الْحَمَاسَ حَسِبْتُنَا
لَوْ أَنَّني نَافَرْتُ دَهْرِي وَأَهْلَهُ

(٤) تهنئة لسمو الخديوي عباس الثاني بعيد الفطر (١٣١٨هـ-١٩٠١م)

تَجَلَّتْ بِهَذَا الْعِيدِ أَمْ تَلَكْ أَشْعَارِي
بَتْهْنِيَّةِ شَوْقِيَّةِ النَّسْجِ مِعْطَارِي
وَيَا لَيْتَ ذَاكَ الْعِيدَ يَبْسُطُ أَغْذَارِي
وَيَذْكُرُ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِي وَأَخْبَارِي
وَأِنْ قِيلَ شَيْعِي فَقَدْ نَلْتُ أَوْطَارِي
كَأَنِّي بِجَوْفِ اللَّيْلِ هَاتِفُ أَشْحَارِي
نَعَمْ شَاعِرٌ لَكِنَّهُ غَيْرُ مَكْثَارِي
بِذِكْرِكَ يَا (عَبَّاسُ) فِي رَفْعِ مَقْدَارِي
يَسُوسُ الْقَوَافِي شَاعِرٌ غَيْرُ ثَرْثَارِي
بِنَفْثَةِ سِحْرِ أَوْ بِخَطَرَةِ أَفْكَارِي
طَوْتُ جَزَلَ (بَشَارِ) وَرَقَّةَ مَهْيَارِي

مَطَالِغُ سَعْدٍ أَمْ مَطَالِغُ أَقْمَارِ
إِلَى سُدَّةِ (الْعَبَّاسِ) وَجْهَتُ مَدْحَتِي
مَلِيكَ أَبَاحِ الْعِيدِ لَنْتُمْ يَمِينَهُ
وَيَحْمِلُ عَنِّي لِلْعَزِيزِ تَحِيَّةَ
(لَا لِي عَلَيَّ) زِينَةَ الْمُلْكِ وَجْهَتِي
أَجْنُ لِيذْكَرَاهُمْ وَأَشْدُو بِمَدْحِهِمْ
وَأُنْشِدُ أَشْعَارِي وَإِنْ قَالَ حَاسِدِي
فَحَسْبِي مِنَ الْأَشْعَارِ بَيْتُ أَزِينُهُ
كَذَا فَلْيَكُنْ مَدْحُ الْمُلُوكِ وَهَكَذَا
وَيَسْلُبُ أَصْدَافَ الْبِحَارِ بِنَاتِهَا
مَعَانٍ وَالْفَاطُ كَمَا شَاءَ (أَحْمَدُ)

إِذَا نَظَرْتُ فِيهَا الْعُيُونُ حَسِبْنَهَا
أَمْوَلًا فِي هَذَا الْعِيدِ وَافَاكَ فَاخِبُهُ
وَيَمْنُهُ وَانْتُرْ مِنْ سَعُودِكَ فَوْقَهُ
فَلَا زَالَتِ الْأَعْيَادُ تَبْغِي سَعُودَهَا
وَلَا زِلْتِ فِي دَسْتِ الْجَلَالِ مُؤَيَّدًا

لَحُسْنِ انْسِجَامِ الْقَوْلِ كَالْجَدُولِ الْجَارِي
بَحُلَّةِ إِقْبَالِ وَيْمَنٍ وَإِيثَارِ
وَتَوَجُّهِه بِالْبُشْرَى وَمُرُهُ بِإِسْفَارِ
لَدَى مَلِكٍ يَسْرِي عَلَى عَدْلِهِ السَّارِي
وَلَا زَالَ هَذَا الْمُلْكُ فِي هَذِهِ الدَّارِ

وقال أيضًا يمدحه ويهنّئه بعيد جلوسه في ٨ يناير سنة ١٩٠١م:

مَاذَا ادَّخَرْتَ لِهَذَا الْعِيدِ مِنْ أَدَبٍ
تَشْدُو وَتَرْهَفُ بِالْأَشْعَارِ مُرْتَجِلًا
وَتَصْقُلُ اللَّفْظَ فِي عَيْنِي فَأَحْسِبْنِي
هَذَا هُوَ الْعِيدُ قَدْ لَاحَتْ مَطَالِعُهُ
فَادْعُ الْبَيَانَ لِيَوْمٍ لَا تُطَاوِلُهُ
إِنِّي دَعَوْتُ الْقَوَافِي حِينَ أَشْرَقَ لِي
وَأَقْبَلْتُ كَأَيَادِيهِ إِذَا انْسَجَمَتْ
فَقَمْتُ أَخْتَارُ مِنْهَا كُلَّ كَاسِيَةٍ
وَحَارَ فِيهِ بَيَانِي حِينَ صَحْتُ بِهِ:
يَا مَنْ تَنَافَسَ فِي أَوْصَافِهِ كَلِمِي
لَمْ يُبْقِ (أَحْمَدُ) مِنْ قَوْلٍ أَحَاوِلُهُ
فَلَسْتُ مِمَّنْ سَمَتْ بِالشَّعْرِ هَمَّتْهُمْ
لَكِنْ عِيدَكَ يَا (عَبَّاسُ) أَنْطَقْنِي
عِيدَ الْجُلُوسِ، لَقَدْ ذَكَّرْتُ أُمَّتَهُ
الْيَمْنَ أَوَّلُهُ وَالسَّعْدَ آخِرُهُ
فَالْعَرْشُ فِي فَرْحٍ، وَالْمُلْكُ فِي مَرَحٍ،
وَالْمُلْكُ فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلِكِ تَحْرُسُهُ
الْجِلْمُ حَلِيَّتُهُ، وَالْعَدْلُ قِبْلَتُهُ،
مَشِيئَةُ اللَّهِ فِي (الْعَبَّاسِ) قَدْ سَبَقَتْ
فَهُوَ ابْنُ أَكْرَمٍ مَنْ سَادُوا وَمَنْ مَلَكُوا

فَقَدْ عَاهَدْتُكَ رَبَّ السَّبْقِ وَالْعَلَبِ
وَتُبِّرُ الْقَوْلَ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْعَجَبِ
أَرَى فِرْنَدَ سَيْوِفِ الْهِنْدِ فِي الْكُتُبِ
وَكُلْنَا بَيْنَ مُشْتَقَاتِ وَمُرْتَقِبِ
يَدُ الْبَلَاغَةِ فِي الْأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ
عِيدُ الْأَمِيرِ فَلَبَّتْ غُرَّةَ الطَّلَبِ
عَلَى الْوَرَى وَعَدَّتْ مِنِّي عَلَى كَذِبِ
تَاهَتْ بَنَصْرَتِهَا فِي ثَوْبِهَا الْقَشِبِ
بِالْعَزِّ يَبْدَأُ أَمْ بِالْمَجْدِ وَالْحَسَبِ؟
تَنَافَسَ الْعَرَبُ الْأَمْجَادِ فِي النَّسَبِ
فِي مَدْحِ ذَاتِكَ فَاعِزَّنِي وَلَا تَعِبِ
إِلَى الْمُلُوكِ وَلَا ذَاكَ الْفَتَى الْعَرَبِي
كَالْبَذْرِ أَطْلَقَ صَوْتَ الْبُلْبُلِ الطَّرِبِ
يَوْمًا تَأَبَّهَ فِي الْأَيَّامِ وَالْحَقَبِ
وَبَيْنَ ذَلِكَ صَفُو الْعَيْشِ لَمْ يُشِبِ
وَالْخُلُقِ فِي مَنَحٍ، وَالذَّهْرِ فِي رَهَبِ
عَيْنُ الْإِلَهِ، وَتَرَعَى أَعْيُنُ الشَّهْبِ
وَالسَّعْدُ لَمَحَتْهُ كَشَافَةُ الْكُرْبِ
إِلَى الْجُدُودِ وَمَنْ يَأْتِي عَلَى الْعَقَبِ
وَهُوَ الْأَبُّ الْمُفْتَدَى لِلْسَادَةِ النَّجَبِ

يا مَنْ تَوَهَّم أَنَّ الشُّعْرَ أَعَذِبُهُ فِي الذُّوقِ أَكْذَبُهُ، أَزَرَيْتَ بِالْأَدَبِ
عَذْبُ الْقَرِيضِ قَرِيضُ بَاتِ يَعْصِمُهُ ذِكْرُ (ابنِ تَوْفِيْقٍ) عَنِ لَغْوٍ وَعَنِ كَذِبِ

(٥) تهنئة الأمير محمد عبد المنعم (نشرت في ٣٠ يناير سنة ١٩٠١م)

وكان ولياً لعهد أبيه الخديو عباس؛ قالها في ذكرى مولده لأول العام الثالث من عمره

فِي عِيدِ مَوْلَانَا الصَّغِيرِ رِ وَعِيدِ مَوْلَانَا الْكَبِيرِ
إِشْرَاقِ عِيدِ الْفِطْرِ وَالِـ أَضْحَى عَلَى عَرْشِ الْأَمِيرِ

(٦) تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه (نشرت في ٢ سبتمبر سنة ١٩٠١م)

لَمَحْتُ جَلَالَ الْعِيدِ وَالْقَوْمُ هَيَّبُ وَمَثَّلَ لِي عَرْشَ الْخِلَافَةِ خَاطِرِي
سَلُّوا الْفَلَكَ الدَّوَارَ هَلْ لَاحَ كَوْكَبُ وَهَلْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ عَلَى مِثْلِ سَاحَةِ
وَهَلْ قَرَّ فِي بُرْجِ السُّعُودِ مُتَوَجُّ تَجَلَّى عَلَى عَرْشِ الْجَلَالِ وَتَاجِهِ
سَمَا فَوْقَهُ وَالشَّرْقُ جَذْلَانُ شَيْقُ فِقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَرَعْرَعَتْ
وَقَرَّبَ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ تَقَرُّبًا وَكَمْ حَاولُوا فِي الْأَرْضِ إِطْفَاءَ نُورِهِ
فَرَاعَهُمْ مِنْهُ بِجَيْشٍ مُدَجَّجٍ يُدَانِي شُخُوصَ الْمَوْتِ حَتَّى كَانَمَا
إِذَا ثَارَ فِي يَوْمِ الْوَعَى مَالٌ مَنَكِبُ لَهُ مِنْ رُءُوسِ الشَّمِّ فِي الْبَرِّ مَرْكَبُ

فَعَلَّمَنِي آيَ الْعُلَا كَيْفَ تُكْتَبُ فَأَرْهَبَ قَلْبِي، وَالْجَلَالَةُ تُرْهَبُ
عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَرْشِ أَوْ رَاحَ كَوْكَبُ؟ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ (الْحَمِيدِي) تُنْسَبُ؟
كَمَا قَرَّ فِي (يَلْدِيز) ذَاكَ الْمُعْصَبُ؟ يَهْشُ وَأَعْوَادُ السَّرِيرِ تُرَحَّبُ
لَطْلَعَتِهِ وَالْغَرْبُ جَذْلَانُ يَرْقُبُ بِهِ دَوْحَةُ الْإِسْلَامِ وَالشَّرْكُ مُجَدَّبُ
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى فَنِعَمَ الْمُقَرَّبُ وَإِطْفَاءُ نُورِ الشَّمْسِ مِنْ ذَاكَ أَقْرَبُ
لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقُّ مَذْهَبُ لَهُ بَيْنَ أَظْفَارِ الْمَنِيَّةِ مَطْلَبُ
مِنْ الْأَرْضِ وَالْأَطْوَادِ وَإِنْهَالَ مَنَكِبُ وَمِنْ ثَائِرِ الْأَمْوَاجِ فِي الْبَحْرِ مَرْكَبُ

فَدَى لَكَ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) عَصَابَةُ
مَلَكْتَ عَلَيْهِمْ كُلَّ فَجٍّ وَلُجَّةٍ
تَقَاذِفُهُمْ أَيْدِي اللَّيَالِي كَأَنَّهُمْ
وَكَمْ سَأَلُوهَا لَنَّمْ أَذْيَالِكَ الَّتِي
فَمَا بَلَغُوا سُؤلاً وَلَا بَلَغُوا مُنَى
فِيَا صَاحِبَ الْعِيدَيْنِ لَا زِلْتَ سَالِماً
فَفِي كُلِّ رَوْضٍ مِنْكَ طِيبٌ وَنَضْرَةٌ
أَرَى مِصْرَ وَالْأَنْوَارَ: مِنْهَا مُورِدٌ
وَأَشْكَالُهَا شَتَّى فَهَذَا مُنْظَمٌ
وَبَعْضٌ تَجَلَّى فِي مَصَابِيحٍ، رَزَيْتُهَا
وَأَنْظَرُ فِي بُسْتَانِهَا النُّجْمَ مُشْرِقاً
وَأَسْمَعُ فِي الدُّنْيَا دُعَاءَ بَنَصْرِهِ

عَصَتْ أَمْرَ بَارِيهَا وَحِزْبُ مُدَبِّبٍ
فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَهْرَبُ
بِهَا مَثَلُ النَّاسِ فِي الْقَوْمِ يُضْرَبُ
لَهَا فَوْقَ أَجْرَامِ السَّمَوَاتِ مَسْحَبُ
كَذَلِكَ يَشْقَى الْخَائِنُ الْمُتَقَلِّبُ
يُهَنِّيكَ بِالْعِيدَيْنِ شَرْقٌ وَمَغْرِبُ
وَفِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْكَ عِيدٌ وَمَوْكِبُ
وَمِنْهَا لُجَيْنِي، وَمِنْهَا مُدْهَبُ
وَذَلِكَ مَمْنُونُ وَذَلِكَ مُقَبَّبُ
يُضِيءُ وَلَا نَارٌ وَبَعْضُ مُكْهَرَبُ
فَهَلْ أَنْتَ يَا بُسْتَانَ أَفُقٍ مُكْوَكِبُ
يُرَدِّدُهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَيَثْرِبُ

(٧) تهنئة جلاله إدوارد السابع بتتويجه (نشرت في ٩ أغسطس سنة ١٩٠٢م)

لَمَحْتُ مِنْ مِصْرَ ذَاكَ التَّاجَ وَالْقَمَرَ
يَا دَوْلَةً فَوْقَ أَعْلَامٍ لَهَا أَسَدُ
بِالْأَمْسِ كَانَتْ عَلَيْكَ الشَّمْسُ ضَاحِيَةً
يَوُولُ عَرْشُكَ مِنْ شَمْسٍ إِلَى قَمَرٍ
إِذَا ابْتَسَمْتَ لَنَا فَالْدَّهْرُ مُبْتَسِمٌ
لَا تَعْجَبَنَّ لِمُلْكٍ عَزَّ جَانِبُهُ
مَا ثَلَّ رَبُّكَ عَرْشًا بَاتَ يَحْرُسُهُ
خَبَرْتُهُمْ فَرَأَيْتُ الْقَوْمَ قَدْ سَهَرُوا
تَشَاوَرُوا فِي أُمُورِ الْمُلْكِ مِنْ مَلِكٍ
وَكَانَ فَارِسُهُمْ فِي الْحَرْبِ صَاعِقَةً
بِالْبَرِّ صَافِنَةً دَاسَتْ سَنَابِكُهَا

فَقُلْتُ لِلشَّعْرِ هَذَا يَوْمٌ مَنْ شَعَرَا
تَخَشَى بَوَائِدَهُ الدُّنْيَا إِذَا زَارَا
وَالْيَوْمَ فَوْقَ ذُرَاكِ الْبَدْرِ قَدْ سَفَرَا
إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ أَوَّلَتْ تَاجَهَا الْقَمَرَا
وَإِنْ كَشَرَتْ لَنَا عَنْ نَابِهِ كَثَرَا
لَوْلَا التَّعَاوُنُ لَمْ تَنْظُرْ لَهُ أَثَرَا
عَدْلٌ، وَلَا مَدَّ فِي سُلْطَانٍ مَنْ غَدَرَا
عَلَى مَرَاغِقِهِمُ وَالْمَلِكُ قَدْ سَهَرَا
إِلَى وَزِيرٍ إِلَى مَنْ يَغْرِسُ الشَّجَرَا
وَذُو السِّيَاسَةِ مِنْهُمْ طَائِرًا حَذَرَا
مَنَاجِمَ التَّبْرِ لَمَّا عَافَتْ الْمَدَرَا

تَرَى الْبَرَائِكَ فِيهَا تَقْدِفُ الشَّرَّاءَ
عَرَائِسُ يَكْتَسِينِ الدَّلَّ وَالْحَفَرَاءَ
أُغْوَالٌ قَفَرٌ وَلَكِنْ تَنْهَشُ الْحَجَرَاءَ
كَأَنَّهَا الْبَحْرُ بِالْأَيْدِي قَدْ زَخَرَاءَ
عَدَتْ رُءُوسُهُمْ عَنْ وَجْهِهَا الْمَطَرَاءَ
رَأْسًا يُدْبِرُ مُلْكًا يَكْلَأُ الْبَشَرَاءَ
فَالْهَنْدُ فَالْكَابُ حَتَّى يَعْبُرَ الْجُزْرَاءَ
عَقْدٌ لِمَا حَلَّ أَوْ نَقْوِيمٌ مَا أَطَرَاءَ
وَدَامَ جُنْدُكَ فِي الْآفَاقِ مُنْتَصِرَاءَ
رَوَى الشُّعَابَ وَرَوَى الصَّارِمَ الذِّكْرَاءَ
وَنَحْنُ نَذْكُرُ إِنْ عَدُّوا لَنَا (عُمَرَاءَ)
عَدْلًا وَجِلْمًا وَإِيقَاعًا بِمَنْ أَشَرَاءَ

وَفِي الْبَحَارِ أَسَاطِيلُ إِذَا غَضِبَتْ
وَهُنَّ فِي السَّلْمِ وَالْإِيَّامِ بِاسْمَةِ
حَتَّى إِذَا نَشِبَتْ حَرْبٌ رَأَيْتَ بِهَا
الْيَوْمَ يُشْرِقُ «إِنْدَوَارُ» عَلَى أُمَمٍ
لَوْ أَمْطَرَ الْغَيْثُ أَرْضًا تَسْتَظِلُّ بِهِمْ
الْيَوْمَ يَلْتَمُ تَاجُ الْعِزِّ مُحْتَشِمًا
يُصَرِّفُ الْأَمْرَ مِنْ مِصْرٍ إِلَى عَدَنٍ
قَدْ سَالَمَتْهُ اللَّيَالِي حِينَ أَغْجَزَهَا
(إِنْدَوَارُ) دُمْتُ وَدَامَ الْمُلْكُ فِي رَعْدٍ
حَقَنْتُ بِالصُّلْحِ وَالرَّأْيِ السَّدِيدِ دَمًا
هُمْ يَذْكُرُونَكَ إِنْ عَدُّوا عُدُولَهُمْ
كَأَنَّمَا أَنْتَ تَجْرِي فِي طَرِيقَتِهِ

(٨) إِلَى الْأُسْتَاذِ الْإِمَامِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ عَبْدِ

قالها في سفر له إلى بعض بلاد الوجه البحري، وكان مصاحباً له في هذا السفر

وَأُنْصَفْتُ مِنْ نَفْسِي وَذُو اللَّبِّ يُنْصَفُ
فَقَرَّ يَقِينِي بَعْدَ مَا كَانَ يَرْجُفُ
وَعُدْتُ وَفِي صَدْرِي مِنَ الْحِلْمِ مُصْحَفُ
وَكَانَ كَمَنْ فِي (سُورَةِ الْكَهْفِ) يُوصَفُ
بِحُبِّكَ أُنَى حُرِّقْتُ عَنْكَ تَعْطِفُ
مَدَامِعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَذْرِفُ
نَمِيرٌ عَلَى عِطْفِيهِ طَيْرٌ تُرْفَرِفُ
وَلَقْظِي فَبَاتَ الطَّرْسُ يَجْنِي وَيَقْطِفُ
يُطَالِعُهَا طَرْفُ الرَّبِيعِ فَيُطَرْفُ
وَتَمْشِي عَلَى وَجْهِ الرِّيَاضِ فَتَعْرِفُ

صَدَفْتُ عَنِ الْأَهْوَاءِ وَالْحُرِّ يَصْدِفُ
صَحِبْتُ الْهُدَى عِشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً
فَرُحْتُ وَفِي نَفْسِي مِنَ الْيَأْسِ صَارُمُ
وَكُنْتُ كَمَا كَانَ (ابْنُ عِمْرَانَ) نَاشِئًا
كَأَنَّ فَوَادِي إِبْرَةَ قَدْ تَمَغْطَسَتْ
كَأَنَّ يِرَاعِي فِي مَدِيحِكَ سَاجِدُ
كَأَنَّكَ وَالْأَمَالُ حَوْلَكَ حَوْمُ
وَأَزْهَرَ فِي طَرْسِي يِرَاعِي وَأَنْمَلِي
وَجَمَعَ مِنْ أَنْوَارِ مَدْحِكَ طَاقَةَ
تَهَادَى بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي كُلِّ سُحْرَةٍ

لهم بدعاً عنها الشريعة تعرّف
فقاموا إلى تلك القبور وطوّفوا
«على صنم للجاهلية عكف»
ترق إذا أشرقَت فيها وتلطّف
تردُّ الأجاج المِلح عذباً فيرشف
كثير الأعادي، غائب الحقد، مُسَعِف
وفي ساحة الإحسان والبر موقِف
وأشرق في أثناء بُرديه (أحنف)
كانك في الإفتاء والعلم (يوسف)
وأنت لها إن قام في الغرب مُرجف
لأصبح إيماناً به يتحنّف

إمام الهدى إنّي أرى القوم أبدعوا
رأوا في قبور الميّتين حياتهم
وباتوا عليها جاثمين كأنهم
فأشرق على تلك النفوس لعلها
فأنت بهم كالشمس بالبحر إنها
كثير الأيادي، حاضر الصفح، مُنصف
له كل يوم في رضى الله موقِف
تجلّى (جمال الدين) في نور وجهه
رأيتك في الإفتاء لا تغضب الحجا
فأنت لها إن قام في الشرق مُرجف
كملت كمالاً لو تناول كفره

وقال يهنئه بعودته من سياحته في بلاد الجزائر (نشرت في ٦ أكتوبر سنة ١٩٠٣م)

وقفا بي (بعين شمس) قفا بي
لمشوق لظل تلك الرّحاب
تاء والشرع والهدى والكتاب
ي ونعم الإمام في المحراب
ه خشوع القلوب يوم الحساب
قول أوكالفرند أو كالسراب
رار منشورة بيوم المآب
قصيد مثل انبعاثه للثواب
طر في مسبح الدعاء المُجاب
ان سبل النجاة فوق العباب
ر ورقبى النجوم والأقطاب
رى بقرب المطهر الأواب
ر وفوداً بالبشر والترحاب
يرقبون (الإمام) فوق السحاب

بكرًا صاحبِي يوم الإياب
إنني والذي يرى ما بنفسِي
يا أميناً على الحقيقة والإف
أنت نعم الإمام في موطن الرأ
خشع البحر إذ ركبت جوارب
وبدا ماؤه كخاطرِكَ المص
يتجلّى كأنه صُحف الأب
علمت من تقل فانبعثت إل
فهي تسري كأنها دعوّة المض
وضياء (الإمام) يوضح للرّب
بات يُغنيه عن مكافحة البخ
وسرى البرق للجزائر بالبش
فسعى أهلها إلى شاطئ البخ
أدرکوا قدر ضيفهم فأقاموا

لَيْتَ مِصْرًا كَغَيْرِهَا تَعْرِفُ الْفَضْلَ
 إِنَّهَا لَوْ دَرَتْ مَكَانَكَ فِي الْمَجْزِ
 وَتَفَانِيكَ فِي سَبِيلِ (أَبِي حَفْصٍ)
 لِأَظْلَلْتُكَ بِالْقُلُوبِ مِنَ الشَّمْسِ
 أَنْتَ عَلَّمْتَنَا الرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ
 ثُمَّ أَشْرَقْتَ فِي (الْمَنَارِ) عَلَيْنَا
 فَقَرَأْنَا عَلَى ضِيَائِكَ فِيهِ
 وَسَكَنَّا إِلَى الَّذِي أَنْزَلَ اللَّيْلَ
 أَيُّهَذَا الْإِمَامُ أَكْثَرْتَ حُسًّا
 أَبْصَرُوا مَوْقِفِي فَعَزَّ عَلَيْهِمْ
 أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً وَبَاتُوا
 وَنَسُوا رَبَّهُمْ وَقَالُوا ضَمِنَّا
 قُلْ لَجَمْعِ الْمُنَافِقِينَ وَمِنْهُمْ
 عَبْدٌ تِلْكَ الَّتِي يُحَرِّمُهَا اللَّهُ
 إِنَّ نَفْسَ الْإِمَامِ فَوْقَ مُنَاهُمْ
 شَابَ فِيهِمْ وَلَوْهُمْ حِينَ شَابُوا

وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره:

لَوْ يَنْظُمُونَ اللَّالِي مِثْلَ مَا نُظِمْتُ
 لَأَقْفَرَ الْجِيدُ مِنْ دُرٍّ يُحِيطُ بِهِ
 مُذْ غَبَّتْ عَنَّا عُيُونُ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ
 وَالتَّغَرُّ مِنْ لَوْلُؤٍ وَالْكَأْسُ مِنْ حَبَبِ

وقال مدافعاً عنه أيضاً ضدَّ مَنْ حمل عليه من أعدائه في الصحف ورسموا له صوراً

تزري بقدره:

إِنْ صَوَّرُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ صَوَّرُوا
 أَوْ نَقَّصُوكَ فَإِنَّمَا قَدْ نَقَّصُوا
 تَاجَ الْفَخَارِ وَمَطْلَعَ الْأَنْوَارِ
 دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ
 وَاللَّهُ يَسْخَرُ مِنْهُمْ فِي النَّارِ
 سَخَرُوا مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي أَوْتِيَتْهُ

لا تَجَزَعَنَّ فَلَسْتَ أَوَّلَ مَا جِدَ
رَسَمُوا بِذَاتِكَ لِلنَّوَاطِرِ جَنَّةَ
وَتَقَوَّلُوا عَنْكَ الْقَبِيحَ وَهَكَذَا
لَنْ يَحْجُبُوكَ عَنِ الْوَرَى أَوْ يَحْجُبُوا
أَوْ يَبْلُغُوا عَلَيْكَ حَتَّى يَبْلُغُوا
مَا أَنْتَ ذِيكَ الْبَغِيضُ فَتَنْتَنِي
لِعَبْوَا بِهِ فِي صُورَةٍ قَدْ أَسْفَرَتْ

كَذَبْتَ عَلَيْهِ صَحَائِفُ الْفُجَّارِ
مَخْفُوفَةٌ بِمَكَارِهِ الْأَشْعَارِ
يُؤْمِنِي الْكَرِيمُ بِغَارَةِ الْأَشْرَارِ
فَلَقَ الصَّبَاحَ وَمَشَرَقَ الْأَقْمَارِ
بَيْنَ الزَّوَاهِرِ صُورَةَ الْجَبَّارِ
مُتَسَرِّبِلًا بِالْعَارِ فَوْقَ الْعَارِ
عَنْ عَزْلِهِ فَأَقَامَ جِلْسَ الدَّارِ

(٩) تهنئة الخديوي عباس الثاني بعيد الأضحى سنة ١٣٢١هـ (نشرت في ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٤م)

طُفُّ بِالْأَرِيكَِّةِ ذَاتِ الْعِزِّ وَالشَّانِ
يَا عَيْدُ لَيْتَ الَّذِي أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ
صُغْتُ الْقَرِيضَ فَمَا غَادَرْتُ لَوْلُوَّةَ
أَغْرَيْتُ بِالْغَوْصِ أَقْلَامِي فَمَا تَرَكْتُ
شَكَا (عُمَانُ) وَضَجَّ الْغَائِصُونَ بِهِ
كَمْ رَامَ شَاوِي فَلَمْ يُدْرِكْ سِوَى صَدَفٍ
عَابُوا سُكُوتِي وَلَوْلَاهُ لَمَا نَطَقُوا
وَالْيَوْمَ أَنْشَدُهُمْ شَعْرًا يُعِيدُ لَهُمْ
أَرْفُ فِيهِ إِلَى (الْعَبَّاسِ) غَانِيَّةَ
مِنَ الْأَوَانِسِ خَلَاهَا يَرَاغُ فَتَى
مَا ضَاقَ أَصْغَرُهُ عَنْ مَدْحِ سَيِّدِهِ
وَلَا اسْتَهْلَ بِذِكْرِ الْغَيْدِ مَدْحَتَهُ
أَغْلَيْتُ بِالْعَدْلِ مُلْكَاً أَنْتَ حَارِسُهُ
جَرَى بِهَا الْخَضْبُ حَتَّى أَنْتَبَتْ ذَهَبًا
نَظَرْتُ لِلنَّيْلِ فَاهْتَزَّتْ جَوَانِبُهُ

وَأَقْضِ الْمَنَاسِكَ عَنْ قَاصٍ وَعَنْ دَانِي
بِقُرْبِ صَاحِبِ مِصْرٍ كَانَ أَوْلَانِي
فِي تَاجِ (كِسْرَى) وَلَا فِي عَقْدِ (بُورَانِ)
فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ مِنْ دُرٍّ وَمَرْجَانِ
عَلَى اللَّالِي وَضَجَّ الْحَاسِدُ الشَّانِي
سَامَحْتُ فِيهِ لِنَظَامِ وَوَزَانِ
وَلَا جَرَتْ خَيْلُهُمْ شَوْطًا بِمَيْدَانِ
عَهْدَ (النُّوَاسِي) أَوْ أَيَّامَ (حَسَانِ)
عَفِيفَةَ الْخِذْرِ مِنْ آيَاتِ عَذْنَانِ
صَافِي الْقَرِيحَةِ صَاحِ غَيْرِ نَشْوَانِ
وَلَا اسْتَعَانَ بِمَدْحِ الرَّاحِ وَالْبَانِ
فِي مَوْطِنِ بَجَلَالِ الْمُلْكِ رِيَانِ
فَأَصْبَحَتْ أَرْضُهُ تُشْرَى بِمِيزَانِ
فَلَيْتَ لِي فِي ثَرَاهَا نَصْفَ فَدَانِ
وَفَاضَ بِالْخَيْرِ فِي سَهْلٍ وَوُدْيَانِ

لَمْ يَجْفُ أَرْضًا وَلَمْ يَغْمِدْ لَطْغِيانٍ
مَمْلُكُ سَارَ فِي جُنْدٍ وَأَعْوَانٍ
حَتَّى أَقَمْتَ لَهُ خَزَانَ أَسْوَانٍ
فَاصْتَ عَلَيْنَا بِجُودٍ مِنْكَ هَتَانٍ
وَمَا تَقَلَّصَ مِنْ ظِلٍّ وَسُلْطَانٍ
لَكِنْ أَمَرْتَ فَلَبَّى الْأَمْرَ جَيْشَانٍ
وَذَا مِنَ الشَّرْقِ قَدْ أَوْفَى بِطُوفَانٍ
وَمَدَّهُ لَكَ فِي خِصْبٍ وَعُمُرَانٍ
عَلَيْهِ كَلَّمَهُ (مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ)
تَجْعَلُ بِنَاءَكَ إِلَّا كُلَّ مِعْوَانٍ
حَقًّا وَلَا شَعَرْتَ حُبًّا لِأَوْطَانٍ
وَأَخْلَصْتَ لَكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانٍ
فَأَصْبَحْتَ بِكَ تَسْمُو فَوْقَ كِيَوَانٍ
لِمُلْكٍ مِصْرَ وَلِلسُّودَانِ تَاجَانٍ
وَذَا هُوَ الشَّعْرُ فَلْتَنْشِذْهُ أَزْمَانِي

يَجْرِي عَلَى قَدَرٍ فِي كُلِّ مُنَحَدَرٍ
كَأَنَّهُ وَرِجَالُ الرِّيِّ تَحْرُسُهُ
قَدْ كَانَ يَشْكُو ضِياعًا مَذْجَرَى طُلُقًا
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الْقُطْرَيْنِ صَالِحَةٍ
رَدَدْتَ مَا سَلَبْتَ أَيْدِي الزَّمَانِ لَنَا
وَمَا قَعَدْتَ عَنِ السُّودَانِ إِذْ قَعَدُوا
هَذَا مِنَ الْغَرْبِ قَدْ سَالَتْ مَرَائِبُهُ
وَلَاكَ رَبُّكَ مُلْكًا فِي رِعَايَتِهِ
مَنْ كُرْدُفَانِ إِلَى مِصْرَ إِلَى جَبَلٍ
فَكُنْ بِمُلْكِكَ بِنَاءَ الرِّجَالِ وَلَا
وَانْظُرْ إِلَى أُمَّةٍ لَوْلَاكَ مَا طَلَبْتَ
لَاذَتْ بِسُدَّتِكَ الْعُلْيَاءِ وَاعْتَصَمَتْ
حَسَبُ الْأَرِيكِةِ أَنَّ اللَّهَ شَرَّفَهَا
تَاهَتْ بَعْدَهُ مَلِكٌ فَوْقَ مَفْرِقِهِ
هَذَا هُوَ الْمُلْكُ فَلْيَهْنِئْ مَمْلَكُهُ

وقال أيضًا يهنيئ سموه بالعام الهجري: (نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٤)

وَعَالَبْتُ فِيكَ الشُّوقَ وَهُوَ قَدِيرُ
لَهَا الْحُبُّ جُنْدٌ وَالْوَلَاءُ سَفِيرُ
وَدُونِكَ مِنْ تِلْكَ الضُّلُوعِ سُتُورُ
وَلَا حَلَ فِي قَلْبِي سِوَاكَ أَمِيرُ
وَهَلْ غَيْرُ صَدْرِي بِالْغَرَامِ خَبِيرُ
وَعَطَّلْتُ أَفْلَاكًا بِهِنَّ تَدُورُ
غَرَامِيَّةٍ مِنْهَا الشَّرَارُ يَطِيرُ
لِكُلِّ غَرَامٍ عَازِلٌ وَعَذِيرُ
وَإِنِّي بِسِتْرِ الدَّلَّتَيْنِ، جَدِيرُ
وَأَخْرُ فِي طَيِّ الْفُؤَادِ سَتِيرُ

قَصَرْتُ عَلَيْكَ الْعُمَرَ وَهُوَ قَصِيرُ
وَأَنْشَأْتُ فِي صَدْرِي لِحُسْنِكَ دَوْلَةً
فَوَادِي لَهَا عَرْشٌ وَأَنْتَ مَلِكُهُ
وَمَا انْتَقَضَتْ يَوْمًا عَلَيْكَ جَوَانِحِي
كَتَمْتُ فَقَالُوا: شَاعِرٌ يُنْكِرُ الْهَوَى
وَلَوْ شِئْتُ أَذْهَلْتُ النُّجُومَ عَنِ السُّرَى
وَأَشْعَلْتُ جِلْدَ اللَّيْلِ مَنِي بَزْفَرَةٍ
وَلَكِنِّي أَخْفَيْتُ مَا بِي وَإِنَّمَا
أَرَى الْحُبَّ ذُلًّا وَالشُّكَايَةَ ذِلَّةً
وَلِي فِي الْهَوَى شِعْرَانِ: شِعْرُ أَذْيَعِهِ

ولولا لجأ الحاسدين لما بدا
ولا شرعت هذا اليراع أناملي
على أنني لا أركب اليأس مركباً
فكم حاد غني الحين والسيف مضت
وكم لمحّة في غفلة الدهر نفست
فقد يشتفي الصب السقيم بزورة
عسى ذلك العام الجديد يسرني
وينظر لي رب الأريكة نظرة
ملك إذا غنى اليراع بمدحه
أمولاي إن الشرق قد لاح نجمه
تفألاً خيراً إذ رآك مملّكاً
مضى زمن والغرب يسطو بحوله
إلى أن أتاح الله للصقر نهضة
جرت أمة اليابان شوطاً إلى العلا
ولا يمنع المصير إدراك شأوها
فقف موقف (الفاروق) وانظر لأمة
ولا تستشر غير العزيمة في العلا
فعزك محروس وربك حارس

لمكنون سري في الغرام ضمير
لشكوى ولكن اللجأ يشير
ولا أكبر البأساء حين تغير
وهان علي الأمر وهو عسير
هموماً لها بين الضلوع سكير
وينجو بلفظ عائر وأسير
ببشري وهل للبائسين بشير؟
بها ينجلي ليل الأسى وينير
سرت بالمعالي هزة وسرور
وأن له بعد الممات نشور
وفوقك من نور المهيم نور
علي ومالي في الأنام ظهير
فقلت غرار الخطب وهو طير
ومضر على آثارها ستسير
وأنت لطلاب العلا نصير
إليك بحبات القلوب تشير
فليس سواها ناصح ومشير
وأنت على ملك القلوب أمير

(١٠) تهنئة إلى رفعت بك بوكالته لمصلحة السجون

أهنيك أم أشكو فراقك قائلاً
فلو كنت في عهد (ابن يعقوب) لم يقل
أيا ليتني كنت السجين المصفداً
لصاحبه: اذكرني ولا تنسني غداً

(١١) مدحة كتب بها إلى محمد بك هلال

ما أنت إلا عاشقٌ مُدَّعي
قَضَيْتَ هذا اللَّيْلَ سُهْداً مَعِي
أَعِيدُكُمْ مِنْ قَلَقِ الْمَضْجَعِ
على ذَوَاتِ الطَّوْقِ لَمْ تَسْجَعِ
وَمَنْ قَضَوْا فِي هذه الأَرْبَعِ
تَحِيَّةَ الْمُوجِعِ لِلْمُوجِعِ
على فؤَادِ العَاشِقِ الْمُوَلِّعِ
ما بَيْنَ جَنْبَيَّ أَسْوَدَ أُسْفَعِ
على سِوَى الرِّقَّةِ لَمْ يُطْبَعِ
وَقُلْتُ: يَا نَفْسُ بِهِ فاقْنَعِي
وَصَدُّهُ أَقْرَبُ مِنْ مَدْمَعِي
كَأَنَّمَا يَقْبِسُ مِنْ أَضْلَعِي
لَمَّا رَأَتْنِي دَانِيَّ الْمَصْرَعِ
قَدْ بَاتَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْمَطْمَعِ
أَصَابَهُ سَهْمٌ وَلَمْ يُنْزَعِ
أَمَّا لِهَذَا الْبَدْرِ مِنْ مَطْلَعِ؟
أَمَّا لِهَذَا الظُّبْيِ مِنْ مَرْتَعِ؟
مُنِيرَ أَشْجَانِي أَوْ تَطْمَعِي
ضَنْيَ بُوْدِ الْكَاتِبِ الْأَلْمَعِي
على يَرَاعِ الشَّاعِرِ الْمُبْدِعِ
كَأَنَّهَا بَعْضُ الْقَنَا الشَّرْعِ
وَإِنْ دَعَاهُ الْعِيُّ لَمْ يَسْمَعْ
فَتَى كَرِيمِ الْأَصْلِ وَالْمَنْزَعِ
جَادَتْ وَقَضَلُ بِاسْمِ الْمَشْرِعِ
بَانُوا مِنَ الشُّعْرَى عَلَى مَسْمَعِ

هَجَعَتْ يَا طَيْرٌ وَلَمْ أَهْجَعِ
لَوْ كُنْتُ مِمَّنْ يَعْرِفُونَ الْجَوَى
يَا مَنْ تَحَامَيْتُمْ سَبِيلَ الْهَوَى
وَحَسْرَةً فِي النَّفْسِ لَوْ قُسِّمَتْ
وَيَا بَنِي الشُّوقِ وَأَهْلَ الْأَسَى
عَلَيْكُمْ مِنْ وَاجِدٍ مُغْرَمِ
لِلَّهِ مَا أَقْسَى فؤَادَ الدُّجَى
هَذَا غَلِيظٌ لَمْ يَرْضَهُ الْهَوَى
وَذَاكَ فِي جَنْبَيَّ فَتَى مُدْنَفِ
وَأَغْيَدِ أَسْكَنْتَهُ فِي الْحَشَا
نِفَارُهُ أَسْرَعُ مِنْ خَاطِرِي
وَحَدُّهُ لَا تَنْطَفِي نَارُهُ
تَسَاءَلْتُ عَنِّي نُجُومُ الدُّجَى
قَالَتْ: نَرَى فِي الْأَرْضِ ذَا لَوْعَةٍ
يَنْنُ كَالْمَفْتُودِ أَوْ كَالَّذِي
إِنْ كَانَ فِي بَدْرِ الدُّجَى هَائِمًا
أَوْ كَانَ فِي ظُبْيِ الْحِمَى مُغْرَمًا
هَيْهَاتَ يَا أَنْجُمُ أَنْ تَعْلَمِي
إِنِّي لَضَنَانٌ بِذِكْرِ اسْمِهِ
الضَّارِبِ الْجَزِيَّةَ مُنْذُ انْتَشَى
وَالْحَامِلِ الْأَقْلَامِ مَشْرُوعَةً
إِذَا دَعَا الْقَوْلُ أَتَى طَائِعًا
صَحْبَتُهُ دَهْرًا فَأَلْفَيْتُهُ
مَوَدَّةً كَالْخَمْرِ إِنْ عُتِّقْتُ
وَعَزْمَةً لَوْ قُسِّمَتْ فِي الْوَرَى

(١٢) تهنئة (عليّ حيدر بك) بعيد الأضحى

وكان مديرا لبني سويف إذ ذاك

لله عيدٌ كبيرُ
لم تَقْتَبِلْهُ
يزهو بنورِ جبينك
إلا لَلثَمَ يَمِينك

(١٣) تهنئة سليمان أباطة باشا بإبلاله من مرض ألمّ به، وبعرس نجله (عليّ بك)

تَرَأَى لَكَ الإِقْبَالَ حَتَّى شَهِدْنَاهُ
(سُلَيْمَانُ) ذَكَّرْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
إِذَا سِرْتَ يَوْمًا حَذَرَ النَّمْلُ بَعْضَهُ
وَإِنْ كُنْتَ فِي رَوْضٍ تَغْنَّتْ طُيُورُهُ
وَكَانَ (ابْنُ دَاوُدَ) لَهُ الرِّيحُ خَادِمُ
تَحُلُّ بِحَيْثُ الْمَجْدُ أَلْقَى رِحَالَهُ
لَبِسْتَ الشُّفَا ثَوْبًا جَدِيدًا مُبَارَكًا
وَكَانَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ يَخْفُقُ قَلْبُهُ
وَهَنَّا جَدِيدَاهُ الزَّمَانَ وَأَضْبَحْتَ
وَبَاتَ بَنُوكَ الْغُرُّ مَا بَيْنَ رَافِلِ
(سُلَيْمَانُ) دُمَ مَا دَامَتِ الشُّهُبُ فِي الدَّجَى
وَكُنْ (لِعَلِيٍّ) بَهْجَةَ الْعُرْسِ إِنَّهُ
وَلَا تَنْسَ مَنْ أَمْسَى يُقَلِّبُ طَرْفَهُ

وَدَانَ لَكَ الْمِقْدَارُ حَتَّى أَمَّنَاهُ
بِعِزِّ (سُلَيْمَانٍ) وَإِقْبَالَ دُنْيَاهُ
مَخَافَةَ جَيْشٍ مِنْ مَوَالِيكَ يَغْشَاهُ
وَصَاحَتْ عَلَى الْأَفْنَانِ: يَحْرُسُكَ اللَّهُ
وَتَخْدُمُكَ الْأَيَّامُ وَالسَّعْدُ وَالْجَاهُ
«فَطَاهِرَةٌ» وَالْبَيْتُ وَالْقُدْسُ أَشْبَاهُ
فَأَلْبَسْتَنَا ثَوْبًا مِنَ الْعِزِّ نَرْضَاهُ
فَلَمَّا شَفَاكَ اللَّهُ أَهْدَأَتْ أَحْشَاهُ
تَسُوقُ لَنَا الْأَيَّامُ مَا نَتَمَنَّاهُ
بِحُلَّةٍ يُؤْمِنُ أَوْ شُكُورٍ لِمَوْلَاهُ
وَمَا دَامَ يَسْرِي ذَلِكَ الْبَدْرُ مَسْرَاهُ
بِعِزِّكَ فِي الْأَفْرَاحِ تَمَّتْ مَزَايَاهُ
فَلَمْ تَرَ إِلَّا أَنْتَ فِي النَّاسِ عَيْنَاهُ

(١٤) فكتور هونغو (نشرت سنة ١٩٠٧م)

في سماء الشُّعْرِ نَجْمَ الْعَرَبِي
«بِالْمَعْرِي» فَوْقَ هَامِ الشُّهُبِ
ضاحِكاتٍ مِنْ بُكَاءِ السُّحُبِ
كَتَنَّايا الْغِيْدِ أَوْ كَالْحَبَبِ
مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي تَلْعَبُ بِي
مُغْرَمِ الْفَضْلِ وَصَبِّ الْأَدَبِ
أَعَجَزَتْ أَطَواقُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ
شَدَّوْهَا بَيْنَ الْهَوَى وَالطَّرِبِ
(شُعْرُ هُونْغُو) بَعْدَ عَهْدِ الْعَرَبِ
تَظْمَأُ الْأَفْلاكُ إِنْ لَمْ يَشْرِبِ
عَفْوُ ذَاكَ الْقَاهِرِ الْمُغْتَصِبِ
أَنَّهُ ذَاكَ الْعِصَامِيُّ الْأَبْيِ
جَاءَهُ بِالْعَفْوِ فَاقْرَأْ وَأَعْجِبِ
كَيْفَ تُسْدي الْعَفْوَ كَفَّ الْمَذْنِبِ؟
مَا لَهَا فِي سِجْنِهَا مِنْ مَذْهَبِ
بِلَظَاهُ خَاتَمًا مِنْ رَهَبِ
لَا تَرَى إِلَّا بَعَيْنِ الْكُتُبِ
بِجُيُوشٍ مِنْ ظَلَامِ الْحُجُبِ
عِزَّةُ التَّاجِ وَزَهْوُ الْمَوْكِبِ
بِالْيَرَاعِ الْحُرِّ لَا بِالْقُضْبِ
تَمْتَطِي فِي الْبَحْثِ مَتْنُ الْكُوكِبِ
سِيرَةَ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ
لَمْ تَشْبَهُ شَائِبَاتُ الْكَذِبِ:
فَاطْرَحُوا تَرْبِي وَصُونُوا ذَهَبِي

أَعْجَمِي كَادَ يَغْلُو نَجْمُهُ
صَافِحَ الْعُلَيَاءِ فِيهَا وَالتَّقَى
مَا تُغَوِّرُ الزَّهْرَ فِي أَكْمَامِهَا
نَظْمَ الْوَسْمِيِّ فِيهَا لَوْلَا
عِنْدَ مَنْ يَقْضِي بِأَبْهَى مَنَظَرًا
بَسَمَتْ لِلذَّهْنِ فَاسْتَهَوَتْ نَهَى
وَجَلَّتْهَا حِكْمَةً بِالِغَةِ
سَائِلُوا الطَّيْرَ إِذَا مَا هَاجَكُمُ
هَلْ تَغْنَّتْ أَوْ أَرْنَتْ بِسَوَى
كَانَ مَرُّ النَّفْسِ أَوْ تَرْضَى الْعُلَا
عَافَ فِي مَنْفَاهُ أَنْ يَذْنُو بِهِ
بَشَرُوهُ بِالتَّدَانِي وَنَسُوا
كَتَبَ الْمَنْفِيِّ سَطْرًا لِلَّذِي
أَبْرِيءُ عَنْهُ يَغْفُو مُذْنِبٌ؟
جَاءَ وَالْأَحْلَامُ فِي أَصْفَادِهَا
طَبَعَ الظُّلْمُ عَلَى أَقْفَالِهَا
أَمْعَنَ التَّقْلِيدُ فِيهَا فَغَدَتْ
أَمَرَ التَّقْلِيدُ فِيهَا وَنَهَى
جَاءَهَا (هَوَجُو) بَعَزْمُ دُونَهُ
وَأَنْبَرِي يَصْدَعُ مِنْ أَغْلَالِهَا
هَالَهُ أَلَّا يَرَاهَا حُرَّةً
سَاءَهُ أَلَّا يَرَى فِي قَوْمِهِ
قُلْتُ عَنْ نَفْسِكَ قَوْلًا صَادِقًا
أَنَا كَالْمَنْجَمِ تَبْرُ وَثَرِي

(١٥) تهنئة سموّ الخديوي عباس الثاني بعيد الأضحى (١٣٢٥هـ-١٩٠٨م)

سَكَنَ الظَّلَامُ وَبَاتَ قَلْبُكَ يَخْفِقُ
حَارَ الْفِرَاشُ وَجَرَّتْ فِيهِ فَأَنْتُمَا
دَرَجَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مَفْتُونُ الْمُنَى
عَجَبًا يَلْذُ لَكَ السُّكُوتُ مَعَ الْهَوَى
خَلَقَ الْغَرَامَ لِأَصْغَرِكَ وَطَالَمَا
وَرَمَوْكَ بِالسَّلْوَى وَلَوْ شَهِدُوا الَّذِي
أَخْفَيْتَ أَسْرَارَ الْفَوَادِ وَإِنَّمَا
نَفْسٌ بَرِيكٌ عَنْ فَوَادِكَ كَرْبُهُ
وَإِذْ كُنَّا لَنَا عَهْدُ الَّذِينَ بِنَائِهِمْ
مَا لِلْقَوَافِي أَنْكَرْتِكَ وَلَمْ تَكُنْ
مَا لِلْبَيَانِ بِغَيْرِ بَابِكَ وَإِقْفَا
إِنِّي كَهَمِّكَ فِي الصَّبَابَةِ لَمْ أَرْلُ
نَفْسِي بِرَغَمِ الْحَادِثَاتِ فَتِيَّةُ
إِنَّ الَّذِي أَغْرَى السَّهَادَ بِمُقْلَتِي
وَأَثَقْتُهُ إِلَّا أَبْجُوحَ وَإِنَّمَا
وَشَقِيئٌ مِنْهُ بِقَرْبِهِ وَبِعَادِهِ
صَاحِبْتُ أَسْبَابَ الرِّضَا لِرُكُوبِهِ
وَصَبَرْتُ مِنْهُ عَلَى الَّذِي يَغْيَا بِهِ
أَصْبَحْتُ كَالدَّهْرِيِّ أَعْبُدُ شَعْرَهُ
وَعَدَوْتُ أَنْظِمُ مِنْ ثَنَائِي ثَغْرَهُ
(صَبْرِي) اسْتَثَرْتَ دِفَائِنِي وَهَزَزْتَنِي
فَأَبْحَثَ لِي شَكْوَى الْهَوَى وَسَبَقْتَنِي
قَالَ الرَّئِيسُ فَمَا لِقَوْلٍ بَعْدَهُ
(شَوْقِي) نَسَبْتَ فَمَا مَلَكَتْ مَدَامِعِي
أَعْجَزْتُ أَطْوَأَ الْأَنَامِ بِمَذْحَةٍ

وَسَطًا عَلَى جَنْبَيْكَ هُمْ مُقْلِقُ
تَحْتَ الظَّلَامِ مُعَذِّبٌ وَمُؤَرِّقُ
وَمَضَى الشَّبَابُ وَأَنْتَ سَاهٍ مُطْرِقُ
وَسَوَاكَ يَبْعَثُهُ الْغَرَامُ فَيَنْطِقُ
ظَنُّوا الظُّنُونُ بِأَصْغَرِكَ وَأَغْرَقُوا
تَطْوِيهِ فِي تِلْكَ الضُّلُوعِ لِأَشْفَقُوا
سِرُّ الْفَوَادِ مِنَ النُّوَاطِرِ يُسْرِقُ
وَارْحَمْ حَشَاكَ فَإِنَّهَا تَتَمَزَّقُ
جَمَعُوا عَلَيْكَ هُمُومَهُمْ وَتَفَرَّقُوا
لِكَسَادِهَا فِي غَيْرِ سُوقِكَ تَنْفُقُ
يَبْكِي وَيُعْجِلُهُ الْبُكَاءُ فَيَشْرِقُ
أَلْهُوً وَأَرْتَجِلُ الْقَرِيضَ وَأَعْشُقُ
عُودِي عَلَى رَغَمِ الْكَوَارِثِ مُورِقُ
مُتَعَنَّتْ قَلْبِي بِهِ مُتَعَلِّقُ
يَوْمَ الْحِسَابِ يُحِلُّ ذَاكَ الْمَوْثِقُ
وَأَخُو الشَّقَاءِ إِلَى الشَّقَاءِ مُوَفِّقُ
مَتَنَ الْخِلَافِ لِمَا بِهِ أَتَخَلَّقُ
حِلْمُ الْحَلِيمِ وَيَتَّقِيهِ الْأَحْمَقُ
وَجَبِينَهُ وَأَنَا الشَّرِيفُ الْمُعْرِقُ
دُرَّرًا أَقْلَدُهَا الْمَهَا وَأُطَوِّقُ
وَأَرِيَّتَنِي الْإِبْدَاعَ كَيْفَ يُنَسِّقُ
فِي مَدْحِ (عَبَّاسٍ) وَمِثْلِكَ يَسْبِقُ
بَاغُ تَطْوِيلٍ وَلَا لِمَدْحِ رَوْنَقُ
مَنْ أَنْ يَسِيلَ بِهَا النَّسِيبُ الشَّقِيقُ
سَجَدَ الْبَيَانُ لِرَبِّهَا وَالْمَنْطِقُ

لَمْ تَتْرُكْ لِي فِي الْمَدَائِحِ فَضْلَةً
نَفْسِي عَلَى شَوْقٍ لِمَدْحِ أَمِيرِهَا
مَاذَا أَقُولُ وَأَنْتُمَا فِي مَدْحِهِ
الْعَجْزُ أَقْعَدَنِي وَإِنَّ عَزَائِمِي
فَلِيَهْنِي الْعَبَّاسُ أَنْ بَكْفَهُ
وَلِيَبْقَ نَحْرًا لِلْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
(عَبَّاسُ) وَالْعَيْدُ الْكَبِيرُ كِلَاهُمَا
هَذَا لَهُ تَجْرِي الدِّمَاءُ وَذَا لَهُ
صَدَقَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِيهِ وَحَسْبُهُ
(لَكَ مِصْرُ مَاضِيهَا وَحَاضِرُهَا مَعًا)

يَجْرِي بِهَا قَلَمِي الضَّعِيفُ وَيَلْحَقُ
وَيَرَاعَتِي بَيْنَ الْأَنَامِلِ أَشَوْقُ
بَحْرَانِ بَاتَ كِلَاهُمَا يَتَدَفَّقُ
لَوْلَاكُمَا فَوْقَ السَّمَاءِ تَحَلَّقُ
عَلَمَيْنِ هَزُهُمَا الْوَلَاءُ الْمُطْلَقُ
يَعْفُو وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعْتَقُ
مُتَأَلِّقُ بِإِزَائِهِ مُتَأَلِّقُ
تَجْرِي الْقَرَائِحُ بِالْمَدِيحِ وَتُعْنِقُ
أَنَّ الزَّمَانَ لِمَا يَقُولُ مُصَدِّقُ:
وَلَكَ الْعُدُ الْمُتَحَتِّمُ الْمُتَحَقِّقُ

(١٦) تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه (نشرت في أول سبتمبر سنة ١٩٠٨م)

أَثْنَى الْحَجِيجُ عَلَيْكَ وَالْحَرَمَانِ
أَرْضِيَتْ رَبِّكَ إِذْ جَعَلْتَ طَرِيقَهُ
وَجَمَعْتَ بِالْأُسُورِ حَوْلَكَ أُمَّةً
فَعَدَوْتَ تَسْكُنُ فِي الْقُلُوبِ وَتَرْتَعِي
رَاعِيَتَهُمْ حَتَّى عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ
فَجَعَلْتَ أَمْرَ النَّاسِ سُورَى بَيْنَهُمْ
لَوْ أَنَّهُمْ وَزَنُوا الْجِيُوشَ بِمَشْهَدٍ
لَوْ شَاءَ زَلَزَلَهَا عَلَى أَعْدَائِهِ
يَمْشُونَ فِي خَلْقِ الْحَدِيدِ إِلَى الْعُدا
وَكَأَنَّ مَقْدِمَهُمْ إِذَا لَمَعَ الضُّحَى
يَتَوَاقِعُونَ عَلَى الرَّدَى وَصُفُوفُهُمْ
فَإِذَا الْمَدَافِعُ فِي النَّزَالِ تَجَاوَبَتْ

وَأَجَلَ عِيدَ جُلُوسِكَ الثَّقَلَانِ
أَمْنًا وَفُزْتَ بِنِعْمَةِ الرِّضْوَانِ
شَتَّى الْمَذَاهِبِ جَمَّةَ الْأَضْغَانِ
حَبَّاتِهَا وَتَحُلُّ فِي الْوُجْدَانِ
بَلَّغُوا أَشْدَّهُمْ عَلَى الْأَزْمَانِ
وَأَقَمْتَ شَرْعَ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ
رَجَحْتَ بِجَيْشِكَ كِفَّةَ الْمِيزَانِ
أَوْ شَاءَ أَذْهَلَهَا عَنِ الدَّوَرَانِ
وَكَأَنَّهُمْ سَدُّ مِنَ الْإِنْسَانِ
سَيْلٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ وَالْمُرَّانِ
رَغَمَ الْوُثُوبِ كَثَابَتِ الْبُنْيَانِ
بَزْئِيرِهَا وَتَلَاخَمَ الْجَيْشَانِ

تَحْتَ الْغُبَارِ تَفْجَرُ الْبُرْكَانِ
 طُلُقًا وَأَسْبَابُ الْهَلَاكِ دَوَانِي
 وَشَهِدْتَ أَفْئِدَةً مِنَ الصَّوَانِ
 شَمَّ الْجِبَالِ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ
 لَمَّا حَلَفْتَ بِأَوْثَقِ الْأَيْمَانِ
 هُمْ يَعْرِفُونَ شَمَائِلَ السُّلْطَانِ
 لَوْقَايَةِ الدُّسْتُورِ خَيْرُ ضَمَانِ
 وَخُذُوا أُمُورَكُمْ بِغَيْرِ تَوَانِي
 مَرَعَى النَّهْيِ وَمَنَابِتِ الشُّجْعَانِ
 بَدَمٍ وَلَا مُتَلَطِّخًا بِهَوَانِ
 يَوْمَ الْفَخَارِ كَأَمَّةِ الْيَابَانِ
 جَمُّ الْمَبَرَّةِ وَاسِعُ الْإِحْسَانِ
 حَقَّ الْوَلَاءِ وَحُرْمَةُ الْأَذْيَانِ
 -وَرَاةِ الْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
 فِي مَضَرِّ الْأَفَاطُ بِغَيْرِ مَعَانِي
 إِنَّ التَّقَاطُعَ آيَةُ الْخِذْلَانِ
 لِلْعَالَمِينَ دَفَائِنَ الْأُذْهَانِ
 حَيْلُ الشُّيُوخِ وَإِمْرَةُ الْخِصْيَانِ
 تُجْدِي الْمُسِيءَ وَلَا رُقَى الشَّيْطَانِ
 يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَوْقِفِ الْإِدْعَانِ
 هَذَا فُلَانٌ قَدْ وَشَى بِفُلَانٍ
 بَدَمٍ أُرَيْقَى بِمَسْبَحِ الْحَيَاتَانِ
 بَعْدَ النُّشُورِ هُنَاكَ يَوْمٌ ثَانِي
 لِيَدِ الضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ الْجَانِي
 يَتَسَابِقُونَ لِرُؤْيَا الْأَوْطَانِ
 نَهْرًا وَكَمْ هَدَّاتٍ مِنْ أَشْجَانِ
 شَوْقًا وَذَاكَ إِلَى رَبِّي لُبْنَانِ

وَإِذَا الْقَنَابِلُ دَمَدَمَتْ وَتَفَجَّرَتْ
 وَإِذَا الْبِنَادِقُ أَرْسَلَتْ نِيرَانَهَا
 أَبْصَرْتَ جَنَّا فِي مَسَالِيخِ فِتْنَةٍ
 مُرْهُمْ يَخَوْضُوا الزَّاجِرَاتِ وَيَنْسِفُوا
 ثَلَجَتْ صُدُورُهُمْ وَقَرَّ قَرَارُهُمْ
 تَالِهِ مَا شَكُّوا بِصِدْقِكَ دُونَهَا
 لَكِنَّهُمْ دَرَجُوا عَلَى سَنَنِ بِهِ
 يَأْيُهَا الشَّعْبُ الْكَرِيمُ تَمَاسَكُوا
 مَالِي أَذْكَرُكُمْ وَتِلْكَ رُبُوعُكُمْ
 أَذْرَكْتُمُ الدُّسْتُورَ غَيْرَ مُلَوِّثٍ
 وَفَعَلْتُمْ فَعَلَ الرِّجَالِ وَكُنْتُمْ
 فَتَفَيَّئُوا ظِلَّ الْهِلَالِ فَإِنَّهُ
 يَزَعَى لِمُوسَى وَالْمَسِيحِ وَأَحْمَدٍ
 فَخُذُوا الْمَوَاقِفَ وَالْهُدَى عَلَى التَّدْ
 وَتَذَوَّقُوا مَعْنَى الْحَيَاةِ فَإِنَّهَا
 وَدَعُوا التَّقَاطُعَ فِي الْمَذَاهِبِ بَيْنَكُمْ
 وَتَسَابَقُوا لِلْبَاقِيَاتِ وَأَظْهَرُوا
 وَلَى زَمَانُ الْمُعْتَدِينَ كَمَا انْطَوَتْ
 لَا الشَّكُّ يَذْهَبُ بِالْيَقِينِ وَلَا الرُّؤْيَى
 وَضِعَ الْكِتَابُ وَسَيَقُ جَمْعُهُمْ إِلَى
 وَتَوَسَّمُوهُمْ فِي الْقِيُودِ فَقَائِلُ
 وَمَلَبَّبَ لِغَرِيمِهِ وَمُطَالِبُ
 قَدْ جَاءَ يَوْمُهُمْ هُنَا، وَأَمَامَهُمْ
 سُبْحَانَ مَنْ دَانَ الْقَضَاءُ بِأَمْرِهِ
 يَا يَوْمَ عَادَ النَّازِحُونَ لِأَرْضِهِمْ
 لِلَّهِ كَمْ أَطْفَأَتْ مِنْ نَارٍ ذَكَتْ
 هَذَا يَطِيرُ إِلَى (فَرُوقٍ) وَمَنْ بِهَا

بِاللِّثَمِ عَهْدَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ
يَخْلُو بِهِنَّ تَعَانِقُ الْأَغْصَانِ
لَا يَتَّقِينَ عَوَايِي الْأَجْفَانِ
يَبْرُزْنَ فِي فَرْحٍ وَفِي أَحْزَانِ
سَفَرَتْ عَنَّا لَجَمَالِهَا الْقَمَرَانِ
هَبَّتْ نَسَائِمُهَا مِنَ الْبَلْقَانِ
فِي يَوْمٍ أَسْعَدَهَا عَلَى طَهْرَانِ
كَبِدَاهُمَا وَتَصَدَّعَ الْقَلْبَانِ
(تَمْوَزُ) مِثْلَ تَرْقُبِ الظَّمَانِ
أَمَّمْ وَبُدِّلَ خَوْفُهَا بِأَمَانِ
يَشْدُو بِذِكْرِ صَنِيعِهَا الْفَتَيَانِ
تُتْلَى أَنَاشِيدُ لَهَا وَأَغَانِي
تَمْوَزُ، أَنْتَ مُنَى الْأَسِيرِ الْعَانِي
نَجْرِي مَعَ الْأَحْيَاءِ فِي مَيْدَانِ
وَنَعُودُ نَحْنُ بِذَلِكَ الْجُرْمَانِ
فَمَتَى الْأَوَانُ وَأَنْتَ خَيْرُ أَوَانِ
وَعَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَنِي عُثْمَانَ
أَوْ رَاكِبٍ أَوْ نَازِحٍ أَوْ دَانِي
ذَاكَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعِصْيَانِ
إِلَّا اقْتِنَاصُ الْأَصْفَرِ الرَّيَّانِ
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانَ
وَضَلَالِهِ بِحَثَالَةِ الْعُرْبَانِ
وَنَزَلْتُمَا بِمَوَاطِنِ الْعِقْبَانِ
وَأَسَلْتُمَا بَحْرًا مِنَ النِّيرَانِ
مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ إِلَى خَلِيجِ عُمانِ
مَاحِي الْخُصُونِ وَمَاسِحِ الْبُلْدَانِ
كَرْهًا بِلَا حَوْلٍ وَلَا سُلْطَانِ

خَلَعُوا الشَّبَابَ عَلَى الْبَشِيرِ وَأَخْلَقُوا
وَتَعَانَقُوا بَعْدَ النَّوَى كَخَمَائِلِ
فَتَرَى النِّسَاءَ مَعَ الرِّجَالِ سَوَافِرًا
عَجَبًا لَهُنَّ وَقَدْ خُلِقْنَ أَوَانِسًا
أَهْلًا بِحَاسِرَةِ اللَّثَامِ وَمَنْ إِذَا
خَطَرَتْ فَعَطَّرَتْ الْمَشَارِقَ عِنْدَمَا
يَا لَيْتَهَا خَطَرَتْ بِمِصْرَ وَأَشْرَقَتْ
أَضْنَاهُمَا شَوْقٌ قَدْ ابْيَضَّتْ لَهُ
عَرَفَ الْوَرَى مِيقَاتَهَا فَتَرَقَّبُوا
شَهْرٌ بِهِ بُعِثَ الرَّجَاءُ وَأُنْشِرَتْ
فَلَهُ عَلَى الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ نِعْمَةٌ
وَعَلَى فَرَنْسِيْسِ الْحَضَارَةِ مِنْةٌ
تَمْوَزُ أَنْتَ أَبُو الشُّهُورِ جَلَالَةٌ
هَلَّا جَعَلْتَ لَنَا نَصِيبًا عَلَنًا
أَيُّعُودُ مِنْكَ الْإِمْلُونُ بِمَا رَجَوْا
تَمْوَزُ، إِنَّ بَنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٌ
مِنْنِي عَلَى دَارِ السَّلَامِ تَحِيَّةٌ
وَعَلَى رِجَالِ الْجَيْشِ مِنْ مَا شِ بِهِ
وَعَلَى الْأَلَى سَكَنُوا إِلَى الْحُسْنَى سَوَى
وَالِى الْحِجَازِ الْخَارِجِيِّ وَمَا بِهِ
مَا لِلشَّرِيفِ الْمُتَنَمِّي حَسَبًا إِلَى
أَمْسَى يُمَالِئُهُ وَيَنْصُرُ غَيَّه
تَالِهِ لَوْ جَنَدْتُمَا رَمَلَ النَّقَا
وَعَرَسْتُمَا أَرْضَ الْحِجَازِ أَسِنَّةً
وَأَقَمْتُمَا فِيهَا الْمَعَاقِلَ مَنْعَةً
لَدَهَاكُمَا وَرَمَاكُمَا وَذَرَاكُمَا
إِنْ تَأْتِيَا طَوْعًا وَإِلَّا فَاتِيَا

وإليك يا فرع الخلائف مدحة
من شاعر تثب النّهي لقريضه
يُهدي المديح إلى المليك سبائكا
إنّ الملوك إذا استوتّ البسّتها
عزّت شواردها على (حسان)
وثب النفوس لرنة العيدان
تغنّو لهنّ سبائك العقيان
بالمّح تيجانا على تيجان

(١٧) إلى أحمد شوقي بك

يهنّته حين أنعم عليه بالرتبة الأولى العلميّة

إنّ هناوك بها فلست مهنّئا
قد كان قدرك لا يحُدّ نباهه
إني عهدتك قبلها محسودا
وسعادة فغدا بها محدّودا

(١٨) تهنئة الخديوي عباس الثاني بقدومه من الحجّ (١٣٢٧هـ-١٩٠٩م)

منى نلتها يا لابس المجد معلما
فلله ما أبهاك في مصر حاليّا
أقول وقد شاهدت ركبك مشرقا
مشت كعبة الدنيا إلى كعبة الهدى
فيا ليتني اسطعت السبيل وليتني
وفي الركب شمس أنجبت أنجب الورى
تسير إلى شمس الهدى في حفاوة
فلم أر أفقا قبل ركبك أطلعت
ولو أنّني خيّر لاخترت أن أرى
أسير خلال الركب نحو حظيرة
إلى خير خلق الله من جاء ناطقا
حلّت بأكناف الجزيرة عابرا
أدينا ودنيا؟ زادك الله أنعمّا
ولله ما أتقاك في البيت محرمّا
وقد يمم البيت العتيق المحرّما:
يفيض جلال الملك والدين منهما
بلغت منى الدارين رحبا ومغنما
فتى الشرق مولانا الأمير المعظما
من العزّ تحذوها الزواهر أينما
جوانبه بدرّا وشمسا وأنجما
لعيسك وحدي حاديا مترنما
على ربّها صلى الإله وسلما
بآياته إنجيل عيسى بن مريما
فأنضرت واديها وكنت لها سما

فَبَاتَ عَلَيْكَ النَّيْلُ يَحْسُدُ زَمَرًا
بِمِثْلِكَ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ مُنْعَمًا
عَلَى عَرَفَاتٍ مِثْلَ شَخْصِكَ مُحْرَمًا
جِمَارًا عَلَى إِبْلِيسَ بَلْ كُنَّ أَشْهُمَا
وَأِنْ لَازَ بِالْأَفْلَاكِ يَا خَيْرَ مَنْ رَمَى
بَسْعِيكَ يَا (عَبَّاسُ) لِلَّهِ مُسْلِمًا
وَكَمْ هَزُولُ السَّاعِي إِلَيْكَ وَعَظْمًا
وَكَمْ أَمْسَكَ الرَّاجِي بِهَا وَتَحَرَّمًا
فَلَوْ أَنَّهُ اسْطَاعَ الْكَلَامَ تَكَلَّمَ
وَمَا كَانَ مِنْ قَوْلٍ (الْفَرَزْدَقِ) فِيهِمَا
مَسَخَتْ بِهَا يَا أَكْرَمَ النَّاسِ مَنَّتَمَى
وَأَنْتَ بَدَعَوَى اللَّهِ أَطْهَرُنَا فَمَا
بِأَرْجَاءِ وَاوَدِي النَّيْلِ شَعْبًا مُنْعَمًا
وَأَنْ تُرْهَفَ السَّيْفَ الَّذِي قَدْ تَثَلَّمَ
لَكَ اللَّهُ مَضْرُ أَنْ تَعِيشَ وَتَسْلَمًا
بِمَلِكٍ إِذَا مَا أَحْجَمَ الدَّهْرُ أَقْدَمًا
أَقَامُوا عَمُودَ الدِّينِ لِمَا تَهْدَمًا
لَقَدْ كَانَ (إِبْرَاهِيمُ) بِالْمَجْدِ مُغْرَمًا
لَقَدْ كَانَ (إِسْمَاعِيلُ) فِيهَا مُتَيَّمًا
فَقَدْ كَانَ مِنْهَا قَلْبُ (تَوْفِيْقُ) مُفْعَمًا
فَمِنْ جَدِّهِ الْأَعْلَى (عَلِيٍّ) تَعَلَّمَ
وَزَادَ فَاعْيَا الْمَادِحِينَ وَأَفْحَمًا
مِنْ الْأَفْقِ هَتَانُ مِنَ الْمُزْنِ قَدْ هَمَى
وَحَيًّا عَبُوسَ الْقَفْرِ حَتَّى تَبَسَّمَ
إِلَى الْبَيْتِ شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ فَيَمَّمَا
وَلَوْ عَبَّ مِنْهُ (السَّامِرِيُّ) لِأَسْلَمًا
وَعُدَّتْ إِلَيْنَا أَيْمَنُ الْخَلْقِ مَقْدَمًا

وَأَشْرَقَتْ فِي بَطْحَاءِ مَكَّةَ زَائِرًا
وَمَا ظَفِرَتْ مِنْ بَعْدِ (هَارُونَ) أَرْضُهَا
وَلَا أَبْصَرَ الْحُبَّاجُ مِنْ بَعْدِ شَخْصِهِ
رَمِيَتْ فَسَدَدَتْ الْجِمَارَ فَلَمْ تَكُنْ
وَأِنْ الَّذِي تَرْمِيهِ وَقَفَّ عَلَى الرَّدَى
وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ اازْدَدَتْ عِزَّةً
تُهْزِلُ لِلْمَوْلَى الْكَرِيمِ مُعْظَمًا
وُطِفَتْ وَكَمْ طَافَتْ بِسُدَّتِكَ الْمُنَى
وَلَمَّا اسْتَلَمْتَ الرُّكْنَ هَاجَتْ شُجُونُهُ
تَذَكَّرَ (زَيْنَ الْعَابِدِينَ) وَجَدَّهُ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الرُّكْنَ أَمْسَكَ رَاحَةً
دَعَوْتَ لَنَا حَيْثُ الدُّعَاءُ إِبَابَةً
أَمَانِيكَ الْكُبْرَى وَهَمُّكَ أَنْ تَرَى
وَأَنْ تَبْنِيَ الْمَجْدَ الَّذِي مَالَ رُكْنُهُ
دَعَوْتَ لِمَضْرُ أَنْ تَسُودَ وَكَمْ دَعَتْ
فَلَيْتَ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ تَشَبَّهُوا
سَلِيلَ مُلُوكٍ يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّهُمْ
لِئِنْ بَاتَ بِالْمَجْدِ الْمُؤْتَّلِ مُغْرَمًا
وَأِنْ تَامَ حُبُّ الْمَكْرُمَاتِ فَوَادَهُ
وَأِنْ سَكَنْتَ تَقْوَى الْمُهَيِّمِينَ قَلْبَهُ
وَأِنْ بَاتَ نَهَاضًا بِمَضْرُ إِلَى الذَّرَا
حَوَى مَا حَوَى مِنْ مَجْدِهِمْ وَنِجَارِهِمْ
دَعَا بِكَ وَاسْتَسْقُوا قَلْبِي دُعَاءَهُمْ
أَلَحَّ عَلَى أَوْعَارِهِمْ وَسُهُولِهِمْ
وَلَمَّا طَوَى بَطْحَاءَ مَكَّةَ هَزَّهُ
أَطَافَ بِهِ ثُمَّ انْتَنَى عَنْ فَنَائِهِ
طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَسْعَدُ الْخَلْقِ مَطْلَعًا

رَجَعْتَ وَقَدْ ذَاوَيْتَ بِالْجُودِ فَقَرَهُمْ
وَأَمَنْتَ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ طَرِيقَهُ
وَيَسَّرْتَهُ حَتَّى اسْتَطَاعَ رُكُوبَهُ
وَجَدْتَ وَجَادَتْ رَبَّةُ الطُّهْرِ وَالتَّقَى
فَلَمْ تُبْقِيََا فَوْقَ الْجَزِيرَةِ بَائِسًا
فَأَرْضَيْتُمَا الدِّيَانَ وَالدِّينَ كُلَّهُ
وَكُنْتَ لَهُمْ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ مَوْسِمًا
وَكَانَ طَرِيقُ الْبَيْتِ مِنْ قَبْلِهَا دَمًا
أَخُو الْفَقْرِ لَا يَطْوِيهِ جُوعٌ وَلَا ظَمًا
عَلَى الْعَامِ حَتَّى أَخْصَبَ الْعَامُ مِنْكُمَا
وَلَمْ تَتْرُكَا فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ مُعْدِمًا
لَقَدْ رَضِيَ الدِّيَانُ وَالدِّينُ عَنْكُمَا

(١٩) تحية محمد سعيد باشا

بمناسبة عودته من أوروبا في اليوم الحادي عشر من شهر شوال سنة ١٣٣٠هـ وكان رئيسًا للحكومة إذ ذاك

فِيكَ السَّعِيدَانِ اللَّذَانِ تَبَارَيَا
نِيلٌ يَفِيضُ عَلَى سُهُولِكَ رَحْمَةً
عَادَ الرَّئِيسُ فَرَحْبِي بِقُدُومِهِ
يَا مِصْرُ فِي الْخَبَرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
وَفَتَى يَقِيكَ غَوَائِلَ الْعَثَرَاتِ
وَتَهَلَّلِي بِمُفَرِّجِ الْأَزْمَاتِ

(٢٠) إلى أمين واصف بك (نُشِرَا فِي ٩ مَآيُو سَنَةِ ١٩١٢م)

قال هذين البيتين ليُكتبَا في لوحة مهداة إليه من مدرسة طوخ الصناعية؛ إذ كان مديرًا للقلبيوبية

لَمْ نَجِدْ مَا يَفِي بِقَدْرِكَ فِي الْمَجْدِ
فَبَعَثْنَا إِلَيْكَ بِاسْمِكَ مَكْتُو
بِ فِيْهْدَى إِلَى جَمَاكَ الْكَرِيمِ
بَا عَلَى صَفْحَةِ الْوَلَاءِ الْمُقِيمِ

وقال يودّعه: أنشدّها في حفل أقامه كبار موظفي مديرية القليوبية؛ إذ كان مديرًا لمديريّتهم ونُقل. (نُشِرَتْ فِي ٩ مَآيُو سَنَةِ ١٩١٢م)

إِنِّي دُعِيتُ إِلَى احْتِفَالِكَ فَجَاءَ
فَأَجَبْتُ رَغَمَ شَوَاغِلِي وَسَقَامِي

وَدَعَوْتُ شِعْرِي يَا (أَمِينُ) فَخَانَنِي
فَأَتَيْتُ صَفَرَ الْكَفِّ لَمْ أَمْلِكْ سِوَى
وَاحْجَلْتِي أَيْكُونُ هَذَا مَوْقِفِي
وَأَنَا الْخَلِيقُ بَأَنْ أَرْتَلَ لِلوَرَى
وَأَقُومُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ غَيْرِي بِمَا
(بَنُهَا)، لَقَدْ وُفِّيتَ قِسْطَكَ مِنْ مَنَى
فَدَعَيْ سِوَاكَ يَفْزُ بِقَرْبِ مُوَفَّقٍ
لِبِسِ التَّوَاضُّعَ حُلَّةً وَمَشَى إِلَى
وَعَدَا بِأَبْرَاجِ الْعُلَا مَتَنَقِّلًا

أَدْبِي وَلَمْ يَزَعْ الْقَرِيضُ نِمْامِي
أَمْلِي بِصَفْحِكَ عَنْ قُصُورِ كَلَامِي
فِي حَفْلَةِ التَّوْدِيْعِ وَالْإِكْرَامِ
آيَاتِ هَذَا الْمُصْلِحِ الْمِقْدَامِ
يَقْضِي الْوَلَاءُ وَوَاجِبُ الْإِعْظَامِ
وَسَعَادَةِ وَرِعَايَةِ وَنِظَامِ
هُوَ فِي الْحُكُومَةِ نُخْبَةُ الْحُكَّامِ
رُتَبِ الْجَلَالِ مُسَدِّدِ الْأَقْدَامِ
كَالْبَدْرِ يُسْعِدُهُ السُّرَى بِتَمَامِ

(٢١) تهنئة محمود سامي بك (باشا) (نشرت في ١٢ يولييه سنة ١٩١٢م)

قالها في حفل أقيم لتكريمه بفندق الكونتنتال لمناسبة ترقيته إلى منصب كبير في نظارة الأشغال

رَبَّكَ وَالِدَكَ الْكَرِيمُ عَلَى التَّقَى
فَنَشَأَتْ بَيْنَ رِعَايَةٍ وَعِنَايَةٍ
وَسَمَوْتُ يَا (سَامِي) إِلَى أَوْجِ الْعُلَا
رَبِّي أَبُوكَ عُقُولَنَا وَنُفُوسَنَا
وَاهْنًا بِمَا أُوتِيَتْهُ مِنْ نِعْمَةٍ
يَا مَالِي الْكُرْسِيِّ مِنْهُ مَهَابَةٌ
إِنَّ الَّتِي قُلْدَتْهَا فِي حَاجَةٍ
فَأَفِضْ ضِيَاءَكَ فِي النِّظَارَةِ كُلِّهَا
وَاحْدُمْ بِلَادَكَ بِالَّذِي أُوتِيَتْهُ
هَنَاتُ مِصْرَ وَنِيلَهَا وَرِجَالَهَا
وَرَأَيْتُ فِي الدِّيَوَانِ قَدْرَكَ عَالِيًا
مَا بَيْنَ مُعْتَرِفٍ بِفَضْلِكَ مُغْلِنٍ

وَعَلَى النِّزَاهَةِ وَالضَّمِيرِ الطَّاهِرِ
وَدَرَجَتَ بَيْنَ مَحَامِدٍ وَمَفَاحِرِ
وَبَرَعْتَ قَوْمَكَ بِالذِّكَاةِ النَّادِرِ
فَاهْنًا بِوَالِدِكَ (الْأَمِينِ) وَفَاحِرِ
فِي عَهْدِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ الزَّاهِرِ
وَكِفَايَةٍ يَا مِلْءَ عَيْنِ النَّاطِرِ
لِعَزِيمَةٍ تَمْضِي وَرَأْيِي بَاتِرِ
وَاقْبِضْ عَلَى الْأَعْمَالِ قَبْضَ الْقَادِرِ
مِنْ فِطْنَةٍ وَأَقْلَ عِثَارِ الْعَاثِرِ
لَمَّا رَأَيْتُكَ فِي ثِيَابِ الْأَمْرِ
وَالنَّاسِ تَهْتَفُ بِالنِّئَاءِ الْعَاثِرِ
أَوْ ضَارِعٍ لَكَ بِالْدُّعَاءِ وَشَاكِرِ

أُمَهَنْدِسَ النَّيْلِ السَّعِيدِ تَحِيَّةً مِنْ مِصْرَ تَحْدُوها تَحِيَّةً شَاعِرِ
يَدْعُو إِلَهَكَ أَنْ يُكْثِرَ بَيْنَنَا أُمَثَالَ (سامي) فِي الزَّمانِ الْحاضِرِ

(٢٢) إلى الدكتور علي إبراهيم بك (باشا) الجراح المعروف (نشرت في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٢م)

هل رَأَيْتُمْ مُوَفَّقًا (كَعَلَيَّ) فِي الْأَطِبَّاءِ يَسْتَحِقُّ التَّنْائِ
أَوَدَعَ اللَّهُ صَدْرَهُ حِكْمَةَ الْعِلْمِ سَمٍ وَأَجْرَى عَلَى يَدَيْهِ الشِّفَاءِ
كَمْ نَفُوسٍ قَدْ سَلَّهَا مِنْ يَدِ الْمَوْتِ بِتِ بِلُطْفٍ مِنْهُ وَكَمْ سَلَّ دَاءِ
فَأَرَانَا (لُقْمَانَ) فِي مِصْرَ حَيًّا وَحَبَّانَا لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءِ
حَفِظَ اللَّهُ مِبْضَعًا فِي يَدَيْهِ قَدْ أَمَاتَ الْأَسَى وَأَحْيَا الرَّجَاءِ

(٢٣) تحية خليل مطران بك

أنشدها في حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكريمه بمناسبة الإنعام عليه بالنيشان
المجيدي يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣م

جَازَ بِي عَزْفُهَا فَهَاجَ الْغَرَامَا وَدَعَانِي فَرَزْتُهَا إِلْمَامَا
جَنَّةً تَبْعُثُ الْحَيَاةَ وَتَجْلُو صَدَا النَّفْسِ رَوْنَقًا وَنِظَامَا
زُرْتُهَا مَوْهِنًا وَفِي نَفْسِي ذَلَّةُ الصَّبِّ وَانْكَسَارُ الْيَتَامَى
وَتَنَقَّلْتُ فِي خَمَائِلِهَا الْخُضْ رِ يَمِينًا وَيَسْرَةً وَأَمَامَا
فَإِذَا رَوْضَتَانِ فِي ذَلِكَ الرَّوِّ ضِ تَمْسِيَانِ تَحْتَ رِيحِ الْخَرَامَى
جَاءَتَا تَخْطِرَانِ وَالنَّجْمُ سَاهِ وَغِيُونُ الْأَزْهَارِ تَبْغِي الْمَنَامَا
جَارَتَا مَوْضِعِي فَهَبَّ نَسِيمُ أَذْكَى مِنْهُ الْأَسَى وَهَاجَ الْهُيَامَا
فَتَرَسَّمْتُ مِنْهُمَا أَثَرَ الْخَطِّ وَوَخَافَتِ فِي الْمَسِيرِ احْتِشَامَا
وَتَسَمَّعْتُ عَلَنِي أَطْفِئُ الشُّو قَ وَأُرْوِي مِنَ الْفُؤَادِ الْأَوَامَا

رَقْ قَدْ شَاقَتَا فُؤَادِي فَهَامَا
تِلْكَ مِصْرِيَّةٌ تَسِيلُ انْسِجَامَا
عِنْدَ رَأْيٍ تَخَالُهُ إِلَهَامَا
حِصَانٌ وَاخْتَارَتَا لَدَيْهَا مُقَامَا
وَأَمَاطَتْ بِنْتُ الشَّامِ اللَّثَامَا
رُ وَقَدْ كُنْتُ أَنْكَرُ الْأَوْهَامَا
سَيِّ مَا اسْطَعْتُ وَارْتَدَيْتُ الظَّلَامَا
لَا رَقِيبًا يُخْشَى وَلَا نَمَامَا
كَانَ بَرْدًا عَلَى الْحَشَا وَسَلَامَا
إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أَبَتْ أَنْ تُضَامَا
كَلِمَاتٍ نَبَّهْنَ مِنَّا النِّيَامَا:
مَوْقِعَ النِّيْرَيْنِ خَاضُوا الظَّلَامَا
شِ وَيَبْرُونَ لِلنُّضَالِ السَّهَامَا
بَعْضُ هَذَا فَقَدْ رَفَعَتْ الشَّامَا
قَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرَامَا
نِ رَغَمِ الْخُطُوبِ عَاشَا لِإِزَامَا
مِنْ هَوَاهَا وَنَحْنُ نَأْبَى الْفِطَامَا
مَنْكُمُ الْوُدَّ وَالنَّدَى وَالذَّمَامَا
مَنْزِلًا مُخْصِبًا وَأَهْلًا كِرَامَا
فَلَقِينَا طَلَاقَةً وَابْتَسَامَا
مَاءَ لُبْنَانَ سَلْسَلَا وَالْغَمَامَا
وَأَجَدْنَا نِثَارَنَا وَالنُّظَامَا
فَرَأَيْنَا مَا يَبْهَرُ الْأَفْهَامَا
فَرَأَيْنَا مَا يَبْهَرُ الْأَفْهَامَا
فِي ثَنَائِي النُّفُوسِ أُنَى أَقَامَا
سَلَكَ حَيْرِي وَأَذْهَلَ الْأَجْرَامَا
سَ فَكَانَا يِرَاعَهُ وَالْحُسَامَا

فَإِذَا لَهَجَتَانِ مِنْ لَهَجَاتِ الشَّ
تِلْكَ سُورِيَّةٌ تَفِيضُ بَيَانًا
فِطْنَةً عِنْدَ رِقَّةٍ عِنْدَ ظَرْفٍ
مَالَتَا نَحْوَ دَوْحَةٍ تُرْسِلُ الْأَغْ
ثَمَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا بِنْتُ مِصْرِ
فَتَوَهَّمْتُ أَنْ قَدْ انْفَلَقَ الْبَدُ
فَتَوَارَيْتُ ثَمَ عَلَقْتُ أَنْفَا
ظَنَنْتَا ذَلِكَ الْمَكَانَ خِلَاءَ
فَجَرَى فِيهِ مَا جَرَى مِنْ حَدِيثٍ
حِينَ قَالَتْ لِأَخْتِهَا بِنْتُ مِصْرِ:
صَدَقَ الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ فِيكُمْ
رَكِبُوا الْبَحْرَ جَاوَزُوا الْقُطْبَ فَاتُوا
يَمْنُطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْدِ
فَانْبَرَتْ ظَبْيَةُ الشَّامِ وَقَالَتْ:
أَنْتُمْ الْأَسْبِقُونَ فِي كُلِّ مَرْمَى
إِنَّمَا الشَّامُ وَالْكِنَانَةُ صِنُوا
أَمْكُمْ أُمْنَا وَقَدْ أَرْضَعْتُنَا
قَدْ نَزَلْنَا جِوَارَكُمْ فَحَمِدْنَا
وَحَلَلْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَأَصَبْنَا
وَعَشِينَا دِيَارَكُمْ حَيْثُ شِئْنَا
وَشَرِبْنَا مِنْ نَيْلِكُمْ فَنَسِينَا
وَقَبَسْنَا مِنْ نُورِكُمْ فَكَتَبْنَا
وَتَلَوْنَا آيَاتِ شَوْقِي وَصَبْرِي
مَلَأَ الشَّرْقَ حِكْمَةً وَأَقَامَا
مَلَأَ الشَّرْقَ حِكْمَةً وَأَقَامَا
غَنِيَا الْمَشْرِقَيْنِ مَا تَرَكَ الْأَفْ
وَأَعَادَا عَهْدَ الرَّشِيدِ لِعَبَا

فأشارت فتاةٍ مِصْرَ وقالت:
 أنتم الناسُ قُدْرَةٌ ومِضَاءٌ
 أطلعتُ أرضكم على كلِّ أَفْقٍ
 تركبُ الهَوْلَ لا تَفَادَى وتَمَشِي
 قد سَمِعنا «خَلِيلَكُم» فَسَمِعْنَا
 وطَمَعْنَا في شَأْوِهِ فَقَعَدْنَا
 نَظَمَ الشَّامَ والعِرَاقَ ومِصْرًا
 فَمَشَى النُّثْرَ خَاضِعًا ومَشَى الشَّـ
 ورَأَى فيه رَأَيْنَا صَاحِبُ النِّيبِ
 شَارَةً زَانَتِ القَرِيضُ فَكَانَتْ
 فَعَقَدْنَا لَهُ اللُّوَاءَ عَلَيْنَا
 ذَاكَ مَا دَارَ مِنْ حَدِيثٍ شَهِيٍّ
 قَدْ تَسَقَّطَتْهُ وَخَالَفَتْ فِيهِ
 فَمِنْ النُّقْلِ مَا يَكُونُ حَلَالًا
 صَدَقَ الغَادَتَانِ يَا لَيْتَ قَوْمِي
 نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مَا يُنْـ
 فَاجْعَلُوا حَفْلَةَ الخَلِيلِ صَفَاءً
 وَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ عَلَيْنَا
 هُوَ آمَالُنَا وَحَامِي جَمَانَا

قَدِّكَ، لَمْ تَتْرُكِي لِمِصْرٍ كَلَامًا
 وَنُهَوِّضًا إِلَى الْعُلَا وَاعْتِزَامًا
 أَنْجُمًا إِثْرَ أَنْجُمٍ تَتْرَامِي
 فَوْقَ هَامِ الصُّعَابِ لَا تَتَحَامِي
 شَاعِرًا أَقْعَدَ النُّهَى وَأَقَامَا
 وَكَسَرْنَا مِنْ عَجْزِنَا الْأَقْلَامَا
 سَلَكُ آيَاتِهِ فَكَانَ الْإِمَامَا
 شَعْرُ وَأَلْقَى إِلَى الْخَلِيلِ الزَّمَامَا
 لَمْ فَاهْدَى إِلَيْهِ ذَاكَ الْوِسَامَا
 شَارَةَ النُّصْرِ زَانَتِ الْأَعْلَامَا
 وَاحْتَفَلْنَا نَزِيدَهُ الْكُرَامَا
 يَسْتَفِزُّ النُّهَى وَيَشْجِي النَّدَامَا
 مَنْ يَرَى النُّقْلَ سَبَّةً وَاجْتِرَامَا
 وَمِنْ النُّقْلِ مَا يَكُونُ حَرَامَا
 سَنَا كَمَا قَالَتَا هَوَى وَالتَّثَامَا
 يَمِي قَوَانَا وَيَرْبِطُ الْأَرْحَامَا
 بَيْنَ مِصْرٍ وَأَخْتِهَا وَسَلَامَا
 مُلْكُ «عَبَّاسٍ» نَاضِرًا بَسَامَا
 أَيْدِ اللَّهِ مُلْكُهُ وَأَدَامَا

(٢٤) تهنئة له أيضًا للإنعام عليه بالوسام السابق ذكره (نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٣م)

وَسِعَ الْفَضْلُ كُلَّهُ صَدْرُكَ الرَّحْـ
 لَمْ يَزِدْكَ الْوِسَامُ قَدْرًا وَلَكِنْ
 كَمْ وَسَامٍ كَمْ حِلْيَةٍ كَمْ شِعَارٍ
 لِإِبَاءٍ وَجُكْمَةٍ وَإِخَاءٍ

بُ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُهْنِئْ وَسَلَامُهُ
 زَادَ قَدْرَ الْعُلَا وَقَدَّرَ الْكَرَامُهُ
 فَيْكَ كَمْ شَارَةٍ وَكَمْ مِنْ عَلَامِهِ
 وَصَفَاءٍ وَهَمَّةٍ وَشَهَامِهِ

(٢٥) تحية إلى واصف غالي بك (باشا)

أنشدها في فندق شبرد في ٤ يونية سنة ١٩١٤ عندما نشر كتابه المعروف «بحديقة الأزهار» الذي ترجم فيه بعض الشعر العربي القديم إلى اللغة الفرنسية، وكان يلقي محاضرات وخطباً في فرنسا ينوّه فيها بالعرب ومصر والشرق.

ذَكَرَى الْأَوَّلِ مِنْ أَهْلِ وَجِيرَانِ
جَرَّ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ ذَيْلَ نَسْيَانِ
وَفِي الْعِرَاقِ وَفِي مِصْرٍ وَلُبْنَانِ
لَا يُسْتَهَانُ بِهَا نَسَاجَ (هَرْنَانِي)
بِمَا عَنَا لَكَ مِنْ سِخٍ وَتَبْيَانِ
حَتَّى ادَّعَاكَ وَحْيَاكَ الْفَرِيقَانِ
(بِوَاصِفٍ) وَخَسِرْنَا أَيَّ خُسْرَانِ
فِي أَرْضِ (هَيْجُو) فَجَاءَتْ طُرْفَةُ الْجَانِي
بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي زَهْرٍ وَأَفْنَانِ
مَرُّوا بِوَرْدٍ وَلَا طَافُوا بِرِيحَانِ
مَا لَا تُنَافِحُهُ أَزْهَارُ بُسْتَانِ
وَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا بِالْغَرْبِ شَرْقَانِ
شُئُونُ كُلِّ شَجِيِّ الْقَلْبِ وَلَهَانِ
مِثْلَ الرِّيَاضِ كَسَتْهَا كَفُ (نَيْسَانِ)
مَعَ (الْوَلِيدِ) أَوْ (الطَّائِي) بِمِيدَانِ
شَاوُ (النُّوَاسِي) فِي صَوْغٍ وَإِثْقَانِ
فِي بَيْتِ (أَحْمَدَ) لَوْ يَرْضَى نَدِيمَانِ
مَرَأَى الْحَوَادِثِ مَرَّتْ مُنْذُ أَرْمَانِ
يُصَارِعُ الْمَوْتَ عَنْ عَبَسٍ وَذُبْيَانِ
كِلَاهُمَا غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا وَاِنِي
وَذَاكَ أَرْوَعُ مِنْ آسَادِ خَفَّانِ
لَوْ كَانَ فِي أَنْمَلِي يَوْمًا لِأَغْنَانِي

يَا صَاحِبَ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ هَجَّتْ بِنَا
نَشَرْتُ فَضْلَ كِرَامٍ فِي مَضَاجِعِهِمْ
إِنِّي أَحْيِيكَ عَنْهُمْ فِي جَزِيرَتِهِمْ
جَلَوْتُ لِلْغَرْبِ حُسْنَ الشَّرْقِ فِي حُلِّ
ظَنُوكَ مِنْهُمْ وَقَدْ أَنْشَأَتْ تَخَطُّبُهُمْ
مَا زِلْتُ تَبْهَرُنَا طَوْرًا وَتَبْهَرُهُمْ
لَوْلَا اسْمِرَارُكَ فَازُوا فِي ادِّعَائِهِمْ
عَرَسَتْ مِنْ زَهَرَاتِ الشَّرْقِ طَائِفَةٌ
حَدِيقَةٌ لَكَ لَمْ نَعْهَدْ لَهَا شَبَهَا
يُحْيِي شَذَاهَا نَفُوسَ الْوَافِدِينَ وَمَا
لَكُنْهَا مِنْ أَزَاهِيرِ النُّهَى جَمَعَتْ
بِالْأَمْسِ كَانَ لَهَا شَرْقٌ تَضُوعٌ بِهِ
أَسْمَعْتُهُمْ مِنْ نَسِيبِ الْقَوْمِ فَاَنْطَلَقَتْ
وَزِدْتُهُمْ مِنْ كَلَامِ (الْبُخْتَرِي) قِطْعًا
سَلِّ (الْفَرِيدَ) وَ(لَامَرْتَيْنِ) هَلْ جَرِيَا
وَهَلْ هُمَا فِي سَمَاءِ الشُّعْرِ قَدْ بَلَّغَا
وَدَا وَقَدْ شَهِدَا بِالْحَقِّ أَنَّهُمَا
أَمْسَى كِتَابُكَ «كَالسَّيْمَا» يُعِيدُ لَهُمْ
قَدْ شَاهَدَا فِيهِ تَحْتَ النَّقْعِ عُنْتَرَةٌ
وَشَاهَدُوا أَسَدًا يَمْشِي إِلَى أَسَدٍ
هَذَا مِنَ الْعُرْبِ لَا يُلَوِي بِهِ فَرْعٌ
لِلَّهِ دُرٌّ يَرَاعُ أَنْتَ حَامِلُهُ

وَقَفْتَ تَذْفَعُ عَنْ آدَابِنَا تَهْمًا
فَكُنْتَ أَوَّلَ مِصْرِيَّ أَقَامَ لَهُمْ
مَا زِلْتَ تُلْقِي عَلَى أَسْمَاعِهِمْ حُبًّا
حَتَّى انْتَنَيْتَ وَمَا لِلْعُرْبِ مُجْتَرِيٌّ
مَحَوْتُ مَا كَتَبُوا عَنَّا بِقَاطِعَةٍ
أُنْحَى عَلَى الْأَدَبِ الشَّرْقِيِّ مُفْتَرِيًّا
ظَنَّ الْحَقِيقَةَ فِي الْأَشْعَارِ تَنْقُصُنَا
وَأَنَّنَا لَمْ نَصِلْ فِيهَا إِلَى مِثَّةِ
وَلَوْ رَأَى (ابن جَرِيح) فِي قِصَائِدِهِ
مَالِي أَفَاخِرَ بِالْمَوْتَى وَبَيْنَ يَدَيِ
فِي شِعْرِ (شَوْقِي) وَ(صَبْرِي) مَا نَبَّيْهُ بِهِ
بُورِجَتَ يَا بَنَ الْوَزِيرِ الْحُرِّ مِنْ رَجُلٍ
بَلَغَ إِذَا جِئْتَ (بَارِيزًا) أَفَاضِلَهَا
وَحُصَّ كَاتِبَهُمْ (زُولًا) بِأَطْيَبِهَا
وَاجْعَلْ لِسِفْرِكَ ذِيلاً فِي شَوَاعِرِنَا
وَانْثُرْ عَلَى الْعُرْبِ مِنْ تِلْكَ الْحُلَى وَأَشْدُ
وَعُدْ إِلَى الشَّرْقِ عَوْدَ الْفَاتِحِينَ لَهُ
وَاشْكُرْ رِعَايَةَ عَبَّاسٍ وَمِنْتَهُ
وَاضْرَعْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَرْعَى أَرِيكَتَنَا

كَادَتْ تُقَوِّضُ مِنْهَا كُلَّ بُنْيَانٍ
عَلَى نَبَالَةٍ مِصْرٍ أَلْفَ بُرْهَانٍ
فِي كُلِّ نَادٍ وَتَأْتِيهِمْ بِسُلْطَانٍ
عَلَى الْبِنَاءِ وَلَا زَارَ عَلَى الْبَانِي
مِنَ الْبَرَاهِينِ فَلَتَّ قَوْلَ (رِينَانٍ)
عَلَيْهِ مَا شَاءَ مِنْ زُورٍ وَبُهْتَانٍ
وَاللَّفْظَ وَالْقَصْدَ وَالتَّصْوِيرَ فِي أَنْ
عَدَاً وَذَاكَ لِعَيٍّ أَوْ لِنُقْصَانٍ
لَقَالَ أَمَنْتُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي
مِنْ شِعْرِ أَحْيَانًا مَا لَيْسَ بِالْفَانِي
عَلَى نَوَابِغِهِمْ دَعُ شِعْرَ (مُطْرَانٍ)
لَمْ يَخْتَلَفْ فِيهِ أَوْ فِي فَضْلِهِ اثْنَانِ
عَنَّا التَّحِيَّاتِ وَاشْفَعُهَا بِشُكْرَانٍ
كَيْمًا يُقَابِلُ إِحْسَانُ إِحْسَانٍ
وَقِفْ لَهْنٍ هُنَاكَ الْمَوْقِفَ الثَّانِي
بِكُلِّ حُسَانَةٍ فِينَا وَحُسَانٍ
وَحُذْ مَكَانَكَ فِيهِ فَوْقَ (كِيَوَانٍ)
وَاشْرَحْ وَلَاءَكَ يَا (غَالِي) (لِعُثْمَانٍ)
مَرْفُوعَةَ الشَّانِ مَا مَرَّ الْجَدِيدَانِ

(٢٦) تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل بالسلطنة (نشرت في أول يناير سنة ١٩١٥م)

لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظِلُّ
فَأَنْتَ لَصَوْلَجَانِ الْمُلِكِ أَهْلُ
فَحِصْنُ الْمُلِكِ إِحْسَانُ وَعَدْلُ

هَنِيئًا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُ
تَسَنَّمَ عَرْشَ (إِسْمَاعِيلَ) رَحْبًا
وَحَسَنَهُ بِإِحْسَانٍ وَعَدْلٍ

وَجَدُّ سِيرَةِ الْعُمَرَيْنِ فِينَا
لَقَدْ عَزَّ السَّرِيرُ وَتَاهَ لَمَّا
وَهَشَّ التَّاجُ حِينَ عَلَا جَبِينًا
تَمَنَّى لَوْ يَقَرَّ عَلَى أَبِي
وَقَدْ نَالَ الْمَرَامَ وَطَابَ نَفْسًا
وَمَا كُنْتُ الْغَرِيبَ عَنِ الْمَعَالِي
وَإِنَّكَ مِنْذُ كُنْتُ وَلَا أَغَالِي
فَكَمْ نَهَنْتَ مِنْ عَرْبِ الْعَوَادِي
وَمَا مِنْ مَجْمَعٍ لِلْخَيْرِ إِلَّا
فَقَدْ عَرَفَ الْفَقِيرُ نَدَاكَ قَدَمًا
لَكَ الْعَرَّشَانِ: هَذَا عَرْشُ مِصْرٍ،
فَأَلَّفُ ذَاتَ بَيْنِهِمَا بَرَأِي
فَعَرْشُ لَا تَحْفُ بِهِ قُلُوبُ
(أَبَا الْفَلَاحِ) كَمْ لَكَ مِنْ أَيَادٍ
وَالْأَيْ وَإِنْ أَطْنَبْتُ فِيهَا
عُنَيْتُ بِحَالَةِ الْفَلَاحِ حَتَّى
وَكَيْفَ يَزُورُ أَرْضًا سَرَتْ فِيهَا
وَكَمْ أَحْيَيْتُ مِنْ أَرْضِ مَوَاتٍ
وَأَخْصَبَ أَهْلُهَا مِنْ بَعْدِ جَدِّ
وَكَمْ أَسْعَفْتُ فِي مِصْرٍ جَرِيحًا
وَكُنْتُ لِكُلِّ مَسْكِينٍ وَقَاءً
وَكُنْتُ فَتَى بَعْدَ أَبِيكَ نَدْبًا
لِكُلِّ عَظِيمَةٍ تُدْعَى فَتُبْلَى
تَوَلَّيْتُ الْأُمُورَ فَتَى وَكَهْلًا
وَجَرَّبْتُ الْحَوَادِثَ مِنْ قَدِيمٍ
وَكُنْتُ لِمَجْلِسِ الشُّورَى حَيَاةً
فَلَمْ يُلِمَّ بِسَاحَتِهِ جُحُودٌ

فَإِنَّكَ بَيْنَنَا لِلَّهِ ظِلُّ
تَبَوَّأَهُ الْمَلِكُ الْمُسْتَقِلُّ
عَلَيْهِ مَهَابَةٌ وَعَلَيْهِ نُبْلُ
تَذِلُّ لَهُ الْخُطُوبُ وَلَا يَذِلُّ
فَهَا هُوَ ذَا بِلَابِسِهِ يُدِلُّ
وَلَا التَّاجُ الَّذِي بَكَ بَاتَ يَغْلُو
حُسَامٌ لِلْأَرِيكِهَةِ لَا يُقْلُ
وَكَمْ لَكَ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ فَضْلُ
وَمِنْ كَفِّكَ سَحَّ عَلَيْهِ وَبُلُّ
وَقَدْ عَرَفَ الْكَبِيرُ عِلَاكَ قَبْلُ
وَهَذَا فِي الْقُلُوبِ لَهُ مَحَلُّ
وَعَزْمٌ لَا يَكِلُّ وَلَا يَمَلُّ
تَحْفُ بِهِ الْخُطُوبُ وَيَضْمَجُلُ
عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ تَدُلُّ
وَفِي أَوْصَافِهَا فَأَنَا الْمَقِلُّ
تَهَيَّبْ أَنْ يَزُورَ الْأَرْضَ مَحَلُّ
وَأَنْتَ الْغَيْثُ لَمْ يُمَسِّكْهُ بُخْلُ
فَأَضَحَّتْ تُسْتَرَادُ وَتُسْتَغَلُّ
وَفَاضَ عَلَيْهِمْ رَغَدٌ وَنَقْلُ
عَلَيْهِ الْمَوْتُ مِنْ كَنْبٍ يُطْلُ
وَأَهْلًا حِينَ لَمْ تَنْفَعَهُ أَهْلُ
لَهُ رَأْيٌ يُسَدِّدُهُ وَفِعْلُ
بَلَاءٍ مُجَرَّبٍ يَحْدُوهُ عَقْلُ
فَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاكَ فَتَى وَكَهْلُ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَجَرَّبُهَا وَيَبْلُو
وَنِبْرَاسًا إِذَا مَا الْقَوْمُ ضَلُّوا
وَلَمْ يَجْلِسْ بِهِ عُضْوُ أَشْلُ

وما غادرته حتى أفاقوا
فِعِشْ لِلنَّيْلِ سُلْطَانًا أَبِيًّا
ووالِ الْقَوْمِ إِنَّهُمْ كِرَامٌ
لهم مُلْكٌ عَلَى التَّامِيزِ أَضَحَتْ
وَلَيْسَ كَقَوْمِهِمْ فِي الْغَرْبِ قَوْمٌ
فَإِنْ صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوا وَدَا
وَأِنْ شَاوَرْتَهُمْ وَالْأَمْرُ جِدٌّ
وَأِنْ نَادَيْتَهُمْ لِبَاكَ مِنْهُمْ
فَمَادِدُهُمْ حِبَالُ الْوُدِّ وَانْهَضُ
وَحَفَّفَ مِنْ مُصَابِ الشَّرْقِ فِينَا
إِذَا نَزَلْتَ هُنَاكَ بِهِمْ خُطُوبٌ
حَيَارَى لَا يَقَرُّ لَنَا قَرَارٌ
فَاهْلًا بِالذَّلِيلِ إِلَى الْمَعَالِي
وَأُسْعِدْنَا بِعَهْدِكَ خَيْرَ عَهْدٍ
فَأَمْرُكَ طَاعَةٌ وَرِضَاكَ غُنْمٌ
وَمِنْ أَمْرَاضِ عَيْشِهِمْ أَبْلُوا
لَهُ فِي مُلْكِهِ عَقْدٌ وَحَلٌّ
مَيَامِينُ النَّقِيبَةِ أَيْنَ حَلُّوا
ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي تَسْتَهْلُ
مِنَ الْأَخْلَاقِ قَدْ نَهَلُوا وَعَلُّوا
وَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا فَتَشْتَ مِثْلُ
ظَفِرَتْ لَهُمْ بَرَأً لَا يَزِلُّ
أَسَاطِيلُ وَأَسْيَافٌ تُسَلُّ
بُنَا فِقْيَانُنَا لِلْخَيْرِ سَهْلُ
فَنَحْنُ عَلَى رِجَالِ الْغَرْبِ ثِقْلُ
أَلَمْ بُنَا هُنَا قَلْقٌ وَشُغْلُ
تُنَازِلُنَا الْخُطُوبُ وَنَحْنُ غَزْلُ
أَلَا سِرٌّ يَا (حُسَيْنُ) وَنَحْنُ نَتْلُو
بِهِ أَيَّامُنَا تَصْفُو وَتَحْلُو
وَسَيْفُكَ قَاطِعٌ وَنَدَاكَ جَزْلُ

(٢٧) إِلَى الطَّبِيبَةِ (لونا) (نشرت في ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ م)

قال هذين البيتين فيها بمناسبة طفلة رزقها صديقه محمد بك بدر وكانت (لونا) هي المولدة

(لُونا) شُهْرَةٌ فِي الطَّبِّ تَاهَتْ
وَمِنْ عَجَبٍ تَدِينُ بَدِينِ (مُوسَى)
بِهَا مِصْرٌ وَتَاهَ بِهَا مَدِيحِي
وَتَأْتِينَا بِمُعْجَزَةِ (الْمَسِيحِ)

(٢٨) ذكرى شكسبير (نشرت في ١ مارس سنة ١٩١٦م)

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمي بإنجلترا الذي أقام احتفالاً بذكرى شكسبير مرور
ثلاثمائة عام على وفاته

شَغُوفٌ بِقَوْلِ الْعَبْقَرِيِّينَ مُغْرَمٌ
وَفِي كُلِّ عَصْرِ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَحْكُمُ
لَكَ الْغَايَةَ الْقُصُوصَى فَإِنَّكَ مُلْهِمٌ
تَجِدُهُمْ — وَإِنْ رَاقَ الطَّلَاءُ — هُمْ هُمْ
وَفَوْقَ غُبَابِ الْبَحْرِ مِنْ صُنْعِهِمْ دَمٌ
يَزُولُ إِلَى أَنْ ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ
لَتَنْظُرَ مَا يُصْمِي وَيُدْمِي وَيُؤْلَمُ
فَكَادَ بِهَا عَهْدُ الْحَضَارَةِ يُخْتَمُ
سَوَاءَ جَهُولِ الْقَوْمِ وَالْمُتَعَلِّمِ
وَلَا نَالُ مِنْهُ الْعِلْمُ مَا كَانَ يَزْعُمُ
وَكُنْتُ عَلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ تَنْقِمُ
وَلَا زَالَتِ الْآرَاءُ تُبْنَى وَتُهْدَمُ
بَشِيرَ سَلَامٍ تَغْرُهُ يَتَبَسَّمُ
قَلِيلًا وَحَيَوًا شِعْرُهُ وَتَرَنَّمُوا
وَلَمْ يُزْهِقُوا نَفْسًا وَلَمْ يَتَقَحَّمُوا
أَقَامَ بِشَقِيهِ الْقَضَاءُ الْمُحْتَمُ
وَتُوبَ إِذَا مَا قَرَّ فِي الطَّرْسِ مِرْقَمُ
بِعَاطِفَةٍ إِلَّا حَسْبُنَاهُ يَرْسُمُ
تَكَادُ بِهَا أَحْشَاؤُهُ تَتَضَرَّمُ
عَلَيْهَا غُبَارُ الْهُونِ وَالْوَجْهَ أَقْنَمُ
وَفِي مِثْلِهَا تَغْيَا الْيَرَاعَةُ وَالْفَمُ
يُحَسُّ بِمَا فِيهَا الْأَدِيبُ الْمُتَيَّمُ
سُطُورٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ تَتْلَى وَتُكْرَمُ

يُحْيِيكَ مِنْ أَرْضِ الْكِنَانَةِ شَاعِرٌ
وَيُطْرِبُهُ فِي يَوْمِ ذِكْرِكَ أَنْ مَشَتْ
فَلَمْ تَخْطِ الْمَرْمَى وَلَا غَرَوْ أَنْ دَنْتَ
أَفَقَ سَاعَةً وَانْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ نَظْرَةً
عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ شَرِّ أَطْمَاعِهِمْ دَمٌ
تَفَانُوا عَلَى دُنْيَا تَغْرُ وَبَاطِلُ
فَلَيْتَكَ تَحْيَا يَا أَبَا الشَّعْرِ سَاعَةً
وَقَائِعَ حَرْبٍ أَجَّجَ الْعِلْمُ نَارَهَا
وَتَعْلَمُ أَنَّ الطَّبْعَ لَا زَالَ غَالِبًا
فَمَا بَلَغْتَ مِنْهُ الْحَضَارَةَ مَأْرَبًا
أَهْبَتَ بِهِذَا مِنْ قُرُونٍ ثَلَاثَةٍ
وَمَا هَدَمَ التَّجْرِبُ رَأْيًا بَنِيَّتَهُ
أَلَا أَنَّ ذِكْرِي شَكْسْبِيرَ بَدَتْ لَنَا
فَلَوْ أَنْصَفُوا أَبْطَالَهُمْ لَتَهَادَنُوا
وَلَمْ يُطْلِقُوا فِي يَوْمِ ذِكْرِهِ مَدْفَعًا
لَهُ قَلَمٌ مَاضِي الشَّبَابَةِ كَأَنَّمَا
طَهُورٌ إِذَا مَا دُنُسَتْ كَفُّ كَاتِبِ
وُلُوعٌ بِتَصْوِيرِ الطَّبَاعِ فَلَمْ يَجْزُ
أَرَانِي فِي (مَأكْبِتِ) لِلْحَقْدِ صُورَةً
وَمَثَلٌ فِي (شِيلُوكِ) لِلْبُخْلِ سَجْنَةً
وَأَقْعَدَنِي عَنْ وَصْفِ (هَمْلِيَتِ) حُسْنُهَا
دَعَ السَّحَرِ فِي (رُمِيُو) وَ(جُولِيَتِ) إِنَّمَا
أَتَاهُمْ بِشِعْرِ عَبْقَرِيٍّ كَأَنَّهُ

نَدِيَّ عَلَى الْإِيَّامِ يَزْدَادُ نَضْرَةً
يُؤْتِي إِلَى قُرَائِهِ أَنْ نَسْجَه
تَكَلِّكَ النُّقُوشِ الزَّاهِيَاتِ بِمَعْبِدِ
فَلَمْ يَدْنُ مِنْ إِحْسَانِهِ مُتَأَخِّرُ
أَطْلَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاءِ خَيَالِهِ
وَجَاءَ بِمَا فَوْقَ الطَّبِيعَةِ وَقَعَهُ
وَقَالُوا تَحَدَّانَا بِمَا يُعْجِزُ النُّهَى
وَلَمْ يَتَحَدَّ النَّاسَ لَكِنَّهُ أَمْرُ
لَقَدْ جَهَلُوهُ حِقْبَةً ثُمَّ رَدَّهُمْ
كَذَاكَ رِجَالُ الشَّرْقِ لَوْ يُنْصِفُونَهُمْ
أَضَاءَ بِهِمْ بَطْنُ الثَّرَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ
فَقُلْ لِبَنِي التَّامِيزِ وَالْجَمْعِ حَافِلُ
لَنْ كَانَ فِي ضَخَمِ الْأَسَاطِيلِ فَخْرُكُمْ

وَيَزْدَادُ فِيهَا جِدَّةً وَهُوَ يَقْدُمُ
لِيَوْمٍ وَأَنَّ الْحَائِكَ الْيَوْمَ فِيهِمْ
لِفِرْعَوْنَ لَا زَالَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَسْلَمُ
وَلَمْ يَجْرِ فِي مَيْدَانِهِ مُتَقَدِّمُ
وَحَلَّقَ حَيْثُ الْوَهْمُ لَا يَتَجَشَّمُ
فَأَكْبَرَ قَوْمٌ مَا أَتَاهُ وَأَعْظَمُوا
فَلَسْنَا إِذَنْ أَثَارَهُ نَتَرَسَّمُ
بِمَا كَانَ فِي مَقْدُورِهِ يَتَكَلَّمُ
إِلَيْهِ الْهُدَى فَاسْتَغْفَرُوا وَتَرَحَّمُوا
لِقَامَ لَهُمْ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ مَوْسِمُ
وَأَعْقَابُهُمْ عَنْ نَوْرِ آيَاتِهِمْ عَمُوا
بِهِ يُنْثَرُ الدُّرُّ الثَّمِينُ وَيُنْظَمُ
لَفَخْرُكُمْ بِالشَّاعِرِ الْفَرْدِ أَعْظَمُ

(٢٩) إلى عظمة السلطان حسين كامل (نشرت في ٦ مايو سنة ١٩١٦م)

ألقاها بين يديه أثناء زيارته لمدينة طنطا في السرايق الذي أقيم له هناك

فِي سَاحَةِ (الْبَدَوِيِّ) حَلَّتْ سَاحَةٌ
وَأَتَى (الْحُسَيْنُ) يَزُورُ قُطْبَ زَمَانِهِ
زَادَتْ مَوَاسِمُنَا (بَطْنُطَا) مَوْسِمًا
بِالسَّاحَتَيْنِ لِكُلِّ رَاجٍ مَوْئِلُ
قُلْ لِلْفَقِيرِ إِذَا سَأَلَتْ فَلَا تَخَفْ
بَرَكَاتُ هَذَا لَا يَغِيضُ مَعِينَهَا
قَدْ أَخْصَبَ الْإِقْلِيمُ حِينَ حَلَلْتَهُ
وَبَدَا يَمُوجُ بِسَاكِنِيهِ وَعِطْفُهُ
نَكَرُوا بِمَقْدَمِكَ الْمُبَارَكِ مَوْقِفًا

عِزُّ الْبِلَادِ بَعِزُّهَا مُوْصُولُ
يَرْعَى وَيَحْرُسُ رَكْبَهُ (جَبْرِيلُ)
لَمَلِيكَه التَّقْدِيسُ وَالتَّبَجِيلُ
وَلِكُلِّ عَافٍ مَرْبَعٌ وَمَقِيلُ
رَدًّا فَمَا فِي السَّاحَتَيْنِ بَخِيلُ
نَفَحَاتُ تِلْكَ كَثِيرُهَا مَأْمُولُ
وَالْغَيْثُ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُحُولُ
قَدْ كَادَ مِنْ طَرَبِ اللَّقَاءِ يَمِيلُ
قَدْ قَامَ فِيهِ أَبُوكَ (إِسْمَاعِيلُ)

فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ خَلَدَ ذِكْرَهُ
نَثَرَ السُّعُودَ عَلَى الْوُفُودِ وَحَوْلَهُ
دَامَتْ مَآثِرُهُ وَمَنْ يَكُ صُنْعُهُ
فَاهِنًا بِمُلْكِكَ يَا (حُسَيْنُ) فَعَهْدُهُ
وَانْهَضْ بِشُعْبِكَ فِي الشُّعُوبِ فَإِنَّمَا
وَلِيَّهْنِي الْبَدَوِيُّ أَنَّ صَدِيقَهُ
قَدْ جَاءَهُ يَسْعَى إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ
أَثَرُ لَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ جَلِيلُ
يَتَجَاوَبُ التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
كَأَبِيكَ إِسْمَاعِيلُ كَيْفَ يَزُولُ؟
عَهْدُ بَتَحْقِيقِ الرَّجَاءِ كَفِيلُ
لَكَ بَعْدَ رَبِّكَ أَمْرُهُ مَوْكُولُ
عَنْ وَدَّهِ الْمَعْهُودِ لَيْسَ يَحُولُ
أَعْلَى وَأَكْرَمُ مَنْ سَقَاهُ النَّيْلُ

(٣٠) عمر بن الخطاب

أنشدها في الحفل الذي أقيم لسماع هذه القصيدة بمدراج وزارة المعارف بدرب الجمايز
مساء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨ م

حَسِبُ الْقَوَافِي وَحَسْبِي حِينَ أَلْقَيْهَا
لَا هُمْ، هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ بِهِ
قَدْ نَارَعَتْنِي نَفْسِي أَنْ أَوْقِيَهَا
فَمُرْ سِرِّي الْمَعَانِي أَنْ يُوَاتِنِي
أَنِّي إِلَى سَاحَةِ (الْفَارُوقِ) أَهْدِيهَا
عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ نَامٍ قَاضِيهَا
وَلَيْسَ فِي طَوْقٍ مِثْلِي أَنْ يُؤْفِيَهَا
فِيهَا فَإِنِّي ضَعِيفُ الْحَالِ وَاهِيهَا

مقتل عمر

مَوْلَى الْمُغِيرَةِ، لَا جَادَتَكَ غَادِيَةً
مَرَّقَتْ مِنْهُ أَدِيمًا حَشَوهُ هَمٌّ
طَعَنْتَ خَاصِرَةَ (الْفَارُوقِ) مُنْتَقِمًا
فَأَصْبَحْتَ دَوْلَةَ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً
مَضَى وَخَلَفَهَا كَالطُّودِ رَاسِخَةً
تَنْبُو الْمَعَاوِلُ عَنْهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ
مَنْ رَحِمَهُ اللَّهُ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا
فِي زِمَّةِ اللَّهِ عَالِيهَا وَمَاضِيهَا
مِنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا
تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لِمَا مَاتَ آسِيهَا
وَزَانَ بِالْعَدْلِ وَالتَّقْوَى مَغَانِيهَا
وَالهَادِمُونَ كَثِيرٌ فِي نَوَاحِيهَا

حَتَّى إِذَا مَا تَوَلَّاهَا مُهَدِّمُهَا
وَاهُأً عَلَى دَوْلَةٍ بِالْأَمْسِ قَدْ مَلَأَتْ
كَمْ ظَلَلَتْهَا وَحَاطَتْهَا بِأَجْنَحَةٍ
مِنْ الْعِنَايَةِ قَدْ رِيَشَتْ قَوَائِمُهَا
وَاللَّهِ مَا غَالَهَا قَدَمًا وَكَادَ لَهَا
لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ
يَا لَيْتَهُمْ سَمِعُوا مَا قَالَهُ (عُمَرُ)
لَا تُكْثِرُوا مِنْ مَوَالِكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ

صَاحَ الزَّوَالُ بِهَا فَاذْكُ عَالِيهَا
جَوَانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيْدِيهَا
عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قَدْ كَانَتْ تُوَارِيهَا
وَمِنْ صَمِيمِ التَّقَى رِيَشَتْ خَوَافِيهَا
وَاجْتَثَّ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا
لَمَّا نَعَاهَا عَلَى الْأَيَّامِ نَاعِيهَا
وَالرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْهُ تَرَاقِيهَا:
مَطَامِعًا بَسَمَاتِ الضَّعْفِ تُخْفِيهَا

إسلام عمر

رَأَيْتَ فِي الدِّينِ آراءً مُوَفِّقَةً
وَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ قَرَّرْتَ بِصُحْبَتِهِ
قَدْ كُنْتَ أَعْدَى أَعَادِيهَا فَصِرْتَ لَهَا
خَرَجْتَ تَبْغِي أَزَاهَا فِي (مَحْمَدِهَا)
فَلَمْ تَكُذْ تَسْمَعُ الْآيَاتِ بِالِغَةِ
سَمِعْتَ (سُورَةَ طه) مِنْ مُرْتَلِّهَا
وَقُلْتَ فِيهَا مَقَالًا لَا يُطَاوِلُهُ
وَيَوْمَ أَسْلَمْتَ عَزَّ الْحَقُّ وَارْتَفَعَتْ
وَصَاحَ فِيهِ (بِلَالٌ) صَيْحَةً خَشَعَتْ
فَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الْمُخْتَارِ) مُنْجِدُهَا
كَمْ اسْتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ مُغْتَبِطًا

فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَرَأْنَا يُزَكِّيَهَا
عَيْنُ الْحَنِيفَةِ وَاجْتَارَتْ أَمَانِيهَا
بِنِعْمَةِ اللَّهِ حَصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا
وَلِلْحَنِيفَةِ جَبَّارٌ يُوَالِيهَا
حَتَّى انْكَفَأَتْ تُنَاوِي مَنْ يُنَاوِيهَا
فَزَلْزَلَتْ نِيَّةً قَدْ كُنْتَ تُنَوِّيهَا
قَوْلُ الْمُحِبِّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يُطْرِيهَا
عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَنْثَقَالَ يُعَانِيهَا
لَهَا الْقُلُوبُ وَلَبَّتْ أَمْرَ بَارِيهَا
وَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الصَّدِيقِ) مُنْجِيهَا
بِحِكْمَةٍ لَكَ عِنْدَ الرَّأْيِ يُلْفِيهَا

عمر وبيعة أبي بكر

فيه الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا
على الْخِلَافَةِ قَاصِيهَا وَدَانِيهَا
بين الْقِبَائِلِ وَانْسَابَتْ أَفَاعِيهَا
وَأَنْتَ مُسْتَعِرُّ الْأَحْشَاءِ دَامِيهَا
مِنْ نَبَاةٍ قَدْ سَرَى فِي الْأَرْضِ سَارِيهَا
عَلَوْتُ هَامَتَهُ بِالسَّيْفِ أَبْرِيهَا
يُجْرِي عَلَيْهِ شُئُونُ الْكُونِ مُجْرِيهَا
مِنَ الْمَنِيَّةِ لَا يُعْفِيهِ سَاقِيهَا
وَقَدْ يُذَكِّرُ بِالْآيَاتِ نَاسِيهَا
وِثَابَ رُشْدِكَ فَانْجَابَتْ دِيَاجِيهَا
فِيهِ الْخِلَافَةُ قَدْ شِيدَتْ أَوَاسِيهَا
فَمَدَّتْ (الْحَزْرَجُ) الْأَيْدِي تُبَارِيهَا
أُولَى بِهَا وَأَتَى الشَّحْنَاءَ أَتِيهَا
عنها وَأَخَى (أَبُو بَكْرٍ) أَوَاخِيهَا

وَمَوْقِفٍ لَكَ بَعْدَ (الْمُصْطَفَى) افْتَرَقْتُ
بَايَعْتَ فِيهِ (أَبَا بَكْرٍ) فَبَايَعَهُ
وَأُطْفِئْتُ فِتْنَةً لَوْلَاكَ لَاسْتَعَرْتُ
بِاتِ النَّبِيِّ مُسَجِّى فِي حَظِيرَتِهِ
تَهِيمٌ بَيْنَ عَجِيحِ النَّاسِ فِي دَهْشِ
تَصِيحٍ: مَنْ قَالَ نَفْسُ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ
أَنْسَاكَ حُبُّكَ طَهَ أَنَّهُ بَشَرٌ
وَأَنَّهُ وَارِدٌ لَا بَدَّ مَوْرَدَهُ
نَسِيَتْ فِي حَقِّ طَهَ آيَةً نَزَلَتْ
ذَهَلَتْ يَوْمًا فَكَانَتْ فِتْنَةً عَمَمُ
فَلِلْسَّقِيفَةِ يَوْمٌ أَنْتَ صَاحِبُهُ
مَدَّتْ لَهَا (الْأَوْسُ) كَفًّا كَيْ تَنَاولَهَا
وَضَنَّ كُلُّ فَرِيقٍ أَنَّ صَاحِبَهُمْ
حَتَّى انْبَرَيْتَ لَهُمْ فَارْتَدَّ طَامِعُهُمْ

عُمَرُ وَعَلِيٌّ

أَكْرَمَ بِسَامِعِهَا أَعْظَمَ بِمُلْقِيهَا!
إِنْ لَمْ تَبَايَعْ وَبِنْتُ الْمُصْطَفَى فِيهَا
أَمَامَ فَارِسِ (عَدْنَانَ) وَحَامِيهَا
لَا تَنْتَنِي أَوْ يَكُونُ الْحَقُّ ثَانِيهَا
أَعَظَمًا أَلْهُوَا فِي الْكُونِ تَأْلِيهَا

وَقَوْلَةٍ (لِعَلِيٍّ) قَالَهَا (عُمَرُ)
حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أَبْقِي عَلَيْكَ بِهَا
مَا كَانَ غَيْرُ (أَبِي حَفْصٍ) يَفُوهُ بِهَا
كُلَاهُمَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ عَزَمْتُهُ
فَاذْكُرْهُمَا وَتَرَحَّمْ كُلَّمَا ذَكَرُوا

عمر وجبله بن الأيهم

وَكَمْ أَحْفَتَ قَوِيًّا يَنْثَنِي تِيهَا
لِكُلِّ ذِي نَعْرَةٍ يَأْبَى تَنَاسِيهَا
عِنْدَ الْخُصُومَةِ (وَالْفَارُوقِ) قَاضِيهَا
وَإِنْ تَخَاصَمَ وَإِلَيْهَا وَرَاعِيهَا

كَمْ خِفْتَ فِي اللَّهِ مَضْعُوقًا دَعَاكَ بِهِ
وَفِي حَدِيثٍ فَتَى غَسَّانَ مَوْعِظَةً
فَمَا الْقَوِيُّ قَوِيًّا رَغَمَ عِزَّتِهِ
وَمَا الضَّعِيفُ ضَعِيفًا بَعْدَ حُجَّتِهِ

عمر وأبو سفيان

عَنكَ الْهَدِيَّةُ مُعْتَزًّا بِمُهِدِيهَا
وَلَا (مُعَاوِيَةُ) بِالشَّامِ يَجْبِيهَا
فِي عِزَّةٍ لَيْسَ مِنْ عِزِّ يُدَانِيهَا
وَزَادَهُ سَيِّدُ الْكُؤُنَيْنِ تَنْوِيهَا
قَدْ أَمَّنَ اللَّهُ بَعْدَ الْبَيْتِ غَاشِيهَا
فِي هَفْوَةٍ (لَأَبِي سُفْيَانَ) يَأْتِيهَا
لَمَّا تَرَخَّصَ فِيهَا أَوْ يُجَازِيهَا
وَلَا الْقَرَابَةُ فِي بَطْلٍ يُجَابِيهَا
شَمَّ الْجِبَالِ لَمَّا قَرَّتْ رَوَاسِيهَا

وَمَا أَقْلَتَ (أَبَا سُفْيَانَ) حِينَ طَوَى
لَمْ يُغْنِ عَنْهُ وَقَدْ حَاسَبْتَهُ حَسَبُ
قَيَّدَتْ مِنْهُ جَلِيلًا شَابَ مَفْرُقُهُ
قَدْ نَوَّهُوا بِاسْمِهِ فِي جَاهِلِيَّتِهِ
فِي فَتْحِ مَكَّةَ كَانَتْ دَارُهُ حَرَمًا
وَكُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَشْفَعْ لَدَى (عُمَرَ)
تَالِهِ لَوْ فَعَلَ (الْخَطَّابُ) فَعَلَّتُهُ
فَلَا الْحَسَابَةُ فِي حَقِّ يُجَامِلُهَا
وَتِلْكَ قُوَّةُ نَفْسٍ لَوْ أَرَادَ بِهَا

عمر وخالد بن الوليد

لَهُ الْفَتْوحُ وَهَلْ أَغْنَى تَوَالِيهَا
بِالْيَمْنِ وَالنَّصْرِ وَالْبُشْرَى نَوَاصِيهَا
وَبِالْفَوَارِسِ قَدْ سَالَتْ مَذَاكِهَا
وَلَا رَمَى الْفُرْسَ إِلَّا طَاشَ رَامِيهَا

سَلَّ قَاهِرَ الْفُرْسِ وَالرُّومَانِ هَلْ شَفَعَتْ
غَزَى فَنَابِلِي وَخَيْلُ اللَّهِ قَدْ عُقِدَتْ
يَرْمِي الْأَعَادِي بَأَرَاءِ مُسَدَّدَةٍ
مَا وَقَعَ الرُّومَ إِلَّا فَرَّ قَارِحُهَا

«اللَّهُ أَكْبَرُ» تَذَوِي فِي نَوَاحِيهَا
 مِنْ بَعْدِ عَشْرِ بَنَانٍ الْفَتْحِ تُحْصِيهَا
 وَ(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَالِيهَا
 كَمَا يُقْبَلُ آيَ اللَّهِ تَالِيهَا
 وَمَجْدُهُ مُسْتَرِيحِ النَّفْسِ هَادِيهَا
 يَوْمَ النَّزَالِ إِذَا نَادَى مُنَادِيهَا
 وَلَا تُحَرِّكَ مَخْزُومَ عَوَالِيهَا
 وَعِزَّةُ النَّفْسِ لَمْ تُجْرَحْ حَوَاشِيهَا
 وَبِالْحَيَاةِ إِذَا مَالَتْ يُفْدِيهَا
 وَلَا ارْتَضَى إِمْرَةَ الْجَرَّاحِ تَمْوِيهَا
 قَدْ وَجَّهَ النَّفْسَ نَحْوَ اللَّهِ تَوْجِيهَا
 إِلَّا أَرَادَ بِهِ لِلنَّاسِ تَرْفِيهَا
 لَمَّا دَعَاهُ إِلَى الْفِرْدَوْسِ دَاعِيهَا
 نِسَاءَ مَخْزُومٍ أَنْ تَبْكِي بَوَاكِهَا
 فِيهِ وَقَدْ كَانَ أُعْطِيَ الْقَوْسَ بَارِيهَا
 وَفُتِنَتْهُ النَّفْسُ أُعْيَتْ مَنْ يُدَاوِيهَا
 وَأَنْهَا سَقَطَةٌ فِي عَيْنِ نَاعِيهَا
 حَتَّى يَعْيبَ سَيْوَفَ الْهَنْدِ نَابِيهَا
 وَلَا شَفَى غُلَّةً فِي الصَّدْرِ يَطْوِيهَا
 عَزِيمَةً مِنْهُ لَمْ تُتْلَمْ مَوَاضِيهَا
 وَلَا رَعَى غَيْرَهَا فِيمَا يُنَافِيهَا
 لَدَيْهِ مِنْ رَاقَةٍ فِي الْحَدِّ يُبْدِيهَا
 عَنِ النَّقَائِصِ وَالْأَعْرَاضِ تَنْزِيهَا
 اللَّهُ أَوْدَعَ فِيهَا مَا يُنْقِيهَا
 لَا الْحَقُّ يُعْرِفُهَا، لَا الْحِرْصُ يُغْوِيهَا

وَلَمْ يَجْزُ بَلَدَةٌ إِلَّا سَمِعَتْ بِهَا
 عَشْرُونَ مَوْقِعَةً مَرَّتْ مُحَجَّلَةً
 وَ(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُوقِدَهَا
 أَتَاهُ أَمْرُ (أَبِي حَفْصٍ) فَقَبَّلَهُ
 وَاسْتَقْبَلَ الْعَزْلَ فِي إِبَانِ سَطَوْتِهِ
 فَاغْجَبَ لِسَيِّدِ مَخْزُومٍ وَفَارِسِهَا
 يَقُودُهُ حَبَشِيٌّ فِي عِمَامَتِهِ
 أَلْقَى الْقِيَادَ إِلَى الْجَرَّاحِ مُمْتَثِلًا
 وَانْضَمَّ لِلْجُنْدِ يَمْشِي تَحْتَ رَايَتِهِ
 وَمَا عَرِثُهُ شُكُوكٌ فِي خَلِيفَتِهِ
 (فَخَالِدٌ) كَانَ يَذْرِي أَنَّ صَاحِبَهُ
 فَمَا يُعَالِجُ مِنْ قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ
 لِذَاكَ أَوْصَى بِأَوْلَادٍ لَهُ (عُمَرَا)
 وَمَا نَهَى (عُمَرُ) فِي يَوْمٍ مَضَرَعِهِ
 وَقِيلَ: خَالَفَتْ يَا (فَارُوقُ) صَاحِبَنَا
 فَقَالَ: خَفْتُ افْتِتَانِ الْمُسْلِمِينَ بِهِ
 هَبُوه أَخْطَأَ فِي تَأْوِيلِ مَقْصِدِهِ
 فَلَنْ تَعِيبَ حَصِيفَ الرَّأْيِ زَلَّتْهُ
 تَالِهِ لَمْ يَتَّبِعْ فِي (ابْنِ الْوَلِيدِ) هَوَى
 لَكِنَّهُ قَدْ رَأَى رَأْيًا فَاتَّبَعَهُ
 لَمْ يَرَعْ فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى خُؤُولَتَهُ
 وَمَا أَصَابَ ابْنَهُ وَالسُّوْطُ يَأْخُذُهُ
 إِنَّ الَّذِي بَرَأَ (الْفَارُوقُ) نَزَّهَهُ
 فَذَاكَ خُلِقَ مِنَ الْفِرْدَوْسِ طِينَتُهُ
 لَا الْكِبَرُ يَسْكُنُهَا، لَا الظُّلُمُ يَصْحَبُهَا

عُمَرُ وَعَمْرُو بن العاص

وَلَمْ تَخَفْهُ بِمِصْرَ وَهُوَ وَالِيهَا
وَلَسْتَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فِي بَوَادِيهَا
يَرْمِي الْخُطُوبَ بِرَأْيٍ لَيْسَ يُخْطِئُهَا
وَقَامَ (عَمْرُو) إِلَى الْأَجْمَالِ يُزْجِيهَا
أَمْوَالَهُ وَفَشَا فِي الْأَرْضِ فَاشِيهَا

شَاطَرَتْ دَاهِيَةَ السُّوَّاسِ ثُرَوَتَهُ
وَأَنْتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فِي حَوَاضِرِهَا
لَمْ تَنْتَبِ الْأَرْضُ كَابِنَ الْعَاصِ دَاهِيَةَ
فَلَمْ يُرِغْ حِيلَةً فِيمَا أَمَرَتْ بِهِ
وَلَمْ تُقَلِّ عَامِلًا مِنْهَا وَقَدْ كَثُرَتْ

عمر وولده عبد الله

لَمَّا أَطْلَعْتَ عَلَيْهَا فِي مَرَاغِيهَا
مِثْلَ الْقُصُورِ قَدْ اهْتَزَّتْ أَعَالِيهَا
لَوْ لَمْ يَكُنْ وَلَدِي أَوْ كَانَ يُرْوِيهَا
وَبَاتَ بِاسْمِ (أَبِي حَفْصٍ) يُنَمِّيهَا
حَقَّ الزِّيَادَةِ فِيهَا قَبْلَ شَارِيهَا
رَدَّتْ حُقُوقًا فَأَغْنَتْ مُسْتَمِيجِيهَا
بَيْنَ الْوَرَى غَيْرَ مَبْنَى مِنْ مَبَانِيهَا
فَإِنَّهُمْ عَرَفُوهَا قَبْلَ أَهْلِيهَا

وَمَا وَقَى ابْنُكَ (عَبْدُ اللَّهِ) أَيْنُقَهُ
رَأَيْتَهَا فِي جِمَاهُ وَهِيَ سَارِحَةٌ
فَقُلْتُ: مَا كَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) يُشْبِعُهَا
قَدْ اسْتَعَانَ بِجَاهِي فِي تِجَارَتِهِ
رَدُّوا النَّيَاقَ لَبِيتَ الْمَالَ إِنَّ لَهُ
وَهَذِهِ خُطَّةٌ لِلَّهِ وَاضِعُهَا
مَا الْاِشْتِرَاكِيَّةُ الْمَنْشُودُ جَانِبُهَا
فَإِنْ نَكُنْ نَحْنُ أَهْلِيهَا وَمَنْبَتُهَا

عمر ونصر بن حجاج

عَنِ الْمَدِينَةِ تَبْكِيهِ وَيَبْكِيهَا
وَأَتَعَبْتُ قَصَبَاتُ السَّبْقِ حَاوِيهَا
لَمَّا اسْتَطَالَتْ عَلَيْهَا كَفَّ جَانِبُهَا
عَلَى جَبِينِ خَلِيقٍ أَنْ يُحْلِيهَا

جَنَى الْجَمَالَ عَلَى (نَصْرِ) فَغَرَبَهُ
وَكَمْ رَمَتْ قَسِمَاتُ الْحُسْنِ صَاحِبَهَا
وَزَهْرَةُ الرَّوْضِ لَوْلَا حُسْنُ رَوْنِقِهَا
كَانَتْ لَهُ لِمَّةٌ فَيَنَانَةٌ عَجَبُ

وكان أننى مشى مالت عقائبها
هتفن تحت الليالي باسمه شغفا
جزرت لمته لما أتيت به
فصحت فيه تحول عن مدينتهم
وفتنة الحسن إن هبت نوافحها
شوقا إليه وكاد الحسن يسببها
ولحسن تمن في لياليها
ففاق عاطلها في الحسن حالها
فإنها فتنة أخشى تماديها
كفتنة الحرب إن هبت سوافيها

عمر ورسول كسرى

وراع صاحب (كسرى) أن رأى عمرا
وعهده بملوك الفرس أن لها
راه مستغرقا في نومه فرأى
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا
فهان في عينه ما كان يكبره
وقال قوله حق أصبحت مثلاً
أمنت لما أقمت العدل بينهم
بين الرعية عطلاً وهو راعيها
سورا من الجند والأحرار يحميها
فيه الجلالة في أسمى معانيها
ببردة كاد طول العهد يبلبها
من الأكاسر والدنيا بأيديها
وأصبح الجيل بعد الجيل يروياها:
فنمت نوم قرير العين هانيها

عمر والشورى

يا رافعا راية الشورى وحارسها
لم يلهك النزغ عن تأييد دولتها
لم أنس أمرك للمقداد يحمله
إن ظل بعد ثلاث رأيها شعبا
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها
دري عيد بني الشورى بموضعها
رأي الجماعة لا تشقى البلاد به
جراك ربك خيرا عن محبيها
وللمنية آلام تعانيها
إلى الجماعة إنذارا وتنبيهها
فجرد السيف واضرب في هوايها
طعم المنية مراً عن مراميها
فعاش ما عاش يبنيها ويعلبها
رغم الخلاف ورأي الفرد يشقيها

مثال من زُهدِه

يا مَنْ صَدَفَتْ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا
 ماذا رَأَيْتَ بَبَابَ الشَّامِ حِينَ رَأَوْا
 وَيُرْكَبُونَ عَلَى الْبِرْدُونِ تَقْدُمُهُ
 مَشَى فَهَمَلَجَ مُخْتَلَاً بِرَاكِبِهِ
 فَصَحَّتْ: يَا قَوْمُ، كَادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنِي
 وكاد يَصْبُو إِلَى دُنْيَاكُمْ (عَمْرُ)
 رُدُّوا رِكَابِي فَلَا أَبْغِي بِهِ بَدَلًا

فَلَمْ يَغْرَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مُغْرِيهَا
 أَنْ يُلْبِسُوكَ مِنَ الْأَثْوَابِ زَاهِيهَا
 خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرَائِيهَا
 وَفِي الْبَرَادِينِ مَا تُزْهِى بِعَالِيهَا
 وَدَاخَلْتَنِي حَالٌ لَسْتُ أَدْرِيهَا
 وَيَرْتَضِي بَيْعَ بَاقِيهِ بِفَانِيهَا
 رُدُّوا ثِيَابِي فَحَسْبِيَ الْيَوْمَ بِأَلِيهَا

مثال من رَحْمَتِه

وَمَنْ رَأَهُ أَمَامَ الْقَدْرِ مُنْبِطِحًا
 وقد تَخَلَّلَ فِي أَثْنَاءِ لِحْيَتِهِ
 رَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
 يَسْتَقْبَلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي غَدِهِ

وَالنَّارُ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهُوَ يُذَكِّيهَا
 مِنْهَا الدُّخَانُ وَفُوهُ غَابَ فِي فِيهَا
 حَالٍ تَرَوُعٍ — لَعَمْرُ اللَّهِ — رَائِيهَا
 وَالْعَيْنُ مِنْ حَشْيَةٍ سَالَتْ مَاقِيهَا

مثال من تَقَشُّفِه وَوَرَعِه

إِنْ جَاعَ فِي شِدَّةِ قَوْمٍ شَرِكَتَهُمْ
 جُوعَ الْخَلِيفَةِ — وَالدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ —
 فَمَنْ يُبَارِي (أَبَا حَفْصٍ) وَسِيرَتَهُ
 يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلْوَى فَقَالَ لَهَا:
 لَا تَمْتَطِي شَهَوَاتِ النَّفْسِ جَامِحَةً
 وَهَلْ يَفِي بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا

فِي الْجُوعِ أَوْ تَنْجَلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيهَا
 فِي الزُّهْدِ مَنْزِلَةُ سُبْحَانَ مُوَلِّيَهَا
 أَوْ مَنْ يُحَاوِلُ (لِلْفَارُوقِ) تَشْبِيهَا
 مِنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحَلْوَى فَأَشْرِيهَا
 فَكِسْرَةُ الْخُبْزِ عَنْ حُلُوكِ تَجْزِيهَا
 تُوجِي إِلَيْكَ إِذَا طَاوَعْتَ مُوْجِيهَا

مَالاً لِحَاجَةِ نَفْسٍ كُنْتُ أَبْغِيهَا
فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى حَالٍ أَسْوِيهَا
شَرَيْتُهَا ثُمَّ إِنِّي لَا أَتْنِيهَا
أَنَّ الْقِنَاعَةَ تُغْنِي نَفْسَ كَاسِيهَا
دُرِّيهِمَا لَتَقْضِي مَنْ تَشْهِيهَا
هَذِي الدَّرَاهِمَ إِذْ لَا حَقَّ لِي فِيهَا
عَلَى الْكَفَافِ وَيَنْهَى مُسْتَزِيدِهَا
أُولَى فَقُومِي لِبَيْتِ الْمَالِ رُدِّيهَا
بَعْدَ النُّبُوءَةِ أَخْلَاقُ تُحَاكِهَا

قَالَتْ: لَكَ اللَّهُ إِنِّي لَسْتُ أَرْزُؤُهُ
لَكِنْ أَجَنَّبُ شَيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنَا
حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْنَا مَا يُكَافئُهَا
قَالَ: اذْهَبِي وَعَلِمِي إِنْ كُنْتَ جَاهِلَةً
وَأَقْبَلْتُ بَعْدَ حَمْسٍ وَهِيَ حَامِلَةٌ
فَقَالَ: نَبَّهْتُ مِنِّي غَافِلًا فَدَعِي
وَيَلِي عَلَى عَمَرٍ يَرْضَى بِمُوفِيَةٍ
مَا زَادَ عَنْ قُوتِنَا فَالْمُسْلِمُونَ بِهِ
كَذَاكَ أَخْلَاقُهُ كَانَتْ وَمَا عُهِدَتْ

مثال من هيئته

تَتَنَّى الْخُطُوبَ فَلَا تَعْدُو عَوَادِيهَا
لِلْعَالَمِينَ وَلَكِنْ لَيْسَ يُفْشِيهَا
فُؤَادُ وَالِدَةٍ تَرْعَى ذَرَارِيهَا
فَكَمْ أَخَافَتْ غَوِيَّ النَّفْسِ عَاتِيهَا
لَا يَنْزِلُ الْبُطْلُ مُجْتَازًا بِوَادِيهَا
وَرَاعَ حَتَّى الْغَوَانِي فِي مَلَاهِيهَا
أَنْشُودَةً لِرَسُولِ اللَّهِ تُهْدِيهَا
مِنْ عَزْوَةٍ لَعَلَّى دُفِي أَغْنِيهَا
أَنْوَارُ طَلَعَتْهُ أَرْجَاءُ نَادِيهَا
تُشْجِي بِأَلْحَانِهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا
لَا يُنْكَرَانِ عَلَيْهَا مِنْ أَغَانِيهَا
خَارَتْ قُوَاهَا وَكَادَ الْخَوْفُ يُرْدِيهَا
مِنْهُ وَوَدَّتْ لَوْ أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا
فَجَاءَ بَطْشُ (أَبِي حَفْصٍ) يُخْشِيهَا

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هَيْئَتُهُ
فِي طَيِّ شِدَّتِهِ أَشْرَارُ مَرْحَمَةٍ
وَبَيْنَ جَنْبَيْهِ فِي أَوْفَى صِرَافَتِهِ
أَغْنَتْ عَنِ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ دِرَّتُهُ
كَانَتْ لَهُ كَعَصَا (مُوسَى) لِصَاحِبِهَا
أَخَافَ حَتَّى الذَّرَارِي فِي مَلَاعِبِهَا
أَرَيْتَ تِلْكَ الَّتِي لِلَّهِ قَدْ نَذَرْتُ
قَالَتْ: نَذَرْتُ لئن عادَ النَّبِيُّ لَنَا
وَيَمَمْتُ حَضْرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَأْتُ
وَأَسْتَأَذَنْتُ وَمَشَتْ بِالْذَّفِّ وَانْدَفَعَتْ
(وَالْمُصْطَفَى) (وَأَبُو بَكْرٍ) بِجَانِبِهِ
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بُعْدِ لَهَا (عُمَرُ)
وَحَبَّاتُ دُفِّهَا فِي ثَوْبِهَا فَرَقًا
قَدْ كَانَ حِلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤْنِسُهَا

فَقَالَ مَهِيْطٌ وَحَى اللّٰهَ مُبْتَسِمًا وَفِي ابْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُوَاسِيهَا
قَدْ فَرَّ شَيْطَانُهَا، لَمَّا رَأَى عُمَرَ إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَأْسَ مُخْزِيهَا

مِثَالُ مَنْ رُجِوعِهِ إِلَى الْحَقِّ

وَفَتْيَةٍ وَلِعُوا بِالرَّاحِ فَانْتَبَذُوا لَهُمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي تَعَاطِيهَا
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَلِمَتْ بِهِمْ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا
حَتَّى تَبَيَّنَتْهُمْ وَالْحَمَرُ قَدْ أَخَذَتْ تَعْلُو ذُؤَابَةَ سَاقِيهَا وَحَاسِيهَا
سَقَفَتْ أَرَاءَهُمْ فِيهَا فَمَا لَبِثُوا أَنْ أَوْسَعُوكَ عَلَى مَا جِئْتَ تَسْفِيهَا
وَرُمْتَ تَفْقِيهِهُمْ فِي دِينِهِمْ فَإِذَا بِالشَّرْبِ قَدْ بَرَعُوا (الْفَارُوقُ) تَفْقِيهَا
قَالُوا: مَكَانَكَ قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ وَجِئْنَا بِثَلَاثٍ لَا تُبَالِيهَا
فَأَتِ الْبُيُوتَ مِنَ الْأَبْوَابِ (يَا عُمَرُ) فَقَدْ يُزَنُّ مِنَ الْحَيَاطَانِ آتِيهَا
وَاسْتَأْذِنَ النَّاسَ أَنْ تَغْشَى بُيُوتَهُمْ وَلَا تُلِمَّ بَدَارٍ أَوْ تَحْيِيَّهَا
وَلَا تَجَسَّسْ فَهَذَا الْآيُ قَدْ نَزَلَتْ بِالنَّهْيِ عَنْهُ فَلَمْ تَذْكُرْ نَوَاحِيهَا
فَعُدَّتْ عَنْهُمْ وَقَدْ أَكْبَرْتَ حُجَّتَهُمْ لَمَّا رَأَيْتَ كِتَابَ اللَّهِ يُمْلِيهَا
وَمَا أَنْفَتَ وَإِنْ كَانُوا عَلَى حَرَجٍ مِنْ أَنْ يَحْجُكَ بِالْآيَاتِ عَاصِيهَا

عُمَرُ وَشَجَرَةُ الرُّضْوَانِ

وَسَرَحَةٍ فِي سَمَاءِ السَّرْحِ قَدْ رَفَعَتْ بَبِيعَةِ الْمُصْطَفَى مِنْ رَأْسِهَا تَبِيهَا
أَزَلَّتْهَا حِينَ غَالُوا فِي الطَّوَافِ بِهَا وَكَانَ تَطَوُّفُهُمْ لِلدِّينِ تَشْوِيهَا

الخاتمة

هذي مناقبُه في عهدِ دولتِه
في كلِّ واحدةٍ منهنَّ نابِلَةٌ
لعلَّ في أُمَّةِ الإسلامِ نابِتَةٌ
حتَّى تَرَى بَعْضَ ما شادَتْ أوائلُها
وحسبُها أنْ تَرَى ما كانَ مِنْ (عُمَرِ)

للشَّاهِدِينَ ولِلأَعْقَابِ أَحْكِيها
مِنَ الطَّبائِعِ تَعْدُو نَفْسَ وإِيعِها
تَجَلُّو لحاضِرِها مِرْآةَ ماضِها
مِن الصُّروحِ وما عاناهُ بانيها
حتَّى يُنَبِّهَ منها عَيْنَ غافِها

(٣١) تحية محمد عسران عبد الكريم

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتكريمه في فندق شبرد في ٧ يوليو سنة ١٩١٩م حين استقال
من الحكومة أوّل مرّة، وهي على لسان تجار الغلال

لقد عاشَرَتْنَا فَلَبِثْتَ فينا
بجِلْمٍ كانَ مَحْمُودَ المَزايا
فإنْ كُنْتَ اعتَرَلْتَ إِبَاءَ ضَيْمٍ
فحَبَّاتُ القُلُوبِ تَسُوقُ شُكْرًا

مِثَالًا لِلنِّزَاهَةِ وَالْكَمالِ
وَعَدْلٍ كانَ مَمْدُودَ الظُّلالِ
فَمِثْلُكَ بِالوظائِفِ لا يُبالي
إِلَيْكَ بِقَدَرِ حَبَّاتِ الغِلالِ

(٣٢) تحية أحمد شوقي بك (نشرت في ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩م)

وكان حافظ قد أعدّها ليستقبله بها عند قدومه إلى مصر من منفاه بالأندلس، ولكنّه
عجل بنشرها قبل قدومه مخافة أن يلحقه القدر المحتوم، كما قال في رسالته إلى الأهرام

وَرَدَ الكِنانَةَ عَبَقَرِي زَمانِهِ
وأَتى الحُسانُ فَهَنُّوا مُلْكَ النُّهى
النَّيْلُ قد أَلْقَى إِلَيْهِ بِسَمْعِهِ
والزَّهْرُ مُصَنِّغٌ وَالخَمائِلُ خُشَعُ

فَتَنظَّرِي يا مِصْرُ سِحْرَ بَيانِهِ
بِقِيامِ دَوْلَتِهِ وَعَوْدِ حُسانِهِ
والماءُ أَمْسَكَ فِيهِ عن جَرَيانِهِ
والطيرُ مُسْتَمِعٌ على أَفْئانِهِ

شَوْقِيَّةَ تَشْفِيهِ مِنْ أَشْجَانِهِ
إِصْغَاءَ أُمَّةٍ أَحْمَدٍ لِأَذَانِهِ
يَكْفِيهِ مَا عَانَاهُ مِنْ أَحْزَانِهِ
وَالْقَصْرَ مَاذَا كَانَ مِنْ بُنْيَانِهِ
أَبْقَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ مِنْ أَرْكَانِهِ
أَيَّامَ كَانَ النُّجْمُ مِنْ سُكَّانِهِ
وَشَبَابُهُ الْمَبْكِيُّ فِي رِيْعَانِهِ
وَكِتَابُ الْأَقْدَارِ مِنْ أَعْوَانِهِ
قَدْ كَانَ يَخْلَعُهُ عَلَى حِيرَانِهِ
مَنْ أَنْسَهُ الدُّنْيَا وَمَنْ إِنْسَانِهِ
هَلْ ضَاقَ صَدْرُ الْأَرْضِ عَنْ كِتْمَانِهِ
لَمَّا وَقَفَتْ مُسَائِلًا عَنْ شَانِهِ
وَتَعَدَّدُ قَدْ كَانَ فِي تَيْجَانِهِ
قَدْ هَوَّنَتْ مَا نَابَهُ فِي آنِهِ
جَاءَتْ مُشْمَرَّةً لَهْدً كِيَانِهِ
وَمُقَلَّبٍ الْأَكْوَانِ فِي أَكْوَانِهِ
بِالْبَلَجِ الْمَرْجُوِّ مِنْ إِخْوَانِهِ
جَرَحَتْ فَوَادِ الشَّعْرِ فِي أَعْيَانِهِ
بَقْرِيضُهُ وَالْعُجْبُ مِلءُ جَنَانِهِ
رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُّ مِنْ أُرْدَانِهِ
وَأَطَالَ مَحْنَتَنَا بِطُولِ لِسَانِهِ
حَتَّى اسْتَغَاثَ الصُّمُّ مِنْ إِعْلَانِهِ
وَاشْتَدَّ ذَاكَ السَّيْلُ فِي طُغْيَانِهِ
لَمْ يَلْفِتِ الْبُودِيَّ عَنْ أَوْثَانِهِ
خَلَّ الْقَرِيضُ فَلَسَتْ مِنْ فُرْسَانِهِ
لَظَلَمَتَهُ بِالْدَّرِّ فِي مِيزَانِهِ
إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَاءَ بَعْدَ أَوَانِهِ

وَالْقَطْرُ فِي شَوْقٍ لَأَنْدَلُسِيَّةٍ
يُصْغِي لِأَحْمَدَ إِنْ شَدَا مُتَرَنِّمًا
فَاصْدَحْ وَغَنَ النَّيْلَ وَاهْزُرْ عَطْفَهُ
وَإِذْكَ لَنَا الْحَمْرَاءُ كَيْفَ رَأَيْتَهَا
مَاذَا تَحَطَّمَتْ مِنْ ذُرَاهُ وَمَا الَّذِي
وَاهَا عَلَيْهِ وَأَهْلُهُ وَبُنَاتِهِ
إِذْ مُلْكُ أَنْدَلُسٍ غَرِيضٌ جَاهُهُ
الْفَتْحُ وَالْعُمُرَانُ آيَةُ عَهْدِهِ
لَبِسَتْ بِهِ الدُّنْيَا لِبَاسَ حَضَارَةٍ
زَالَتْ بِشَاشَتِهِ وَزَالَ وَأَقْفَرَتْ
وَطَوَى الثَّرَى سِرَّ الزَّوَالِ فَيَا تُرَى
فَتَكَلَّمْتَ تِلْكَ الطُّلُولُ وَأَفْصَحْتَ
وَلَعَلَّ نَكَبَتَهُ هُنَاكَ تَفَرَّقُ
عَبْرَ رَأْيِنَاهَا عَلَى أَيَّامِنَا
وَحَوَاثِثُ فِي الْكَوْنِ إِثْرُ حَوَاثِثُ
سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ الْعُلَا
أَهْلًا بِشَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ وَمَرْحَبًا
أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزُمَرَةٍ
كَمْ خَارِجٌ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبُ الْوَرَى
يَخْتَالُ بَيْنَ النَّاسِ مُتَنَدِّ الْخَطَا
كَمْ صَكَكَ مَسْمَعُنَا بِجَنْدَلٍ لَفْظُهُ
مَا زَالَ يُلْعَلُنْ بَيْنَنَا عَنْ نَفْسِهِ
نَصَحَ الْهُدَاةَ لَهُمْ فَزَادَ غُرُورَهُمْ
أَوْ لَمْ تَرَ الْفُرْقَانِ وَهُوَ مُفْصَلٌ
قُلْ لِلَّذِي قَدْ قَامَ يَشْتَوُ أَحْمَدًا
الشَّعْرُ فِي أَوْزَانِهِ لَوْ قَسَمْتَهُ
هَذَا أَمْرُو قَدْ جَاءَ قَبْلَ أَوَانِهِ

إِنْ قَالَ شِعْرًا أَوْ تَسَنَّمَ مِنْبَرًا
تَخَذَ الْخَيَالَ لَهُ بُرَاقًا فَاغْتَلَى
مَا كَانَ يَأْمَنْ عَثْرَةً لَوْ لَمْ يَكُنْ
فَأَتَى بِمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ
هَلْ لِلْخَيَالِ وَلِلْحَقِيقَةِ مَنْهَلٌ
إِنَّا لَنَلْهُوَ إِذْ نَجِدُ وَإِنَّهُ
أَقْلَامُهُ لَوْ شَاءَ شَكَّ قَصِيرُهَا
يُمْلِي عَلَيْهَا عَقْلُهُ وَجَنَانُهُ
بَسَلَ عَلَى شُعْرَائِنَا أَنْ يَنْطُقُوا
عَافَ الْقَدِيمَ وَقَدْ كَسَتْهُ يَدُ الْبَلَى
وَأَبَى الْجَدِيدَ وَقَدْ تَأَنَّقَ أَهْلُهُ
فَجَدِيدُهُ بَعَثَ الْقَدِيمَ مِنَ الْبَلَى
وَرَمَى جَدِيدَهُمْ فَخَرَّ بِنَاؤُهُ
شُعْرَاءُ نَفَحَ الطَّيِّبُ أَنْشَرَ ذِكْرَهُمْ
وَدَّ (ابْنُ هَانِئٍ) (وَابْنُ عَمَّارٍ) بِهَا
وَلَوْ اسْتَطَاعَا فَوْقَ ذَاكَ لِأَقْبَلَا
يَا كَرَمَةَ (الْمَطَرِيَّةَ) ابْتَهَجِي بِهِ
مُدِّي الظَّلَالِ عَلَى الْوُفُودِ وَجَدَّيْ
كَمْ مَجْلِسٍ لِلَّهِ فِيهِ شَهْدَتُهُ
غَنَى مُغْنِيهِ فَهَاجَ غِنَاؤُهُ
فَتَرَنَّنَتْ أَشْجَارُهُ وَتَمَايَلَتْ
فَكَأَنَّ مَجْلِسَنَا هُنَاكَ قَصِيدَةٌ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ رَدَّهُ
فَتَنَظَّرُوا آيَاتِهِ وَتَسَمَّعُوا

فَتَعَوُّذًا بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِهِ
فَوْقَ السُّهَا يَسْتَنُّ فِي طَيْرَانِهِ
رُوحَ الْحَقِيقَةِ مُمَسِّكًا بَعْنَانِهِ
أَوْ تَطْمَعُ الْأَذْهَانَ فِي إِيَّانِهِ
لَمْ يَبْغِهِ الرُّوَادُ فِي دِيَوَانِهِ
لِيَجِدُ إِذْ يَلْهُو بِنَظْمِ جُمَانِهِ
هَامَ الثَّرِيَّا وَالسُّهَا بِسِنَانِهِ
مَا لَيْسَ يُنْكِرُهُ هَوَى وَجْدَانِهِ
قَبْلَ الْمُثُولِ لَدَيْهِ وَاسْتِئْذَانِهِ
خَلَقَ الْأَدِيمَ فَهَانَ فِي خُلُقَانِهِ
فِي الرَّقْشِ حَتَّى غَرَّ فِي الْوَانِهِ
وَأَعَادَ سُؤْدَدَهُ إِلَى إِبَّانِهِ
بِرُوءٍ زُخْرَفِهِ وَبَرَقَ دِهَانِهِ
فِي أَرْضِ أَنْدَلُسٍ أَدِيبُ زَمَانِهِ
لَوْ يَظْفَرَانِ مَعًا بِلَثْمِ بَنَانِهِ
رَغَمَ الْبِلَى وَالْقَبْرِ يَسْتَبِقَانِهِ
وَاسْتَقْبَلِي الظَّمَانَ مِنْ أَخْدَانِهِ
عَهْدًا طَوَاهُ الدَّهْرُ فِي بُسْتَانِهِ
فَسَكِرْتُ مِنْ دِيَوَانِهِ وَدِنَانِهِ
شَجَوَ الْحَمَامِ عَلَى ذَوَائِبِ بَانِهِ
أَعْوَادُهَا طَرَبًا عَلَى عِيدَانِهِ
مَنْ نَظَّمَهُ طَلَعَتْ عَلَى غُبْدَانِهِ
مَنْ بَعْدَ غُرْبَتِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ
قَدْ قَامَ بُلْبُلُكُمْ عَلَى أَغْصَانِهِ

(٣٣) في حفل عكاظ

أنشد هذه القصيدة في حفل من الأدباء والشعراء برئاسة أحمد شوقي بك بدار التمثيل العربي؛ لتحية جريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠، وقد سمى صاحب الجريدة هذا الحفل: «سوق عكاظ». وهي تتضمن مدحا لشوقي بك رئيس الحفل، ونعيًا على المصريين امتهانهم لجثث ملوكهم الأقدمين:

أَسْعَى بِأَمْرِ الرَّئِيسِ	أَتَيْتُ سَوْقَ عُكَاظٍ
مُنَكَّسَاتِ الرُّءُوسِ	أُزْجِي إِلَيْهِ قَوَافٍ
تُزْهِى بِهِ فِي الطُّرُوسِ	لَيْسَتْ بِذَاتِ رُوءٍ
يَسْرِي بِهَا فِي النُّفُوسِ	وَلَا بِذَاتِ جَمَالٍ
بَقِيَّةً مِنْ نَسِيسِ	لَمْ يَحْبُهَا فَضْلُ شَوْقِي
مِنْ كُلِّ مَعْنَى نَفِيسِ	فَهَنْ قَفَرُ خَوَالٍ
حَلِيفِ هَمْ وَبُوسِ	وَهَنْ جُهْدٌ مُقَلٍّ
يَقُولُ بَعْدَ الرَّئِيسِ	قَالَ الرَّئِيسُ وَمَنْ ذَا
يُنْسِي شَرَابَ الْقُسُوسِ	سَقَى الْحُضُورَ شَرَابًا
فِي مُظْلِمَاتِ الْحُبُوسِ	مُعْتَقًا قَبْلَ عَادٍ
نَارًا كَنَارِ الْمَجُوسِ	تُذَكِّي الدِّيَارَاتُ مِنْهُ
شُمُوسَهُ فِي الْكُؤُوسِ	يُرِيكَ وَاللَّيْلُ دَاجٍ
فِي جَلُوءِ كَالْعَرُوسِ	بَنَاتِ أَفْكَارِ شَوْقِي
أَتَى بِمَعْنَى شُمُوسِ	تُزْهِى بِمَعْنَى سَرِيٍّ
ضَمَّتْ حُمَاةَ الْوَطِيسِ	وَلَيْلَةً مِنْ «عُكَاظٍ»
آثَارُهُ فِي الطُّرُوسِ	أَحْيَا بِهَا ذِكْرَ عَهْدٍ
إِلَى مَجَالِي الشُّمُوسِ	عَهْدٌ سَمَا الشَّعْرُ فِيهِ
مِنْ مَوْرِدِ الْقَامُوسِ	وَوَرْدُهُ كَانَ أَصْفَى
أُسُوقُهُ لِلْجُلُوسِ	فَجِئْتُهَا بِحَدِيثٍ
فِي ظَهْرِ يَوْمِ الْخَمِيسِ	قَدْ زُرْتُ مُتَحَفٍ مَضْرٍ
غُرِّ الشَّمَائِلِ شُوسِ	فِي زُمْرَةٍ مِنْ رِفَاقٍ

على النفوس بئيس	فضقت ذرعاً بأمر
لحظها المعكوس	وكدت أضرع غماً
من صرعة الخندريس	وصرعة الغم أنهى
بقرب (سيزوستريس)	رأيت جثة (خوفو)
صنع العقوق الخسيس	فقلت يا قوم هذا
وشائدي منفيش	أجساد أملك مضر
لم تسترح في الرموس	من بعد خمسين قرناً
في ذلة ونحوس	أرى فراعين مضر
أجسادهم بالفلوس	معروضة للبرايا
في مظلمات الدروس	عنهم نبشنا زماناً
وكان غير مدوس	فديس ظلماً جماهم
من هاديات الفتوس	لعلهم حصنهم
بيوم شر عبوس	علماً بأن سوف يمني
في الغرب أو (رمسيس)	لو أن أمثال (مينا)
خزائر التقديس	بنوا عليهم وخطوا

(٣٤) مدحة للمغفور له (فؤاد الأول)

أنشدها بين يدي جلالتة حين زيارته مدرسة فؤاد الأول بقصر الزعفران في ديسمبر سنة ١٩٢٢م

خليق أن يتية على النجوم	أقصر الزعفران لأنت قصر
وزهو للحديث وللقديم	كلا عهديك للأجيال فخر
وأنت اليوم مثنوى للعلوم	ثوى بالأمس فيك علا ومجد
إلى علم، إلى نفع عميم	فمن نبل، إلى مجد أثيل،
بزورة ذلك الملك الحكيم	أضفت إلى صروح العلم صرحاً
بنته أنامل الذوق السليم	فيا لك منزلاً رحباً سرياً

يُريكَ جماله وَجَهَ النّعيمِ
لِمِصْرٍ وهكذا مَنَحُ الكَريمِ
ومالِهَا على خُلُقٍ عَظيمِ
وَيَرعاها بَعَيْنِ أبٍ رَجيمِ
إِذا خَارَتْ لَدَى الخُطْبِ الجَسيمِ
مِنَ الإجلالِ والعِزِّ المُقيمِ
بِزائِرِهِ على رُكْنِ الحَطيمِ
قَواعِدِهِ على ظَهْرِ الأديمِ
كما هَشَّ الحَميمِ إلى الحَميمِ
بِهِ أَصواتُ شَعْبِكَ كَالهَزيمِ
يُعِزُّ شَعائِرَ الدِّينِ القَويمِ
هَداهُ إلى الصِّراطِ المُستَقيمِ
أَهْنَأُ مِصْرَ بالأَمْرِ الكَريمِ
وتِيهِي واقْعِدِي طَرَبًا وقُومي
تُزَفُّ لَكَ البِشائِرُ مِنْ «نَسيمِ»
تُشادُّ لَطالِبَ المَجْدِ العَميمِ
وتَحيا مِصْرُ في عَيشِ رَхимِ
وأُسعِدْها بِدُستُورِ تَميمِ
فَعَوِّدُهُ وآياتِ (الكَليمِ)
وَحَقِّقْها على رَغَمِ الخَصيمِ
على نَومِ كَأصحابِ الرِّقيمِ
يُكَافِي نُهْضَةَ النِّبْتِ الجَميمِ
نَحْفُكَ بالوَلاءِ المُستَديمِ

وحاطَّتْهُ بِبُستانِ أنيقِ
(أبا فارُوق) أَنْتَ وَهَبْتَ هَذا
ولا عَجَبٌ فِمْصِرٍ على وِلاءِ
يُطالِعُها بَبرٌ كُلَّ يَومِ
ويُرهِفُ مِنْ عِزائِمِ آلِ مِصرِ
كَسَوَتْ الأَزهَرَ المَعْمُورَ ثَوْبًا
قَضَيْتَ بِهِ الصَّلَاةَ فَكادَ يُزْهِى
رَأى فِيكَ (المُعِزِّ) زَمانَ أَعلى
فَهَشَّ وَهَزَهُ طَرَبٌ وَشَوْقٌ
وَهَلَّلَ كُلُّ مَنْ فِيهِ وَدَوَتْ
كَذا فَلِيَحْمِلِ التَّاجينَ مَلَكُ
وَيَخْشى رَبَّهُ وَيُطِيعُ مَوْلى
أَيَّاذُنْ لِي المَلِيكِ البَرُّ أَنِّي
فيا مِصْرُ اسجُدي لِلهِ شُكْرًا
فَقَدْ تَمَّ البِناؤُ وَعَن قَريبِ
فَدارِ (البِرِّلمانِ) أَعِزُّ دارِ
بِها يَتَجَمَّلُ العَرشُ المَفدَى
فَشَرَّفْها بِرَبِّكَ واخْتَتَمْها
بِأَيِّ (مُحَمَّدٍ) وبِأَيِّ (عِيسى)
(أبا فارُوق) خُذْ بَيْدَ الأمانِ
أَفَقْنَا بَعْدَ نَومٍ فَوْقَ نَومِ
وأَصْبَحْنَا بِئِمْنِكَ في نُهوِضِ
فَحُطْنَا بِالرِّعايَةِ كُلَّ يَومِ

(٣٥) تهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة (نشرت في ١٣ يولية سنة ١٩٢٤م)

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار في محطة القاهرة، إذ كان مسافراً إلى الإسكندرية

أَحْمَدُ اللّٰهَ إِذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ
أَحْمَدُ اللّٰهَ إِذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ
أَحْمَدُ اللّٰهَ إِذْ سَلِمْتَ لِمِصْرٍ
قَدْ شَغِلْنَا يَا (سَعْدُ) عَنْ كُلِّ شَيْءٍ
فِي سَبِيلِ الْجِهَادِ وَالْوَطَنِ الْمَحْدِ
قُلْ لِذَلِكَ الْأَثِيمِ وَالْفَاتِكِ الْمَفْدِ
إِنَّمَا قَدْ رَمَيْتَ فِي شَخْصِ (سَعْدِ)
قَدْ رَمَاهَا فِي قَلْبِهَا مَنْ رَمَاكَ
لَيْسَ فِيهَا لِيَوْمٍ جَدٌّ سِوَاكَ
وَوَقَاهَا بِلُطْفِهِ مَنْ وَقَاكَ
وَشَغِلْنَا بِأَنْ يَتِمَّ شِفَاكَ
بُيُوبٍ مَا سَالَ أَحْمَرًا مِنْ دِمَاكَ
تُوتُنْ: لَا كُنْتَ، كَيْفَ تَرْمِي السَّمَاءَا؟
أُمَّةٌ حُرَّةٌ فَشَلَّتْ يَدَاكَ

وقال فيه أيضاً: أنشدها في الحفل الذي أقامه أعضاء البرلمان يوم الخميس ٢٤ يولية سنة ١٩٢٤ بكازينو سان استفانو بالإسكندرية؛ تكريماً لسعد، وابتهاجاً بنجاته من حادث الاعتداء عليه:

الشَّعْبُ يَدْعُو اللّٰهَ يَا زَغْلُولُ
إِنَّ الَّذِي انْدَسَ الْأَثِيمُ لِقَتْلِهِ
أَيُّمُوتُ (سَعْدُ) قَبْلَ أَنْ نَحْيَا بِهِ؟
يَا (سَعْدُ) إِنَّكَ أَنْتَ أَعْظَمُ عُدَّةٍ
وَلَأَنْتَ أَمْضَى نَبْلَةٍ تَرْمِي بِهَا
النَّسْرُ يَطْمَعُ أَنْ يَصِيدَ بَارِضَنَا
إِنَّا رَمَيْنَاهُمْ بِنَدَبِ حَوْلٍ
بِأَشَدَّنَا بِأَسَا وَأَقْدَمْنَا عَلَى
بِفَتَى جَمِيعِ الْقُلُوبِ غَيْرِ مُشَتَّتِ
فَاوِضْ وَلَا تَخْفِضْ جَنَاحَكَ ذِلَّةً
فَاوِضْ وَأَنْتَ عَلَى الْمَجَرَّةِ جَالِسٌ
فَاوِضْ فَخَلَفَكَ أُمَّةٌ قَدْ أَقْسَمَتْ
أَنْ يَسْتَقِيلَ عَلَى يَدَيْكَ النَّيْلُ
قَدْ كَانَ يَحْرُسُهُ لَنَا جِبْرِيلُ
خَطَبٌ عَلَى أَبْنَاءِ مِصْرٍ جَلِيلُ
ذُخِرَتْ لَنَا نَسْطُو بِهَا وَنَصُولُ
فَانْفِذْ وَأَقْصِدْ فَالْنَّبَالُ قَلِيلُ
سَنْرِيهِ كَيْفَ يَصِيدُهُ زَغْلُولُ
عَنْ قَصْدِ وَادِي النَّيْلِ لَيْسَ يَحُولُ
خَوْضُ الشَّدَائِدِ وَالْخُطُوبُ مَثُولُ
إِنْ مَالَتْ الْأَهْرَامُ لَيْسَ يَمِيلُ
إِنَّ الْعَدُوَّ سِلَاحَهُ مَفْلُولُ
لِمَقَامِكَ الْإِعْظَامُ وَالتَّبَجِيلُ
أَلَا تَنَامُ وَفِي الْبِلَادِ دَخِيلُ

لَا الْجَيْشُ يُفْزِعُهَا وَلَا الْأُسْطُولُ
حُجَجُ الْفِصَاحِ وَحَرْبُنَا التَّدْلِيلُ
كَالْحَرْبِ تُذَكِّيهِا نَهْيٌ وَعُقُولُ
وَاللَّهُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ كَفِيلُ
وَزَعِيمُنَا فِي كَفِّهِ مَنْدِيلُ؟
مَنْ صَارِمٍ فِي حَدِّهِ التَّضْلِيلُ
وَيَحْفُفُهَا التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
لِيرَى وَيَعْلَمَ مَا حَوَاهُ الْغِيلُ
مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَغْسُولُ
وَالْحَتْلُ فِيهِ مُذَوَّبٌ مَصْقُولُ
قَدْ عَادَ عَنْهُ وَفِي الْفَوَادِ غَلِيلُ
وَلَهُمْ رَوَايَاتٌ بِهِ وَفُصُولُ
قَنَصُوا النُّهَى فَأَسِيرُهُمْ مَخْبُولُ
سَعْدِيَّةٌ إِنْ السِّيَاسَةِ غُولُ
عِنْدَ الْحَقِيقَةِ يَسْقُطُ التَّمْثِيلُ
وَالْيَوْمُ فِي فَلَكِ السِّيَاسَةِ جِيلُ
مَعْنَى يُقَالُ بِأَنَّهُ مَعْقُولُ
وَلِكُلِّ كَاذِبَةٍ الْخِضَابُ نُصُولُ
مَا رَكَّبُوهُ وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ
وَعَلَيْكَ عِنْدَ مَلِيكِنَا التَّغْوِيلُ
يَا (سَعْدُ) أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْئُولُ
مَا إِنْ لَهُ عَنْ أَرْضِهَا تَحْوِيلُ
لِلرَّيْبِ فِيهَا وَالشُّكُوكِ سَبِيلُ
أَوْ بَعْدَ ذَاكَ عَلَى الْوَلَاءِ دَلِيلُ
صَبْرٌ عَلَى حَمْلِ الْخُطُوبِ جَمِيلُ
لَكَ رَبُّهُ وَدُعَاؤُهُ مَقْبُولُ
الدمعُ فِيهِ أَسَى عَلَيْكَ يَسِيلُ

عُزْلٌ وَلَكِنْ فِي الْجِهَادِ ضَرَاغِمُ
أُسْطُولُنَا الْحَقُّ الصُّرَاحُ وَجَيْشُنَا الـ
مَا الْحَرْبُ تُذَكِّيهِا قَنَا وَصَوَارِمُ
خُضُّهَا هُنَالِكَ بِالْيَقِينِ مُدْرَعَا
أَزْعِيمُهُمْ شَاكِي السِّلَاحِ مُدَجَّجُ
وَكَذَلِكَ الْمِنْدِيلُ أَبْلَغُ ضَرْبَةٍ
لَكَ وَقَفَّةٌ فِي الشَّرْقِ تَعْرِفُهَا الْعُلَا
زَلْزَلٌ بِهَا فِي الْغَرْبِ كُلِّ مُكَابِرِ
لَا تَقْرَبِ (التَّامِيزُ) وَاحْذَرُ وَرَدَهُ
الْكَيْدُ مَمْرُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ
كَمْ وَارِدٍ يَا (سَعْدُ) قَبْلَكَ مَاءَهُ
الْقَوْمُ قَدْ مَلَكَوا عِنَانَ زَمَانِهِمْ
وَلَهُمْ أَحَابِيلُ إِذَا أَلْقَوْا بِهَا
فَاخْذَرُ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي يَقْظَةٍ
إِنْ مَثَلُوا فَدَعِ الْخِيَالَ فَإِنَّمَا
الشَّبْرُ فِي عُرْفِ السِّيَاسَةِ فَرَسُخُ
وَلِكُلِّ لَفْظٍ فِي الْمَعَاجِمِ عِنْدَهُمْ
نَصَلَتْ سِيَاسَتُهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا
جَمَعُوا عَقَاقِيرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا
يَا (سَعْدُ) أَنْتَ زَعِيمُنَا وَوَكِيلُنَا
فَادْفَعْ وَنَاضِلٌ عَنْ مَطَالِبِ أُمَّةِ
النَّيْلِ مَنْبِعُهُ لَنَا وَمَصْبُهُ
وِثَقَتْ بِكَ الثِّقَّةُ الَّتِي لَمْ يَنْفَرِجْ
جَعَلَتْ مَكَانَكَ فِي الْقُلُوبِ مَحَبَّةً
كَادَتْ تَجَنُّ وَقَدْ جُرِحَتْ وَخَانَهَا
لَمْ يَبْقُ فِيهَا نَاطِقٌ إِلَّا دَعَا
يَا سَعْدُ كَادَ الْعِيدُ يُصْبِحُ مَأْتَمًا

عند انطوائك وانقضى التأميل
حز المدى ولكفك التقبيل
من بين أوسمه الفخار مثيل
في حب مضر مصونه مبدول
ليست على مر الزمان تزول
فيما وزغى رأيه التنزيل
ويدا وسيف نبينا المسلول
قبل الرحيل ليقطع التأويل
واقطع فحبلك بالهدى موصول
وعليك من زهراتها إكليل
والله يقضي بيننا ويديل
وأتى عليها الليل وهي فلول
طلعت عليها الشمس وهي طلول
كالروض قد خطرت عليه قبول
مدحي لكم بعد الرئيس فضول
والورد لم ينظر إليه ذبول
دمه على عرصاتها مطلول
أمل البلاد فكلكم مأمول
فاستقبلوه وحجلوه وطولوا

لولا دفاع الله لانطوت المنى
شلت أنامل من رمى، فليكفه
هذا وسامك فوق صدرك ماله
حليته بدم زكي طاهر
في كل عصر للجناة جريزة
جاروا على (الفاروق) أعدل من قضى
وعلى (علي) وهو أظهرنا فما
قف يا خطيب الشرق جدد عهدنا
فاوض فإن أوجست شرا فاعتزم
وارجع إلينا بالكرامة كاسيا
إنا سنعمل للخلاص ولا نني
كم دولة شهد الصباح جلالها
وقصور قوم زاهرات في الدجى
يأيها النشء الكرام تجية
يا زهر مضر وزينها وحماتها
جذتم لها بالنفس في ورد الصبا
كم من سجين دونها ومجاهد
سيروا على سنن الرئيس وحققوا
أنتم رجال غد وقد أوفى غد

(٣٦) إلى الأستاذ أحمد لطفي السيد بك (باشا)

وجّهها إليه حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة ١٩٢٤م

بلد عن الأخلاق عاري
دل في مقامك أو يماري
أدب الكتابة والحوار

يا كاسي الأخلاق في
لم يبق فينا من يُجا
بالأمس قد علمتنا

واليوم قد أطفئنا
 بكتاب رسطاليس تا
 جاهدت في تفصيله
 تزن الكلام كأنه
 وتصون معنى ربه
 وتضن دهمقان الكلا
 حتى حسبتك في الأنا
 صنعا يصور في الفصو
 إنني قرأت كتابه
 فإذا المترجم ماثل
 وعليهما نور يفي
 قالوا: لقد هجر السيا
 ترك المجال لغيره
 لا تظلموا ربّ النهى
 هجر السياسة للسيا
 لو أنهم علموا الذي
 لسعوا إلى حامي الفضيل
 وافاهم بدعائم الـ
 أس السياسة والنجا
 كلفت بها وتمسكت
 يا عاشق الخلق الصري
 إنني اختبرتك في الكهو
 لم يجز في ناديك هج
 خلوا التواضع والتوا
 مرر التكبر حين يد
 سر في طريقك وإدعا
 واجعل على لقم الطري

بالطيات من الثمار
 ج نواير الفلك المدار
 ووصلت ليالك بالنهار
 ماس بميزان التجار
 صون اللآلئ في المحار
 م كضن دهمقان النضار
 ة والأختبار والأختيار
 ص لدى الفراعنة الكبار
 بين الخشوع والاعتبار
 جنب المؤلف في إطار
 ض من المهابة والوقار
 سة وانزوى في عقر دار
 ورأى النجاة مع الفرار
 وحذار من خطل حذار
 سة لا لنوم أو قرار
 يبني لهم خلف الستار
 لة والحقيقة والذمار
 أخلاق والحكم السواري
 ح وجضن سيده البحار
 قبل الفيالق والجواري
 ح وشانئ الخلق المواري
 لة والصبا حق اختبار
 ر القول أو خلع العذار
 ضع آية القوم الخيار
 عوك التواضع للصغار
 فلأنت مأمون العثار
 ق صوى تلوح لكل ساري

سَة) يَا حَكِيمُ عَلَى أَوَارِ	إِنَّا إِلَى (كُتِبَ السِّيا
دِ) وَقَبْلَ عَادِيَةِ الْبَوَارِ	عَجَلُ بِهَا قَبْلَ (الفسا
أَقْطَابِهَا أُسْدُ ضَوَارِي	إِنَّا نُنَاضِلُ أُمَّةً
وَتَحَصَّنُوا مِنْ كُلِّ طَارِي	عَرَكُوا الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ
سَمِ يُحَيِّرُ كُلَّ قَارِي	أَمَسَتْ سِيَاسَتُهُمْ كَطَلُ
ضِ عَلَى أَدِيبٍ ذِي اقْتِدَارِ	إِنْ يُنْكِرُوا بَعْضَ الْغُمو
أَنَّ الْمُتَرْجِمَ فِي إِسَارِ	فَلَأَنْتَهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا
ءَ بَايَ قَيْسٍ أَوْ نِزَارِ	لَمْ يَعْيَ أَحْمَدُ أَنْ يَجِي
لَيْبِ الْفَصَاحَةِ وَالْمُبَارِي	وَهُوَ الْمُجَلِّي فِي أَسَا
هِي عَنْ زَخَارِفِنَا غَوَارِي	لُغَةِ الْعُلُومِ حَقَائِقُ
إِغْرَاقَ كَالثَوْبِ الْمُعَارِ	تَأْبَى الْغُلُوَّ وَتَحْسَبُ الـ
نَّةَ كَانَ عُنْوَانُ الْخَسَارِ	وَالنَّقْلُ إِنْ عَدِمَ الْأَمَا

(٣٧) إلى حفني بك محمود (نشرت في ١١ مايو سنة ١٩٢٦م)

قالها حين رشحه الوفد لعضوية البرلمان عن بندر الجيزة

أَدَبِ السَّرِيِّ وَيَا فَتَى الْفِتْيَانِ	يَا كَاسِي الْخُلُقِ الرِّضِيِّ وَصَاحِبَ الـ
بِسِهَامِهِ عَنْ حَوْرَةِ الْأَوْطَانِ	إِنْ رَشَّحُوكَ فَأَنْتَ مِنْ بَيْتٍ رَمَى
وَنَقْيَ إِيْمَانٍ وَحُسْنُ بَيَانِ	زَكَاكِ إِقْدَامٍ وَرَأْيٍ شَاهِدُ
مَا فِيكَ يَا (حَفْنِي) مِنْ رِضْوَانِ	لَوْ كُنْتَ بَيْنَ النَّاخِبِينَ لَأَذْرَكُوا

(٣٨) إلى سعد زغلول باشا (نشرت في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦م)

أنشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على الباخرة دندرة

مَيْسَ الْعُرُوسِ مَشَتْ عَلَى إِسْتَبْرَقِ	مَا بِالْ (دَنْدَرَةِ) تَمِيسُ تَهَادِيًا
---	---

والنَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهَا مُتَهَلِّلًا
أَلْعَلَّهَا وَالتَّيُّهُ يَنْثِي عِطْفَهَا
إِنِّي أَرَى نُورًا يَفِيضُ وَطَلْعَةً
هَذَا زَعِيمُ النَّيْلِ حَلَّ عَرِينَهُ
وَتَيَمَّنِي بِقُدُومِهِ وَتَرْفَقِي
وَتَنْظُرِي إِنَّ الْخَلَاصَ مُحْتَمٌّ
كَمْ أَزْمَةٍ مَرَّتْ بَنَا فَاجْتَاَحَهَا
يَأْيُهَا السَّبَّاقُ فِي طَلَبِ الْعُلَا
سَبَقَ الْبَشِيرَ رِكَابُ سَعْدٍ جَارِيًا

وَالْمَوْجُ بَيْنَ مُهَلَّلٍ وَمُصَفَّقٍ
حَمَلْتُ رِكَابَ زَعِيمِ قَلْبِ الْمَشْرِقِ
قَدْ زَانَهَا وَضَحَ الْجَبِينِ الْمُشْرِقِ
بَعْدَ الْغِيَابِ فَيَا وَفُودُ تَدَفَّقِي
عِنْدَ الزَّحَامِ فَسَلِّمِي وَتَفَرَّقِي
فَاللَّهُ أَسْلَمَ أَمْرَنَا لِمُؤَوَّقِ
(سَعْدُ) بِسَيْلِ بَيَانِهِ الْمُتَدَفَّقِ
هَا قَدْ أَتَيْتِ مُجَلِّيًّا لَمْ نُسَبِّقِ
وَرِكَابُ سَعْدٍ وَإِنِّيَا لَمْ يُلْحَقِ

(٣٩) تهنئة أحمد شوقي بك

أنشدتها في المهرجان الذي أقيم لتكريمه بالأوبرا في ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٧م وقد اشترك فيه بعض شعراء الأقطار الشرقية

بَلَابِلَ وَادِي النَّيْلِ بِالْمَشْرِقِ اسْجَعِي
أَعْيِدِي عَلَى الْأَسْمَاعِ مَا غَرَّدَتْ بِهِ
بَرَاهَا لَهُ الْبَارِي فَلَمْ يَنْبُ سِنَّهَا
مَوَاقِعُهَا فِي الشَّرْقِ وَالشَّرْقُ مُجْدِبٌ
لَدَيْهَا وَفُودُ اللَّفْظِ تَنْسَاقُ خَلْفَهَا
إِذَا رَضِيَتْ جَاءَتْ بِأَنْفَاسِ رَوْضَةٍ
أَحْنُ عَلَى الْمَكْدُودِ مِنْ ظِلِّ دَوْحَةٍ
عَلَى سِنَّهَا رَفَقَ يَسِيلُ وَرَحْمَةٌ
تَسَابِقُ فَوْقَ الطَّرْسِ أَفْكَارُ رَبِّهَا
تَطِيرُ بُرُوقُ الْفِكْرِ خَلْفَ بُرُوقِهَا
تُحَاوِلُ قُوَّتُ الْفِكْرِ لَوْ لَمْ تَكُفَّهَا
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا بِذُخْرِي نَبَاغَةٌ

بِشَعْرِ أَمِيرِ الدَّوْلَتَيْنِ وَرَجَّعِي
يِرَاعَةً شَوْقِي فِي ابْتِدَاءٍ وَمَقْطَعِ
إِذَا مَا نَبَا الْعَسَّالُ فِي كَفِّ أَرْوَعِ
مَوَاقِعِ صَيْبِ الْغَيْثِ فِي كُلِّ بَلْقَعِ
وُفُودُ الْمَعَانِي خُشَعًا عِنْدَ خُشَعِ
وَإِنْ غَضِبَتْ جَاءَتْ بِنُكْبَاءِ زَعَزَعِ
وَأَحْنَى عَلَى الْمَوْلُودِ مِنْ تَذِي مُرْضِعِ
وَرَوْحُ لَمَنْ يَأْسَى وَذِكْرَى لَمَنْ يَعِي
سَبَاقُ جِيَادٍ فِي مَجَالِ مُرْبَعِ
تُنَاشِدُهَا بِاللَّهِ لَا تَتَسَرَّعِي
أَنَامِلُهُ كَفَّ الْجَمُوحِ الْمُرُوعِ
نُفَاحَرُ أَهْلِ الشَّرْقِ فِي أَيِّ مَجْمَعِ

وَنَزِدَادُ فَخْرًا مِنْ (عَلِيٍّ) بِمَبْضَعٍ
وَتِلْكَ شِفَاءُ الْوَالِدِ الْمُتَوَجِّعِ
وَلَيْزُنُ عَيْشٍ فِي مَصِيفٍ وَمَرْبَعِ
يُنَشِّأُ عَلَى النُّعْمَى وَيَمْرُخُ وَيَرْتَعِ
فَتَيِّ الْهَوَى وَالْقَلْبِ جَمَّ التَّمَتُّعِ
وَإِتْيَانِهِ بِالْمُعْجِزِ الْمُتَمَتِّعِ
وَشَيَّبَتِ الْهَيْجَاءُ رَأْسَ الْمُدْرَعِ
وَمَا ذَاكَ عَنْ عِيٍّ بِهِ أَوْ تَرْفَعِ
لَايَاتِهِ أَوْ أَنْ يَجِيءَ بِمُسْمِعِ
(بهارون) مَا يَأْمُرُهُ بِالْوَحْيِ يَصْدَعِ
وَأَيَّامَ (فِرْعَوْنَ) وَمَعْبُودِهِ (رَعِ)
وَمَا قُلْتَ فِي أَهْرَامِ (خُوفُو) وَ(خَفَرَعِ)
مَعَ النَّيِّرَاتِ الزُّهْرِ خُصَّتْ بِمَطْلَعِ
يَنَابِيعِ هَذَا الْفِكْرِ أَمْ (أَخْتُ يُوْشَعَ)
وَفِي (نَاشِئٍ فِي الْوَرْدِ) إِلَهَامُ مُبْدِعِ
كَمَا نَثَرْتُ (رَيْمٌ عَلَى الْقَاعِ) أَدْمَعِي
عَلَى الدَّهْرِ قَدْ أُنْسَى جَمَالَ (الْمُقَنِّعِ)
أَطَلَّتْ فَكَانَتْ لِلنُّهَى خَيْرَ مَسْرَعِ
مِنَ السَّهْلِ لَا تَنْقَادُ (لَابَنِ الْمُقَفِّعِ)
كَبُسْتَانِ نَوْرِ قَبْلَ رَعِيكَ مَا رُعِي
يُجِيدُ دَقِيقَ الْفَنِّ فِي جَوْفِ مَصْنَعِ
وَأَنَّهُ مَقْرُوحُ الْفُؤَادِ مُوَرَّعِ
وَمَا ابْتَدَلُوا مِنْ خِدْرِهَا الْمُتَرَفِّعِ
وَلَا تَحْذَرُ الْمَخْبُوءَ لِلْمُتَسَمِّعِ
بِسِينِيَّةٍ قَدْ أَخْرَسَتْ كُلَّ مُدَّعِي
عَلَى كُلِّ جَبَّارٍ الْقَرِيحَةَ أَلْمَعِي
وَهَاجَتْ بِكَ (الْحَمْرَاءُ) أَشْجَانُ مُوَجِّعِ

نُفَاجِرُ مِنْ (شَوْقِيْنَا) بِيرَاعَةٍ
فَذَاكَ شِفَاءُ الْجِسْمِ تَدْمَى جِرَاحُهُ
نَمَتِكَ ظِلَالٌ وَارِفَاتٌ وَأَنْعُمُ
وَمَنْ كَانَ فِي بَيْتِ الْمُلُوكِ ثَوَاؤُهُ
لَقِنْ عَجَبُوا أَنْ شَابَ (شَوْقِي) وَلَمْ يَزَلْ
لَقَدْ شَابَ مِنْ هَوْلِ الْقَوَافِي وَوَقَّعَهَا
كَمَا شَيَّبَتْ هُوْدُ ذُؤَابَةَ أَحْمَدِ
يَعِيبُونَ (شَوْقِي) أَنْ يُرَى غَيْرَ مُنْشِدِ
وَمَا كَانَ عَابًا أَنْ يَجِيءَ بِمُنْشِدِ
فَهَذَا (كَلِيمُ اللَّهِ) قَدْ جَاءَ قَبْلَهُ
بَلَّغَتْ بِوَصْفِ النَّيْلِ مِنْ وَصْفِكَ الْمَدَى
وَمَا سُقَّتْ مِنْ عَادِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا
فَأَطْلَعَتْهَا شَوْقِيَّةٌ لَوْ تَنَسَّقَتْ
أَمِنْ أَيِّ عَهْدٍ فِي الْقُرَى) قَدْ تَفَجَّرَتْ
وَفِي (تَوْتٍ) مَا أَعْيَا ابْتِكَارَ مُوَفَّقِ
أَسَأَلْتُ (سَلَا قَلْبِي) شُئُونِي تَذَكَّرَا
و(سَلْ يَلْدِزَا) إِنِّي رَأَيْتُ جَمَالَهَا
أَطَلَّتْ عَلَيْنَا (أَخْتُ أُنْدَلِسِ) بِمَا
وَفِي نَسَجِ (صُدَاحِ) أَتَيْتَ بَأْيَةٍ
وَرَائِعِ وَصْفِ فِي (أَبِي الْهَوْلِ) سُقَّتَهُ
خَرَجْتَ بِهِ عَنْ طَوْقِ كُلِّ مُصَوِّرِ
وَفِي (انْظُرْ إِلَى الْأَقْمَارِ) زَفَرَةٌ وَاجِدِ
بَكَيْتَ عَلَى سِرِّ السَّمَاءِ وَطُفَّرَهَا
شَيَاطِينُ إِنْسٍ تَسْرِقُ السَّمْعَ خُلْسَةً
وَسِينِيَّةٍ (لِلْبُحْثَرِيِّ) نَسَخَتْهَا
أَتَى لَكَ فِيهَا طَائِعًا كُلُّ مَا عَصَى
شَجَا (الْبُحْثَرِيِّ) إِيوَانُ (كِسْرَى) وَهَاجَهُ

وَقَفَّتْ بِهَا تَبْكِي الرُّبُوعَ كَمَا بَكَى
فَنَسَجُكَ كَالدِّيْبَاجِ حَلَاهُ وَشَيْه
وَشَعْرُكَ مَاءَ النَّهْرِ يَجْرِي مُجَدِّدًا
أَأَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضُّهُ
وَقَلْبِي اذْكُرْتَ الْيَوْمَ غَيْرَ مُوَفَّقٍ
تَمَلَّكَتْ مِنْ مُلْكِ الْقَرِيضِ فَسِيحَهُ
فَبَالِلِهِ دَعُ لِلنَّاتِرِينَ وَسِيلَةً
عَمِلْتَ عَلَى نَيْلِ الْخُلُودِ فَنِلْتَهُ
جَلَا شَعْرُهُ لِلنَّاسِ مِرَاةَ عَصْرِهِ
يَجِيءُ لَنَا أَنَا (بِأَحْمَدَ) مَاثِلًا
وَيَشْتَوِ رُقَى (هُوجُو) وَيَأْتِي نَسِيبُهُ
وَإِنْ خَطَرْتُ ذِكْرَى الْفُحُولِ بِفَارِسِ
أَتَانَا بَرُوضِ مُزْهِرٍ مِنْ رِيَاضِهِمْ
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي مَدَاهُ مُنَافِسًا
فَذَلِكَ سَيْفُ سَلُّهُ اللَّهُ قَاطِعُ
وَهَلْ تَدْفَعُ الدَّرْعَ الْمَنْيَعَةَ صَارِمًا
نُفَيْتَ فَلَمْ تَجْزَعْ وَلَمْ تَكْ ضَارِعًا
وَأُخْصِبْتَ فِي الْمَنْفَى وَمَا كُنْتَ مُجَدِّبًا
لَقَدْ زَادَ (هُوجُو) فِيهِ خِصْبَ قَرِيحَةٍ
وَأَذْرَكَ (سَامِي) بِالْجَزِيرَةِ غَايَةً
تَذْكُرْتَ عَذْبَ النَّيْلِ وَالنَّفْسُ صَبَّةً
وَأَرْسَلْتَ تَسْتَسْقِي بَنِي مِصْرَ شَرْبَةً
أَنْزَوَى وَلَا تَرْوَى وَأَنْتَ أَحَقُّنَا
وَإِنْ شِئْتَ عَنَّا يَا سَمَاءُ فَأَقْلَعِي
حَرَامٌ عَلَيْنَا أَنْ نَلْذَّ بِنَهْلَةٍ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَرُدَّكَ سَالِمًا
وَعُدْتَ فَقَرَّتْ عَيْنُ مِصْرٍ وَأُضْبَحَتْ

فِيَا لَكُمَا مِنْ وَاقِفَيْنِ بِأَرْبَعِ
وَفِي النَّسْجِ مَا يَأْتِي بِثَوْبٍ مُرَقَّعِ
وَشَعْرُ سَوَادِ النَّاسِ مَاءٌ بِمَنْقَعِ
مِنَ الْوَحْيِ وَالْإِلَهَامِ أَمْ قَوْلُ لَوْدَعِي
رُقَى السَّحَرِ أَمْ أَنْاتُ أَسْوَانِ مُوَلَّعِ
فَلَمْ تُبْقِ يَا (شَوْقِي) لَنَا قَيْدَ إِصْبَعِ
نُفْيٍ عَلَيْهِمْ وَاتَّقِ اللَّهَ وَاقْنَعِ
فَقُلْ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ يَا رَبِّ أَوْزِعِ
وَمِرَاةَ عَهْدِ الشُّعْرِ مِنْ عَهْدِ (تُبَّعِ)
وَأَوْنَةَ (بِالْبُخْتَرِيِّ) الْمُرْصَعِ
لَنَا مِنْ لِيَالِي (الْفَرِيدِ) بِأَرْبَعِ
وَمَا خَلَفُوا فِي الْقَوْلِ مِنْ كُلِّ مُشْبِعِ
وَحَافِظُهُمْ) فِيهِ يُغْنِي وَيَرْتَعِي
طَمَعْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ فِي غَيْرِ مَطْمَعِ
فَأَيَّانَ يَضْرِبُ يَغْرِ يَرْعَا وَيَقْطَعِ
بِهِ يَضْرِبُ الْمِقْدَارُ فِي كَفِّ سَلْفَعِ
وَمَنْ تَزِمُهُ الْأَيَّامُ يَجْزَعُ وَيَضْرَعِ
وَفِي النَّفْيِ خِصْبُ الْعَبْقَرِيِّ السَّمِيدِعِ
وَأَبَ إِلَى أَوْطَانِهِ جَدِّ مُمْرِعِ
إِلَيْهَا مَلُوكُ الْقَوْلِ لَمْ تَنْتَطَلَّعِ
إِلَى نَهْلَةٍ مِنْ كُوبِ مَاءٍ مُشْعَشَعِ
فَقَطَّعْتَ أَحْشَائِي وَأَضْرَمْتَ أَضْلَعِي
بِرِّي فَيَا قَلْبَ النَّبُوغِ تَقْطَعِ
وَيَا مَاءَهَا فَكُفِّ وَيَا أَرْضُ فَاْبْلَعِي
وَأَنْتَ تُنَادِينَا وَنَحْنُ بِمَسْمَعِ
وَمَنْ يَزَعُهُ يَسْلَمُ وَيَغْنَمُ وَيَرْجِعِ
رِيَاضِ الْقَوَافِي فِي رَبِيعِ مُوَشَّعِ

على الشاطئ الغربي في خير موقع
 بُكُورًا بِرِيًّا عَرَفَهُ الْمُتَضَوِّعُ
 تَهَادِي خَوْدٍ فِي رَدَاءٍ مُجَزَّعٍ
 فَدُونَكِهِ فَابِرْدُ غَلِيلِكَ وَانْقَعِ
 وَهَذِي وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِي
 عَلَى سَاكِنِي النَّهْرَيْنِ وَاصْدَحْ وَأَبْدِعْ
 وَمَرَعَى الْمَهَا مِنْ سَارِحَاتٍ وَرُتَعِ
 نَصِيبًا مِنَ السَّلْوَى وَقَسِّمْ وَوَرِّعْ
 وَفِي الشُّعْرِ زُهْدُ النَّاسِكِ الْمُتَوَرِّعِ
 كَمَا رَوْعُ الْأَعْدَاءِ بَيْتُ (لَأَشْجَعِ)
 وَأَنْتَ لِرِيِّ النَّفْسِ أَغْدَبُ مَنْبَعِ
 وَأَفْنَدَةُ شَدَّتْ إِلَيْهَا بِأَنْسَعِ
 وَأَنْتَ لَهَا يَا شَاعِرَ الشَّرْقِ فَادْفَعِ
 عَلَى النَّفْعِ فَاسْتَنْهَضْ بَيَانِكَ وَانْقَعِ
 إِلَى الْمَجْدِ وَالْعَلْيَاءِ أَكْرَمَ مَنْزَعِ
 سَلَكْنَا طَرِيقًا لِلْهُدَى غَيْرَ مَهْيَعِ
 بِهِنْدٍ وَدَعْدٍ وَالرَّبَابِ وَبَوَزَعِ
 بِسَقَطِ اللَّوَى (وَالرَّقَمَتَيْنِ) (وَلَعْلَعِ)
 وَمَا كَانَ نَوْمُ الشُّعْرِ بِالْمُنَوَّقِعِ
 يَرُونَ مُتَوْنَ الْعَيْسِ أَلَيْنَ مَضْجَعِ
 مَتَى يُعْيِيهَا الْإِيجَافُ فِي الْبِيدِ تَطْلُعِ
 وَلَا السَّلَكُ فِي تَيَّارِهِ الْمُتَدَفِّعِ
 فَأَصْبَحَ بَعْضُ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ مَدْفَعِ
 نَغْنِي بِأَرْمَاحٍ وَبِيضٍ وَأَذْرَعِ
 لَشَيْءٍ جَدِيدٍ حَاضِرِ النَّفْعِ مُمْتَعِ
 وَعُدَّتْنَا نَذْبُ التُّرَاثِ الْمُضَيِّعِ
 بِعَامَةِ رُكْنِ الْمَشْرِقِ الْمُتَزَعِّعِ

وَأَذْرَكْتَ مَا تَبْغِي وَشَيَّدْتَ آيَةً
 يَحْفُ بِهَا رَوْضُ يُحْيِي بُدُورَهَا
 حِمَى يَتَهَادَى النَّيْلُ تَحْتَ ظِلَالِهِ
 لَقَدْ كُنْتَ تَرْجُو مِنْهُ بِالْأَمْسِ قَطْرَةً
 أَمِيرَ الْقَوَافِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايَعًا
 فَغَنَّ رُبُوعَ النَّيْلِ وَاعْطِفْ بِنَظْرَةٍ
 وَلَا تَنْسَ (نَجْدًا) إِنَّهَا مَنِبْتُ الْهُوَى
 وَحَيَّ ذُرًّا (لُبْنَانَ) وَاجْعَلْ (لِتُونُسِ)
 فَفِي الشُّعْرِ حَثُّ الطَّامِحِينَ إِلَى الْعُلَا
 وَفِي الشُّعْرِ مَا يُغْنِي عَنِ السَّيْفِ وَقَعُهُ
 وَفِي الشُّعْرِ إِحْيَاءُ النُّفُوسِ وَرِيُّهَا
 فَتَبُّهُ عُقُولًا طَالَ عَهْدُ رُقَادِهَا
 فَقَدْ غَمَرَتْهَا مِحْنَةٌ فَوْقَ مِحْنَةٍ
 وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا زِلْتَ قَادِرًا
 وَخُذْ بِزِمَامِ الْقَوْمِ وَانزِعْ بِأَهْلِهِ
 وَقِفْنَا عَلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ فَإِنَّا
 مَلَأْنَا طِبَاقَ الْأَرْضِ وَجَدًا وَلَوْعَةً
 وَمَلَّتْ بَنَاتُ الشُّعْرِ مَنَا مَوَاقِفًا
 وَأَقْوَامُنَا فِي الشَّرْقِ قَدْ طَالَ نَوْمُهُمْ
 تَغَيَّرَتِ الدُّنْيَا وَقَدْ كَانَ أَهْلُهَا
 وَكَانَ بَرِيدُ الْعِلْمِ عَيْرًا وَأَيْنُقَا
 فَأَصْبَحَ لَا يَرْضَى الْبُخَارَ مَطِيَّةً
 وَقَدْ كَانَ كُلُّ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ نَبْلَةٍ
 وَنَحْنُ كَمَا غَنَى الْأَوَائِلُ لَمْ نَزَلْ
 عَرَفْنَا مَدَى الشَّيْءِ الْقَدِيمِ فَهَلْ مَدَى
 لَدَى كُلِّ شَعْبٍ فِي الْحَوَاثِ عُدَّةٌ
 فَيَا ضَيِّعَةَ الْأَقْلَامِ إِنْ لَمْ نَقُمْ بِهَا

أَتَمْشِي بِهِ شَمَ الْأَنْوَفِ عُدَاتِهِ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ يَا بَنِي الشَّرْقِ أَنْ تُرَى
وَأَعْلَامُهُ مِنْ فَوْقِهِ غَيْرَ خَفَقَ
وَكَيْفَ يُوقَى الشَّرُّ أَوْ يَبْلُغَ الْمُنَى
فَإِنْ كُنْتَ قَوَالاً كَرِيماً مَقَالَهُ
وَرَبُّ الْحِمَى يَمْشِي بِأَنْفِ مُجَدِّعٍ
كَوَإِكْبِهِ فِي أَفْقِهِ غَيْرَ طُلَعٍ
وَأَقْلَامُهُ مِنْ تَحْتِهَا غَيْرَ شُرْعٍ
عَلَى مَا نَرَى مِنْ شَمْلِهِ الْمُتَصَدِّعِ
فَقُلْ فِي سَبِيلِ النَّيْلِ وَالشَّرْقِ أَوْ دَعِ

(٤٠) إلى المحتفلين بتكريم حافظ (نشرت في ٣١ يناير سنة ١٩٢٨م)

بيتان قالهما في المأدبة التي أقامها بعض أدباء الغرب في (جروبي) لتكريمه هو (وشوقي)
(ومطران)

قَدْ قَرَأْنَاكُمْ فَهَشَّتْ نُهَانَا
فَاقْرَءُونَا وَمَنْ لَنَا أَنْ تُصِيبُوا
فَاقْتَبَسْنَا نُورًا يَضِيءُ السَّبِيلَا
بَيْنَ أَفْكَارِنَا شُعَاعًا ضَيَّالَا

(٤١) تحية لجمعية المرأة الجديدة (نشرت في ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨م)

إِلَيْكَ يُهْدِي النَّيْلُ أَلْفَ تَحِيَّةٍ
وَيُنْثَنِي عَلَى أَعْمَالِكَ مُوَكَّلِي
أَقَمْتَنَ بِالْأَمْسِ الْأَسَاسَ مُبَارَكَا
صَنَعْتَنَ مَا يُعْيِي الرِّجَالَ صَنِيعُهُ
يَقُولُونَ: نَصَفَ النَّاسَ فِي الشَّرْقِ عَاطِلٌ
وَهَذِي بَنَاتُ النَّيْلِ يَعْمَلْنَ لِلنَّهْيِ
وَفِي السَّنَةِ السَّوَدَاءِ كُنْتَنَ قُدْوَةً
وَقَفْتَنَ فِي وَجْهِ الْخَمِيسِ مُدَجِّجَا
وَمَا هَالَكُنَّ الرُّمَحُ وَالسَّيْفُ مُصَلَّتَا
تَعَلَّمَ مِنْكَ الرِّجَالُ فَأَصْبَحُوا

مُعْطَرَّةٌ فِي أَسْطَرِ عَطِرَاتِ
بِإِطْرَاءِ أَهْلِ الْبَرِّ وَالْحَسَنَاتِ
وَجِئْتَنَ يَوْمَ الْفَتْحِ مُغْتَبِطَاتِ
فَزِدْتَنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
نِسَاءً قَضَيْنَ الْعُمَرَ فِي الْحُجَرَاتِ
وَيَغْرِسْنَ عَرْسًا دَانِي الثَّمَرَاتِ
لَنَا حِينَ سَالِ الْمَوْتِ بِالْمُهْجَاتِ
وَكُنْتَنَ بِالْإِيمَانِ مُغْتَصِمَاتِ
وَلَا الْمِدْفَعُ الرَّشَاشُ فِي الطَّرْقَاتِ
عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلَ ثَبَاتِ

(صَفِيَّةٌ) قَادَتْكَنَّ لِلْمَجْدِ وَالْعُلَا
عَرَفْنَا لَهَا فِي مَجْدٍ (سَعْدٍ) نَصِيبَهَا
تَهَوُّنٌ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ هُجُومَهُ
وَتَدْفَعُهُ لِلْمَوْتِ وَالتَّغَرُّ بِاسْمٍ
كَذَا فَلْيَكُنْ صُنْعُ الْكَرِيمِ وَصَبْرُهُ
لِتَحْيَا الْغَوَانِي فِي ظِلَالِ مَلِيكَةٍ
وِظَلٍّ (فُؤَادٌ) مَفْخَرُ الشَّرْقِ كُلِّهِ
كَمَا كَانَ (سَعْدٌ) قَائِدَ السَّرَوَاتِ
مِنْ الْحَزْمِ وَالْإِقْدَامِ فِي الْأَزْمَاتِ
عَلَى الْهَوْلِ بِالتَّشْجِيعِ وَالْبِسْمَاتِ
وَفِي صَدْرِهَا نَوَاءٌ مِنَ الزَّفَرَاتِ
عَلَى دَهْرِهِ وَالِدَّهْرُ غَيْرُ مُوَاتِي
سَمَتْ فِي مَعَالِيهَا عَلَى الْمَلِكَاتِ
كَثِيرَ الْأَيَادِي صَادِقَ الْعَزَمَاتِ

(٤٢) إِلَى مُحَمَّدٍ حُسَيْنِ هَيْكَلِ بَكٍ وَخَلِيلِ مَطْرَانَ بَكٍ (نُشِرَتْ فِي ١٨ أBRIL سَنَةِ ١٩٢٨م)

قَالَهَا فِي مَنَازِرَةٍ كَانَتْ بَيْنَ هَيْكَلٍ وَمَطْرَانَ فِي مَدْرَجِ كَلِّيَةِ الْآدَابِ، مَوْضُوعُهَا: «هَلِ الْآدَبُ الْعَرَبِي — قَدِيمُهُ وَحَدِيثُهُ — يَكْفِي وَحْدَهُ لَتَكْوِينِ الْآدِيبِ؟»

سَمَا الْخَطِيبَانِ فِي الْمَعَالِي
جَالًا فَلَمْ يَتْرُكَا مَجَالًا
فَلَسْتُ أَذْرِي عَلَى اخْتِبَارِي
فَوْحِي عَقْلِي يَقُولُ: هَذَا
وَدِدْتُ لَوْ كُلُّ نَبِيٍّ غُرُورٍ
وَجَارَ شَاوَاهُمَا السَّمَاكَ
وَاعْتَرَكَا بِالنُّهَى عِرَاكَ
مَنْ مِنْهُمَا جَلٌّ أَنْ يُحَاكِي
وَوَحْيِي قَلْبِي يَقُولُ: ذَاكَ
أَمْسَى لِنَعْلَيْهِمَا شِرَاكَ

(٤٣) تَحِيَّةُ الشَّامِ (نُشِرَتْ فِي ٢ يُونِيهِ سَنَةِ ١٩٢٩م)

أَنَشَدَهَا فِي الْحَفْلِ الَّذِي أَقِيمَ لِسَمَاعِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ بِالْجَامِعَةِ الْأَمِيرِكِيَّةِ بِبَيْرُوتِ

حَيًّا بَكُورُ الْحَيَا أَرْبَاعَ لُبْنَانَ
أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي
قُلْ لِلْكَرِيمِ الَّذِي أَسْدَى إِلَيَّ يَدًا
وِطَالَعَ الْيُمْنُ مَنْ بِالشَّامِ حَيَّانِي
بِمِنَّةٍ خَرَجَتْ عَنْ طَوْقِ تَبْيَانِي
أَنْنَى نَزَحْتُ فَأَنْتَ النَّازِحُ الدَّانِي

هل يحدثُ الذِّكرُ إلا بعدَ نسيانٍ
ما دامَ يزهدُ في شُكري وعِرفاني
في مَعهَدٍ بحلّى العِرفانِ مُزدانٍ
ردُّ الشَّبابِ إلى شُغري وجُثماني
ولي هنا في حِمَاكُم مَوْطِنُ ثانِي
من الجَلالِ أراها فَوْقَ (لُبْنانِ)
على التَّعاقِبِ ما يَمحو الجَديدانِ
أهلي وصَحبي وأحبابي وجيرانِي
بالخَطْبِ مُبْتَهَجٍ بالضَّيفِ جَدلانِ
كأنَّه حينَ يَبْدو عودُ مُرَّانِ
عَيْبُ سَوَى أَثَها في العالمِ الفاني
لم تَلَقَ في وَشِيهِ صُنْعًا لِإنسانِ
بُرْءُ العليلِ وسلوى العاشِقِ العاني
رَوْحٌ لكلِّ حَزِينِ القلبِ أَسوانِ
في كلِّ مَنزِلَةٍ رَوْضُ وَعِينانِ
قلبي جَميعُ وأمري طَوْعُ وجَداني
ولا أحولُ عن المَشْتَى (بَحْلوانِ)
بين الصَّنوبرِ والشَّرْبِينِ والبانِ
وينتَنِي مَلَكًا في الشُّعْرِ شَيْطاني
بشاعِرِ الأرزِ في صُنْعِ وإِتقانِ
فأعجَزْتُ وأعادْتُ عَهْدَ (حَسانِ)
لَوْحِ الخَيالِ فأغراكُم وأغراني
فليَغشَ أحياءُكُم في شَهرِ نَبسانِ
وتاهَ أحياءُها تِيهاً (بمَطْرانِ)
عُرِ الحديثِ فَنِعَمَ الهادِمِ الباني
فَبَعْضُ إحسانِهِ في القَوْلِ إحساني
جَزاهُما اللُّهُ عَنِّي ما يَقولانِ

ما إنْ تَقاضَيْتُ نَفْسي ذِكْرَ عارِفَةٍ
ولا عَتَبْتُ على خَلٍّ يَضُنُّ بها
أَقَرَّ عَيْنِي أَنِّي قُمْتُ أَنْشِدُكُم
وشاعَ في سُرورٍ لا يُعادِلُهُ
لي مَوْطِنُ في رُبوعِ النِّيلِ أَعْظَمُهُ
إِنِّي رأيتُ على أَهرامِها حُللاً
لم يَمَحُ منها ولا من حُسْنِ جَدَّتِها
حَسِبْتُ نَفْسي نَزِيلاً بينكم فإذا
من كلِّ أبلَجٍ سامي الطَّرَفِ مُضْطَلَعِ
يَمشي إلى المَجْدِ مُخْتالاً ومُبْتَسِماً
سَكَنْتُمُ جَنَّةً فَيَحاءَ ليس بها
إذا تَأَمَّلْتَ في صُنْعِ الإلهِ بها
في سَهْلِها وأعالِياها وسلْسَلِها
وفي تَضَوُّعِ أنفاسِ الرِّياضِ بها
أَنِّي تَخَيَّرْتُ من (لُبْنانِ) مَنزِلَةً
يا لَيْتَنِي كُنْتُ من دُنْيايَ في دَعَةٍ
أَقْضي المصِيفَ بلُبْنانِ على شَرَفِ
يا وَقْفَةٍ في جِبالِ الأرزِ أَنْشُدُها
تَسْنَهِيْطُ الوَحْيِ نَفْسي من سَماوَتِها
عَلَيَّ أَجاودُكُم في القَوْلِ مُقْتَدِيًا
لا بَدْعَ إنْ أَخْصَبَتْ فيها قرائِحُكُم
طِيبُ الهِواءِ وطِيبُ الرِّوْضِ قد صَقَلَا
مَنْ رامَ أنْ يَشْهَدَ الفِرْدَوْسَ ماثِلَةً
تاهَتْ بِقَبْرِ (صلاحِ الدِّينِ) تُرْبَتُها
يَبْنِي وَيَهْدِمُ في الشُّعْرِ القَديمِ وفي الشِّـ
إذا لَمَحْتُمُ بِشُغْري وَمَضَ بارِقَةٌ
رَعِيًا لِشاعِرِكُم، رَعِيًا لِكاتِبِكُم

نِيا القَدِيمَةِ تَبْنِي خَيْرَ بُنْيَانٍ
 شَتَّى المَناهِلِ تَرْوِي كُلَّ ظَمْآنٍ
 تَهْدِي أَوَائِلُهُمْ أَزْمَانَ أَزْمَانٍ
 فِيهَا أَفَانِينَ إِصْلَاحٍ وَعُفْرَانٍ
 أَعْنَةَ الرِّيحِ مِنْ دُنْيَا سَلِيمَانٍ
 عَلَى المَدَى وَأَبَى أَبْنَاءِ غَسَّانٍ
 وَمِنْ غَطَارِفَةٍ فِي أَرْضِ (حَوْرَانٍ)
 عِزُّ الحَيَاةِ وَعِزُّ المَوْتِ سَيَّانٍ
 بَاغٍ مِنَ الإِنْسِ أَوْ طَاغٍ مِنَ الجَانِ
 عَيْنَايَ فِي سَاحِهَا حَانُوتَ يُونَانِي
 لَيْسَ الفَلَاحُ لِوَانٍ غَيْرِ يَقْظَانٍ
 مِنْهُمْ بَوَظْءٍ غَرِيبِ الدَّارِ حَيْرَانٍ
 بَلَاءٌ مُضْطَلِعٍ بِالأَمْرِ مِعْوَانٍ
 صَاحَتْ بِهِمْ فَأَرْوَهَا أَلْفَ مِيدَانٍ
 تَأْبَى المَقَامَ عَلَى ذُلٍّ وَإِذْعَانٍ
 ذُرَا الشَّوَامِخِ أَوْ أَجْوَافِ حَيْتَانٍ
 وَالْغَرْسُ يَزْكُو نِقَالاً بَيْنَ بُلْدَانٍ
 فِي المُهَاجِرِ قَدْ عَزُّوا بِسُلْطَانٍ
 فِي المُهَاجِرِ قَدْ جَاءُوا بِبُرْهَانٍ
 كَانُوا عَلَيْهِمْ لَدَيْنَا خَيْرَ عُثْوَانٍ
 أَهْلٌ بِأَهْلٍ وَإِخْوَانٌ بِإِخْوَانٍ
 (لِلْيَازِجِيِّ) وَ(صَرْوُفٍ) وَ(زَيْدَانٍ)
 لَهُ (المُقْطَمُ) وَ(الأَهْرَامُ) رُكْنَانِ
 عَنْ مَطْمَعِ الغَرْبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنَانِ
 كَجِرْيَةِ المَاءِ فِي أَثْنَاءِ أَفْنَانِ
 وَمُسْلِمٍ وَيَهُودِيٍّ وَنَصْرَانِيٍّ
 عَلَيْهِ قَدْ أَذْبَرْتُ مِنْ غَيْرِ إِيْذَانِ

أَرَى رَجَالاً مِنَ الدُّنْيَا الجَدِيدَةِ فِي الدِّ
 قَدْ شَيَّدُوا آيَةً بِالشَّامِ خَالِدَةً
 لئِنْ هَدَوْكُم لَقَدْ كَانَتْ أَوَائِلُكُمْ
 لَا غَرَوَ إِنْ عَمَّرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَكَّرُوا
 فَتِلْكَ دُنْيَاهُمْ فِي الجَوِّ قَدْ نَزَعَتْ
 أَبَتْ أُمِّيَّةٌ أَنْ تَفْنَى مَحَامِدُهَا
 فَمِنْ غَطَارِفَةٍ فِي (جَلِّقٍ) نُجِبٍ
 عَافُوا المَذَلَّةَ فِي الدُّنْيَا فَعِنْدَهُمْ
 لَا يَصْطَبِرُونَ عَلَى ضَمِيمٍ يُحَاوِلُهُ
 شَقَقْتُ أَسْوَاقَ (بَيْرُوتٍ) فَمَا أَخَذْتُ
 فَقُلْتُ فِي غِبْطَةٍ: لِلَّهِ دَرُهُمْ
 تَيَمَّمُوا أَرْضَ كَوْلُمِبٍ فَمَا شَعَرْتُ
 سَادُوا وَشَادُوا وَأَبْلَوْا فِي مَنَاكِبِهَا
 إِنْ ضَاقَ مِيدَانُ سَبْقٍ مِنْ عَزَائِمِهِمْ
 لَا يَسْتَشِيرُونَ إِنْ هَمُّوا سِوَى هَمِّ
 وَلَا يُبَالُونَ إِنْ كَانَتْ قُبُورُهُمْ
 فِي الكَوْنِ مَوْرُقُهُمْ فِي الشَّامِ مَغْرُسُهُمْ
 إِنْ لَمْ يَفُوزُوا بِسُلْطَانٍ يُقَرُّهُمْ
 أَوْ ضَاقَتْ الشَّامُ عَنْ بُرْهَانٍ قُدْرَتِهِمْ
 إِنَّا رَأَيْنَا كِرَامًا مِنْ رَجَالِهِمْ
 أَنَّى التَّقِينَا التَّقَى فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ
 كَمْ فِي نَوَاحِي رُبُوعِ النِّيلِ مِنْ طَرْفٍ
 وَكَمْ لِأَحْيَائِهِمْ فِي الصُّخْفِ مِنْ أَثَرٍ
 مَتَى أَرَى الشَّرْقَ أَدْنَاهُ وَأَبْعَدَهُ
 تَجْرِي المَوَدَّةُ فِي أَغْرَاقِهِ طُلُقًا
 لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ بُودِيٍّ يَعْيشُ بِهِ
 مَا بَالُ دُنْيَاهُ لِمَا فَاءَ وَارِفُهَا

عَهْدُ (الرَّشِيدِ) (بِبَغْدَادٍ) عفا ومضى
ولا تَسَلْ بَعْدَهُ عَنْ عَهْدِ (قُرْطُبَةِ)
فَعَلِّمُوا كُلَّ حَيٍّ عِنْدَ مَوْلِيهِ:
حَتَّمْ قِضَاؤُهُمَا، حَتَّمْ جَزَاؤُهُمَا
(النَّيْلُ) وَهُوَ إِلَى (الأُرْدُنِّ) فِي شَغَفٍ
وَفِي (العِرَاقِ) بِهِ وَجَدُ (بِدِجْلَتِهِ)
إِنْ دَامَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ مُدَابَرَةٍ
رَأَيْتُ رَأْيَ (المَعَرِّي) حِينَ أَرْهَقَهُ
لَا تَطْهَرُ الأَرْضُ مِنْ رَجَسٍ وَمِنْ دَرَنٍ
وَلَى الشَّبَابُ وَجَارَتْنِي فُتُوْتُهُ
وَقَدِ وَقَفْتُ عَلَى السَّتِّينَ أَسْأَلُهَا
شَاهَدْتُ مَضْرَعَ أَتْرَابِي فَبَشَّرَنِي
كَمْ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَأَوْجَعَنِي
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ
إِنِّي مَلِلْتُ وَقُوفِي كُلَّ آوَنَةٍ
إِذَا تَصَفَّحْتَ دِيوَانِي لَتَقْرَأَنِي
أَتَيْتُ مُسْتَشْفِيًا وَالشَّوْقُ يَدْفَعُ بِي
فَأَنْزِلُونِي مَكَانًا أَسْتَجِمُّ بِهِ
وَجَنِّبُونِي عَلَى شُكْرِ مَوَائِدِكُمْ
حَسْبِي وَحَسْبُ النُّهَى مَا نِلْتُ مِنْ كَرَمٍ

وَفِي (دِمَشْقٍ) انطوى عَهْدُ (ابنِ مَرْوَانَ)
كَيْفَ انْتَمَحَى بَيْنَ أَسْيَافٍ وَنِيرَانٍ
عَلَيْكَ لِلَّهِ وَالْأَوْطَانِ دَيْنَانِ
فَارْبًا بِنَفْسِكَ أَنْ تُمْنَى بِخُسْرَانٍ
يُهْدِي إِلَى (بَرْدَى) أَشْوَاقَ وَلَهَانٍ
و(بِالْفُرَاتِ) وَتَحْنَانُ (لِسَيِّحَانِ)
وَفِتْنَةً بَيْنَ أَجْنَاسٍ وَأَدْيَانٍ
مَا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانٍ
حَتَّى يُعَاوِدَهَا (نُوحٌ) بِطُوفَانٍ
وَهَدَمَ السَّقْمُ بَعْدَ السَّقْمِ أَرْكَانِي
أَسَوَّقْتُ أَمْ أَعَدَّتْ حُرَّ أَكْفَانِي
بَضْجَعَةٍ عِنْدَهَا رَوْحِي وَرِيحَانِي
وَكَمْ عَزِيزَ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي
وَلَوْ سَرَاعًا وَخَلُّوا ذَلِكَ الْوَانِي
أَبْكِي وَأَنْظِمُ أَحْزَانًا بِأَحْزَانِ
وَجَدْتُ شِعْرَ المَرَاثِي نِصْفَ دِيوَانِي
إِلَى رُبَاكُمُ وَعُودِي غَيْرُ فَيْنَانِ
وَيَنْجَلِي عَنْ فُؤَادِي بَرْحُ أَحْزَانِي
بِمَا حَوَتْ مِنْ أَفَاوِيهِ وَالْوَانِ
قَدْ كِدْتُ أَنْسَى بِهِ أَهْلِي وَخُلَّانِي

(٤٤) تهنئة محمد محمود باشا (نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩م)

بلقب دكتور الشرف في الحقوق الذي منحته إياه جامعة أكسفورد، وكان رئيساً للوزارة
إذ ذاك

شَرَفُ الرَّاسَةِ يَا مُحَمَّمْ دُ زَانَهُ شَرَفُ النُّهَى

لِإِلَيْهِمَا الْفَخْرُ انْتَهَى	بُرْدَانٍ مَنْ نَسَجَ الْجَلَا
عُدُّ فَوْقَ أَكْنَافِ السُّهَا	جَعَلَا مَقَرَّكَ يَا مُحَمَّ
لِالْعَامِلِينَ وَزِنْتَهَا	زَانَتْكَ أَلْقَابُ الرَّجَا
أَمَلُ الْخُلُودِ وَنَلَتْهَا	أَمْنِيَّةٌ قَدْ نَالَهَا
بِـ مُوَقِّعًا وَمُنَزَّهَا	فَاسْلُكْ سَبِيلَكَ فِي الْجَهَا
رَ فَاَنْتَ فِي الْجَلَى لَهَا	وَاحْفَظْ لِمَصْرَ حُقُوقِ مَضْ

(٤٥) إلى الدكتور علي إبراهيم بك (باشا) (نشرت في ٢٥ يولييه سنة ١٩٣٠م)

قالها وقد عمل الدكتور عملية لصاحب الدولة محمد محمود باشا

بَايَةِ الْإِعْجَازِ فِي الْخَلْقِ	أَيَا يَدًا قَدْ خَصَّهَا رَبُّهَا
وَصِيغَ مَنْ يُمْنٍ وَمَنْ رِفْقٍ	وَمِشْرَطًا جُمِعَ مِنْ رَحْمَةٍ
مَطْلَعِ آمَالِ بَنِي الشَّرْقِ	نَجَّيْتُمَا مِنْ مَرَضٍ قَاتِلٍ
وَانْحَدَرَ الْبَدْرُ عَنِ الْأَفْقِ	لَوْلَاكُمَا لَانْدَكَ صَرْحُ الْعُلَا
عَلَى نَبِيلِ النَّفْسِ وَالْخُلُقِ	وَبَاتَتْ الْأَخْلَاقُ فِي حَسْرَةٍ
وصَانَهُ لِلْعُرْفِ وَالْحَقِّ	صَانَكُمَا اللَّهُ لِبُرْءِ الْوَرَى

وقال فيه أيضا: (ارتجلهما في حفل أقيم لتكريمه سنة ١٩٣٠م)

مَاذِ اعْتَدَدْتَ لَجُرْحِ الْعَاشِقِ الْعَانِي	قُلْ لِلطَّبِيبِ الَّذِي تَعْنُو الْجِرَاحُ لَهُ
يُمْنِي الْحَبِيبِ تُوَاسِي صَدْرَ وَلَهَانِ	قَدْ كَانَ مِبْضَعُهُ وَالْجُرْحُ يَرْمُقُهُ

(٤٦) إلى المستشار محمود غالب بك والأستاذ أحمد لطفي السيد بك مدير الجامعة المصرية (نشرت في ٣١ مارس ١٩٣٢م)

قد راعَ دارَ العَدْلِ طُغْ	سيانُ وراعَ الجامَعَه
----------------------------	-----------------------

المَدَائِحُ والتَّهَانِي

رَغَمَ الْخُطُوبِ الْفَاجِعَهُ	فَحَمَيْتُمَا حَرَمَيْهِمَا
رَدَّ الْحُقُوقِ النَّاصِعَهُ	وَقَهَرْتُمَا الْبَاغِي عَلَى
رِ وَدَّرُ ذَاكَ الْبَاقِعَهُ	لِلَّهِ دَرُّ الْمُسْتَشَا
عَنَّا بَصَدُّ الْقَارِعَهُ	فَهُمَا اللَّذَانِ تَكْفَلَا
فِي النَّاسِ هَوْلَ الْوَاقِعَهُ	نَظَرَ الْحَيَاءِ بَعَيْنَهُ
مِصْرَ الْعَزِيزَةِ ضَارِعَهُ	أَمْنَى الْمُحَايِدِ أَنْ يَرَى
نَ جُهْدُ مِصْرٍ ضَائِعَهُ	كَذَبَ الْحَيَاءُ فَلَنْ تَكُو
تِلْكَ السُّيُوفُ اللَّامِعَهُ	فَالْحَقُّ لَا تُلَوِي بِهِ
وَالنَّفْسُ مِنِّْي جَارِعَهُ	أَصْبَحْتُ أَسْأَلُ خَاطِرِي
تَحْتَ الشَّمُوسِ السَّاطِعَهُ	أَتَعِيشُ تَحْتَ اللَّيْلِ أَمْ

(٤٧) إلى الدكتور طه حسين (نشرا في ٧ أبريل سنة ١٩٣٢م)

أنشدهما في حفل أقيم للدكتور بفندق مينا هاوس من طلبة الجامعة بعد فصله من منصبه

بَعْدَكَ مِنْ آرَائِكَ الْنَافِعَهُ	قَدْ أَجْدَبْتَ دَارُ الْجَحَا وَالنُّهَى
صَيَّرَ مِصْرًا كُلَّهَا جَامِعَهُ	وَأَخْصَبَتْ أَرْجَاءُ مِصْرٍ بِمَنْ

(٤٨) تهنئة المغفور له جلالة الملك فؤاد بعيد جلوسه

عِيدِ الْجُلُوسِ وَقَدْ تَبَدَّى	أَرَأَيْتَ رَبَّ التَّاجِ فِي
دُ عَلَيْهِ ظِلُّ اللَّهِ مَدَا	وَشَهِدْتَ جَبْرِيلَا يَمْدُ
بِ بَسَاحَةِ الْعَرْشِ الْمُفْدَى	وَنَظَرْتَ تَطَوَّافَ الْقُلُوبِ
بِ بِحَمْدِهِ وَفَدَا فَوْفَدَا	وَسَمِعْتَ تَسْبِيحَ الْوُفُودِ
بِ النَّيْلِ مَنْ أَغْنَى وَأَسَدَى	هَذَا ابْنُ إِسْمَاعِيلَ ر

النَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهُ
يَهَبُ النُّضَارَ كَأَنَّهُ
وَكَأَنَّمَا هُوَ عَالِمٌ
يَدْعُ الثَّرَى تَبْرًا فَهَلْ
النَّاسُ يَوْمَ جُلُوسِهِ
أَنَّى سَلَكَتَ سَمِعْتَ أَذْ
عَشْ يَا (أَبَا الْفَارُوقِ) وَالـ
هَا صَوْلَجَانِ الْمُلْكِ مِنْ
حُدَّتْ عَلَا صَيْدِ الْمُلُو
فَابِنِ الرُّجَالِ بِنَايَةَ
وَاضْرِبْ بِسَوْطِ الْبَاسِ أَغْ
أَيُّ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ
مَنْ مِنْهُمْ كَفَاهُ يَوْمُ
مَنْ مِنْهُمْ نَامَتْ رَعِي
مَنْ مِنْهُمْ سَامَاكَ أَوْ
مَنْ مِنْهُمْ أَوْفَى حِجَا
فِي الشَّرْقِ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى
هَذَا (الْجَزِيرَةَ) وَ(الْعِرَا
وإِلَيْكَ (مَكَّةَ) هَلْ تَرَى
وإِلَيْكَ (تُونِسَ) وَ(الْجَزَا
لَمْ يَرْتَفِعْ فِي الشَّرْقِ تَا
جَدَّدْتَ عَهْدَ (الرَّاشِدِي
وَنَرَى عَلَيْكَ مَخَايِلَ الـ
جَلَّتْ صِفَاتُكَ، كَمْ مَحَوُ
أَعْطَيْتَ لَا مُتَرَبِّحًا
رَوَّيْتَ أَفْنَدَةَ الرَّعِي
وَمَلَكْتَهُنَّ كَمَا مَلَكْتَ

فِيخُذُ وَجْهَ الْأَرْضِ حَدًّا
مَنْ فَيَضِ جَدُّوَاهُ اسْتَمَدَا
بِالْكِيمِيَاءِ أَصَابَ جَدًّا
شَهِدَ الْوَرَى لِلنَّيْلِ نَدَا
يَسْتَقْبِلُونَ الْعَيْشَ رَغْدَا
عِيَّةَ لَهُ وَسَمِعْتَ حَمْدَا
حَبَسَ مِنْ نَسِيحِ الْحَمْدِ بُرْدَا
شَجَرَ الْجِنَانِ إِلَيْكَ يُهْدَى
لِكَ وَلَا أَرَى لِعَلَاكَ حَدًّا
يَشْقَى الْعَدُوُّ بِهَا وَيَزْدَى
طَافَ الزَّمَانُ إِذَا اسْتَبَدَا
لَكَ مَكَانَةً وَأَعَزُّ جُنْدَا؟
مَ الْبِذْلِ مِنْ كَفِّكَ أَنْدَى؟
يَتُّهُ وَقَامَ اللَّيْلُ سُهْدَا؟
سَامَى جَلَالِكَ أَوْ تَحَدَّى؟
وَحَصَافَةً وَأَبْرُ وَغَدَا؟
حَسَبَا (كَإِسْمَاعِيلَ) عُدَا؟
قُ) (وَفَارَسَ) يُهْدِنَ هَذَا
أَحَدًا بِهَا وَإِلَيْكَ (نَجْدَا)
بُرَ) قَدْ لَبَسْنَ الْعَيْشَ نَكْدَا
جُ فَوْقَ تَاجِ (النَّيْلِ) مَجْدَا
نَ) تُقَى وَإِحْسَانًا وَرُغْدَا
خُلَفَاءَ إِنْصَافًا وَرُشْدَا
تَ أَسَى وَكَمْ أَوْرَيْتَ زَنْدَا
أَوْ مُحَقِّيًا فِي الْجُودِ قُصْدَا
يَةِ مِنْ هَوَاكَ فَكَيْفَ تَصْدَى
تَ زَمَامَ (مِصْرَ) أَبَا وَجْدَا

فإذا نهيتَ فطاعةً
أعطوكَ طاعةً مُخلص
أوضحتَ للمصريّ نهـ
أعددتَه وكفّلتَه
ودعوته أن يستترِد
ورَدَ الحياةَ عزيزةً
وحَمَى الكِنانةَ بعد ما
فتّحتَ أعيننا فأبـ
وأقمتَ جامعةً بمصـ
كَمْ سَيِّدٍ بِالْعِلْمِ كا
ورفعتَ في نَغْرِ الشَّغْوِ
أسستَ مَدْرَسَةً تُعيـ
فمتى أرى أسطولَ مصـ
ومتى أرى جيشَ البلا
ونظرتَ في الطَّيْرانِ نظـ
أعددتَ عُدتَه ولم
أعظمُ بأسطولِ الهوا
مَنْ رآه يومَ النِّزا
وتراه عند السُّلَمِ سِرْ
وطوائفُ العُمالِ كَمْ
مَنْ ذا يُطِيقُ لبَعْضِ ما
دُمْ يا (فؤادُ) مُؤَيِّداً
وأعدُ لنا عهدَ المُعـ

وإذا أمرتَ فلا مرَدًا
ومَنَحْتَهُمْ عَطْفًا ووَدًا
حَجَّ صَلَاحِهِ فسعى وجداً
ورَعَيْتَه حتّى استَعَدّا
دَ فَخارَ مِصرَ فاستَرَدّا
فَنجا وكان الموتُ وردًا
حَفَرْتَ لَنَا الْأَطْماعُ لَحداً
صَرَنَ الضَّيَاءَ وَكُنَّ رُمداً
رَ تَشَدُّ أَزَرَ الْعِلْمِ شَدًّا
نَ بَرَعِمِهِ لِلجَهْلِ عَبداً
رَ لِمُنْشآتِ الْبَحْرِ بَنداً
دُ لَنَا بِمُلْكِ الْبَحْرِ عَهداً
رَ يُثِيرُ فَوْقَ الْبَحْرِ رَعداً
دِ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ سَدًّا
رَةَ مُصْلِحٍ لَمْ يَأُلْ جُهْداً
تَرَ مِنْهُ لِلأَوْطانِ بُدًّا
ءِ إِذْ أَنْبَرَى فَسَطًا وَشَدًّا
لِ رَأَى النُّسُورَ تَصِيدُ أُسْداً
بَا مِنْ طَواوِيسِ تَبَدَّى
أُولَيْتَها رِفْداً فَرَفِداً
أُصْلَحْتَ أَوْ أُسَدِّيتَ عَداً
بِالْمالِ والأرواحِ تُفَدَّى
زُ الْفاطِمِيَّ فَأَنْتَ أَهْدَى

(٤٩) تهنئة لصاحب السعادة نجيب الهلالي بك

قال هذين البيتين مرتجلاً عندما تولى وكالة المعارف للتعليم الفني والفنون الجميلة سنة
١٩٢٩م

أضحى (نجيب) وكَيْلاً لنا ونِعَمَ الوَكِيلُ
فَلْيَنْعَمِ الشُّعْرُ بِالْأُ فالشُّعْرُ فَنُّ جَمِيلُ

التقريظات

(١) تقریظ کتاب «فحول البلاغة» لمؤلفه السيّد توفیق البکري (نشر هذان البيتان في سنة ١٣١٣هـ)

هذا كتابٌ مُدّ بدا سرُّه للنّاس قالوا: مُعْجَزٌ ثاني
أثابَكَ الله على جَمْعِهِ ثوابَ (عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ)

(٢) تقریظ «جريدة مصباح الشرق» لصاحبها إبراهيم المويلحي بك

أهل الصّحافة لا تَضِلُّوا بَعْدَهُ فسمّواكُمْ قد زانها (المصباحُ)
الحقُّ فيه زَيْتُهُ، وفَتِيلُهُ صدق الحديث، ونوره الإصلاحُ

(٣) تقریظ ديوان الشاعر الكاتب مصطفى صادق الرافعي (سنة ١٣٢١هـ—سنة ١٩٠٤م)

أراك — وأنتَ نَبَتَ اليومِ — تَمْشي بشِعْرِكَ فوق هامِ الأوّلينا
وأوتيتَ النُّبُوَّةَ في المَعاني وما دانيتَ حدَّ الأربَعينا
فزِنَ تاجَ الرّأسةِ بعد (سامي) كما زانتَ فرائدُه الجَبينا

وهذا الصَّوْلُجانُ فَكُنْ حَرِيصاً على مُلْكِ القَرِيضِ وَكُنْ أَمِيناً
فَحَسْبُكَ أَنْ مُطَرِّكَ (ابنُ هانِي) وأنَّكَ قد عَدَوْتَ له قَرِيناً

(٤) تهنئة المؤيّد بداره وبمظهره الجديدين (نشرت في ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٦م)

أَحْيَيْتَ مَيِّتَ رَجَائِنَا بِصَحِيفَةٍ أثْنَى عليها الشَّرْقُ والإِسْلَامُ
أَضَحَّتْ مُصَلَّى اللَّبْلَاغَةِ عِنْدَمَا سَجَدَتْ بِرَحْبٍ فَنَائِهَا الأَقْلَامُ
فَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الجَدِيدِ تَحِيَّةً وعلى مُؤَيِّدِكَ القديمِ سَلامُ

(٥) تقرّظ «حديث عيسى بن هشام» لصاحبه محمّد المويلحي بك

قَلَمٌ إِذَا رَكِبَ الأَنَامِلَ أَوْ جَرَى سَجَدَتْ له الأَقْلَامُ وهي جَوَارِي
يَخْتَالُ مَا بَيْنَ السُّطُورِ كَضِيغَمٍ يَخْتَالُ بَيْنَ عَوَامِلٍ وَشِفَارِ
تَأْوِي الظُّبَاءِ إِلَيْهِ وَهِيَ أَوَانِسُ وَتَحِيدُ عَنْهُ الأَسَدُ وَهِيَ ضَوَارِي
مَا حَالَ خُلُقُ المَاءِ بَيْنَ سَطُورِهِ إِلَّا إِلَى خُلُقِ الزَّنَادِ الوَارِي
فَإِذَا رَضِيَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ رَحْمَةٍ وَإِذَا غَضِبَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ نَارِ
يَابَنَ الَّذِي غَنَى الِيرَاعُ بِكَفِّهِ فَصَبَتْ إِلَيْهِ مَسَامِعُ الأَقْدَارِ
لَكَ فِي دَمِي حَقٌّ أَرَدْتُ وَفَاءَهُ يَوْمَ الوَفَاءِ فَقَصَّصْتُ أَسْعَارِي
لَمْ يُنْسِنِي مَرُّ الزَّمَانِ وَلَمْ يَزَلْ حِفْظُ الِودَادِ سَجِيَّتِي وَشِعَارِي
هَذَا كِتَابُكَ قَدْ حَكَّتْ آيَاتُهُ آيَاتِ مُوسَى التَّسْعِ فِي الإِكْبَارِ
نَسَجَ الحَرِيرَ أَبُوكَ نَسَجَ نِجَارَهُ وَنَسَجْتَ أَنْتَ حَرَائِرَ الأَفْكَارِ
فَإِذَا نَثَرْتَ عَلَى الصَّحِيفَةِ خِلَّتُهَا غَرَسًا أَلَحَّ عَلَيْهِ صَوْبُ قِطَارِ
يَا صَاحِبَ المِصْبَاحِ مَا ذَنْبُ النُّهَى حَتَّى حَاجَبَتْ مَطَالِعَ الأَنْوَارِ
قَدْ كُنْتَ تَهْدِيهَا السَّبِيلَ بِضَوْئِهِ فَتَرَكْتَهَا فِي ظُلْمَةٍ وَعِشَارِ
بَاتَتْ تُرَجِّي مِنْكَ عَوْدَةَ غَائِبٍ نُورُ البَصَائِرِ فِيهِ والأَبْصَارِ

وَشَمَائِلَ الْفِكْرِ الَّتِي أُرْسَلَتْهَا	حِكْمًا فَأَغْنَتْهَا عَنِ الْأَسْفَارِ
فَاشْرَعْ يِرَاعَكَ يَا (مُحَمَّدُ) إِنَّهُ	نَارُ اللَّئَامِ وَجَنَّةُ الْأَحْرَارِ
وَابْعَثْ لَنَا (عِيسَى) فَهَذَا وَقْتُهُ	فَالنَّاسُ بَيْنَ مُخَادِعِ وَمُوَارِي
وَمُطَاوِلِ فِي الْكَاتِبِينَ وَمُدَّعٍ	فِي الْعَالَمِينَ وَمُؤَلِّعٍ بِفَخَارِ
أَمِنُوا يِرَاعَكَ حِينَ طَالَ سُكُونُهُ	فَتَطَلَّعُوا لِمَرَاتِبِ الْأَقْمَارِ
إِنِّي لَأَنْظِمُ مَا نَثَرْتَ وَإِنْ يَكُنْ	نَثَرُ النِّظِيمِ مَطِيَّةَ النَّثَارِ

(٦) تقریظ کتاب مرآة العروض

المطبوع سنة ١٣٣٥هـ تأليف الشيخ أحمد عثمان المحرزي القاضي الشرعي

(عُثْمَانُ) إِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مُوَفَّقًا	شَرَوَى سَمِيكَ جَامِعِ التَّنْزِيلِ
جَمَعْتَ أَشْتَاتَ الْقَرِيضِ وَزِدْتَهُ	حُسْنًا بِهَذَا الشَّرْحِ وَالتَّذْيِيلِ
وَجَلَوْتَ (مِرْآةَ الْعَرُوضِ) صَقِيلَةً	لِلذِّلِّ فَاسْتَوْجِبْتَ شُكْرَ النَّيْلِ

(٧) تقریظ صحيفة كوكب الشرق لصاحبها محمد حافظ عوض بك (نشر هذان البيتان في أول عدد صدر منها في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤م)

يَا كَوْكَبَ الشَّرْقِ أَشْرِقْ	فَالْحَادِثَاتُ تَجِدُ
لَا تَحْشَ طَالِعَ سُوءٍ	فَكَوْكَبُ الشَّرْقِ سَعْدُ

(٨) تهنئة المقتطف بعيدها الخمسيني (نشرت في أول يونيو سنة ١٩٢٦م)

شَيْخَانِ قَدْ خَبَرَا الْوُجُودَ وَأَدْرَكََا	مَا فِيهِ مِنْ عِلَلٍ وَمِنْ أَسْبَابِ
وَاسْتَبْطَنَا الْأَشْيَاءَ حَتَّى طَالَعَا	وَجْهَ الْحَقِيقَةِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ

شَاكِي الْيَرَاعَةِ طَاهِرُ الْجِلْبَابِ
وَبِياضُ شَبِيهِمَا بَغِيرُ خُضَابِ
وَأَرَى الْيَرَاعَةَ حَلِيَّةَ الْكُتَابِ
فَحَسِبْتُهَا فِي الْقَدْرِ عُودَ ثِقَابِ
فَوْقَ الطُّرُوسِ فُخِلَتْهَا كِشَاهِبِ
وَأَرَاهُمَا لَا يُزْهِيَانِ بَغَابِ
غَيْرَ الْجَهُولِ مُدَنِّسًا بِالْعَابِ
ذَيْلُ الْفَخَارِ وَلَيْسَ ذَا بُعْجَابِ
وَهُمَا هُنَالِكَ نُخْبَةُ الْأَنْجَابِ
عَنْ وَصْلِ حَمْدٍ وَاجْتِنَابِ سَبَابِ
ذَيْلًا عَلَى الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ
وَحَيٌّ يُفِيضُ عَلَى أُولِي الْأَلْبَابِ
مُتَعَانِقَانِ تَعَانَقَ الْأَحْبَابِ
فَإِذَا هُمَا ظِلْمًا فَلَفَحَةُ (آبِ)
بِالْكَاتِبَيْنِ صَحِيفَةَ الْإِعْجَابِ
رَفَعَا قِبَابًا حُوجِرَتْ بِقِبَابِ
وَرَوَائِعًا بَقِيَتْ عَلَى الْأَحْقَابِ
أَوْ كُلٌّ فَنٌّ مُمْتِعٌ بِلُبَابِ
وَبِكُلِّ سَطْرِ مَهِيْطٍ لَصَوَابِ
وَالسَّطْرِ فِيهِ مَقْوَمٌ بِكِتَابِ
عَذْبُ الْوُرُودِ مُفْتَحُ الْأَبْوَابِ
أَلْفَيْتَ نَفْسَكَ فِي فَسِيحِ رِحَابِ
مِنْ عَائِرٍ فِيهَا وَلَا مِنْ نَابِي
وَلُعَابُهَا فِي الطُّرْسِ حُلُو رُضَابِ
إِلْهَامٍ نَابِغَةٍ وَفَصْلَ خُطَابِ
تَرَدُّ النَّهْيِ مِنْهُ أَلَذُّ شَرَابِ
تُرْوِي النُّفُوسَ بِمُتَرَعِ الْأَكْوَابِ

خَمْسُونَ عَامًا فِي الْجِهَادِ كِلَاهُمَا
لَا تَعْجَبُوا إِنْ خَضَبَا قَلَمَيْهِمَا
فَلِكُلِّ حُسْنِ حَلِيَّةٍ يُزْهَى بِهَا
إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْيَرَاعَةِ فِي يَدِي
وَنَظَرْتُهَا تَنْقُضُ مِنْ كَفَيْهِمَا
يُزْهَى مُدَجَّجْنَا بِرُمَحٍ وَاحِدِ
مُتَوَاضِعَانِ وَلَا أَرَى مُتَكَبِّرًا
يَتَجَادَبُ الْقُطْرَانِ مِنْ فَضْلَيْهِمَا
فَهُمَا هُنَا عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِنَا
جَاذَا مَدَى السَّبْعَيْنِ لَمْ يَتَوَانِيَا
نَسْبَاهُمَا قَلَمَاهُمَا فَلْيَسْحَبَا
قَلَمَانِ مَشْرُوعَانِ، فِي شَقَيْهِمَا
مُتَسَاوِدَانِ إِذَا الْخُطُوبُ تَأَلَّبَتْ
نَفَحَاتِ (آذَارِ) إِذَا لَمْ يُظْلَمَا
مَا سَوْدًا بَيِّضَاءَ إِلَّا بَيِّضًا
لِلْمَقْصِدِ الْأَسْمَى لَدَى حَرَمِ النَّهْيِ
خَطًا بِمُقْتَطَفِ الْعُلُومِ بَدَائِعًا
جَاءَ لَنَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَافِعِ
فِي كُلِّ لَفْظٍ حِكْمَةٌ مَجْلُوءَةٌ
فَاللَّفْظُ فِيهِ مَقْوَمٌ بِصَحِيفَةٍ
دَانِي الْقُطُوفِ كَرِيمَةٌ أَفْيَاؤُهُ
ذُلُّ مَسَالِكُهُ فَأَنَّى جِئْتَهُ
تَتَسَابَقُ الْأَقْلَامُ فِيهِ وَلَا تَرَى
كَمْ مِنْ يَرَاعَةٍ كَاتِبٍ جَالَتْ بِهِ
كَمْ مِنْ سُؤَالٍ فِيهِ كَانَ جَوَابُهُ
كَمْ فِيهِ مِنْ نَهْرٍ جَرَى بِطَرِيقَةٍ
وَقَفَتْ سَقَاةُ الْفَضْلِ فِي جَنَابَتِهِ

في العَدِّ تُعْجِزُ أُمُهِرَ الحُسَابِ
 في الحُسْنِ مِثْلُ تَأْلِفِ الأَحْزَابِ
 فَتَخَالُ فِيهِ مَقَاعِدَ النُّوَابِ
 فَضْلٍ وَمِنْ جِغَمٍ وَمِنْ آدَابِ
 مَا زَالَ فِي رِيٍّ وَخُصْبِ جَنَابِ
 زُهِرًا مِّنَ الأَعْلَامِ والأَقْطَابِ
 عَنْهُ فَعَاقَبَهُمْ بِطُولِ غِيَابِ
 فَعَفَا وَعَاوَدَهُمْ بِغَيْرِ عِتَابِ
 مَا فِي الْجَهَالَةِ مِنْ أَدَى وَتَبَابِ
 وَالْجَهْلُ فِي النِّعْمَاءِ سَوُطُ عَذَابِ
 سَاقٍ مِّنَ الأَخْلَاقِ وَرُدُّ سَرَابِ
 وَمَلَأَتْ مِنْ ثَمَرِ الْعُقُولِ وَطَابِ
 وَأَقُولُ فَيْكَ الْحَقُّ غَيْرَ مُحَابِي
 لَوْهَبْتُ لِلشَّيْخَيْنِ بُرْدَ شَبَابِي
 وَتَخَذْتُ مِنْ نَسِجِ الْمَشْيَبِ ثِيَابِي
 يَحْتَتُّهَا سَفَرٌ بِغَيْرِ إِيَابِ
 فِي الْعِلْمِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَصَابِي
 مِنْ وَقَعِ فِكْرِكَ لَا مِّنَ الْأَعْصَابِ
 كَتَدَفَّعَ الْأَمْوَاجَ فَوْقَ عُجَابِ
 أَنْ يَنْتَنِي عَنْ جَيْئَةٍ وَذَهَابِ
 وَفَقْتُ فِي بَحْثٍ وَكُشْفٍ نِقَابِ
 فِي النَّاسِ مَنْ لَهُوَ وَسُوءِ مَآبِ
 بِالْجِدِّ لَا بَتَّصِيدِ الأَلْقَابِ
 وَالصَّبْرُ أَجْرٌ مُلَازِمُ الْمِحْرَابِ
 يُغْنِيكَ مُوجَزُهَا عَنِ الْإِسْهَابِ
 لَلْحَقِّ فِي هَذَا الْمَجَالِ صِحَابِي

مَاذَا أَعُدُّ وَهَذِهِ آيَاتُهُ
 قَدْ نُسِقتَ وَتَأَلَّفَتْ فَكَأَنَّهَا
 وَتَرَى تَهَاوُتَنَا عَلَيْهِ وَجَرَصَنَا
 يَا ثُرُوءَ الْقُرَاءِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ
 الشَّرْقِ أَثْبَتَ يَوْمَ عَيْدِكَ أَنَّهُ
 عَادَتْ سَمَاءُ الْفَضْلِ فِيهِ فَأُطْلِعَتْ
 الْعِلْمُ شَرْقِيٌّ تَغَافَلُ أَهْلُهُ
 وَتَنَبَّهُوا لِمُصَابِهِمْ فَتَضَرَّعُوا
 فَتَذَوَّقُوا طَعْمَ الْحَيَاةِ وَأَذْرَكُوا
 الْعِلْمُ فِي الْبَاسَاءِ مُزْنَةُ رَحْمَةٍ
 وَلِعَلَّ وَرَدَ الْعِلْمُ مَا لَمْ يَزْعَهُ
 إِنِّي قَرَأْتُكَ فِي الْكُهُولَةِ وَالصَّبَا
 وَأَتَيْتُ أَقْضِي بَعْضَ مَا أَوْلَيْتَنِي
 لَوْ كُنْتُ فِي عَهْدِ الْفُتُوَّةِ لَمْ أَزَلْ
 لَكِنِّي أَبْلَيْتُهُ وَطَوَيْتُهُ
 وَأَرَى رِكَابِي حِينَ شَابَتْ لِمَتِي
 (يَعْقُوبُ) إِنَّكَ قَدْ كَبِرْتَ وَلَمْ تَزَلْ
 لَاحَتْ بِرَأْسِكَ هِزَّةٌ وَلَعَلَّهَا
 فِكْرٌ سَرِيعٌ كَرُّهُ مُتَدَفِّعٌ
 لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ
 أَوْ أَنَّهَا طَرَبٌ بِنَفْسِكَ كَلَّمَا
 أَوْ أَنَّهَا اسْتِنَكَارٌ مَا شَاهَدْتَهُ
 لَمْ يُلْهَكَ الْإِثْرَاءَ عَنْ طَلَبِ الْعُلَا
 لِكَ فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ أَجْرٌ مُجَاهِدِ
 وَإِلَيْكَ مِنْ جُهْدِ الْمُقِلِّ قَصِيدَةٌ
 لَوْلَا السَّقَامُ وَمَا أَكَابِدُ مِنْ أَسَى

(٩) تقریظ کتاب «فی ظلال الدموع» لصاحبه محمد شوکت التونی (نشر فی ٧
نوفمبر سنة ١٩٢٩م)

قد قرأنا ظلالكم فاشتقينا
علمتنا لدى الأسي كيف تشفي
وأرتنا من الجديد بياناً
في طراز كأنما نسقته
فعلى كاتب الظلال سلام

بارك الله في (ظلال الدموع)
مرسلات الدموع داء الصلوع
لم يكن قبلها كثير الشيوخ
من مجاني الربا بنان الربيع
من حزين وبائس وصريع

الأهـاجـي

(١) قال في هجاء الجرائد (نشرا في أول ديسمبر سنة ١٩١٧م)

جرائدُ ما خُطَّ حَرْفُ بها لَغَيْرِ تَفْرِيقٍ وَتَضْلِيلِ
يَحْلُو بها الكِذْبُ لأَرْبابِها كأنَّها أولُ أبريلِ

(٢) في عِيَابِ كَثِيرِ الْعِیُوبِ (نشرا في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١م)

يا ساكِـنَ البَيْتِ الزُّجَا جِ هَبِلَتْ، لا تَرَمِ الحُصُونا
أَرَأَيْتَ قَبْلَكَ عَارِيَا يَبْغِي نِزالَ الدَّارِعيـنا

(٣) في مَلِكٍ ضَعِيفِ الرَّأْيِ

لا تَعْجَبُوا فَمَلِكُكُمْ لَعِبَتْ به أيدي البِطَانَةِ وهو في تَضْلِيلِ
إنِّي أراهُ كأنَّه في رُقْعَةِ الشِّـ طَرَنْجٍ أو في قَاعَةِ التَّمْثِيلِ

(٤) في رَجُلٍ عَظِيمِ البَطنِ ضَخَمِ البَدَنِ

عَطَّلَتْ فَنَّ الكَهْرَبَاءَ فَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا يَعْوُقُ مَسِيرَهَا إِلَّا كَمَا
تَسْرِي عَلَى وَجْهِ البَسِيطَةِ لَحْظَةً فَتَجَوُّبُهَا وَتَحَارُّ فِي أَحْشَاكَا

(٥) وقال على لسان بعض المتصوفة (في محبوب نافر)

أُخْرِقُ الدُّفَّ لو رَأَيْتَ شَكِيبَا هُوَ ذِكْرِي وَقَبْلَتِي وَإِمَامِي
لو تَرَانِي وَقَدْ تَعَمَّدَتْ قَتْلِي كَانِ لَا يَنْحَنِي لَغَيْرِكَ إِجْلَا
لَا تَعِيبَنَّ يَا شَكِيبُ دَبِيبِي كَمْ شَرِبْتَ المُدَامَ فِي حَضْرَةِ الشَّيْ
فَسَلُوا سُبْحَتِي فَهَلْ كَانَ نَسِيبِي وَإِذَا أَدْنَفَ الشُّيُوخَ غَرَامُ
عُدْ إِلَيْنَا فَقَدْ أَطْلَتِ التَّجَافِي وَإِذَا خِفْتَ مَا يُخَافُ مِنَ الِيمِ
وَدَعُونَا بِسَاطِ صَاحِبِ بَلْقِي وَأَمْرُنَا الرِّيَاحَ تَجْرِي بِأَمْرِ
وَأَفُضُّ الأَذْكَارَ حَتَّى يَغِيبَا وَطَبِيبِي إِذَا دَعَوْتُ الطَّبِيبَا
بِالتَّنَائِي رَأَيْتَ شَيْخًا حَرِيبَا لَّا وَلَا يَشْتَهِي سِوَاكَ حَبِيبَا
(إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدُبُّ دَبِيبَا) خِ جِهَارًا وَكَمْ سَقِيتَ الحَلِيبَا
حَيِّ فِيهَا إِلَّا (شَكِيبًا شَكِيبَا) كُنْتُ فِي حَلْبَةِ الشُّيُوخِ نَقِيبَا
وَارَكِبِ البَرْقَ إِنْ أَطَقْتَ الرُّكُوبَا سَمِ فَرَشْنَا لِأُخْمَصِيكَ القُلُوبَا
سِ فَلَئِي دُعَاءَنَا مُسْتَجِيبَا مِنْكَ حَتَّى نَرَاكَ مِنَّا قَرِيبَا

(٦) في بَائِعِ كُتُبٍ صَفِيقِ الوَجهِ

أَدِيمُ وَجْهِكَ يَا زَنْدِيقُ لو جُعِلْتُ لَمْ يَعْطَا عَنْكَ بَوْتُ أَيْنَمَا تُرَكْتُ
مِنْهُ الوَقَايَةُ وَالتَّجْلِيدُ لِلْكَتُبِ وَلَا تُخَافُ عَلَيْهَا سَطْوَةُ اللَّهَبِ

(٧) فيمن كثرت مخازيه

هنا يَسْتَعِيْثُ الطُّرْسُ والنَّقْصُ والَّذِي
يَخْطُ وَمَنْ يَتْلُو وَمَنْ يَتَسَمَّعُ
مَخَازٍ وما أدري إذا ما ذَكَرْتُهَا
إِلَى الْحَمْدِ أَدْعَى أَوْ إِلَى اللَّوْمِ أُدْفَعُ

الإخوانيات

(١) ذكرى وتشوق (نشرت في سنة ١٩٠٠م)

كتب بها من السودان إلى صديقه محمد بك بيرم

وَذِكْرَى ذَلِكَ الْعَيْشِ الرَّخِيمِ
وَأَرْقَضْنَا لَهَا فَلَكَ النَّعِيمِ
بِجِدِّ الدَّهْرِ كَالْعَقْدِ النَّظِيمِ
جَلَابِيبُ مِنَ الذُّوقِ السَّلِيمِ
وَأَطْرَبَ مِنْ مُعَاطَاةِ النَّدِيمِ
وَإِنْ كَانُوا عَلَى خُلُقٍ عَظِيمِ
مُؤَافَاةَ الْكَرِيمِ إِلَى الْكَرِيمِ
عَلَى ظَمًا وَهَبُوا كَالنَّسِيمِ
وَيَلْهُو (بِالْمَجَرَّةِ) وَالنُّجُومِ
بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَنْوَارُ الصَّرِيمِ
فَالْحَقْنَا بِأَصْحَابِ الرَّقِيمِ
شَهِيَّ اللَّفْظِ ذِي خَدِّ مَشِيمِ
كَأَنَّ بَطْرَفَهُ سَيْمَا الْيَتِيمِ
نَسِينَا عِنْدَهُ بِنْتَ الْكُرومِ
عَلَيْكَ وَفَتِيَّةِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
كَأَنَّ فَسِيحَهَا صَدْرُ الْحَلِيمِ

أَثَرَتْ بَنَا مِنَ الشُّوقِ الْقَدِيمِ
وَأَيَّامٍ كَسَوْنَاهَا جَمَالاً
مَلَأْنَاهَا بَنَا حُسْنًا فَكَانَتْ
وَفَتَيَانِ مَسَامِيحَ عَلَيْهِمْ
لَهُمْ شَيْمٌ أَلَذُّ مِنَ الْأَمَانِي
كَهَمِّكَ فِي الْخَلَاعَةِ وَالتَّصَابِي
دَعَوْتُهُمْ إِلَى أَنْسِ فَوَافُوا
وَجَاءُوا كَالْقَطَا وَرَدَتْ نَمِيرًا
وَكَانَ اللَّيْلُ يَمْرَحُ فِي شَبَابِ
فَوَاصِلُنَا كُتُوسَ الرَّاحِ حَتَّى
وَأَعْمَلْنَا بِهَا رَأْيَ (ابْنِ هَانِي)
وِظْبِي مِنْ بَنِي مَضْرٍ غَرِيرِ
وَلَحْظُ بَابِلِيٍّ ذِي انْكَسَارِ
سَقَانَا فِي مُنَادِمَةٍ حَدِيثًا
سَلَامُ اللَّهِ يَا عَهْدَ التَّصَابِي
أَحْنُ لَهُمْ وَدُونَهُمْ فَلَاةُ

كَأَنَّ أَدِيمَهَا أَحْشَاءُ صَبَّ
كَأَنَّ شَرَابَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا
تَخْضَلُ بَلِيلُهَا (لَهَبٌ) فَتَحْكِي
وَتَمْشِي السَّافِيَاتُ بِهَا حَيَارَى
فَمَنْ لِي أَنْ أَرَى تِلْكَ الْمَغَانِي
فَمَا حَظُّ (ابنِ دَاوُدَ) كَحَظِّي
وَلَا أَنَا مُطْلَقٌ كَالْفَكْرِ أُسْرِي
وَلَكِنِّي مُقَيَّدَةٌ رِحَالِي
نَزَحْتُ عَنِ الدِّيَارِ أَرُومَ رِزْقِي
وَمَا غَادَرْتُ فِي السُّودَانِ قَفْرًا
وَهَأُنَا بَيْنَ أَنْيَابِ الْمَنَايَا
وَلَوْلَا سَوْرَةٌ لِلْمَجْدِ عِنْدِي
أَيَابْنَ الْأَكْرَمِينَ أَبَا وَجَدًا
أَقَامَ لِدِينِنَا أَهْلُوكَ رُكْنًا
فَمَا طَافَ الْعُفَاةُ بِهِ وَعَادُوا
أَتَيْتُكَ وَالْخُطُوبُ تُزِفُّ رَحْلِي
وَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ سَعْيِي وَكَدْحِي
فَلَا تُخْلِقْ — فُديت — أديمَ وَجْهي

قَدْ التَّهَبْتُ مِنَ الْوَجْدِ الْأَلِيمِ
خَدَاعُ لَاحَ فِي وَجْهِ اللَّئِيمِ
(بَوَادِي التِّيهِ) أَقْوَامَ الْكَلِيمِ
إِذَا نُقِلَ الْهَجِيرُ عَنِ الْجَحِيمِ
وَمَا فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ الْقَدِيمِ؟
وَلَا أُوتِيتُ مِنْ عِلْمِ الْعَلِيمِ
فَأَسْتَبِقُ الصُّوَاكِ فِي الْغُيُومِ
بَقَيْدِ الْعُدْمِ فِي وَادِي الْهُمُومِ
وَأُضْرَبُ فِي الْمَهَامِهِ وَالتُّخُومِ
وَلَمْ أَصْبُغْ بِتُرْبَتِهِ أَدِيمِي
وَتَحْتَ بَرَاثِنِ الْخَطْبِ الْجَسِيمِ
قَنِعْتُ بِعَيْشَتِي قَنَعَ الظَّلِيمِ
وَيَابْنَ عُضَادَةِ الدِّينِ الْقَوِيمِ
لَهُ نَسَبٌ إِلَى رُحْنِ الْحَطِيمِ
بَغَيْرِ الْعَسْجَدِيَّةِ وَاللَّطِيمِ
وَلِي حَالٌ أَرْقُ مِنَ السَّدِيمِ
عَلَى الْأَرْزَاقِ كَالثُّوبِ الرَّدِيمِ
وَلَا تَقْطَعُ مُوَاصَلَةَ الْحَمِيمِ

(٢) عتاب محمد البابلي بك (نشرت في سنة ١٩٠٠م)

أَخِي وَاللَّهِ قَدْ مُلِيَ الْوِطَابُ
رَجَوْتُكَ مَرَّةً وَعَتَبْتُ أُخْرَى
نَبَذْتُ مَوَدَّتِي فَاهْنَأُ بِبُعْدِي
وَدَاخَلَنِي بِصُحْبَتِكَ ارْتِيَابُ
فَلَا أَجْدَى الرَّجَاءِ وَلَا الْعِتَابُ
فَأَخِرُ عَهْدِنَا هَذَا الْكِتَابُ

(٣) بين حافظ وداود عمّون (نُشرت في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢م)

بعث حافظ بهذه القصيدة إلى داود عمّون بك الشاعر اللبناني والمحامي المعروف، فأجابه عليها بقصيدة تأتي بعد.

شَجَنَّا مَطَالِعَ أَقْمَارِهَا
وَبِتْنَا نَجْنُ لَتَلِكَ الْقُصُورِ
قُصُورُ كَأَنَّ بُرُوجَ السَّمَاءِ
ذَكَّرْنَا جَمَاهَا وَبَيْنَ الضُّلُوعِ
فَمَرَّتْ بِأَرْوَاحِنَا هِزَّةٌ
وَأَرْضُ كَسَتْهَا كِرَامُ الشُّهُورِ
إِذَا نَقَطَتْهَا أَكْفُ الغَمَامِ
وإنَّ طَالَعَتْهَا ذُكَاءُ الصَّبَاحِ
وإنَّ هَبَّ فِيهَا نَسِيمُ الْأَصِيلِ
وَجَلَّ أَقَامَ بِأَرْضِ الشَّامِ
وَأَضَحَّتْ تَتِيهُ رَبِّ الْقَرِيضِ
وَلِلنَّيْلِ أَوْلَى بِذَاكَ الدَّلَالِ
فَشَمَّرُ وَعَجَّلُ إِلَيْهَا الْمَابِ
فَكَيْفَ - لَعْمَرِي - أَطَقْتَ الْمَقَامِ
وَأَنْتَ الْمُشَمَّرُ إِثْرَ الْمَظَالِ
ثَارَتْ اللَّيَالِي وَأَقْعَدَتْهَا
إِذَا ثُرَتْ مَاجَتْ هِضَابُ الشَّامِ
أَلَسْتَ فَتَاهَا وَمُخْتَارَهَا
وإنَّ قُلْتَ أَصْغَتْ مُلُوكُ الْكَلَامِ
(أَدَاوُدُ) حَسْبُكَ أَنَّ الْمَعَالِ
وَأَنَّ ضَمَائِرَ هَذَا الْوُجُودِ
وَأَنَّكَ إِمَّا حَلَلْتَ الشَّامَ
وإنَّ كُنْتَ فِي مِصْرَ نِعْمَ النَّصِيرِ

فَسَالَتْ نُفُوسٌ لَتَذْكَارِهَا
وَأَهْلُ الْقُصُورِ وَزَوَارِهَا
خَدُورُ الْغَوَانِي بِأَدْوَارِهَا
قُلُوبٌ تَلْطِئُ عَلَى نَارِهَا
هِيَ الْكَهْرِبَاءُ بِتَيَّارِهَا
حَرَائِرَ مِنْ نَسِجٍ (أَذَارِهَا)
أَرْتَكَ الدَّرَارِي بِأَزْهَارِهَا
أَرْتَكَ اللَّجَيْنَ بِأَنْهَارِهَا
أَتَاكَ النَّسِيمُ بِأَخْبَارِهَا
فَبَاتَتْ تَدِلُّ عَلَى جَارِهَا
كَتِيهِ الْبَوَادِي بِأَشْعَارِهَا
وَمِصْرُ أَحَقَّ (بِبَشَارِهَا)
وَجَلَّ الشَّامَ لِأَقْدَارِهَا
بِأَرْضِ تَضِيقُ بِأَحْرَارِهَا؟
مِمَّ تَسْعَى إِلَى مَحْوِ آثَارِهَا
بِمِصْقُولِ عَزْمِكَ عَنْ ثَارِهَا
وَبَاتَتْ تَرَامِي بِثُؤَارِهَا
وَشَبَلَ فَتَاهَا وَمُخْتَارِهَا؟
وَمَالَتْ إِلَيْكَ بِأَبْصَارِهَا
يَا تَحْسَبُ دَارَكَ فِي دَارِهَا
تَبُوحُ إِلَيْكَ بِأَسْرَارِهَا
رَأَيْنَاكَ جَذْوَةَ أَفْكَارِهَا
إِذَا مَا أَهَابَتْ بِأَنْصَارِهَا

(٤) أبيات داود بك التي أجاب بها حافظًا

أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى وَتَذْكَارِهَا
وَعَفَّتِ الْقُصُورَ لِأَجْلِ الطُّلُولِ
وَقَفَّتْ بِهَا لَيْلَتِي نَاشِدًا
وَلَدَّارُ أَنْطَقَ آيَاتُهَا
تُعِيدُ عَلَيْكَ لِيَالِي الْجَمَى
سَلَامٌ عَلَيْكَ زَمَانَ الشَّبَابِ
لَأَنْتَ مُخَفَّفُ أَحْزَانِهَا
وَلَوْلَا الشَّبَابُ وَذِكْرَى الشَّبَابِ
قَطَفْنَا الْحَيَاةَ بِهِ حُلُوءَ
أَطَوَّفُ فِي الشَّرْقِ عَلَيَّ أَرَى
فَلَمْ أَرِ إِلَّا أُمُورًا تَسُوءُ
فَظَلُّمٌ بَتَلَكَ وَذُلٌّ بِهِذِي
تَعُوقُ مَرَا حِمَ رُغْيَانِهَا
إِذَا شَاءَ (قَاسِمٌ) رَفَعَ الْحِجَابِ
فَلَا قَوْلَ إِلَّا لَجْهَالِهَا
يَدِبُ التَّرَاخِي عَلَى تُرْبِهَا
مَنَالُ التَّرْقِي بِإِرْغَامِهَا
أَهَذَا الَّذِي أَوْرَثْتَ أَهْلَهَا
عَدِمْتَ حَيَاتِي إِذَا لَمْ أَقِفْ
(أَحَافِظُ) هَذَا مَجَالُ الْعُلَا
(أَشُوقِي) (أَحَافِظُ) طَالَ السُّكُوتِ
فَصُوغَا الْقَوَافِي مَصْقُولَةً
عَسَاهَا تُحَرِّكَ أَوْطَانَنَا
أَقُولُ وَأَعْلَمُ أَنِّي سَارُمِي
وَأَنِّي الدَّخِيلُ وَأَنِّي الْغَرِيبُ

نَثَرْتُ الدُّمُوعَ عَلَى دَارِهَا
تُطَالِعُ طَامِسَ أَثَارِهَا
عَسَاهَا تَبُوحُ بِأَسْرَارِهَا
مِنَ الزَّائِيَاتِ وَأَخْبَارِهَا
بِأَنْجُمِهَا وَبِأَقْمَارِهَا
رَبِيعَ الْحَيَاةِ بِأَذَارِهَا
وَأَنْتَ مُسَوِّغُ أَكْدَارِهَا
لِعَاشِ الْفَتَى عُمَرَهُ كَارِهَا
وَقَدْ جَاءَ إِبَانُ إِمْرَارِهَا
بِلَادًا تَطْيِبُ لِأَحْرَارِهَا
وَتَضْدَعُ أَكْبَادَ نُظَّارِهَا
وَجَهْلٌ مُغْشٍ لِأَبْصَارِهَا
وَتَرَعَى الْوَلَاءَ لَجَزَارِهَا
تُسَمِّيهِ هَاتِكَ أَسْتَارِهَا
وَلَا رَأْيَ إِلَّا لِأَغْرَارِهَا
وَيَجْرِي الْخُمُولُ بِأَنْهَارِهَا
وَمَرْجَى الْفَلَاحِ بِإِجْبَارِهَا
بِلَادُ الْعُلُومِ وَأَنْوَارِهَا؟
حَيَاتِي عَلَى نَفْعِ أَمْصَارِهَا
فَشَمَّرَ لِسَبْقٍ بِمُضْمَارِهَا
وَتَرَكَ الْأُمُورَ لِأَقْدَارِهَا
وَشُقَّا الْجُلُودَ بِبَتَارِهَا
وَتَنْشُرُ مَيِّتَ أَحْيَائِهَا
بِأَنِّي مُحَرِّكَ ثَوَارِهَا
وَأَنِّي النَّصِيرُ لِقَهَّارِهَا

أَحِبُّ بِلَادِي عَلَى رَغْمِهَا وَإِنْ لَمْ يَنْلَنِي سِوَى عَارِهَا
وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ تَصَدَّى الزَّمَانُ لِإِنْكَارِهَا

(٥) (إلى إسماعيل صبري باشا) عند استقالته من وكالة الحَقَّانِيَّة (نُشرت في ٩ فبراير سنة ١٩٠٧م)

يَا صَارِمًا أَنْفَ النَّوَاءِ بِغِمِّهِ وَأَبَى الْقَرَارَ، أَلَا تَزَالُ صَقِيلًا
فَالْبَيْضُ تَصْدَأُ فِي الْجُفُونِ إِذَا تَوَتْ وَالْمَاءُ يَأْسُنُ إِنْ أَقَامَ طَوِيلًا
أَهْلًا بِمَوْلَايَ الرَّئِيسِ وَلَيْسَ مِنْ شَرَفِ الرَّأْسَةِ أَنْ أَرَاكَ وَكِيلًا
فَاطْرَحْ مَعَاذِيرَ السُّكُوتِ وَقُلْ لَنَا هَلَّا وَجَدْتَ إِلَى الْكَلَامِ سَبِيلًا؟
وَاضْرِبْ عَلَى الْوَتَرِ الَّذِي اهْتَزَّتْ لَهُ أَعْطَافُنَا زَمَنًا وَغَنِّ النَّيْلًا
وَارْدُدْ عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ جَمَالَهُ تَصْنَعُ بِصَاحِبِكَ الْقَدِيمِ جَمِيلًا
مَا زَالِ يَرْجُو أَنْ يُقَالَ عِثَارُهُ حَتَّى أَقَالَ اللَّهَ (إِسْمَاعِيلًا)

(٦) ذَكَرَى وَتَشَوَّقَ (نُشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩٠٨م)

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو في كُلِّيَّة أدنبره بإنجلترا

مَلِكْتُ عَلَيَّ مَذَاهِبِي وَعَصَانِي الطَّبْعُ السَّلِيمُ
وَجَفَا يِرَاعِي الصَّاحِبَا نِ فَلَا النَّثِيرُ وَلَا النَّظِيمُ
أَشْقَى وَأَكْتُمُ شَقُوتِي وَاللَّهُ بِي وَبِهَا عَلِيمُ
حَلِمَ الْأَدِيمُ وَمَا الَّذِي أَرْجُو وَقَدْ حَلِمَ الْأَدِيمُ
لَا مِصْرُ تُنْصِفُنِي وَلَا أَنَا عَنْ مَوَدَّتِهَا أَرِيمُ
وَإِذَا تَحَوَّلَ بَائِسُ عَنْ رَبْعِهَا فَأَنَا الْمُقِيمُ
فِيهَا صَحْبْتُكَ وَاصْطَفَيْ تَكَ أَيْهَا الْخُلُ الْحَمِيمُ
أَنَا مَنْ عَزَفْتَ وَمَنْ خَبَرَ تَ وَمَنْ مَوَدَّتَهُ تَدُومُ

لِّلْهِ ذِيكَ الْجَوَا
 بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فَوُ
 أَيَّامَ يَعْرِفُنَا السُّرُ
 أَيَّامَ نَلْهُو بِالظُّبَا
 لَا أَنْتَ تُصْغِي لِلْعَذُو
 لِّلْهِ أَنْدِيَّةٌ لَنَا
 لَمْ يَغْشَهَا وَغْدٌ وَلَمْ
 تَمْشِي الْخَلَاعَةُ فِي نَوَا
 لَهَا كَمَا شَاءَ الصُّبَا
 وَمُدَامَةٌ يَسْعَى بِهَا
 يَجْرِي عَلَى كَاسَاتِهَا
 لَا تَشْتَكِي مِنَّا وَلَا
 وَالنَّيْلُ مِرَاةٌ تَنْفُ
 سَلَبَ السَّمَاءِ نُجُومَهَا
 نُشِرَتْ عَلَيْهِ غِلَالَةٌ
 شَفَّتْ لِأَعْيُنِنَا سَوَى
 وَكَأَنَّنا فَوْقَ السَّمَاءِ
 تَجْرِي الْحَوَادِثُ حَيْثُ نَجُ
 لَا الصُّبْحُ يُزْعِجُنَا بِأَنْدِ
 يَا لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْدِ
 أَمَّا أَنَا فَكَمَا أَنَا
 لَا خَلٌّ بَعْدَكَ مُؤْنِسُ
 كَادَ الزَّمَانُ لَنَا وَلَا
 أَمْسَى احْتَوَاكَ الزَّمْهَرِيُّ
 فَشَرَابُكَ الْمَاءُ الشَّنَا
 وَمُنَاكَ لَوْ طَلَعَتْ ذُكَا
 وَمُنَايَ لَوْ مُحِقَّتْ ذُكَا

رُ وَذَلِكَ الْعَيْشُ الرَّخِيمُ
 قَ النَّيْلُ وَالْدُّنْيَا نَعِيمُ
 رُ بِهَا وَتُنْكِرُنَا الْهُمُومُ
 ءِ وَفِي مَسَارِحِهَا نَهِيمُ
 لَ وَلَا أَبَالِي مَنْ يَلُومُ
 قَدْ زَانَهَا الْخُلُقُ الْكَرِيمُ
 يَنْزِلُ بِسَاحَتِهَا لَتِيمُ
 حَيْهَا تُرَاقِبُهَا الْحُلُومُ
 وَجِبَا كَمَا شَاءَ الْحَكِيمُ
 مُتَأَدِّبٌ وَيَطُوفُ رِيمُ
 أَنْسُ يَخْفُ لَهُ الْحَلِيمُ
 يَشْكُو عَوَاقِبَهَا النَّدِيمُ
 سَ فِي صَحِيفَتِهَا النَّسِيمُ
 فَهَوَتْ بِلُجَّتِهِ تَعُومُ
 بَيضَاءُ حَاكَّتْهَا الْغُيُومُ
 مَا شَابَهُ مِنْهَا الْأَدِيمُ
 ءِ وَتَحْتَنَا ذَاكَ السَّدِيمُ
 رِي لَا نُضَامُ وَلَا نُضِيمُ
 بَاءَ الزَّمَانِ وَلَا الصَّرِيمُ
 سَتَ وَكَيْفَ حَالُكَ يَا زَعِيمُ
 أَبْلَى كَمَا يَبْلَى الرَّدِيمُ
 نَفْسِي وَلَا قَلْبُ رَحِيمُ
 عَجَبٌ إِذَا كَادَ الْغَرِيمُ
 رُ وَظَلَّ يَصْهَرُنِي الْجَحِيمُ
 نَ وَشُرْبِي الْمَاءُ الْحَمِيمُ
 ءُ عَلَيْكَ فِي يَوْمٍ يَصُومُ
 ءُ وَغَالَهَا لَيْلٌ بِهِيمُ

فَبَلَّيْتِي الْحَرُّ الْأَلِيَّ
فَكَأَنَّنِي فِرْعَوْنُ مَضُ
فَابْعَثْ إِلَيَّ بِنَفْحَةٍ
أُبْعَثْ إِلَيْكَ بِلَفْحَةٍ
أَمَّا تَحِيَّتُنَا إِلَيْهِ
سَمُ وَخَطْبُكَ الْقُرُّ الْأَلِيمُ
رَ وَأَنْتَ شَيْطَانُ رَجِيمُ
بَرَدًا بِهَا يَحْدُو الْهَزِيمُ
حَرَّى بِهَا تَجْرِي السَّمُومُ
لَكَ فَسَوْفَ يَشْرَحُهَا الرَّقِيمُ

(٧) شكر

أنشد هذه القصيدة في فندق الكونتنتال في الحفل الذي أقيم لتكريمه في يوم الجمعة ٣١ مايو ١٩١٢م

مَلَكْتُمْ عَلَيَّ عِنَانَ الْخُطْبِ
فَمَنْ أَنَا بَيْنَ مُلُوكِ الْكَلَامِ
أَتَسْعَى إِلَيَّ حُمَاةُ الْقَرِيضِ
وَتَنْظِمُ فِي عُقُودِ الْجُمَانِ
وَأَكْرَمَ حَتَّى كَأَنِّي نَبَغْتُ
فَمَاذَا أَتَيْتُ مِنَ الْبَاقِيَاتِ
عَمِلْتُ لِقَوْمِي جُهْدَ الْمُقِلِّ
فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا وَلَمْ يُجِدْهُمْ
وَهَلْ أَنَا إِلَّا امْرُؤُ شَاعِرٍ
يَقُولُ وَيُطْرِبُ أَثْرَابَهُ
تَعَلَّقْتُ حِينًا بِذَيْلِ الْبَيَانِ
فَلَا السَّبْقُ لِي فِي مَجَالِ النُّهَى
وَلَا أَنَا مِنْ عِلْيَةِ الْكَاتِبِينَ
وَلَكِنْ سَمَا بِي عَطْفُ الْأَمِيرِ
وَمَا كُنْتُ أَحْلَمُ - لَوْلَا الْوَزِيرُ -
عَلَيَّ أَيَادٍ لَهُ جَمَّةُ

وَجُرْتُمْ بِقَدْرِي سَمَاءَ الرُّتَبِ
وَمَنْ أَنَا بَيْنَ كِرَامِ الْحَسَبِ
وَتَمْشِي إِلَيَّ سَرَاةُ الْعَرَبِ
وَتَنْثُرُ فَوْقِي نِثَارَ الذَّهَبِ
وَقُمْتُ لِمَصْرَ بِمَا قَدْ وَجِبْتُ
وَهَذَا شَبَابِي ضَيَاعًا ذَهَبُ
عَلَى أَنَّهُ عَمَلٌ مُقْتَضِبُ
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بَقَاءُ الْحَبَبِ
كَثِيرُ الْأَمَانِي قَلِيلُ النَّشَبِ
وَيَقْنَعُ مِنْهُمْ بِذَاكَ الطَّرَبِ
وَأَدْخَلْتُ نَفْسِي فِيَمَنْ كَتَبُ
وَلَا لِي يَوْمَ الْفَخَارِ الْغَلَبُ
وَلَا أَنَا بِالشَّاعِرِ الْمُنتَخَبِ
وَرَأَيْتُ الْوَزِيرَ وَفَضْلُ الْأَدَبِ
بِهَذَا الْهَنَاءِ وَهَذَا اللَّقَبِ
وَفَضْلُ قَدِيمُ شَرِيفُ السَّبَبِ

وَأُورَى زِنَادِي وَأَنَا وَهَبٌ
وَأَصْبَحْتُ أُعْرِفُ لُبْسَ الْقَصَبِ
يُطَالِعُنِي بَذْرُهَا عَنْ كُتُبِ
غِيَاثِ الْعُفَاةِ مُزِيلِ الْكُرْبِ
مَطَايَا الرَّجَاءِ لَذَاكَ الرَّحْبِ
فَلَا عَنْ رِيَاءٍ وَلَا عَنْ رَهَبِ
رِضَاءِ الْأَمِيرِ وَنَيْلِ الْأَرْبِ
وَنَحْسِ النُّجُومِ ذَوَاتِ الذَّنْبِ
يَمُتُّ إِلَيْهِ بِحَبْلِ النَّسَبِ
فَمَا زَلَّ مَوْلَى إِلَيْكَ انْتَسَبِ
وَشَرَّفَتْ قَدْرِي (بِدَارِ الْكُتُبِ)
وَقَدْ كَانَ دَهْرِي شَدِيدَ الْكَلْبِ
وِإِعْجَازَ (شَوْقِي) إِذَا مَا رَغِبِ
وَلَكِنْ طَلَبْتُ فَعَزَّ الطَّلَبِ
بِبَطْنِ الْفَلَاةِ لِقَطْرِ السُّحْبِ
كَرِيمِ الْإِخَاءِ الْمَتِينِ السَّبَبِ
وَشُكْرًا (لِسَرْكَيْسَ) رَبِّ الْعَجَبِ
إِلَيَّ وَكُلُّ أَدِيبٍ خَطَبِ
وَمَا كَانَ لِي بَيْنَهُمْ مُضْطَرَبِ
هُمْ عَلَّمُونِي طَرِيقَ النُّخَبِ
وَمَنْ عِنْدِهِمْ فَضْلِي الْمُكْتَسَبِ
عَلَى السُّحْبِ ذَيْلِ الْمَعَالِي سَحَبِ
قَرِيبَ الصَّوَابِ بَعِيدَ الْغَضَبِ
تَرُوعُ النُّفُوسُ بِوَقْعِ النُّوبِ
وَأَرْضَى الْأَمِيرَ وَأَرْضَى الْأَدَبِ

فَأَنَا أَقَالَ بِهِ عَثَرَتِي
تَفَيَّاتٌ مِنْهُ ظِلَالُ النَّعِيمِ
وَأُمْشِي اخْتِيَالًا إِلَى عَابِدِينَ
وَأَلْتُمُ كَفَّ كَرِيمِ الْجُدُودِ
وَأَحْتَتُّ بَيْنَ وَفُودِ السَّرَاةِ
أَتُوا خَالِصِينَ لَوَجْهِ الْأَمِيرِ
لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ مِنْ رَبِّهِمْ
وَلِلْكَاشِحِينَ نَكَالُ الزَّمَانِ
فَعَهْدُ الْأَمِيرِ كَعَهْدِ الرَّشِيدِ
إِلَيْكَ (أَبَا حَسَنِ) أَنْتَمِي
عَرَفْتُ مَكَانِي فَأَذْنَيْتَنِي
وَعَرَفْتَ دَهْرِي مَكَانَ الْأَدِيبِ
فَلَوْ أَنَّ لِي مُرْقِصَاتِ (الْخَلِيلِ)
لَقَمْتُ بِشُكْرِكَ حَقَّ الْقِيَامِ
فَشُكْرِي لَصُنْعِكَ شُكْرُ النَّبَاتِ
وَشُكْرًا (لَشَوْقِي) رَسُولِ الْقَرِيزِ الـ
وَشُكْرًا (لِداوُدَ) رَبِّ الْيَرَاعِ
وَشُكْرًا لِكُلِّ كَرِيمٍ سَعَى
هُمْ شَجَّعُونِي عَلَى أَنْ أَقُولَ
هُمْ أَلْهَمُونِي فَصِيحَ الْكَلَامِ
فَعَنَّهُمْ أَخَذْتُ وَعَنْهُمْ صَدَرْتُ
فَحَيُّوا عَزِيزَ الْبِلَادِ الَّذِي
وَحَيُّوا (سَعِيدًا) وَزِيرَ الْأَمِيرِ
تَوَلَّى الرَّأْسَةَ وَالْحَادِثَاتِ
فَسَاسَ الْبِلَادِ وَأَرْضَى الْعِبَادِ

(٨) إلى حفني ناصف بك (نشرت في ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢م)

قالها في حفل أقامه أعضاء نادي طنطا لتكريم حفني بك؛ لانتقاله من القضاء إلى التفتيش بنظارة المعارف

يا يومَ تَكرِيمِ (حَفْنِي)
 فِيا قَرِيضُ أَجْبُنِي
 عَلَيَّ أَفِي بَعْضَ دَيْنِي
 يا مَنْ ضَرَبْتَ بِسَهْمِ
 بَنَيْتَ لِلشَّعْرِ فِينَا
 وما خُلِقْتَ لَعَمْرِي
 فَكُلُّ رَبِّ يَرَاعُ
 إِنَّ قالَ شِعْراً فَرَّاحُ
 أو قالَ نَثَرًا فَرُوحُ
 فَإِنْ بَدَأْتَ بِقَوْلِ
 وَطِرَ إِلَى اللّهُوَ وَارْعَبُ
 فَالْعَيْشُ فِي بِنْتِ فِكْرُ
 وَإِنْ طَلَبْتَ مَزِيداً
 لَوْلا الحَياءُ وَلَوْلا
 لَقُمْتُ فِي يَوْمِ (حَفْنِي)
 ولا أَقُولُ (لِحَفْنِي)
 لا تَنْسَ عَيْشاً تَوَلَّى
 وَلَيَّ شَبَابُكَ فِيهِ
 وَذُقْتَ مِنْ «جاءَ زَيْدٌ»
 وَمِنْ حَواشِي الحَواشِي
 ما لَمْ تُذِقْكَ اللَّيالي
 أَيَّامَ (سُلْطانِ) يَلْهُو
 يَبِيْتُ يَقْصَعُ ما لَمْ

أَرْهَفْتَ لِلْقَوْلِ ذَهْنِي
 وِيا بَيانُ أَعْنِي
 إِنَّ كانَ ذاكَ يُغْنِي
 فِي كُلِّ عِلْمٍ وَفَنٍ
 وَالنَّثَرُ أَعْظَمُ رُكْنِ
 فِي الشَّرْقِ إِلَّا لَتَبْنِي
 فِي مِصْرَ خَرِيحُ (حَفْنِي)
 تُدارُ فِي يَوْمِ دَجْنِ
 يَجْتازُنَا غَبَّ مُزْنِ
 مِنْهُ فَبالْكَاسِ ثَنِّ
 عَنِ حِكْمَةِ الْمُتَأَنِّي
 تُجَلَّى وَفِي بِنْتِ دَنْ
 ففِي مُناجاةِ خُذْنِ
 دِينِي وَعَقْلِي وَسَنِي
 أَدْعُو لِسَكْرَةِ «يَنِي»
 ما قِيلَ قَدْماً (لِمَعْنِ)
 ما بَيَّنَّ شَرْحَ وَمَتْنِ
 ما بَيَّنَّ مَدُّ وَعَنْ
 وَمِنْ شُرُوحِ (الشُّمْنِي)
 عَلَيَّ مُتُونِ (ابنِ جَنِّي)
 قَلْبُنْ ظَهَرَ الِمْجَنْ
 (بِمَشْه) وَيُغْنِي
 أَسْمُهُ أوَ أَكْنِي

يَشْكُو إِلَيْكَ وَتَشْكُو
أَيَّامَ يَدْعُوكَ (حَفْنِي):
هَاتِ الْمُسَدَّسَ إِنِّي
مَنْ لِي بِدِرْهَمٍ لَحْمٍ
قَرِمْتُ وَاللَّهِ حَتَّى
أَيَّامَ عَيْدِكَ يَوْمٌ
أَيَّامَ (مَهْيَا) أَشْهَى
أَقُولُ هَذَا وَإِنِّي
فَإِنْ غَدَوْتُ وَزِيرًا
فَلَا تَكُنْ ذَا حِجَابٍ
وَلَا تَقُلْ مِنْ غُرُورٍ
أَخْشَى عَلَيْكَ الْمَنَايَا
إِذَا شَكَّوْتَ صُدَاعًا
وإِنْ عَرَكَ هُزَالٌ
وإِنْ دَعَوْتُ لَحْيٍ
عُمْرِي بِعُمْرِكَ رَهْنٌ
نَبَقَى وَإِبْلِيسَ فِيهَا
أَسْرَفْتُ فِي الْمَرْحِ فَاصْفَحْ
فَالذَنْبُ ذَنْبٌ (شُدُودِي)
قَدْ سَنَ فِينَا مُزَاخًا
نُقْتُ الْأَمْرَيْنِ مِنْهُ
وَأَسْمَعُ مَدِيحَ مُجَبِّ
لَقَدْ جَمَعْتَ خِلَالَ
مُقْتَنَسًا وَفَقِيهًا
إِنَّ (الْمَعَارِفَ) فَازَتْ
(بِحِشْمَتِ) وَ(عَلِيٍّ)

إِلَيْهِ عَيْشَةٌ غَبْنٍ
مَنْ الْحَيَاةِ أَجْرَنِي
سَيِّمْتُ (مَشْيِي) وَ(جُبْنِي)
عَلَيْهِ حَبَّةُ سَمْنٍ
صَاحَتْ عَصَافِيرُ بَطْنِي
تَفُوزُ فِيهِ بِدُهْنٍ
إِلَيْكَ مِنْ (سَنْ جَوْنٍ)
لَمْحَسِّنُ فَيْكَ ظَنِّي
يَوْمًا وَجِئْنَا نُهْنِي
وَلَا تُطَلْ فِي التَّجَنِّي
يَأْيُهَا النَّاسُ إِنِّي
حَتَّى كَأَنَّكَ مِنِّي
أَطَلْتُ تَسْهِيْدَ جَفْنِي
هَيَّأْتُ لَحْدِي وَقُطْنِي
يَوْمًا فَإِيَّاكَ أَعْنِي
فِعْشُ أَعِشْ أَلْفَ قَرْنٍ
نُبْلِي اللَّيَالِي وَنَفْنِي
يَا سَيِّدِي وَاعْفُ عَنِّي
فَالْعَنْ (شُدُودِي) وَدَعْنِي
عَلَى الْحَقِيقَةِ يَجْنِي
فَسَلْ (سَلِيمًا) وَسَلْنِي
يُطْرِي بِحَقٍّ وَيُثْنِي
تَضَمَّنْتَ كُلَّ حُسْنٍ
وَقَاضِيًا وَابْنَ فَنَّ
بِمُنْيَةِ الْمُتَمَنِّي
أَبِي الْفُتُوحِ) وَ(حَفْنِي)

(٩) اعتذار إلى أحمد شوقي بك (نشرت في ١٥ يناير سنة ١٩١٣م)

كتب به إليه حينما أقيم حفل زواج كريمته السيّدة أمينة هانم بحامد العلالي بك في
كرمة ابن هانئ ولم يحضره حافظ لمرض ألمّ به

يا سيّدي وإمامي	ويا أديب الزّمان
قد عاقني سوء حظّي	عن حفلة المهرجان
وكنّت أولّ ساع	إلى رحاب (ابن هانئ)
لكنّ مريضت لنحسي	في يوم ذاك القران
وقد كفاني عقاباً	ما كان من جرّمي
حرمت رؤيّة (شوقي)	ولثمت تلك البنان
فاصفح فأنت خليق	بالصفح عن كلّ جاني
وعشّ لعرش المعاني	ودمّ لتاج البيان
إنّ فاتني أن أوفي	بالأمس حقّ التّهاني
فاقبله منّي قضاءً	وكُنّ كريم الجنان
والله يقبل منّا الصّـ	للة بعد الأوان

(١٠) دُعابة (نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٣م)

رُزق الشيخ أمين تقيّ الدين الأديب السوريّ بمولود سمّاه حافظاً، وقال فيه:

لي ولّد سمّيته حافظاً تيمّناً بحافظ الشاعر

فقال حافظ:

كحافظ إبراهيم لكنّه	أجمل خلقاً منه في الظاهر
فلعنّة الله على (حافظ)	إنّ لم يكن بالشاعر الماهر
لعلّ أرض الشام تزهي به	على بلاد الأدب الزّاهر
على بلاد النيل تلك التي	تاهت بأصحاب الذّكا النّادر

(شوقي) و(مطران) و(صبري) ومن سَمَّيْتُهُ فِي مَطْلَعِي الْبَاهِرِ

فقال الشيخ أمين:

وَاحْجَلْتِي إِنْ لَمْ يَجِئْ شَاعِرًا
يُنْسِي أَبَاهُ حُكْمَةَ النَّاثِرِ
شِعْرُ نَظْمَانَهُ وَلَوْلَا الَّذِي
رُزِقْتُهُ مَا مَرَّ بِالْخَاطِرِ

فقال حافظ:

فِيَا وَلِيدِي كُنْ غَدًا شَاعِرًا
وَابْدَأْ بِهَجْوِ الْوَالِدِ الْأَمْرِ
فَالذَّنْبُ ذَنْبِي وَأَنَا الْمُعْتَدِي
هَلْ يَسْلُمُ الشَّاعِرُ مِنْ شَاعِرِ

(١١) بين شوقي وحافظ (نشرت في سنة ١٩١٧م)

كان (أحمد شوقي بك) قد بعث بأبيات ثلاثة وهو في منفاه بالأندلس إلى حافظ، وهي:

يَا سَاكِنِي مِصْرَ إِنَّا لَا نَزَالُ عَلَى
هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ نَهْرِكُمْ
عَهْدُ الْوَفَاءِ — وَإِنْ غَبْنَا — مُقِيمِينَ
شَيْئًا نَبْلُ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِينَ
كُلُّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَ النَّيْلِ أَسَنَّةٌ
مَا أَبْعَدَ النَّيْلَ إِلَّا عَنْ أَمَانِينَا

(١٢) فأجابه حافظ بهذه الأبيات (نشرت في ٨ مايو سنة ١٩١٧م)

عَجِبْتُ لِلَّيْلِ يَذْرِي أَنَّ بُلْبُلَهُ
وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرِدُهُ
صَادٍ وَيَسْقِي رَبًّا مِصْرٍ وَيَسْقِينَا
وَلَا أَرْتَضُوا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لِينَا
لَمْ تَنَأَ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتَ شَاطِئَهُ
وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَ

(١٣) بين حافظ والهراوي

احتجب المرحوم حافظ إبراهيم بك حين كان بدار الكتب المصريّة بعض أيّام في بيته بالجيزة سنة ١٩١٨م فذهب صديقه محمّد الهراوي الشاعر المعروف ليزوره، ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعاني في خاطره، فارتجل هذه الأبيات:

يا رَئِيسَ الشُّعْرِ قُلْ لي	ما الَّذي يَقْضِي الرِّئِيسُ
أَنْتَ في الجِيزَةِ خَافٍ	مِثْلَما تَخْفَى الشُّمُوسُ
قَابِغٌ في كِسْرِ بَيْتٍ	قَدْ أَظْلَتَهُ الغُرُوسُ
زَاهِدٌ في كُلِّ شَيْءٍ	مُطَرِّقٌ سَاهٍ عَبُوسُ
أَيْنَ شِعْرُكَ مِنْكَ نَضْرُ	فَلَنَا فِيهِ مَسِيسُ
وَحَدِيثُكَ مِنْكَ حُلُو	يَتَشَهَّاهُ الجُلُوسُ
وَفُكَاهَاتُ عَذَابٍ	تَتَمَنَّاهَا النُّفُوسُ
قَدْ جَفَوْتَ الشُّعْرَ حَتَّى	حَدَّثَتْ عَنْكَ الطُّرُوسُ
وَهَجَرْتَ النَّاسَ حَتَّى	سَاءَلُوا أَيْنَ الْأَنْبِيسُ؟

فأجابه حافظ على البديهة أيضاً:

أنا في الجِيزَةِ ثاوٍ	لَيْسَ لي فِيهَا أَنْبِيسُ
أُنْكَرُ الْأَنْسَ مَكَانِي	وَنَأَى عَنِّي الْجَلِيسُ
لَيْسَ يَدْرِي مَنْ رَأَنِي	أَطْلِقُ أَمْ حَبِيسُ

(١٤) دعابة كتب بها إلى السيّد محمّد الببلوي نقيب الأشراف

(لما ولي نقابة الأشراف في سنة ١٩٢٠م)

قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ زُرْنَا فَضِيلَتَهُ	فَذَاذَنَا عَنْهُ حُرَّاسٌ وَحُجَّابُ
قَدْ كَانَ بَابُكَ مَفْتُوحًا لِقَاصِدِهِ	وَالْيَوْمَ أُوصِدَ دُونَ الْقَاصِدِ الْبَابُ
هَلَّا ذَكَرْتَ (بِدَارِ الْكُتُبِ) صُحْبَتَنَا	إِذْ نَحْنُ رَغَمَ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَحِبَّابُ

لو أَنَّنِي جِئْتُ (لِلْبَابَا) لِأُكْرِمَنِي وكان يُكْرِمُنِي لو جِئْتُه (البابُ)
لا تَخْشَ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطْلُبُهَا إِنِّي شَرِيفٌ وَلِلْأَشْرَافِ أَحْسَابُ
فَاهْنَأْ بِمَا نِلْتُ مِنْ فَضْلٍ وَإِنْ قُطِعْتُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ

(١٥) استئذان الرئيس (نشر في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤م)

بيتان ارتجلهما في الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

قُلْ لِلرَّئِيسِ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ بَأَنَّ شَاعِرَهُ بِالْبَابِ مُنْتَظِرُ
إِنْ شَاءَ حَدَّثَهُ أَوْ شَاءَ أَطْرَبَهُ بَكْلَ نَادِرَةٍ تُجْلَى بِهَا الْفِكْرُ

(١٦) دعابة

قالها في الدكتور محبوب ثابت سنة ١٩٢٧م، وكان كلاهما في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا في مسجد وصيف، وكان الدكتور — فيما قالوا — مشغولاً بأمرين إذ ذاك: وزارة يتولاها، وفتاة غنية من بيت عريق يتزوجها وإلى هذا يشير الشاعر في هذه القصيدة:

يُرْغِي وَيُزِيدُ بِالْقَافَاتِ تَحْسِبُهَا قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَفْقِ الْبَسَاتِينِ
مَنْ كُلِّ قَافٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا مِنْ مَارِجِ النَّارِ تَصْوِيرَ الشَّيَاطِينِ
قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْقَافَاتِ يَعْلِكُهَا وَاخْتَصَّ سُبْحَانَهُ بِالْكَافِ وَالنُّونِ
يَغِيبُ عَنْهُ الْحِجَا حِينًا وَيَحْضُرُهُ حِينًا فَيَخْلِطُ مُخْتَلًا بِمَوْزُونِ
لَا يَأْمَنُ السَّامِعُ الْمِسْكِينُ وَثَبَّتَهُ مَنْ (كَرْدَفَانِ) إِلَى أَعْلَى (فَلَسْطِينِ)
بَيْنَا تَرَاهُ يُنَادِي النَّاسَ فِي (حَلَبِ) إِذَا بِهِ يَتَحَدَّى الْقَوْمَ فِي (الصَّيْنِ)
وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ طَيْشٍ وَلَا خَبَلٍ لَكِنَّهَا عِبْقَرِيَّاتُ الْأَسَاطِينِ
يَبِيتُ يَنْسُجُ أَحْلَامًا مُذَهَّبَةً تُغْنِي تَفَاسِيرُهَا عَنْ (ابْنِ سِيرِينَ)
طَوْرًا وَزِيرًا مُشَاعًا فِي وَزَارَتِهِ يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِي كُلِّ الدَّوَاوِينِ

وتَارَةً زَوْجٍ عَطْبُولٍ خَدَلَجَةٍ حَسَنَاءَ تَمْلِكُ آلَافَ الْفَدَادِينَ
يُغْفَى مِنَ الْمَهْرِ إِكْرَامًا لِلْحَيَّةِ وما أَظَلَّتْهُ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينَ

(١٧) دمع السرور

قال هذين البيتين عند زيارته للمجمع العلمي بدمشق

شَكَرْتُ جَمِيلَ صُنْعِكُمْ بَدْمَعِي وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِقْيَاسُ الشُّعُورِ
لأَوَّلِ مَرَّةٍ قَدْ ذَاقَ جَفْنِي — عَلَى مَا ذَاقَهُ — دَمْعُ السُّرُورِ

(١٨) دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جوابًا عن قصيدة دعابية أيضًا بعث بها إليه هذا الصديق

وَأَفَى كِتَابُكَ يَزْدَرِي بِالذُّرِّ أَوْ بِالْجَوْهَرِ
فَقَرَأْتُ فِيهِ رِسَالَةً مُزَجَّتْ بِذَوْبِ السُّكَّرِ
أَجْرَيْتَ فِي أَثْنَائِهَا نَهَرَ أَنْسَاجِ الْكُوْثَرِ
وَفَرَطْتَ بَيْنَ سُطُورِهَا مَنْظُومَ تَاجِ الْقَيْصَرِ
وَحَبَّأْتَ فِي أَلْفَافِهَا مِنْ كُلِّ مَعْنَى مُسَكِّرِ
فَتَرَى الْمَعَانِي الْفَارِسِيَّ حَيَّةً فِي مَعَانِي الْأَسْطَرِ
كَالْغَانِيَّاتِ تَقَنَّنَعَتْ خَوْفَ الْمُرِيبِ الْمُجْتَرِي
مَعْنَى أَلَدُ مِنَ الشَّمَاءِ تَهً بِالْعَدُوِّ الْمُذْبِرِ
أَوْ مِنْ عِتَابِ بَيْنَ مَخٍ بَبُوبٍ وَحِبِّ مُعْذِرِ
أَوْ فَتْرَةٍ أَضَاعَهَا الـ مَقَامِرُ عِنْدَ الْمَيْسِرِ
أَوْ مَجْلِسٍ لِلْخَمْرِ مَعِ قُودٍ بِيَوْمِ الْمُطِيرِ
تَسْعُونَ بَيْتًا شَدَّتْهَا فَوْقَ سِنَانِ السَّمْهَرِيِّ
وَالسَّمْهَرِيُّ قَلَمٌ فِي كَفِّ لَيْثٍ قَسُورِ

أَفَتَى القَوَافِي كَيْفَ أَنْزَلْتَنِي
أَتُرَى أَرَاكَ أَمْ اللَّقَا
مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَعِيدَ
وَلَقَدْ قَذَفْتَ إِلَى الْجَحِيدِ
تَاللَّهِ لَوْ أَصْبَحْتَ (أَفْ)
وَعَدَا (أَبْقِرَاطُ) بَبَا
وَبَرَعْتَ (جَالِينُوسَ) أَوْ
مَا كُنْتَ إِلَّا تَافَهُ الـ
غُفْرَانُكَ اللَّهُمَّ إِذْ
سَوَّيْتَهُ كَالْكَرْكَدِ
وَجْهٌ وَلَا وَجْهَ الْخُطُوبِ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مِثْلَ
كَمْ بَاتَ يَلْتَجِمُ الْعُرُوبِ
فَافْعَلْ بِهِ اللَّهُمَّ كَالنَّ
وَأَنْزِلْ عَلَيْهِ السُّخُطَ إِنَّ
فَهُوَ الَّذِي ابْتَدَعَ الرَّبَّ
وَأَقَامَ دِينَ عِبَادَةِ الدِّ
وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِبُخْلِهِ
لَا يَصْرِفُ السُّخْتُونَ إِلـ
لَوْ أَنَّ فِي إِمْكَانِهِ
لَاخْتَارَ سَدَّ الْفَتْحَتَيْنِ

تَ؟ فَقَدْ أَطْلَتْ تَحْسُرِي؟
ءُ يَكُونُ يَوْمَ الْمَحْشَرِ
شَ أَيْاءَ لَتَيْمِ الْمَكْسِرِ
مِ وَبِئْسَ عُقْبَى الْمُنْكَرِ
لَاطُونَ) تِلْكَ الْأَعْصِرِ
بَكَ كَالْعَدِيمِ الْمُعْسِرِ
(لُقْمَانَ) بَيْنَ الْحَضَرِ
آدَابِ عِنْدَ الْمَعْشَرِ
نِي مِنْ ظُلَامَتِهِ بَرِي
نِ وَجَاءَنَا كَالْأَحْذَرِ
بِ وَقَامَةً لَمْ تُشْبِرِ
لَ لِسَانِهِ لَمْ يُبْتَرِ
ضَ وَجَاءَ بِالْأَمْرِ الْفَرِي
مَرُودٍ فَهُوَ بِهَا حَرِي
أَمْسَى وَلَمْ يَسْتَغْفِرِ
وَأَقَامَ رُكْنَ الْفَجْرِ
يَنَارِ بَيْنَ الْأَظْهَرِ
وَلَكَفَّهِ الْمُسْتَحْجِرِ
لَا وَهُوَ غَيْرُ مُخَيَّرِ
عَيْشًا بَغِيرِ تَضَوُّرِ
نِ وَقَالَ: يَا جَبِيبُ احْذَرِ

(١٩) عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباطة بك

طال الحديث عليكم أيها السمر
وذلك الليل قد ضاعت رواجه
ولاح للنوم في أجفانكم أثر
فليس يرجى له من بعدها سفر

هذي مضاجعُكم يا قومُ فالتقطوا
هل يُنكرُ النومَ جفنٌ — لو أتيح له —
أبيتُ أسألُ نفسي كيف قاطعني
فما مُطوّقةٌ قد نالها شركٌ
باتت تُجاهدُ همًّا وهي آيسةٌ
وباتت رُعلولها في وكرها فزعًا
يُحفّزُ الخوفُ أحشاه وتزعجه
مني بأسوأ حالاً حين قاطعني
يابن الكرامِ اتنسى أنني رجلٌ
إنني فتاك فلا تقطع مواصليتي

طيب الكرى بعيون شابها السهرُ
إلا أنا ونجوم الليل والقمرُ؟
هذا الصديق ومالي عنه مضطربُ
عند الغروب إليه ساقها القدرُ
من النجاة وجنح الليل مُعتكرُ
مروّعاً لرجوع الأمّ ينتظر
إذا سرت نسمّة أو وسوس الشجرُ
هذا الصديق فهلاً كان يدكرُ
لظلّ جاهك بعد الله مُفتقرُ
هَبْنِي جَنِيْتُ فَقُلْ لي كيف أعتذرُ؟

(٢٠) استعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

لقد بتّ محسوداً عليك لأنني
ففتاك، وهل غير المنعم يُحسدُ
ففعلك محمودٌ وأنت محمّد
فلا تبلى الحساد مني شماتة

(٢١) وداع محمد المويلحي بك حين سفره إلى معرض باريس

يا كاتب الشرق ويا خير من
تتلو بنو الشرق مقاماته
سافر وعدّ يحفظك ربّ الورى
وابعث لنا عيسى بآياته

وقال يستقبله عند عودته من هذا المؤتمر:

من لم ير المعرض في اتساع
وفاته ما فيه من إبداع
فمعرض القوم بلا نزاع
في نفثة من ذلك اليراع

(٢٢) عتاب كتب به إلى جماعة من أصحابه

تَنَاءَيْتُ عَنْكُمْ فَحَلَّتْ عُرَا
وَأَصْبَحَ حَبْلُ اتِّصَالِي بَكُمْ
وَقَدْ زَالَ مَا كَانَ مِنَ الْفَقَةِ
كَأَنَّ بَقَاءَ الْوَفَا بَيْنَكُمْ
سَكَنْتُ إِلَيْكُمْ وَلَمْ تَسْكُنُوا
وَنَفْسِي فَرِيقَانِ: هَذَا بِهِ
أَصَبْتُكُمْ تَرَاثًا وَالْهَاجُمُ التَّـ
وَمَنْ كَانَ يُنْسِيهِ إِثْرَاؤُهُ
وَضَاعَتْ عُهْدٌ عَلَى مَا أَرَى
كَخِطِ الْعَزَالَةَ بَعْدَ النَّوَى
وَوُدَّ زَوَالَ شِهَابِ الدُّجَى
وَبَيْنِي بَقَاءَ حَبَابِ الْحَيَا
إِلَيَّ وَقَدْ كُنْتُ نِعَمَ الْفَتَى
مَزَجْتُ الْوَفَاءَ، وَذَاكَ النَّدَى
كَاثَرُ عَنَا فَسَّرَ الْعِدَا
صَدِيقَ الْخَصَاصَةِ لَا يُصْطَفَى

(٢٣) ذِكْرِي

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

مَنْ وَاجِدٍ مُنْفَرٍ الْمَنَامِ
طَرِيدٍ نَهْرٍ جَائِرِ الْأَحْكَامِ
مُشْتَتِّ الشَّمْلِ عَلَى الدَّوَامِ
مُلَازِمٍ لِلْهَمِّ وَالسَّقَامِ
إِلَيْكُمْ يَا نُزْهَةَ الْأَنَامِ
وَفِتْنَةَ الْإِنْسَانِ وَالْمُدَامِ
مَنْ أَقْسَمُوا بِالزَّمِ الْأَقْسَامِ
بِأَنْ يَقْضُوا دَوْلَةَ الظَّلَامِ
مَا بَيْنَ بِنْتِ الْحَانِ وَالْأَنْغَامِ
وَمُطَرِّبٍ مِنْ خَيْرِ الْأَقْوَامِ
أَرْقَّ مِنْ شِعْرِ (أَبِي تَمَامِ)
وَمَجْلِسٍ فِي غَفْلَةِ الْآيَامِ

الإخوانيات

قد ملّ فيه كاتبُ الآثامِ
تحيةً كالوردِ في الجِمامِ
أزهى من الصّحة في الأجسامِ
يسوقُها شوقُ إليكم نامي
تَقْصُرُ عنه همّةُ الأقلامِ
يا ليتَ شعري بَعْدَ هذا العامِ
إليكم تَرْمِي بي المرامي
أَمْ يَنْتَوِينِي رائدُ الحمامِ
فأنطوي في هذه الأكامِ
وتولم الضُّبُعُ على عظامي
ولأيمًا للوَحْشِ في الإِظلامِ
فإنّ أتى يومي وأودى لامي
وبات زادَ الدُّودِ والرَّغامِ
بالله أدْعُوكُمْ وبالإسلامِ
أنّ تَذْكُرُوا ناظِمَ ذا الكلامِ
إذا جَلَسْتُمْ مَجْلِسًا لِلْجَامِ
وكانَ ساقِيكُمْ من الآرامِ
في لَيْلَةٍ والبدرُ في تمامِ

(٢٤) وداع لصديقيه محمّد بدر وأحمد بدر عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعلّم

سيرا أيا بَدْرِي سماءِ العُلا	واستَقْبِلَا التَّمَّ ولا تَأْفُلَا
سيرا إلى مَهْدِ العُلُومِ الَّتِي	كانت لنا ثُمَّ ازْدَهاها البَلَى
سيرا إلى الأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْ	عِزًّا وَأَضَحَّتْ لِلْمَلَا مَوْئِلَا
يَمْشِي عليها الدَّهْرُ مُسْتَخْذِيَا	وَتَجَرَّعُ الأَحْدَاثُ أَنْ تَنْزِلَا
شِعَارُ أَهْلِهَا وَأَبْنَائِهَا	أَنْ يَعْلمَ المَرءُ وَأَنْ يَعْملَا

وَجَمَّلَا الْجَاهَ بِأَنْ تَكْمُلَا	فَزَيْنَا الْمَجْدَ بِنُورِ النُّهَى
بِعُرْوَةِ الصَّبْرِ وَلَا تَعْجَلَا	وَاسْتَبَقَا الْعُلْيَاءَ وَاسْتَمْسِكَا
بِأَنَّنا نحن الرِّجَالُ الْأَلَى	وَحَبَّرَا الْغَرْبَ وَأَبْنَاءَهُ
لَا بُدَّ لِلْمُدِيرِ أَنْ يُقْبِلَا	لِئِنْ غَدَا الدَّهْرُ بَنَا مُدِيرًا
تُظِلُّ مَنْ رَجَى وَمَنْ أَمَّلَا	لَا زِلْتُمَا فَرَعَيْنِ فِي دَوْحَةِ
أَبِّ كَرِيمٍ جَدٍّ حَتَّى عَلَا	نَمَتْكُمَا مِصْرُ وَرَبَّاكُمَا
لَا تَبْسُطَا فِيهَا وَلَا تَغْلَلَا	مَضَى وَقَدْ أَوْلَاكُمَا نِعْمَةً
كَسَاكُمَا الْإِعْزَازَ بَيْنَ الْمَلَا	فَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى الْوَالِدِ

(٢٥) إلى أحمد شوقي بك يُودِّعه حين سفره إلى مؤتمر المستشرقين

ماذَا تُحَاوِلُ بَعْدَ ذَاكَ	يَا شَاعِرَ الشَّرْقِ اتَّبِدْ
دُرَرَ الْقَرِيضِ وَمَا كَفَاكَ	هَذَا النُّجُومُ نَظَّمَتْهَا
أَدَبَ الْمُثُولِ إِذَا رَأَى	وَالْبَدْرُ قَدْ عَلَّمَتْهُ
بِ فَكِدْتَ تَعَثَّرُ بِالسَّمَاءِ	وَسَمَوْتَ فِي أَفْقِ السُّعُو
مِدِّ بِالْمَوَاهِبِ وَاصْطَفَاكَ	وَحَبَاكَ عَبَّاسُ الْمَحَا
لِلْغَرْبِ مَذْ عَزَفْتَ عُلَاكَ	وَدَعَتْكَ مِصْرُ رَسُولَهَا
رَحْمَنٍ أَنْتَ وَصَاحِبَاكَ	فَارْحَلْ وَعُدْ بَوْدِيعةِ الرُّ

(٢٦) إلى صديقه محمد عبده البابلي بك يعاتبه

كتب بها إليه من السودان

لَا يُؤَدِّي لِمِثْلِ هَذَا الْخِصَامِ	إِنَّ عَضِيكَ يَا أَخِي بِالْمَلَامِ
عَشَرَ (وَالْفَجْرِ) غَيْرُ رَاعِي الذِّمَامِ	أَنْتَ وَ(الشَّمْسِ) (وَالضُّحَى) وَاللَّيَالِي أَلْ
تَصْرِفُ النَّفْسَ عَنْ هَنَاتِ الْكِرَامِ	مَا عَهْدْنَاكَ يَا كَرِيمَ السَّجَايَا

منكَ حَتَّى خَشِيتَ رَدَّ السَّلَامِ
يا وَإِنْ بَاتَ دُونَ قَوْتِ النَّعَامِ
لِسَوَى اللَّهِ أَعْدَلَ الْقُسَامِ
بَاتَ بَيْنَ الظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ
فَحَمَّةُ اللَّيْلِ جَمْرَةٌ مِنْ ضِرَامِ
قُوتٍ وَتَغْتَلُّ دَوْرَةَ الْأَجْرَامِ
لو يَكُونُ الْمَبِيتُ تَحْتَ الرِّغَامِ

ليس في كُتُبِنَا سُؤَالُ نَوَالٍ
نحن نَرْضَى بِالْقُوْتِ مِنْ هَذِهِ الدَّنِ
وَإِذَا خَانَ قِسْمُنَا مَا شَكُونَا
كَيْفَ تَنْسَى يَا (بَابِلِيَّ) غَرِيبًا
وَحَزِينًا إِذَا تَنَفَّسَ عَادَتْ
وَإِذَا أَنْ كَادَ يَنْصَدِعُ الْأَفْ
بَاتَ تَحْتَ الْبَلَاءِ حَتَّى تَمْنَى

وكتب إليه أيضًا يعاتبه ويداعبه:

أَمْ تَنَاسِ مِنْكَ أَمْ مَلَلُ
أَمْ بِكَاسَاتِ الْهَنَا تَمَلُّ
أَمْ عَلَى الْأَعْذَارِ مُتَّكِلُ
شَقُّهُ التَّشْبِيبُ وَالْغَزْلُ
مَالُهُ وَالْكَسْبُ وَالْأَمَلُ
فَاحْتَوَاكَ الشُّكُّ (يَا بَطْلُ)
ضِعْفُهُ وَالْفِكْرُ مُشْتَغِلُ
فِي فَوَادِي بَاتَ يَشْتَعِلُ
أَوْ عَلَى التَّسْلِيمِ يَشْتَمِلُ
أَنْتَ يَا بَنَ الْبَابِلِيِّ

أَدَلَالُ ذَاكَ أَمْ كَسَلُ
أَمْ غَرِيقُ أَنْتَ فِي جَذَلِ
أَمْ — وَقَاكَ اللَّهُ — فِي كَدَرِ
أَمْ مَشْوُوقٌ مُغْرَمٌ وَلَهُ
أَمْ غَنِيٌّ بَاتَ يَشْغَلُهُ
أَمْ وَشَى وَاشِ إِلَيْكَ بَنَا
قَدْ مَضَى شَهْرٌ وَأَعْقَبَهُ
لَا كِتَابٌ مِنْكَ يُطْفِئُ مَا
لَا وَلَا رَدُّ يُعَلِّلُنِي
يَا صَدِيقِي لَا مُوَاخَذَةَ

وكتب إليه أيضًا يتشوق:

وَعَيْنِي لَازِمَتْ سَكْبَ الدُّمُوعِ
لَطَارَ إِلَيْكَ مِنْ قَفْصِ الضُّلُوعِ

نَمَى يَا بَابِلِيَّ إِلَيْكَ شَوْقِي
وَلَوْ أَنِّي تَرَكْتُ سَرَاخَ قَلْبِي

(٢٧) شُكْرُ وَزِيرٍ زَارٍ حَافِظًا فِي مَنْزِلِهِ

لَا غَرَوَ إِنَّ أَشْرَقَ فِي مَنْزِلِي فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ مُحْيَا الْوَزِيرُ
فَالْبَدْرُ فِي أَعْلَى مَدَارَاتِهِ لِلْعَيْنِ يَبْدُو وَجْهُهُ فِي الْغَدِيرِ

(٢٨) دُعَابَةُ كَتَبَ بِهَا إِلَى الْأَسْتَاذِ حَامِدٍ سَرِي

فِي يَوْمِ زَفَافِهِ (٢ نَوْفَمْبَرِ ١٩١٧) يَسْتَهْدِيهِ مِنْ طَعَامِ الْعَرَسِ وَثِيَابًا يَلْبَسُهَا، وَكَانَا إِذْ ذَاكَ
مُتَجَاوِرِينَ بِالْجِيزَةِ:

أَحَامِدُ كَيْفَ تَنْسَانِي وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا أَخِي صَلَّةَ الْجَوَارِ
سَأَشْكُو لِلْوَزِيرِ فَإِنْ تَوَانَى شَكْوَتُكَ بَعْدَهُ لِمُسْتَشَارِ
أَيْشَبَعُ مُصْطَفَى الْخَوْلِي وَأُمْسِي أَعَالِجُ جَوْعَتِي فِي كِسْرِ دَارِي
وَبَيْتِي فَارِغٌ لَا شَيْءَ فِيهِ سِوَايَ وَإِنِّي فِي الْبَيْتِ عَارِي
وَمَالِي جَزْمَةٌ سَوْدَاءُ حَتَّى أُوَافِيكُمْ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ
وَعِنْدِي مِنْ صِحَابِي الْآنَ رَهْطٌ إِذَا أَكَلُوا فَآسَاءُ ضَوَارِي
فَإِنْ لَمْ تَبْعَثْنِي إِلَيَّ حَالًا بِمَائِدَةٍ عَلَى مَتْنِ الْبُخَارِ
تُغَطِّيْهَا مِنَ الْحُلُوى صُنُوفُ وَمِنْ حَمَلٍ تَتَبَّلُ بِالْبَهَارِ
فَإِنِّي شَاعِرٌ يُخْشَى لِسَانِي وَسَوْفَ أُرِيكَ عَاقِبَةَ احْتِقَارِي

الوصف

(١) وصف كساء له (نشرت في سنة ١٩٠٠م)

قالها ارتجالاً في مجلس من إخوانه

أنا فيه أتية مثل الكسائي
وسقاه النعيم ماء الصفاء
ليل مصقولة بحسن الطلاء
أوجروا سمها خيوط الهناء
في لباس من العلا والبهاء
في صفوف الولاء والأمراء
ألفه المغممين شمس الشتاء
أرتجيه لزينه وازدهاء
وتعدت ناسجات الجواء
وتخطت إبرة الرفاء
بدلة في تلون الحزباء
نسبة لم تكن بذات افتراء
أنكروني كطارق من وباء
لون وجه الكذوب عند اللقاء
فوق ما أشتهي وفوق الرجاء
ب ولا يعشقون غير الرواء

لي كساء أنعم به من كساء
حاكه العز من خيوط المعالي
وتبدى في صبغة من أديم الـ
خاطه ربه بإبرة يمين
فكأنني - وقد أحاط بجسمي -
تكبر العين رؤيتي وتراني
ألف الناس - حيث كنت - مكاني
يا ردائي وأنت خير رداء
لا أحالت لك الحوادث لوناً
غفلت عنك للبللى نظرات
صحبتي قبل اصطحابك دهرًا
نسبوها لطيلسان (ابن حرب)
كنت فيها إذا طرقت أناسًا
كسف الدهر لونها واستعارت
يا ردائي جعلتني عند قومي
إن قومي تروقهم جدّة النؤ

قِيَمَةُ الْمَرِّ عِنْدَهُمْ بَيْنَ ثَوْبٍ بَاهِرٍ لَوْنُهُ وَبَيْنَ حِذَاءٍ
قَعْدَ الْفَضْلِ بِي وَقُمْتَ بَعْرِي بَيْنَ صَحْبِي، جُزَيْتَ خَيْرَ الْجَزَاءِ

(٢) الحاكي (نشرت في سنة ١٩٠٠م)

وَجَدُوا السَّبِيلَ إِلَى التَّقَاطُعِ بَيْنَنَا وَالسَّمْعُ يَمْلِكُهُ الْكَذُوبُ الْحَازِقُ
لَا تَجْعَلِي الْوَاشِينَ رُسْلَكَ فِي الْهَوَى فَلَأَصْدُقَ الرُّسْلَ الْجَمَادُ النَّاطِقُ

(٣) الشمس (نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠م)

لَاخَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِرِينَ فَنَسُوا بِاللَّيْلِ وَضَاحَ الْجَبِينِ
وَمَحَتْ آيَتُهَا آيَتَهُ وَتَبَدَّتْ فِتْنَتُهُ لِلْعَالَمِينَ
نَظَرَ إِبْرَاهَامُ فِيهَا نَظْرَةً فَأَرَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ الْيَقِينَ
قَالَ: ذَا رَبِّي، فَلَمَّا أَفَلَتْ (قَالَ: إِنِّي لَا أَحِبُّ الْإِفْلِينَ)
وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينِ
رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَلُّوا وَغَوَوْا وَرَأَوْا فِي الشَّمْسِ رَأْيَ الْخَاسِرِينَ
خَشَعَتْ أَبْصَارُهُمْ لَمَّا بَدَتْ وَإِلَى الْأَذْقَانِ خَرُّوا سَاجِدِينَ
نَظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً فَعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ الْمُرْسَلِينَ
نَظَرُوا بَدْرَ الدُّجَى مِرَاتِهَا تَتَجَلَّى فِيهِ حِينًا بَعْدَ حِينِ
ثُمَّ قَالُوا: كَيْفَ لَا نَعْبُدُهَا هَلْ لَهَا فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ قَرِينِ؟
هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ جَنِينِ
هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ، طَيْبُ الْيَاسْمِينِ
هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةُ الْوَرَى وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلْغَابِرِينَ
صَدَقُوا لَكُنْهُمْ مَا عَلِمُوا أَنَّهَا خَلَقَ سَيِّبَلَى بِالسَّنِينِ

أَلِلْهُ لَمْ يُنَزَّرْهُ ذَاتَهُ عَنْ كُسُوفٍ، بئسَ زَعَمُ الْجَاهِلِينَ
 إِنَّمَا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَهَا مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
 حِكْمَةً بِالْغَةِ قَدْ مَثَّلَتْ قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ عَاقِلِينَ

(٤) دولة السيف ودولة المدفع (نشرت في ٢٣ نوفمبر في ١٩٠٠م)

يَا دَوْلَةَ الْقَوَاضِي الصِّقَالِ
 وَصَوْلَةَ الذَّوَابِلِ الطُّوَالِ
 كَمْ شَدَّتْ بَيْنَ الْأَعْصِرِ الْخَوَالِ
 مَمَالِكًا عَزِيزَةً الْمَنَالِ
 قَامَتْ بِحَدِّ الْأَبْيَضِ الْقَصَالِ
 وَسَنَ ذَاكَ الْأَسْمَرِ الْعَسَالِ
 رَاحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِ
 وَخَلَفَتْهَا دَوْلَةُ الْجَلَالِ
 مَمْلَكَةُ الْمِدْفَعِ ذَاتُ الْخَالِ
 قَامَتْ بِحَوْلِ النَّارِ وَالزَّلْزَالِ
 فَأَرْهَبَتْ أَفئِدَةَ الْأَبْطَالِ
 أَرْهَبَهَا مُزْعَزِعُ الْجِبَالِ
 وَمُفْزِعُ اللَّيْثِ فِي الدِّحَالِ
 وَقَاطِعُ الْأَجَالِ وَالْأَمَالِ
 وَخَاطِفُ الْأَرْوَاحِ مِنْ أُمِّيَالِ
 يَتَوَرَّ كَالْبَرْكَانِ فِي النَّزَالِ
 فَيُتَتَبِعُ الْأَهْوَالِ بِالْأَهْوَالِ
 وَيُرْسَلُ النَّارَ عَلَى التَّوَالِي
 فَيَحْطِمُ الْهَامَ وَلَا يُبَالِي
 مَا كَوَّكَبُ الرَّجْمِ هَوَى مِنْ عَالِي

فَمَرَّ كَالْفِكْرِ سَرَى بِالْبَالِ
 عَلَى عَنِيدٍ مَارِدٍ مُحْتَالِ
 مُسْتَرْقٍ لِلسَّمْعِ فِي ضَلَالِ
 مِنْ عَالَمِ التَّسْبِيحِ وَالْإِهْلَالِ
 أَمْضَى وَأَنْكَى مِنْهُ فِي الْقِتَالِ
 إِذَا سَرَتْ قُنْبُلَةُ الْوَبَالِ
 مِنْ فَمِهِ الْمَحْشُوءُ بِالنَّكَالِ
 يُنْذِرُهُمْ فِي سَاخَةِ الْمَجَالِ
 بِالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَبِالْأَجَالِ
 وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ الْخَتَالِ
 يَحْزُ فِي الْهَامِ وَفِي الْأَوْصَالِ
 صَامَتَ قَوْلٍ نَاطِقِ الْفِعَالِ
 رَأَيْتُهُ كَالْقَوْمِ فِي الْمِثَالِ
 مَالُوا عَنِ الْقَوْلِ إِلَى الْأَعْمَالِ
 فَامْتَلَكُوا نَاصِيَةَ الْمَعَالِي

(٥) ليلة عيد جلوس الخديوي

يصف فيها الزينة الكبرى التي أقيمت بحديقة الأزبكية في مساء ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

يا لَيْلَةً أَلْهَمْتَنِي مَا أَتَيْهُ بِهِ	على حُماةِ القوافي أَيْنَمَا تَاهُوا
إِنِّي أَرَى عَجَبًا يَدْعُو إِلَى عَجَبٍ	الدَّهْرُ أَضْمَرَهُ وَالْعِيدُ أَفْشَاهُ
هَلْ ذَاكَ مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ صَفْوَتَهُ	رَوْضٌ وَحُورٌ وَوِلْدَانٌ وَأَمْوَاهُ
أَمْ الْحَدِيقَةُ ذَاتُ الْوَشْيِ قَدْ حَلِيَتْ	فِي مَنْظَرٍ يَسْتَعِيدُ الطَّرْفُ مَرَاهُ
أَرَى الْمَصَابِيحَ فِيهَا وَهِيَ مُشْرِقَةٌ	كَأَنَّهَا النَّوْرُ وَالْوَسْمِيُّ حَيَاهُ
أَوْ إِنَّمَا هِيَ أَلْفَاظُ مُدَبَّجَةٌ	وَكُلُّ لَفْظٍ تَجَلَّى فِيهِ مَعْنَاهُ
أَرَى عَلَيْهَا قُلُوبَ الْقَوْمِ حَائِمَةً	كَالطَّيْرِ لَاحَ لَهُ وَرْدٌ فَوَافَاهُ

أرى بني مصرَ تحت اللَّيْلِ قد نَسَلُوا
أرى على الأرضِ حُلِيًّا قد نَسِيتُ به
أرى أريكةَ (عبّاس) تحفُّ بها
أرى سُمُوَّ خديونا وقد بُسِطَتْ
قُلُوبُ لِّلآلِي جَعَلُوا لِلشَّعْرِ جَائِزَةً
إِنِّي فَتَحْتُ لَهَا صَدْرًا تَلِيقُ به
لم أَخْشَ من أَحَدٍ في الشَّعْرِ يَسْبِقُنِي
ذاك الَّذِي حَكَمْتَ فِينَا يَرَاعَتُهُ
إلى سُعودٍ به ضاحٍ مُحَيَّاهُ
حَلِيَّ السَّمَاءِ وَحُسْنًا لَسْتُ أَنْسَاهُ
وَقَايَةَ اللهِ وَالْإِقْبَالَ وَالْجَاهُ
بِالْعَدْلِ وَالْبَذْلِ يُمْنَاهُ وَيُسْرَاهُ
فِيمَ الْخِلَافِ! أَلَمْ يُرْشِدْكُمْ اللهُ!
إِنْ لَمْ تُحَلِّوهُ فَالرَّحْمَنُ حَلَّاهُ
إِلَّا فَتَى مَا لَه فِي السَّبْقِ إِلَّاهُ
وَأَكْرَمَ اللهُ (وَالْعَبَّاسُ) مَنَوَاهُ

(٦) البورصة (نشرت في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤)

ببَابِكَ النَّحْسُ وَالسُّعُودُ
وفيك قد حَارَتِ الْيَهُودُ
وَوَجْهُكَ الضَّاحِكُ الْعَبُوسُ
كم سَطَرَتْ عِنْدَهُ طُرُوسُ
وَطُوطِطَتْ دُونَهُ رُءُوسُ
وَكَمْ أَطَافَتْ بِهِ وَفُودُ
فَرَابِحُ نَجْمُهُ سَعِيدُ
لَمَّا عَلَتْ صَيْحَةُ الْمُنَادِي
وَشَمَّرَتْ تَرْوَةُ الْبِلَادِ
قَنِعْتُ بِالْقُطْنِ فِي الْوَسَادِ
وَأِنَّمَا الْعَاقِلُ الرَّشِيدُ
بِاللهِ يَا قَوْمُ لَا تَزِيدُوا
مُضَارِبَاتُ هِيَ الْمَنَايَا
صَبُوحُ أَصْحَابِهَا الرِّزَايَا
قد أَتْلَفْتُ أَنْفُسَ الْبَرَايَا
وَمَوْقِفُ الْيَأْسِ وَالرَّجَاءِ
يَا مَطْلَعُ السَّعْدِ وَالشَّقَاءِ
قد ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ الْبَيَانُ
بِقِسْمَةِ الْعِزِّ وَالْهَوَانُ
يَهْتَزُّ مِنْ خَوْفِهَا الزَّمَانُ
وَأَكْثَرُوا حَوْلَهُ الدُّعَاءُ
وَطَامِعُ بِالْخَسَارِ بَاءُ
وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ فِي عَنَاءِ
وَضَجَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ
وَفِي الْحَشِيَّاتِ وَالْغِطَاءِ
مَنْ سَارَ فِي مَنَهْجِ النِّجَاءِ
فَإِنَّ أَمَالَكُمْ هَبَاءُ
وَرُسُلُهَا أَحْرَفُ الْبُرُوقِ
وَمَا لَهُمْ دُونَهَا غَبُوقُ
بِأَسْهُمِ الْغَدْرِ وَالْعُقُوقِ

هَبُوطُهَا الْمَوْتُ، وَالصُّعُودُ
وَمَا لَهَا عِنْدَهُمْ عُهْدُ
كَمْ «بَالَةً» سَبَبَتْ وَبَالَاً
وَبَذَرَةً أَنْبَتَتْ خَبَالاً
وَكَمْ غَنِيٍّ أَضَاعَ مَالاً
فَلْيَتَّعِظْ مِنْكُمْ الْبَعِيدُ
فَذَلِكَ التَّاجِرُ الشَّهِيدُ
ضَرْبٌ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْبَلَاءِ
إِلَّا كَمَا تَعْهَدُ النِّسَاءُ
وَأَشْبَهَتْ لَامَعَ السَّرَابِ
وَأَثْمَرَتْ عَاجِلَ الْخَرَابِ
وَشَابَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ
وَلْيَتَّقِ اللَّهَ ذُو الثَّرَاءِ
قَدْ عَافَ مِنْ أَجْلِهَا الْبَقَاءُ

(٧) زلزال مَسِينَا سنة ١٩٠٨م

نَبِّئَانِي إِنْ كُنْتُمَا تَعْلَمَانِ
غَضِبَ اللَّهُ أَمْ تَمَرَّدَتْ الْأَرْضُ
لَيْسَ هَذَا — سُبْحَانَ رَبِّي — وَلَا ذَا
غَلِيَانٍ فِي الْأَرْضِ نَفَسَ عَنْهُ
رَبٌّ، أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْبَرْ
كُنْتُ أَخْشَى الْبَحَارَ وَالْمَوْتَ فِيهَا
سَابِحٌ تَحْتَنَا، مُطِلٌّ عَلَيْنَا
فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ سَوَاءٌ
مَا (لَمَسِينِ) عَوِجَتْ فِي صِبَاهَا
وَمَحَتْ تِلْكَ الْمَحَاسِنَ مِنْهَا
خُسِفَتْ، ثُمَّ اغْرَقَتْ، ثُمَّ بَادَتْ
وَأَتَى أَمْرُهَا فَأَضْحَتْ كَأَنَّ لَمْ
لَيْتَهَا أُمِهُلَتْ فَتَقْضَى حُقُوقًا
لِمَحَّةٍ يَسْعَدُ الصَّدِيقَانِ فِيهَا
بَغَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا
تِلْكَ تَغْلِي حِقْدًا عَلَيْهَا فَتَنْشَقُّ

مَا دَهَى الْكَوْنُ أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ
ضُفْ فَأَنْحَتْ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ؟
لَكِنْ طَبِيعَةُ الْأَكْوَانِ
ثَوْرَانُ فِي الْبَحْرِ وَالْبُرْكَانِ
رُ عَلَى الْكِيدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ؟
رَاصِدٌ غَفْلَةً مِنَ الرُّبَّانِ
حَائِمْ حَوْلَنَا، مُنَاءٍ مُدَانِي
فِي خَلَاقٍ كِلَاهُمَا غَايِرَانِ
وَدَعَاها مِنَ الرَّدَى دَاعِيَانِ
حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا — آيَتَانِ
قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِي
تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةُ الْبُلْدَانِ
مِنْ وَدَاعِ اللَّدَاتِ وَالْجِيرَانِ
بِاجْتِمَاعٍ وَيَلْتَقِي الْعَاشِقَانِ
وَطَغَى الْبَحْرُ أَيُّمَا طُغْيَانِ
قُ انْشَقَّاقًا مِنْ كَثْرَةِ الْغَلِيَانِ

فَتَجِيبُ الْجِبَالَ رَجْمًا وَقَذْفًا
وَتَسُوقُ الْبَحَارَ رَدًّا عَلَيْهَا
فَهُنَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنُ
جَنَدِ الْمَاءِ وَالثَّرَى لَهْلَاكِ الْـ
وَدَعَا السُّحْبَ عَاتِيًا فَأَمَدَّتْـ
فَاسْتَحَالَ النَّجَاءُ وَاسْتَحْكَمَ الْيَأُ
وَشَفَى الْمَوْتُ غَلَّةً مِنْ نَفُوسِ
أَيْنَ (رُدْجُو) وَأَيْنَ مَا كَانَ فِيهَا
عُوجِلَتْ مِثْلُ أَخْتِهَا وَدَهَاها
رُبَّ طِفْلٍ قَدْ سَاخَ فِي بَاطِنِ الْأَرِ
وَفَتَاةٍ هَيْفَاءَ تُشَوِي عَلَى الْجَمِ
وَأُپِ ذَاهِلٍ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي
بَاجِئًا عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ
تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ لَا هُوَ نَاجٍ
غَصَبَتِ الْأَرْضُ.. أَتُجَمُّ الْبَحْرُ مِمَّا
وَشَكَ الْحَوْتُ لِلنَّسُورِ شَكَاةً
أَسْرَفَا فِي الْجُسُومِ نَقْرًا وَنَهَشًا
لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشُّمُ
قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكُفِّ بَرَاهَا
كَيْفَ لَمْ يَرْحَمَا أَنَامِلَهَا الْغُرُ
لَهْفَ نَفْسِي وَأَلْفَ لَهْفٍ عَلَيْهَا
مَوْلَعَاتٍ بِصَيْدِ كُلِّ جَمِيلٍ
حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ
مُنْطِقَاتٍ لِسَانِ كُلِّ جِمَادٍ
مُلْهَمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ الصَّنْعِ مَا لَا
مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي
عَجَبٌ صُنْعُهَا وَأَعْجَبُ مِنْهُ

بَشُورًا مِنْ مَارِجٍ وَدُخَانٍ
جَيْشَ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحِينَ دَانِي
وَهُنَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانِي
خَلَقَ ثُمَّ اسْتَعَانَ بِالنُّيَرَانِ
هُ بِجَيْشٍ مِنَ الصَّوَاعِقِ ثَانِي
سُ وَخَارَتْ عِزَائِمُ الشَّجَعَانِ
لَا تُبَالِيهِ فِي مَجَالِ الطَّعَانِ
مِنْ مَغَانٍ مَأْهُولَةٍ وَغَوَانِي
مَا نَهَاها مِنْ ذَلِكَ الثُّورَانِ
ضِ يُنَادِي: أُمِّي، أَبِي، أَذْرِكَانِي
رِ تُعَانِي مِنْ حَرِّهِ مَا تُعَانِي
مُسْتَمِيئًا تَمْتَدُّ مِنْهُ الْيَدَانِ
مُسْرَعِ الْخَطْوِ مُسْتَطِيرِ الْجَنَانِ
مِنْ لَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَإِنِّي
طَوِيَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ
رَدَدَتْهَا النَّسُورُ لِلْحَيَاتَانِ
ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِطْطَةٍ يَشْكُوانِ
مِ وَلَا حَاطَ سَاكِنِ الْقِيَعَانِ
بَارِئُ الْكَائِنَاتِ لِلْإِتْقَانِ
رَ وَلَمْ يَرْفُقَا بِتِلْكَ الْبَنَانِ
مِنْ أَكُفِّ كَانَتْ صَنَاعُ الزَّمَانِ
نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ
شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُنْيَانِ
مُفْجِمَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْنَانِ
يُلْهِمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
يَهْرَمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُنْفُوانِ
صُنْعُهُ، تِلْكَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ

إِيَّاهُ «مَسِين» أَنَسِي الْيَوْمَ «بُمَبِيدِ
 أَنَسِي الدُّرَّةَ الَّتِي كَانَتْ الْجِلْدَ
 غَالَهَا قَبْلَكَ الزَّمَانُ اغْتِيَالًا
 جَاءَهَا الْأَمْرُ وَالسَّرَاةُ عُكُوفُ
 بَيْنَ صَبٍّ مُدْلِهِ وَطَرُوبِ
 فَاَنْطَوُوا كَانُطَوَاءِ أَهْلِكَ بِالْأَمِّ
 أَنْتِ (مَسِين) لَنْ تَزُولِي كَمَا زَا
 إِنَّ إِيْطَالِيَا بَنُوهَا بُنَاةً
 فَسَلَامٌ عَلَيْكِ يَوْمَ تَوَلَّيْ
 وَسَلَامٌ عَلَيْكِ يَوْمَ تَعُودِي
 وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَلَى الْأَرْضِ
 وَسَلَامٌ عَلَى الْأَلَى أَكَلِ الذُّنْ
 وَسَلَامٌ عَلَى امْرِئٍ جَادَ بِالْدَمِّ
 ذَاكَ حَقُّ الْإِنْسَانِ عِنْدَ بَنِي الْإِنْدِ
 فَالْكُتُبُ فِي سَمَاءِ (رِدْجُو) وَ(مَسِيْدِ
 هَا هُنَا مَصْرَعُ الصَّنَاعَةِ وَالتَّصْ

يَ» فَقَدْ أُوحِشَتْ بِذَاكَ الْمَكَانِ
 يَّةً فِي تَاجِ دَوْلَةِ (الرُّومَانِ)
 وَهِيَ تَلْهُو فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانِ
 فِي الْمَلَاهِي عَلَى غِنَاءِ الْقِيَانِ
 وَخَلِيعٍ فِي اللَّهِو مُرْخَى الْعِنَانِ
 سِ وَزَالَتْ بِشَاشَةِ الْعُمَرَانِ
 لَتْ وَلَكِنْ أُمْسِيَتْ رَهْنَ الْأَوَانِ
 فَاطْمِئْنِي مَا دَامَ فِي الْحَيِّ بَانِي
 تِ بِمَا فِيكَ مِنْ مَغَانِ حِسَانِ
 نَ كَمَا كُنْتَ جَنَّةَ الطُّلِيَانِ
 ضَ عَلَى كُلِّ هَالِكٍ فِيكَ فَانِي
 بَ وَنَاشَتْ جَوَارِحُ الْعِقْبَانِ
 عِ وَتَنَّى بِالْأَصْفَرِ الرَّنَّانِ
 سَانِ لَمْ أَدْعُكُمْ إِلَى إِحْسَانِ
 نَا) وَ(كَالْبَرِيَا) بِكُلِّ لِسَانِ
 سَوِيرِ وَالْحَذَقِ وَالْحِجَا وَالْأَغْنَانِ

(٨) براعة غناء (نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨م)

قالها في جاك رومانو المغني الإسرائيلي المعروف

ارْحَمُونَا — بَنِي الْيَهُودِ — كَفَاكُمْ
 وَاَصْفَحُوا عَنْ عُقُولِنَا وَدَعُوا الْخَلْ
 لَا تَزِيدُوا عَلَى الصُّكُوكِ فِخَاخًا
 وَيَحْكُمُ إِنَّ (جَاكَ) أَسْرَفَ حَتَّى
 أَسْكِتُوهُ لَا أَسْكَتَ اللَّهُ ذَاكَ الصَّ
 أَوْ دَعُوهُ، فِدَاؤُهُ إِنَّ تَغْنَى

مَا جَمَعْتُمْ بِحَذَقِكُمْ مِنْ نَقُودِ
 قَى بِسَرِّ التَّوْرَةِ وَالتَّلْمُودِ
 مِنْ غِنَاءٍ مَا بَيْنَ دَفٍّ وَعُودِ
 زَادَ فِي قَوْمِهِ عَلَى (دَاوُدِ)
 سَوَتْ صَوْتَ الْمُتَيِّمِ الْغُرَيْدِ
 كُلُّ نَفْسٍ وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ

وقال فيه أيضاً:

يا (جاءك) إنَّكَ في زَمَانِكَ واجِدٌ
 إنَّ الألى قد عاصروكَ وفاتَهُمْ
 قد جاء (موسى) بالعِصَا وأَتَيْنَا
 فإذا ارْتَجَلْتَ لَنَا الغِنَاءَ فَكُلْنَا
 فمُطالِبُ بإِعادَةٍ ومُطالبُ
 تتسابقُ الأسماعُ صَوْبَكَ كُلِّما
 وتودُّ أَفئدةٌ هَتَكَتْ شِغافَها
 خُلِقَ كما شاءَ الجليسُ وشيمَةُ
 ومروءةٌ لو أَنَّها قد قُسمَتْ
 ولكلِّ عَصْرٍ واجِدٌ لا يُلْحَقُ
 أن يَسْمَعُوكَ كأَنَّهُم لم يَخْلُقُوا
 بالعودِ يَشْدُو في يَدَيْكَ وَيَنْطِقُ
 مُهَجٌ تَسِيلُ وأنْفُسٌ تَتَحَرِّقُ
 بزيادَةٍ ومُهَلِّلٌ ومُصَفِّقُ
 غَنِيَّتُها شَوْقًا إِلَيْكَ وتُغْنِي
 لو أَنَّها بذُيولِها تَتَعَلَّقُ
 يَذْكُو بها صَدْرُ الدَّيِّ وَيَعْبِقُ
 بينَ اليهودِ لأَحْسَنُوا وتَصَدَّقُوا

(٩) نادي الألعاب الرياضية (ليلة السبت ٨ أبريل ١٩١٦م)

أنشدتها في ليلة أحيائها نادي الألعاب الرياضية بالأوبرا السلطانية

بنادي الجزيرة قف ساعة
 تَرى جَنَّةً من جَنانِ الرِّبيعِ
 جَمالُ الطَّبِيعَةِ في أَفْئِقِها
 فَقُلْ لِلْحَزِينِ وَقُلْ لِلْعَلِيلِ
 وَقُلْ لِلأَدِيبِ: ابْتَدِرْ سَاحِها
 وَقُلْ لِلْمُكِبِّ على دَرَسِهِ
 تَنَسَّمْ صَباهُها تَجَدَّدْ قَواكَ
 ففِيها شِفاءٌ لِمَرَضَى الهُمومِ
 وفِيها وفي نِيلِها سُلوةٌ
 وفِيها غِذاءٌ لأَهْلِ العُقُولِ
 ويا رَبِّ يومِ شَدِيدِ اللَّظَى
 به الرِّيحُ لِفَاحَةٍ لِلوُجوهِ
 وشاهدُ بَرِّكَ ما قد حَوَى
 تَبَدَّتْ مع الخُلْدِ في مُسْتَوَى
 تَجَلَّى على عَرِشِهِ واستَوَى
 وَقُلْ لِلْمَلُولِ: هُناكَ الدَّوَا
 إذا ما البَيانُ عَلَيكَ التَّوَى
 إذا نَهَكَ الدَّرْسُ مِنْهُ القُوى:
 فأَرْضُ الجَزِيرَةِ لا تُجَتَّوَى
 ومَلْهُى كَرِيمٌ لِمَرَضَى الهَوَى
 لِكُلِّ غَرِيبٍ رَمَتْهُ النُّوى
 إذا الرُّأسُ إِثَّرَ كِلالِ حَوَى
 رَوَى عن جَهَنَّمَ ما قد رَوَى
 به الشَّمْسُ نَزاعَةً لِلشَّوَى

قَصَدْتُ الْجَزِيرَةَ أَبْغِي النِّجَاةَ
فَأَلْفَيْتُ نَادِيَهَا زَاهِرًا
فَأَنْزَلَنِي مُنْزَلًا طَيِّبًا
وَأَطْفَأَ وَارِفُ تِلْكَ الظُّلَالِ
وَحَلَّ الْأَصِيلُ عِقَالَ الشَّامِ
فَأُخِيتُ بِنَفْسِي ذِكْرَى الشَّبَابِ
وَعَاوَدَ قَلْبِي ذَاكَ الْخُفُوقِ
فَمَا بَالُ قَوْمِي لَا يَأْخُذُونَ
وَمَا بَالُ قَوْمِي لَا يَنْزِلُونَ
تَرَاهُمْ عَلَى نَرْدِهِمْ عُكَّفًا
وَلَوْ أَنْصَفُوا الْجِسْمَ لَاسْتَظْهَرُوا
فِيَا نَادِيًا ضَمَّ أَنْسَ النَّدِيمِ
لِيَالِيكَ أَنْسُ جَلَاهَا الصَّفَا
فَكَمْ لَيْلَةٍ طَابَ فِيكَ الْحَدِيثُ
فَمِنْ مُشْجِيَاتٍ إِلَى مُطْرِبَاتٍ
وَقَدْ زَانَ لَهْوُكَ ثَوْبُ الْوَقَارِ
تَخِفُ إِلَيْهِ رِزَانُ الْحِجَابِ
فَقُلْ لِلَّذِي بَاتَ تَحْتَ الْعُقُودِ
أَتِلْكَ الْأَمَاكِنُ لَا تُسْتَرَادِ
أَتَحْتَ السَّمَاءِ وَبَدْرَ السَّمَاءِ
يُمَلُّ الْجُلُوسُ وَيَفْنَى الْحَدِيثُ
سَأَلْتُ الْأَلَى يَقْدِرُونَ الْحَيَاةَ
مَكَانُ لَعْمَرُكَ مَا حَلَّ فِي
فَمَا أَنْتَ فِي مِصْرَ إِنْ لَمْ تَطْرُ
لَهُ مَلْعَبٌ فِيهِ مَا يَشْتَهِي
لِكُلِّ فَرِيقٍ بِهِ لُغْبَةٌ
وَلِغْبٍ هُوَ الْجِدُّ لَوْ أَنَّ

وَجَسَمِي شَوَاهُ اللَّطَى فَاشْتَوَى
وَأَلْفَيْتُ ثُمَّ نَعِيمًا ثَوَى
وَرَوَى فَوَادِي حَتَّى ارْتَوَى
سَعِيرَ الْهَجِيرِ وَحَرَ الْجَوَى
فَهَبَّتْ بَنْشَرٍ إِلَيْهَا انْضَوَى
وَمَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ انْطَوَى
وَقَدْ كَانَ بَعْدَ الْمَشِيبِ ارْغَوَى
لِتِلْكَ الْجِنَانِ طَرِيقًا سَوَا
بَغِيرٍ (جُرْبِي) وَ(بَارِ اللَّوَا)
يُبَادِرُ كُلُّ إِلَى مَا غَوَى
لَهُ بِالْمِرَانِ وَطِيبِ الْهَوَا
وَلَهُوَ الْكَرِيمُ وَقِيَتِ الْبَلَى
فَأَسْرَتْ إِلَيْكَ وَفُودَ الْمَلَا
فَكَانَ الْكُثُوسُ وَكَانَ الطُّلَا
إِلَى مُضْحِكَاتٍ تُسَلَّى، إِلَى ...
فَلَهْوُكَ فِي كُلِّ ذَوْقٍ حَلَا
وَتَمْشِي إِلَيْهِ السَّرَاةُ الْأَلَى
بَحْرَبٍ عَلَى نَفْسِهِ مُبْتَلَى:
أَتِلْكَ الْمَنَاظِرُ لَا تُجْتَلَى؟
وَبَيْنَ الرِّيَاضِ وَبَيْنَ الْخَلَا
فَهَذَا النَّعِيمُ وَإِلَّا فَلَا؟
أَلَمْ تَفْتَتِنُنْكُمْ؟ فَقَالُوا: بَلَى
نَوَاحِيهِ ذُو الْحُزْنِ إِلَّا سَلَا
إِلَيْهِ فَتَشْهَدَ تِلْكَ الْحَلَى
مُحِبُّ الرِّيَاضَةِ مَهْمَا غَلَا
تُلَاثِمُ مَنْ سَنَّهُ مَا خَلَا
نَظَرْنَا إِلَيْهِ بَعَيْنِ النُّهَى

لدى غير (مصر) له حُظوةٌ
وفي أرض (يونان) شاهدته
وشاهدتُ مَوْسَمَهُ قد حَوَتْ
وماجَ بزوَّارِهِ المُولَعينَ
وقد زادَ أَلْعابَهُ بهَجَّةً
صِراعٌ وَعَدُوٌّ بعيدُ المَدَى
وشاهدتُ عَدَاءَهُمُ قد عدا
وقامتْ مُلاكَمَةُ اللَّاعِبينَ
بأَوْحَى مِنَ اللَّمَحِ كانَ النِّزالُ
ولو رُحْتُ أَنْعْتُ تِلْكَ الضُّرُوبَ
على أَنَّ في أَفْقِنَا نَهْضَةً
وإنَّ لم تَكُنْ بَلَغْتَ أَوْجَهَا
ونادي الرِّياضَةِ أُولَى بأنَّ
أظَلَّتْ جَلَائِلَ أَعْمالِهِ
مَلِيكَ رَعاهِ بِإِقْبالِهِ
ففي عَهْدِهِ فَلْيُجِدَّ المُجَدَّ

فكم راحَ يَلْهُو بهِ مَنْ لَهَا
فأَيُّ جِمالٍ إِلَيْهِ انْتَهَى
نواحيهِ غايَةً ما يُشْتَهَى
وأضحى بعرشِ المُلُوكِ ازْدَهَى
مكانٌ فسيحٌ مُعَدٌّ لَهَا
ووثُبٌ يَكادُ يَنالُ السُّها
ثلاثينَ ميلاً وما إنَّ وَهَى
فأنسَتْ تَناطُحَ وَحْشِ المَها
فيا وَيْلَ مَنْ مِنْهُما قد سَها
لضاقِ القَريضِ وأَعْيَا بها
سَتَبُلُغُ رَغَمَ القُعودِ المَدَى
كذا كُلُّ شَيْءٍ إذا ما ابْتَدَأَ
يكونَ عليها مَنارَ الهُدَى
ظلالُ (حُسين) حَليفِ النَّدَى
وحُسْنِ عِنايَتِهِ والجَدَا
فإنَّ السُّعودَ بهِ قد بدا

(١٠) رحلته إلى إيطاليا (نشرت في نوفمبر سنة ١٩٢٣م)

عاصِفٌ يَرْتَمِي وَبَحْرٌ يُغِيرُ
وكأنَّ الأمواجَ، وهي تَوَالِي
أزْبَدَتْ، ثُمَّ جَرَجَرَتْ، ثُمَّ ثَارَتْ
ثُمَّ أَوْفَتْ مِثْلَ الجِبَالِ على الفُلِّ
تَتَرَامَى بِجُوجُؤٍ لا يُبالي
أزْعَجَ البَحْرُ جَانِبَيْهَا مِنَ الشَّدِّ
وهو أَنَا يَنْحَطُّ مِنْ عَلٍ كالسَّيِّدِ

أنا باللهِ مِنْهُما مُسْتَجِيرُ
مُخَنَّقَاتٍ، أَشْجَانُ نَفْسٍ تَتَوَرُّ
ثُمَّ فَارَتْ كَمَا تَفُورُ القُدُورُ
كِ وَلِلْفُلِّ عَزْمَةٌ لا تَخُورُ
أَمِياءُ تَحَوِّطُهُ أَمْ صُخُورُ؟
بِ فَجَنَّبُ يَغْلُو وَجَنَّبُ يَغُورُ
لِ وَأَنَا يَحَوِّطُهَا مِنْهُ سُوْرُ

ساقه للطعان ندب جسور
جازعات كادت شعاعا تطير
حدوف لاحت أكفائنا والقبور
والمنايا إلى النفوس تشير
ك فزالت عمن ثقل الشرور
ه فسبحان من إليه المصير
منه ذاك العباب وهو حصير
واتساع وأنت خلق كبير
ذرة في فضاء ربي تدور
ليس يدري مداه إلا القدير
منشآت كأنهن القصور
أن تحليك بالجمان البحور
تشتهيه من الحسان النحور
وتنحى عن ساكنيك الثبور
ليس فيها عن الكمال قصور
صنع الكف عبقرى شهير
من معاني الحياة فيها سطور
ها جمال على حفافيه نور
قى بدنيا فيها الأحاديث زور
ن كما تشتهي وملك كبير
وعذاب ومنگر ونكير
نأ) و(كالبيريا) ليوم عسير
ل وتمحو ما سطرته الدهور
قد تعالى شهيقة والزفير
ليس يغني مع القضاء النذير
ليس للحر عن جماها مسير
فهي شرقية حوتها الخدور

وهي تزور كالجواد إذا ما
وعليها نفوسنا خائرات
في ثنايا الأمواج والزبد المن
مر يوم وبغض يوم علينا
ثم طافت عناية الله بالفل
ملكك دقة النجاة يد الله
أمر البحر فاستكان وأمسى
أيها البحر لا يغرنك حول
إنما أنت ذرة قد حوتها
إنما أنت قطرة في إناء
إيه (إسبيريا) فذك الجواري
يا عروس البحار إنك أهل
فالبسي اليوم من ثنائى عقدا
إيه إيطاليا عدت العوادي
فيك يا مهبط الجمال فنون
ودمى جمع المحاسن فيها
قد أقيمت من الجماد ولكن
فهى تبدو من الملائك يكسو
أمرت بالسكوت من جانب الح
أرضهم جنة وحور وولدا
تحتها - والعياد بالله - نار
إن يوما كيوم (ردجو) و(مسيب
ساعة منه تهلك الحرث والنس
ذاك (فيزوف) قائما يتلظى
يُنذر القوم بالرحيل ولكن
وكذاك الأوطان مهما تجنت
شمسهم غادة عليها حجاب

شَمْسُنَا غَادَةً أَبَتْ أَنْ تَوَارَى
جَوْهُهُمْ فِي تَقَلُّبٍ وَاحْتِلَافٍ
جَوْنًا أَثَبَّتَ الْجَوَاءَ وَلَكِنْ
وَلَدِيهِمْ مِنَ الْفُنُونِ لُبَابُ
أَنْكَرَ الْوَقْفَ شَرَعُهُمْ فَلِهَذَا
لَيْسَ فِيهَا مُسْتَنْقَعٌ أَوْ جِدَارُ
كُلِّ شَبْرٍ فِيهَا عَلَيْهِ بِنَاءٌ
قَسَمُوا الْوَقْتَ بَيْنَ لَهْوٍ وَجِدِّ
كُلُّهُمْ كَادِحٌ بِكُورٍ إِلَى الرَّزِّ
لَا تَرَى فِي الصَّبَاحِ لِاعِبٍ نَرْدٍ
لَا وَلَا بَاهِلًا سَلِيمَ النَّوَاحِي
لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلَاهِي
لَا يُبَالُونَ بِالطَّبِيعَةِ حَنْتٍ
عَصَفَتْ فَوْقَهُمْ رِيَاخُ عَوَاتٍ
قَدْ أَعْدُوا الْحَادِثَاتِ اللَّيَالِي
نَضَرُوا الصَّخَرَ فِي رُءُوسِ الرُّوَاسِي
قَدْ وَقَفْنَا عِنْدَ الْقَدِيمِ وَسَارُوا
وَالْجَوَارِي فِي النَّيْلِ مِنْ عَهْدِ (نُوحٍ)
وَلِعَ الْقَوْمُ بِالنِّظَافَةِ حَتَّى
فَإِذَا سَرَتْ فِي الطَّرِيقِ نَهَارًا
أَفْرَطَ الْقَوْمُ فِي النِّظَامِ وَعِنْدِي
وَلَذِيذُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ فَوْضَى
فَإِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ:
ذَاكَ رَأْيِي وَهَلْ أَشَارَكَ فِيهِ
فِي جِبَالِ التَّيْرُولِ إِنْ أَقْبَلَ الصَّبِي
أَذْكَرْتَنِي مَا قَالَهُ عَرَبِيٌّ
حَلَّ تَرَكُ الصَّلَاةِ فِي هَذِهِ الْأَرْ

فَهِيَ غَرْبِيَّةٌ جَلَاهَا السُّفُورُ
غَيْرَ أَنَّ الثُّبَاتَ فِيهِمْ وَفِيرُ
لَيْسَ فِينَا عَلَى الثُّبَاتِ صَبُورُ
وَلَدَيْنَا مِنَ الْفُنُونِ قُشُورُ
كُلُّ رَبْعٍ بِأَرْضِهِمْ مَعْمُورُ
قَدْ تَدَاعَى أَوْ مَسَكَنُ مَهْجُورُ
مُشْمَخِرُ أَوْ رَوْضَةٌ أَوْ غَدِيرُ
فِي مَدَى الْيَوْمِ قِسْمَةٌ لَا تَجُورُ
قِي وَلَاهَ إِذَا دَعَاهُ السُّرُورُ
حَوْلَهُ لِلرَّهَانِ جَمٌّ غَفِيرُ
لِلْقَهَاوِي رَوَاخُهُ وَالْبُكُورُ
أَوْ شُثُونِ الْحَيَاةِ جَوْ مَطِيرُ
أَمْ تَجَنَّتْ أَمْ اِحتَوَاهَا النَّعُورُ
أَمْ أَجَارَتْ بِهِمْ صَبَا أَمْ دَبُورُ
عُدَّةٌ لَا يَحُوزُهَا التَّقْدِيرُ
وَلَدَيْنَا فِي مَوْطِنِ الْخِصْبِ بُورُ
حَيْثُ تَسْرِي إِلَى الْكَمَالِ الْبُذُورُ
لَمْ يُقَدَّرْ لَصُنْعِهَا تَغْيِيرُ
جُنَّ فِيهَا غَنِيَّتُهُمْ وَالْفَقِيرُ
خَلَّتْ أُنْيَى عَلَى الْمَرَايَا أُسِيرُ
أَنَّ قَرَطَ النِّظَامِ أَسْرُ وَنِيرُ
لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرُ أَوْ أَمِيرُ
أَمَّةٌ حُرَّةٌ وَفَرْدٌ أُسِيرُ
إِنَّهُ قَوْلُ شَاعِرٍ لَا يَضِيرُ
فَقْ نَعِيمٌ وَإِنْ مَضَى زَمَهْرِيرُ
طَارِقِي أَمْسَى اِحتَوَاهُ (شُلَيْرُ):
ضَ وَحَلَّتْ عَلَيْهَا الْخُمُورُ

إِنَّ صَدْرَ السَّعِيرِ أَحْنَى عَلَيْنَا مِنْ (شَلِيرٍ) وَأَيْنَ مِنَّا السَّعِيرُ
 قَدْ بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ بِ فَمَا فِي الْحَيَاةِ أَمْرٌ يَسِيرُ
 مِنْ ثَوَاءٍ فِيهِ الْمَلَالُ لِزَامٍ أَوْ رَحِيلٍ فِيهِ الْعَنَاءُ كَثِيرُ

(١١) حريق

قال هذه الأبيات في حريق رآه بمنزل عبد الله أباطه بك

عَجِبَ النَّاسُ مِنْكَ يَا بَنَ سُلَيْمًا نَ وَقَدْ أَبْصَرُوا لَدَيْكَ عَجِيبًا
 أَبْصَرُوا فِي جِمَاكَ غَيْثًا وَنَارًا ذَاكَ يَهْمِي وَتِلْكَ تَذْكُو لَهْيَا
 وَنَسُوا أَنَّ جُودَ كَفِّكَ غَيْثُ ظِلٌّ لِلْمُرْتَجِي الْوُرُودَ قَرِيبَا
 وَهِيَ ضَيْفٌ أَصَابَهُ عَنَتُ الدَّهْ رَ وَأَلْقَى هَذَا الْفَنَاءَ رَحِيبَا
 فَأَتَى يُبْرِدُ الْغَلِيلَ بِقَطْرِ مِنْ نَدَى سَيِّدٍ يُوَاسِي الْغَرِيبَا

(١٢) خنجر مكبث

قصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزي شكسبير، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرًا تخيله حينما همّ باغتيال ابن عمه (دانكان) الملك ليخلفه في ملكه؛ ويصف تردده أولاً ثم تصميمه بعد ذلك على تنفيذ ما أراد:

كَأَنِّي أَرَى فِي اللَّيْلِ نَضْلًا مَجْرَدًا يَطِيرُ بِكِلْتَا صَفْحَتَيْهِ شَرَارُ
 تُقَالِبُهُ لِلْعَيْنِ كَفٌّ خَفِيَّةٌ ففِيهِ خُفُوقُ تَارَةٍ وَقَرَارُ
 يُمَاطِلُ نَصْلِي فِي صَفَاءِ فَرْنِدِهِ وَيَحْكِيهِ مِنْهُ رَوْنَقٌ وَغِرَارُ
 أَرَاهُ فَتُدْنِينِي إِلَيْهِ شِرَاسْتِي فَيَنَأَى وَفِي نَفْسِي إِلَيْهِ أَوَارُ
 وَأَهْوِي بِزَنْدِي طَامِعًا فِي التَّقَاطِهِ فَيُذِرْكُهُ عِنْدَ الدُّنُوِّ نِفَارُ
 تَخْبِطُنِي مَسُّ مِنَ الْجِنِّ أَمْ سَرَتْ بِأَجْزَاءِ نَفْسِي نَشْوَةٌ وَخُمَارُ
 أَرَانِي فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمٍ فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلِيهِ نَهَارُ؟

ولو أنَّ عُقْبَى الْقَاتِلِينَ خَسَارُ
هَوَى النَّفْسِ ذُلٌّ، وَالْخِيَانَةُ عَارُ
وَفِي طَيِّ نَفْسِي لِلشُّرُورِ مَثَارُ
وَهَذَا دَمٌ، أَمْ فِي شَبَابِكَ نَارُ؟
وَذَاكَ الدَّمُ الْجَارِي عَلَيْكَ شِعَارُ؟
فإِنِّي وَحِيدٌ وَالْخُطُوبُ كُثَارُ
فَلَيْلِي بِهِيمٌ وَالطَّرِيقُ عِثَارُ
وإنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ثَارُ
فَمَا لِي عَلَى هَذَا الْقَضَاءِ خِيَارُ
لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَاتِ تُعَارُ
وَيَا شَرُّ مَالِي مِنْ يَدَيْكَ فِرَارُ
يَضِلُّ بِهِ سِرْبُ الْقَطَا وَيَحَارُ
عَلَى سِرِّ أَهْلِ الشَّرِّ مِنْكَ سِتَارُ
مِنَ الْمَشْيِ لَوْ يُنْجِي الْأَثِيمَ حِذَارُ
لَهُ الْجَنُّ أَهْلٌ وَالْمَكَايِدُ دَارُ
تَجَرَّدَ لِلإِيذَاءِ حَيْثُ يُثَارُ
خِيَارُهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ شِرَارُ
إِلَى الشَّرِّ وَاسْتَلَّتْ ظُبًّا وَشِفَارُ

سَأَقْتُلُ ضَيْفِي وَابْنَ عَمِّي وَمَالِكِي
وَأَرْضِي هَوَى نَفْسِي وَإِنْ صَحَّ قَوْلُهُمْ
فِيَاءُهَا النَّصْلُ الَّذِي لَاحَ فِي الدُّجَى
تُرَى خَدَعْتَنِي الْعَيْنُ أَمْ كُنْتُ مُبْصِرًا
وَهَلْ أَنْتَ تَمَثَّلُ لَكَيْدٍ نَوَيْتُهُ
فإِنْ لَمْ تَكُنْ وَهَمًّا فَكُنْ خَيْرَ مُسْعِدٍ
وَكُنْ لِي دَلِيلًا فِي الظَّلَامِ وَهَادِيًا
عَلَى الْفِتَنِ يَا (دُنْكَانُ) صَحَّتْ عَزِيمَتِي
فإِنْ يَكُ حُبُّ التَّاجِ أَعْمَى بَصِيرَتِي
أَعِزَّنِي فَوَادًا مِنْكَ يَا دَهْرُ قَاسِيًا
وَيَا حِلْمُ قَاطِعُنِي وَيَا رُشْدُ لَا تَتَّبِ
وَيَا لَيْلُ أَنْزِلْنِي بِجَوْفِكَ مَنْزِلًا
وَإِنْ كُنْتُ لَيْلُ (الْمَانَوِيَّةِ) فَلْيَكُنْ
وَيَا قَدَمِي سِيرِي حِذَارًا وَخَافَتِي
وَقَفْتُ بِجَوْفِ اللَّيْلِ وَقَفَّةَ سَاحِرٍ
إِذَا اشْتَمَلَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ عَلَى الْوَرَى
فَمَالِي كَأَنِّي فَاتِكُ ذُو عَشِيرَةٍ
إِذَا مَا عَوَى ذَنْبُ الْفَلَا هَبَّ جَمْعُهُمْ

(١٣) طول الليل

إِنِّي أَرَاكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الضَّجَرِ
كَالْقَوْمِ فِي مِصْرَ، لَا يَنْوِي عَلَى سَفَرِ

يَا سَاهِدَ النَّجْمِ هَلْ لِلصُّبْحِ مِنْ خَبَرِ
أَظُنُّ لَيْلَكَ مُدُّ طَالِ الْمَقَامِ بِهِ

وقال في هذا المعنى أيضاً:

أَقْضِيهِ فِي الْأَشْوَاقِ إِلَّا أَقَلَّهُ
وَلَيْسَ اشْتِيَاقِي عَنْ غَرَامِ بَشَايِنِ
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ أَعْرَتْ نُجُومَهُ
وَمَلَّ كِلَانَا مِنْ أَخِيهِ وَهَكَذَا
بَطِيءٌ سُرَى أَبْدَى إِلَى اللَّبْثِ مِثْلَهُ
وَلَكِنَّهُ شَوْقُ امْرِئٍ فَاتَ أَهْلَهُ
تَوَقَّدَ أَنْفَاسِي وَعَانَيْتُ مِثْلَهُ
إِذَا طَالَ عَهْدُ الْمَرِّ بِالشَّيْءِ مَلَّهُ

(١٤) الشَّعْر

ضِغْتَ بَيْنَ النَّهْيِ وَبَيْنَ الْخَيَالِ
ضِغْتَ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمِ هُجُودِ
قَدْ أَذْلُوكَ بَيْنَ أَنْسٍ وَكَأْسٍ
وَنَسِيبٍ وَمَذْحَةٍ وَهَجَاءٍ
وَحِمَاسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ
عِشْتُ مَا بَيْنَهُمْ مَذَالاً مُضَاعَاً
حَمَلُوكَ الْعَنَاءَ مِنْ حُبِّ (لَيْلَى)
وَبُكَاءٍ عَلَى عَزِيزٍ تَوَلَّى
وَإِذَا مَا سَمَوْا بِقَدْرِكَ يَوْمًا
أَنْ يَا شَعْرُ أَنْ نَفُكَّ قُيُودًا
فَارْفَعُوا هَذِهِ الْكَمَائِمَ عَنَّا
يَا حَكِيمَ النَّفُوسِ يَا بَنَ الْمَعَالِي
لَمْ يُفَيِّقُوا وَأَمَّةً مِكَسَالٍ
وَعَرَامٍ بِظَبْيَةٍ أَوْ غَزَالٍ
وَرِثَاءٍ وَفِثْنَةٍ وَضَلَالٍ
وَصَغَارٍ يَجْرُ ذَيْلُ اخْتِيَالٍ
وَكَذَا كُنْتُ فِي الْعُصُورِ الْخَوَالِي
و(سُلَيْمَى) وَوَقْفَةِ الْأَطْلَالِ
وَرُسُومٍ رَاحَتْ بِهِنَّ اللَّيَالِي
أَسْكَنُوكَ الرِّجَالَ فَوْقَ الْجِمَالِ
قَيَّدْتَنَا بِهَا دُعَاةَ الْمُحَالِ
وَدَعَوْنَا نَشْمُ رِيحَ الشَّمَالِ

(١٥) خَزَّانِ أَسْوَانِ

قال هذين البيتين في العام الذي أسس فيه خَزَّانِ أَسْوَانِ ونقص فيه الفيضان:

أُنْكَرَ النَّيْلُ مَوْقِفَ الْخَزَّانِ
رَاعَهُ أَنْ يَرَى عَلَى جَانِبَيْهِ
فَانْتَنَى قَافِلًا إِلَى السُّودَانِ
رَصَدًا مِنْ مَكَائِدِ الْإِنْسَانِ

(١٦) مَعُونَةُ الدَّمْعِ

يَا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمْعَ لُطْفًا عَفَا مِنْكَ بِالْبَاكِي الْحَزِينُ
بَارِكْ لِعَبْدِكَ فِي الدُّمُوعِ عِزِّهَا فِيهَا نِعَمَ الْمُعِينِ

الْخَمْرِيَّاتُ

(نُشِرَتْ فِي سَنَةِ ١٩٠٠ م)

قال:

يا ساقِيَّ عَلَيَّ بالصَّهْبَاءِ
أَوْ بالدَّنَانِ فَإِنَّ فِيهِ شِفَائِي
تَحْرِيمُهَا وَالذَّنْبُ لِلْقُدَمَاءِ
نَزَلَ الْكِتَابُ بِحِكْمَةٍ وَجَلَاءِ
يا ضَرَّةَ الْأَحْزَانِ فِي الْأَحْشَاءِ
مَالِي أَرَاكَ كَثِيرَةَ الْأَعْدَاءِ
ثُمَّ اخْتَبَأْتَ بِمُهْجَةِ الظُّلَمَاءِ
وَتَدَاوَلْتَكَ أَنْامِلُ الْأَنْبَاءِ
بِيَدِ الْكَرِيمِ وَرَاحَةِ الْأَدْبَاءِ
وَلَقَدْ بُلِيتُ مِنَ الْهُمُومِ بَدَاءِ
وَكَذَا الْبَنُونَ عَلَى هَوَى الْأَبَاءِ
فَرَأَيْتُ صِحَّةَ مَا حَكَاهُ (الطَّائِي):
فَتَعَلَّمْتُ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الْمَاءِ

هَذَا الظَّلَامُ أَثَارَ كَامِنٍ دَائِي
بِالْكَاسِ أَوْ بِالطَّاسِ أَوْ بِأَثْنَيْهِمَا
مَشْمُولَةٌ لَوْلَا التَّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ
قَرَبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَى بَعْدَمَا
يَا زَوْجَةَ ابْنِ الْمُزْنِ يَا أُخْتَ الْهَنَا
يَا طِبِّ (جَالِينُوسَ) فِي أَنْوَاعِهِ
عَصْرُوكَ مِنْ حَدِّي سُهَيْلِ خُلْسَةٍ
فَلَبِثْتُ فِيهَا قَبْلَ نَوْحِ حَقِيبَةٍ
حَتَّى أَتَاكَ اللَّهُ أَنْ تَتَجَمَّلِي
يَا صَاحِبِي كَيْفَ النُّزُوعُ عَنِ الطَّلَا
وَاللَّيْلُ أَرَشَدَهُ أَبُوهُ لِشَقَوَاتِي
أَلَّفْتُ بَيْنَ ابْنِ السَّحَابِ وَبَيْنَهَا
(صَعُبْتُ وَرَاضَ الْمَرْجُ سَيِّئُ خُلُقِهَا

(١) وقال وقد بعث بها إلى محمد المولحي بك الكاتب المعروف (نُشرت في سنة ١٩٠٠م)

بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَنٍّ وَحَدْسٍ
سَ، وَهَيْئٌ لَنَا مَكَانًا كَأَمْسٍ
نَّ وَامْلَأْ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ كَأْسِي
مِنْ سَنَاها فَذَاكَ وَقْتُ التَّحْسِي
وَتَعَجَّلْ وَاسْبِلْ سُبُورَ الدَّمَقْسِ
لَا نَطِيقُ الْكَلَامَ إِلَّا بِهِمْسٍ
مِنْ خُدُودِ الْمِلَاحِ فِي يَوْمِ غُرْسٍ
وَهُوَ فِي السَّجْنِ بَيْنَ هَمٍّ وَيَأْسٍ
وَحَبْتَهُ السُّعُودَ مِنْ بَعْدِ نَحْسٍ
هَذِهِ الْخَنْدَرِيسُ تُدْعَى بِرَجْسٍ؟
غَرْسُهُ فِي الْجِنَانِ أَكْرَمُ غَرْسٍ
قِ (المُولِحِي) فِي صَفَاءٍ وَأَنْسٍ
جِبَالٍ، وَالْعِزِّ، وَالْعُلَا، حَيْثُ يُمَسِّي

أَوْشَكَ الدَّيْكَ أَنْ يَصِيحَ وَنَفْسِي
يَا غَلَامُ، الْمُدَامَ وَالْكَاسَ، وَالطَّا
أَطْلُقِ الشَّمْسَ مِنْ غَيَاهِبِ هَذَا الدَّ
وَأَذِنِ الصُّبْحَ أَنْ يَلُوحَ لِعَيْنِي
وَادْعُ نَدْمَانَ خُلُوتِي وَائْتِنَاسِي
وَاسْقِنَا يَا غَلَامُ حَتَّى تَرَانَا
خَمْرَةً قِيلَ إِنَّهُمْ عَصَرُوهَا
مُذْ رَأَاهَا فَتَى الْعَزِيزِ مَنَامًا
أَعْقَبَتْهُ الْخَلَاصَ مِنْ بَعْدِ ضَيْقٍ
يَا نَدِيمِي بِاللَّهِ قُلْ لِي لِمَاذَا
هِيَ نَفْسُ زَكِيَّةٍ وَأَبُوهَا
هِيَ نَفْسُ تَعَلَّمَتْ حُسْنَ أَخْلَا
خَصَّهُ اللَّهُ حَيْثُ يُصْبِحُ بِالْإِقْدَ

(٢) مجلس شراب

جُيُوشَ الدَّجَى مَا بَيْنَ أَنْسٍ وَأَفْرَاحٍ
قَعِيدَةً خَمَرٍ تَمَرُّجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ
نُحَاوِلُ وَرْدَ الرَّاحِ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِي
وَفِي رِدْفِهَا وَاسْتَعْرِضْتُ جَيْشَ أَقْدَاحٍ

وَفَتَيَانِ أَنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يُبَدِّدُوا
فَهَبُّوا إِلَى خَمَارَةٍ قِيلَ إِنَّهَا
وَقَالُوا لَهَا: إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظَمًا
فَقَامَتْ وَفِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى

وقال أيضاً:

مَرَّتْ كَعْمَرِ الْوَرْدِ بَيْنَا أَجْتَلِي
لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّ الْمُدَامِ وَلَمْ أَقْمِ
وَالزَّهْرُ يَحْتَثُّ الْكُتُوسَ بِلَحْظِهِ
أَخْشَى عَوَاقِبَهَا وَأَغْبِطُ شَرْبَهَا
وَأَمِيلُ مَنْ طَرَبَ إِذَا مَالَتْ بِهِمْ
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ فَإِنَّنِي

إِصْبَاحَهَا إِذْ أَدْنَتْ بَرَوَاحِ
فِي الشَّارِبِينَ بَوَاجِبِ الْأَقْدَاحِ
وَيَشُوبُهَا بِأَرْجِحِهِ الْفَيَّاحِ
وَأَجِيدُ مَدَحَتَهَا مَعَ الْمُدَّاحِ
فَاعَجَبَ لِنَشْوَانِ الْجَوَانِحِ صَاحِي
أَفْسَدْتُ فِي ذَاكَ النَّهَارِ صَلَاحِي

وقال:

خَمْرَةٌ فِي (بَابِلٍ) قَدْ صُهِرَجَتْ
أَوْدَعُوهَا جَوْفَ دَنْ مُظْلِمٍ
سَأَلُوا الْكُهَّانَ عَنْ شَارِبِهَا
فَأَجَابُوهُمْ: فَتَى ذُو مِرَّةٍ
مُغْرَمٌ بِالْعُودِ وَالنَّايِ مَعَا
هَمُّهُ فَصْدُ دِنَانٍ وَنَدَى

هَكَذَا أَخْبَرَ حَاخَامُ الْيَهُودَ
وَلَدَيْهِ بَشَّرُوهَا بِالْخُلُودِ
وَعَنِ السَّاقِي فِي أَيِّ الْعُهْدِ؟
مَنْ بَنَى مِصْرَ لَهُ فَضْلٌ وَجُودُ
مَوْلَعُ الشَّرْبِ وَالنَّاسُ هُجُودُ
وَأَبُوهُ هَمُّهُ جَمْعُ النُّقُودِ

(٣) ذِكْرُ مَجْلِسِ شَرَابٍ

بَعَثَ بِهَا مِنَ السُّودَانِ إِلَى بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ بِمِصْرَ

فَتَيَّةُ الصَّهْبَاءِ خَيْرَ الشَّارِبِينَ
وَأَذْكُرُونِي عِنْدَ كَاسَاتِ الطُّلَا
وَإِذَا مَا اسْتَنْهَضَتْكُمْ لَيْلَةٌ
رُبَّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى
فَقْضَيْنَاهُ وَلَمْ نَحْفَلْ بِمَا
بَيْنَ أَقْدَاحٍ وَرَاحٍ عُتَّقَتْ

جَدُّدُوا بِاللَّهِ عَهْدَ الْغَائِبِينَ
إِنَّنِي كُنْتُ إِمَامَ الْمُدْمِنِينَ
دَعْوَةُ الْخَمْرِ فَثُورُوا أَجْمَعِينَ
مَا تَعَاهَدْنَا وَكُنَّا فَاعِلِينَ
سَطَّرْتُ أَيْدِي الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ
وَرِيَاحِينَ وَلِوِلْدَانٍ وَعِينِ

وُسْقَاةٍ صَفَّقَتْ أَكْوَابَهَا
 آنَسَتْ مِنَّا عَطَاشًا كَالْقَطَا
 فَمَشَتْ بِالْكَاسِ وَالطَّاسِ لَنَا
 وَتَوَائِبُنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ
 عَمَدِ السَّاقِي لِأَنْ يَقْتُلَهَا
 ثُمَّ لَمَّا أَنْ رَأَى عِفَّتَهَا
 وَأَجْلُنَا الْكَاسَ فِيمَا بَيْنَنَا
 وَشَفَيْنَا النَّفْسَ مِنْ كُلِّ رَشَا
 وَطَوَى مَجْلِسَنَا بَعْدَ الْهَنَا
 هَكَذَا كُنَّا بِأَيَّامِ الصِّفَا
 لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى
 بَعْضُهَا الْبُلُورُ وَالْبَعْضُ لُجَيْنُ
 صَادَقَتْ وَرْدًا بِهِ مَاءٌ مَعِينُ
 مَشْيَةِ الْأَفْرَاحِ لِلْقَلْبِ الْحَزِينُ
 ذَاتِ أُلْوَانٍ تَسُرُّ النَّاضِرِينَ
 وَهِيَ بِكُرٍّ أَحْصَنْتَ مِنْذُ سِنِينَ
 خَافَ فِيهَا اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ
 وَعَلَى الصُّهْبَاءِ بِتْنَا عَاكِفِينَ
 نَطَقَتْ عَيْنَاهُ بِالسُّحْرِ الْمُبِينِ
 وَانْشَرَّاحِ الصِّدْرِ تَكْبِيرُ الْأَذِينَ
 نَنْهَبُ اللَّذَاتِ فِي الْوَقْتِ الثَّمِينِ
 مِنْ سَبِيلٍ لِلْقَا أَمْ لَاتَ حِينَ

الغزل

(نشر في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠م)

قال ترجمة عن جان جاك روسو:

يَأْيُهَا الْحُبُّ اِمْتَزَجَ بِالْحَشَى
وَاسْلُ حَيَاةً مِنْ يَمِينِ الرَّدَى
فَإِنَّ فِي الْحُبِّ حَيَاةَ النَّفْسِ
أَوْشَكَ يَدْعُوهَا ظِلَامُ الرُّمُوسِ

وقال ترجمة عنه أيضًا

تَمَثَّلِي إِنْ شِئْتِ فِي مَنْظَرٍ
أَوْ فَابِعْثِي قَلْبًا إِلَى أَضْلَعِ
(يَا جُولِيَا) أَنْكِرُ فِيهِ الْغَرَامُ
رَاحَ بِهِ الْوَجْدُ وَأَوْدَى السَّقَامُ

وقال ترجمة عنه أيضًا:

غُضِّي جُفُونِ السَّحَرِ أَوْ فَارْحَمِي
وَلَا تَصُولِي بِالْقَوَامِ الَّذِي
مُنَيَّمًا يَخْشَى نِزَالَ الْجُفُونِ
إِنِّي لِأَدْرِي مِنْكَ مَعْنَى الْهَوَى
تَمِيسُ فِيهِ يَا مُنَايَ الْمَنُونِ
(يَا جُولِيَا) وَالنَّاسُ لَا يَعْرِفُونُ

(١) في جُنْدِيٍّ مَليحٍ (نشرت في سنة ١٩٠٦م)

وَمِنْ عَجَبٍ قَدْ قَلَّدُوكَ مُهَنْدًا وَفِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ سَيْفٌ مُهَنْدٌ
إِذَا أَنْتَ قَدْ جَرَّدْتَهُ أَوْ غَمَدْتَهُ فَتَلَّتْ بِهِ وَاللَّحْظُ لَا يَتَعَمَّدُ

وقال:

أَنَا الْعَاشِقُ الْعَانِي وَإِنْ كُنْتُ لَا تَدْرِي خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ فِي زِيَّهِ أَتَى
وَهَذَا السَّرَى نَحْوَ الْحِمَى يَسْتَفِرُّنَا فَهَيَّا وَإِنْ كُنَّا عَلَى مَرْكَبٍ وَغَرِ
خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ وَلَيْسَ لَهُ غَيْرُ الْأَحَادِيثِ وَالذِّكْرِ
فَهَاتِ لَنَا أَذْكَى حَدِيثٍ وَعَيْتَهُ أَلَدُّ بِهِ إِنَّ الْأَحَادِيثَ كَالْخَمْرِ

وقال:

قَالَتْ الْجَوْزَاءُ حِينَ رَأَتْ جَفَنَهُ قَدْ وَاصَلَ السَّهَرِ
مَا لِهَذَا الصَّبِّ فِي وَلِهِ أَتُرَاهُ يَعْشَقُ الْقَمَرَا

وقال يتغزل في مَليحٍ ويعرِّض باحتلال الإنجليز:

ظَبِّي الْحِمَى بِاللَّهِ مَا ضَرَكَا إِذَا رَأَيْنَا فِي الْكَرَى طَيْفَكَ
وَمَا الَّذِي تَخْشَاهُ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا فُلَانٌ قَدْ غَدَا عَبْدُكَ؟
قَدْ حَرَّمُوا الرِّقَّ وَلَكِنَّهُمْ مَا حَرَّمُوا رِقَّ الْهَوَى عِنْدَكَ
وَأَصْبَحَتْ مِصْرُ مُرَاحًا لَهُمْ وَأَنْتَ فِي الْأَحْشَا مُرَاحٌ لَكَ
مَا كَانَ سَهْلًا أَنْ يَرَوْا نِيلَهَا لَوْ أَنَّ فِي أَسْيَافِنَا لَحْظَكَ

(٢) يقين الحب

أَذِنْتُكَ تَرْتَابِينَ فِي الشَّمْسِ وَالضُّحَى
وَلَا تَسْمَحِي لِلشَّكِّ يَخْطِرُ خَطَرَهُ
وَفِي النُّورِ وَالظُّلُمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
بِنَفْسِكَ يَوْمًا أَنَّنِي لَسْتُ مُغْرَمًا

(٣) الخال

قالهما في مليح رأى خالاً على غرته
سألته ما لهذا الخال مُنْفَرِدًا
أجابني: خاف من سَهْمِ الجُفُونِ وَمِنْ
واختارَ غُرَّتَكَ الْغَرًّا لَهُ سَكَنًا
نَارِ الْخُدُودِ، لِهَذَا هَاجَرَ الْوَطَنَا

(٤) رسائل الشوق

سُورٌ عِنْدِي لَهُ مَكْتُوبَةٌ
إِنَّنِي لَا أَمْنُ الرُّسُلَ وَلَا
مُسْتَهِينٌ بِالَّذِي كَابَدْتُهُ
أَنَا فِي هَمٍّ وَيَأْسٍ وَأَسَى
وَدَّ لَوْ يَسْرِي بِهَا الرُّوحُ الْأَمِينُ
أَمْنُ الْكُتُبِ عَلَى مَا تَحْتَوِينُ
وَهُوَ لَا يَذْرِي بِمَاذَا يَسْتَهِينُ
حَاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْصُولُ الْأَيْنِ

الاجتماعيات

(١) حريق ميت غمر (نشرت في ٧ مايو سنة ١٩٠٢م)

كيف باتت نساؤهم والعذارى
مَ وكيف اصطلى مع القوم نارا
يتداعى وأسقف تتجارى
فاكشف الكرب واحجب الأقدارا
ومر الغيث أن يسيل انهمارا
هذه النار؟ فهي تشكو الأورا
تملأ الأرض والسَّمَاء شرا
ورمتهم واليوس يجري يسارا
ثم غارت وقد كستهن قارا
لم تغادر صغارهم والكبارا
حذر الموت يطلبون الفرارا
أقبل الصبح يلبسون النهارا
ر ولا عنهم ترد الغبارا
سي جرون للذيول افتخارا
يتوارون ذلة وانكسارا
ن كريما من أن يقل العثارا
وأجرهم كما أجرت النصارى

سائلوا الليل عنهم والنهارا
كيف أمسى رضيعهم فقد الأم
كيف طاح العجوز تحت جدار
رب إن القضاء أنحى عليهم
ومر النار أن تكف أذاها
أين طوفان صاحب الفلك يزوي
أشعلت فحمة الدياجي فباتت
غشيتهم والنحس يجري يمينا
فأغارت وأوجه القوم بيض
أكلت دورهم فلما استقلت
أخرجتهم من الديار عراة
يلبسون الظلام حتى إذا ما
حلة لا تقيهم البرد والحز
أيها الرافلون في حلل الوش
إن فوق العراء قوما جياعا
أيهذا السجين لا يمنع السج
مر بألف لهم وإن شئت زدها

قد شَهِدْنَا بِالْأَمْسِ فِي مِصْرَ عُرْسًا
سَالَ فِيهِ النُّضَارُ حَتَّى حَسِبْنَا
بَاتَ فِيهِ الْمَنَعْمُونَ بَلِيلٌ
يَكْتَسُونَ السُّرُورَ طَوْرًا وَطَوْرًا
وَسَمِعْنَا فِي (مِيتَ غَمْرٍ) صِيحًا
جَلَّ مَنْ قَسَمَ الْحُظُوظَ فَهَذَا
رُبَّ لَيْلٍ فِي الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْسًا
مَلَأَ الْعَيْنَ وَالْفَوَادَ ابْتِهَارًا
أَنَّ ذَاكَ الْفَنَاءَ يَجْرِي نَضَارًا
أُخْجِلَ الصُّبْحُ حُسْنَهُ فَتَوَارَى
فِي يَدِ الْكَأْسِ يَخْلَعُونَ الْوَقَارَا
مَلَأَ الْبَرَّ ضَجَّةً وَالْبَحَارَا
يَتَغَنَّى وَذَاكَ يَبْكِي الدِّيَارَا
وَسُعُودًا وَعُسْرَةً وَيَسَارَا

(٢) إِلَى الْأَرْضِ (بركان مارتنيك سنة ١٩٠٢م)

أَلْبَسُوكِ الدِّمَاءَ فَوْقَ الدِّمَاءِ
فَلَبِسْتِ النَّجِيعَ مِنْ عَهْدِ قَابِيبِ
فَلَكَ الْعُذْرُ إِنْ قَسَوْتَ وَإِنْ خُنْتُ
غَلِطَ النَّاسُ، مَا طَغَى جَبَلُ النَّأِ
أُخْرِجُوا صَدْرَ أُمِّهِ فَأَرَاهُمْ
أَسْخَطُوهَا فَصَابَرَتْهُمْ زَمَانًا
أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ يَكُنْ ذَاكَ سَخَطُ الْـ
إِنْ فِي غُلُوِّ مَسْرَحًا لِلْمَقَادِيبِ
فَاتَّقُوا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ سَوَاءً
وَأَرُوكِ الْعِدَاءَ بَعْدَ الْعِدَاءِ
لَ شَاهَدَتْ مِصْرَ عَ الْأَبْرِيَاءِ
حَتَّ وَإِنْ كُنْتُ مَصْدَرًا لِلشَّقَاءِ
رِ بِإِرسالِ نَفْثَةٍ فِي الْهَوَاءِ
بَعْضُ مَا أَضْمَرْتُ مِنَ الْبَرْحَاءِ
ثُمَّ أَنْحَتُ عَلَيْهِمْ بِالْجَزَاءِ
أَرْضِ، مَاذَا يَكُونُ سَخَطُ السَّمَاءِ؟
رِ فِي الْأَرْضِ مَكْمَنًا لِلْقَضَاءِ
وَاتَّقُوا النَّارَ فِي النَّارِ وَالْفَضَاءِ

(٣) اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ تَنْعِي حَظَّهَا بَيْنَ أَهْلِهَا (نُشِرَتْ فِي سَنَةِ ١٩٠٣م)

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَنَّهُمْ حَصَاتِي
رَمَوْنِي بِعَقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلِيَتَنِي
وَلَدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي
وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْتَسَبْتُ حَيَاتِي
عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي
رِجَالًا وَأَكْفَاءَ وَأَدْتُ بَنَاتِي

وَمَا ضِقْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتٍ
وَتَنْسِيْقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتٍ
فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَ عَنْ صَدَفَاتِي
وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أُسَاتِي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي
وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بِعِزِّ لُغَاتٍ
فِيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ
يُنَادِي بَوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي
بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ
بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ
يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي
لَهَنَ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ
حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظَمِ النَّخَرَاتِ
مَنْ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أُنَاةٍ
فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي
إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرَوَاةٍ
لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي مَسِيلِ فُرَاتٍ
مُشْكَلَةُ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتٍ
بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شَكَاتِي
وَتَنَبَّيْتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي
مَمَاتٌ لَعَمْرِي لَمْ يُقَسَّ بِمَمَاتٍ

وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ
فِيَا وَيَحْكُمُ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي
فَلَا تَكِلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنَّنِي
أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنُّنًا
أَيُّطِرْبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ
وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَلِمْتُمْ
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا
حَفِظَنَ وَدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظْتُهُ
وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطَرِّقٌ
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَزْلَقًا
وَأَسْمَعُ لِلْكِتَابِ فِي مَضَرٍ ضَجَّةً
أَيَهْجُرْنِي قَوْمِي — عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ —
سَرَتْ لَوْثَةُ الْإِفْرَنْجِ فِيهَا كَمَا سَرَى
فَجَاءَتْ كَثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً
إِلَى مَعْشَرِ الْكِتَابِ وَالْجَمْعُ حَافِلٌ
فَإِمَّا حَيَاةً تَبْعَثُ الْمَيِّتَ فِي الْبَلَى
وَإِمَّا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ

(٤) زواج الشيخ علي يوسف صاحب (المؤيد) (نشرت في سبتمبر سنة ١٩٠٤م)

قالها ينعي فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية، وما يراه من فوضى الرأي وقلة الثبات عليه

وَعِفْتُ الْبَيَانَ فَلَا تَعْتَبِي
وَلَا أَنْتِ بِالْبَلَدِ الطَّيِّبِ
أَقَالَ الْيَرَاعَ وَلَمْ يَكُتُبِ
فَقَدْ ضَاقَ بِي مِنْكَ مَا ضَاقَ بِي
سُكُوتُ الْجَمَادِ وَلَعِبُ الصَّبِيِّ؟
لَسَلْبِ الْحُقُوقِ وَلَمْ نَغْضَبِ
مُجِدُّ بِمَضَرٍّ فَلَا تَلْعَبِي
وَلِلنَّشْءِ شَرٌّ مِنَ الْأَجْنَبِيِّ
وَبَيْنَ الْمَسَاجِدِ مَثْوَى الْأَبِ؟
كَمَا قَالَ فِيهَا (أَبُو الطَّيِّبِ)
وَنَحْنُ مِنَ اللَّهِ فِي مَلْعَبِ
فِرَارِ السَّلِيمِ مِنَ الْأَجْرَبِ
وَأُخْرَى تَشْنُ عَلَى الْأَقْرَبِ
وَيَدْعُو إِلَى ظِلِّهِ الْأَرْحَبِ
وَيُطْنِبُ فِي وَرْدِهِ الْأَعْدَبِ
عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا مَارَبِ
وَنِعْمَ الدَّخِيلُ عَلَى مَذْهَبِي
فَشَمَّرَ لِلسَّعْيِ وَالْمَكْسَبِ
وَنَحْنُ عَلَى الْعَيْشِ لَمْ نَذَابِ
أَلْفَنَا الْخُمُولَ وَلَمْ نَكْذِبِ
رَمَاهُ بِهَا الطَّمَعُ الْأَشْعَبِي
فَجَنَّ جُنُونًا بِبَيْتِ النَّبِيِّ
وَضَجَّ لَهَا الْقَبْرُ فِي بَثْرِبِ
وَقَالُوا: تَلَوَّنَ فِي الْمَشْرِبِ
أَلَوْفًا تَدُورُ مَعَ الْأَحْقَبِ
أَغَارَ عَلَى النَّسَبِ الْأَنْجَبِ
بِحُكْمِ أَحَدٍ مِنَ الْمَضْرِبِ

حَطَمْتُ الْيَرَاعَ فَلَا تَعْجَبِي
فَمَا أَنْتِ يَا مَصْرُ دَارَ الْأَدِيبِ
وَكَمْ فِيكَ يَا مَصْرُ مِنْ كَاتِبِ
فَلَا تَعْذُلِينِي لِهَذَا السُّكُوتِ
أَيُعْجِبُنِي مِنْكَ يَوْمَ الْوَفَاقِ
وَكَمْ غَضَبَ النَّاسُ مِنْ قَبْلِنَا
أَنَابَتَهُ الْعَصْرُ إِنَّ الْغَرِيبِ
يَقُولُونَ: فِي النَّشْءِ خَيْرٌ لَنَا
أَفِي (الْأَرْبَكِيَّةِ) مَثْوَى الْبَنِينِ
(وَكَمْ ذَا بِمَضَرٍّ مِنَ الْمُضْحِكَاتِ)
أُمُورٌ تَمُرُّ وَعَيْشٌ يُمَرُّ
وَشَعْبٌ يَفِرُّ مِنَ الصَّالِحَاتِ
وَصُخْفٌ تَطْنُ طَنِينَ الذُّبَابِ
وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ الْأَمِيرِ
وَهَذَا يَلُودُ بِقَصْرِ السَّفِيرِ
وَهَذَا يَصِيحُ مَعَ الصَّائِحِينَ
وَقَالُوا: دَخِيلٌ عَلَيْهِ الْعَفَاءُ
رَأْنَا نِيَامًا وَلَمَّا نَفَقُ
وَمَاذَا عَلَيْهِ إِذَا فَاتَنَا
أَلْفَنَا الْخُمُولَ وَيَا لَيْتَنَا
وَقَالُوا: (الْمُؤَيَّدُ) فِي غَمْرَةِ
دَعَاهُ الْغَرَامُ بِسَنِّ الْكُھُولِ
فَضَجَّ لَهَا الْعَرْشُ وَالْحَامِلُوهُ
وَنَادَى رَجَالٌ بِإِسْقَاطِهِ
وَعَدُّوا عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ
وَقَالُوا لَصِيقُ بَيْتِ الرَّسُولِ
وَزَكَّى (أَبُو خَطُوةً) قَوْلَهُمْ

فما للتّهاني على داره
وما للوفود على بابه
وما للخليفة أسدى إليه
فيا أمة ضاق عن وصفها
تضيع الحقيقة ما بيننا
ويُهضم فينا الإمام الحكيم
على الشرق مني سلام الودود
لقد كان خصبا بجذب الزمان

تساقط كالقطر الصيب؟
تزف البشائر في موكب؟
وساماً يليق بصدر الأبى؟
جنان المفعوه والأخطب
ويصلى البريء مع المذنب
ويكرم فينا الجهول الغبي
وإن طأطأ الشرق للمغرب
فأجذب في الزمن المخصب

(٥) إلى رجال الدنيا الجديدة (في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٦م)

أنشدها في الحفل الذي أقامته كلية البنات الأمريكية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها

أي رجال الدنيا الجديدة مدوا
وأفيضوا عليهم من أيادي
كل يوم لكم روائع آثا
كم خلبتكم عقولنا بعجيب
وبذرتم في أرضنا وزرعتكم
ولمحننا من نوركم في نواصي
وشهدنا من فضلكم أثرا في
ليتنا نقتدي بكم أو نجاري
إن فينا — لولا التخاضل — أبطا
وعقولا لولا الخمول تولا
ودعاة للخير لو أنصفوهم
كاشف الكهرياء ليتك تغنى
آلة تسحق التواكل في الشر

لرجال الدنيا القديمة باعا
كم علوماً وحكمة واختراعا
ر توالون بينهم تباعا
وأمرتم زمانكم فاطاعا
فرائنا ما يعجب الزراعا
حفلة اليوم لمعة وشعاعا
ها يروق العيون والأسماعا
كم عسى تسترد ما كان ضاعا
لا إذا ما هم استقلوا اليراعا
ها لفاضت غرابة وابتداعا
ملئوا الشرق عزة وامتناعا
باختراع يروض منا الطباعا
ق وتلقي عن الرياء القناعا

قد مللنا وقوفنا فيه نبكي
وسمعنا مقالهم: كان زيد
ليت شعري متى تنازع مضر
ونراها تفاخر الناس بالأح
(أرض كولمب) أي نبئك أغلى
أرجال بهم ملكت المعالي
لا عداك السماء والخصب والأمة
طالعي الكون وانظري ما دهاه
حسباً زائلاً ومجداً مضاعاً
عبقرياً وكان عمرو شجاعاً
غيرها المجد في الحياة نزاعاً
بياء فخرًا في الخافقين مذاعاً
قيمة في الملا وأبقى متاعاً
أم نضار به ملكت البقاع
ن ولا زلت للسلام رباعاً
إن ركن السلام فيه تداعى

(٦) مدرسة مصطفى كامل

أنشدها في الحفل الذي أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتقدمين من تلاميذها في ٣٠
نوفمبر سنة ١٩٠٦م

سمعنا حديثاً كقطر الندى
فأضحى لآمالنا منوعشاً
فدينك يا شرق لا تجزعن
فكم محنة أعقبت محنة
فلا يئس منك قيل العداة
أتودع فيك كنوز العلوم
وتبعث في أرضك الأنبياء
وتقضي عليك قضاة الضلال
أتشقى بعهد سما بالعلوم
إذا شاء بز السها سره
وإن شاء أدنى إليه النجوم
وإن شاء زعزع شم الجبال
وإن شاء شاهد في ذرة

فجدد في النفس ما جددا
وأمسى لآملنا مرقدا
إذا اليوم ولّى فراقب غدا
وولت سراعاً كرّج الصدى!
وإن كان قتيلاً كحز المدي
ويمشي لك الغرب مسترفدا؟
ويأتي لك الغرب مسترفدا؟
طوال الليالي بأن ترقدا؟
فأضحى الضعيف بها أيدا؟
وأدرك من جريه المقصدا
فناجى المجرة والفرقدا
فخرت لأقدامه سجداً
عواالم لم تحي فيها سدى

زَمَانٌ تُسَخَّرُ فِيهِ الرِّيحُ
وَتَعْنُو الطَّبِيعَةُ للعارفين
إِذَا مَا أَهَابُوا أَجَابَ الْحَدِيدُ
وَطَارَتْ إِلَيْهِمُ مِنَ الْكَهْرَبَا
أَيَجْمَلُ مِنْ بَعْدِ هَذَا وَذَاكَ
وَهَا أُمَّةٌ (الصُّفَرُ) قَدْ مَهَّدَتْ
فِي أَيُّهَا النَّاشِئُونَ ااعْمَلُوا
سَتُظْهِرُ فِيكُمْ نَوَاتُ الْغُيُوبِ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي مَنْ مِنْكُمْ
لَكَ اللَّهُ يَا (مُصْطَفَى) مِنْ فَتَى
إِذَا مَا حِمِدْتُكَ بَيْنَ الرِّجَالِ
سَيُخَصِّي عَلَيْكَ سِجْلُ الزَّمَانِ
وَيَهْتَفُ بِاسْمِكَ أَبْنَاؤُنَا

وَيَغْدُو الْجَمَادُ بِهِ مُنْشِدَا
بِمَعْنَى الْوُجُودِ وَسِرُّ الْهُدَى
وَقَامَ الْبُخَارُ لَهُ مُسْعِدَا
بُرُوقٌ عَلَى السَّلَكِ تَطْوِي الْمَدَى
بَأَنْ نَسْتَكِينُ وَأَنْ نَجْمُدَا
لَنَا النَّهَجَ فَاسْتَبَقُوا الْمَوْرِدَا
عَلَى خَيْرِ مَضَرٍ وَكَوْنُوا يَدَا
رَجَالًا تَكُونُ لِمَصْرِ الْفِدَا
إِذَا هِيَ نَادَتْ يُلَبِّي النَّدَا
كَثِيرِ الْأَيَادِي، كَثِيرِ الْعِدَا
فَأَنْتَ الْخَلِيقُ بِأَنْ تُحْمَدَا
ثَنَاءً يُخَلِّدُ مَا خُلِّدَا
إِذَا آنَ لِلزَّرْعِ أَنْ يُخْصَدَا

(٧) إلى ناظر المعارف سعد زغلول باشا (نشرت في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦م)

مَالِي أَرَى بَحَرَ السَّيَا
وَأَرَى الصَّحَائِفَ أَيْبَسَتْ
هَذَا يَرَى رَأْيِي الْعَمِيَّةَ
وَأَرَى الْوِزَارَةَ تَجْتَنِي
نَامَتْ بِمِصْرَ وَأَيَّقَظَتْ
فَطَرَحَتْهَا وَسَأَلْتُ عَنْ
يَا (سَعْدُ) أَنْتَ (مَسِيحُهَا)
يَا (سَعْدُ) إِنَّ (بِمِصْرَ) أَيْ
قَدْ قَامَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
مَا زِلْتُ أَرْجُو أَنْ أَرَا

سَةِ لَا يَنْي جَزْرًا وَمَدًّا
مَا بَيْنَنَا أَخْذًا وَرَدًّا
إِدِ وَذَا يَعْدُ عَلَيْهِ عَدًّا
مِنْ مَرِّ هَذَا الْعَيْشِ شُهَدَا
لِحَوَادِثِ الْأَيَّامِ (سَعْدَا)
هُ فَقِيلَ لِي: لَمْ يَأَلْ جُهْدَا
فَاجْعَلْ لِهَذَا الْمَوْتِ حَدًّا
حَتَامًا تُؤَمِّلُ فِيكَ سَعْدَا
نَ الْعِلْمِ ضَيْقُ الْحَالِ سَدًّا
كَ أَبَا وَأَنْ أَلْقَاكَ جَدًّا

حَتَّى غَدَوْتَ أَبَا لَهُ
فَارِدُ لَنَا عَهْدَ (الإمّا
أنا لا أَلُومُ الْمُسْتَشَا
فَسَبِيلُهُ أَنْ يَسْتَبِدَّ
هِيَ سُنَّةُ الْمُحْتَلِّ فِي
أَضَحَتْ عِيَالُ الْقَطْرِ وَلِدا
(م) وَكُنْ بِنَا الرَّجُلَ الْمُفَدَّى
رَ إِذَا تَعَلَّلَ أَوْ تَصَدَّى
دَ وَشَأْنُنَا أَنْ نَسْتَعِيدَا
كُلُّ الْعُصُورِ وَمَا تَعَدَّى

(٨) الحث على تعزيد مشروع الجامعة (نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٧م)

أنشدها في الحفل الذي أقامه محفل الصدق الماسوني في دار التمثيل العربي، وخصص إirاده لمشروع الجامعة المصرية

إِنْ كُنْتُمْ تَبْدُلُونَ الْمَالَ عَنْ رَهَبٍ
ذَرِ الْكَتَاتِبَ مُنْشِيَهَا بِلَا عَدِ
فَأَنْشَتُوا أَلْفَ كُتَّابٍ وَقَدْ عَلِمُوا
هَبُوا الْأَجِيرَ أَوْ الْحَرَاثَ قَدْ بَلَّغَا
مَنْ الْمُدَاوِي إِذَا مَا عَلَّةٌ عَرَضَتْ
وَمَنْ يَرُوضُ مِيَاةَ النَّيْلِ إِنْ جَمَحَتْ
وَمَنْ يُوَكِّلُ بِالْقِسْطِ بَيْنَكُمْ
وَمَنْ يُطِلُّ عَلَى الْأَفْلَاقِ يَرُصُّهَا
يَبِيتُ يُنْبِئُنَا عَمَّا تَنِمُ بِهِ
وَمَنْ يَبْزُ أَدِيمَ الْأَرْضِ مَا رَكَزَتْ
يَظَلُّ يَنْشُدُ مَنْ ذَرَاتُهَا نَبَأٌ
وَمَنْ يُمِيطُ سِتَارَ الْجَهْلِ إِنْ طُمِسَتْ
فَمَا لَكُمْ أَيُّهَا الْأَقْوَامُ جَامِعَةٌ
قَدْ قَامَ (سَعْدُ) بِهَا جِينًا وَأَسْلَمَهَا
فَعَاوَنُوهُ يُعَاوِنُكُمْ عَلَى عَمَلٍ
وَبَيَّنُوا لِرَجَالِ الْغَرْبِ أَنَّكُمْ
فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ لِلْبَذْلِ عَنْ رَغَبٍ
ذَرِ الرَّمَادَ بَعَيْنِ الْحَاذِقِ الْأَرَبِ
أَنَّ الْمَصَابِيحَ لَا تُغْنِي عَنْ الشُّهُبِ
حَدَّ الْقِرَاءَةِ فِي صُحُفٍ وَفِي كُتُبٍ
مَنْ الْمُدَافِعُ عَنْ عِرْضٍ وَعَنْ نَشَبٍ
وَأَنْذَرْتَ مِصْرَ بِالْوَيْلَاتِ وَالْحَرَبِ
حَتَّى يَرَى الْحَقُّ ذَا حَوْلٍ وَذَا غَلَبٍ
بَيْنَ الْمَنَاطِقِ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ كُتُبٍ
سَرَائِرَ الْغَيْبِ عَنْ شَفَافَةِ الْحُجُبِ
فِيهَا الطَّبِيعَةُ مِنْ بَدْعٍ وَمِنْ عَجَبٍ
ضَنَّتْ بِهِ الْأَرْضُ فِي مَاضٍ مِنَ الْحَقْبِ
مَعَالِمَ الْقَصْدِ بَيْنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
إِلَّا بِجَامِعَةٍ مُوَصُولَةِ السَّبَبِ
إِلَى (أَمِينٍ) فَلَمْ يُحْجَمْ وَلَمْ يَهَبِ
فِيهِ الْفَخَارُ وَمَا تَرْجُونَ مَنْ أَرَبِ
إِذَا طَلَبْتُمْ بَلَّغْتُمْ غَايَةَ الطَّلَبِ

وَتَّابِيَةً لَا تُبَالِي هِمَّةَ النُّوْبِ
فِي النَّفْسِ يُرْخِي عِنَانَ السَّعْيِ وَالذَّأْبِ
لَا تَصْخَبُوا فَهَلَاكُ الشَّعْبِ فِي الصَّخْبِ
قَالَ: اسْتَكَينُوا وَخَلُّوا سَوْرَةَ الْغَضَبِ
إِلَّا هَبَطْنَا إِلَى غَوْرٍ مِنَ الْعَطَبِ
يَجْرِي الرَّجَاءُ بِهِ فِي كُلِّ مُضْطَرَبٍ
كَأَنَّا فِيكَ لَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَغِبْ
لِلوَافِدِينَ وَأَهْلُوهُ عَلَى سَعَبٍ
كَنْزًا مِنَ الْعِلْمِ لَا كَنْزًا مِنَ الذَّهَبِ
بِالْمَالِ إِنَّا اكْتَتَبْنَا فِيهِ بِالْأَدَبِ

لَا تَلْجَبُوا فِي الْعُلَا إِلَّا إِلَى هِمَمٍ
فَإِنَّ تَأْمِيلَكُمْ فِي غَيْرِكُمْ وَهَنْ
إِنْ قَامَ مِنَّا مُنَادٍ قَالَ قَائِلُهُمْ
أَوْ نَابِنَا حَادِثٌ نَرْجُو إِزَالَتَهُ
فَمَا سَمَوْنَا إِلَى نَجْدٍ نَحَاوَلُهُ
يَا مِصْرُ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْيَأْسِ مُتَسَعٌ
لَا نَحْنُ مَوْتَى وَلَا الْأَحْيَاءُ تُشْبِهُنَا
نَبْكِي عَلَى بَلَدٍ سَالَ النُّضَارُ بِهِ
مَتَى نَرَاهُ وَقَدْ بَاتَتْ حَزَائِنُهُ
هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَبْرُورُ فَاكْتَتَبُوا

(٩) سورية ومصر (نشرت في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨م)

أنشدتها في الحفل الذي أقامه لتكريمه جماعة من السوريين بفندق شبرد

هُنَا الْعُلَا وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ
قَلْبَ الْهَلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ
وَلَا تَحَوَّلَ عَنْ مَغْنَاهُمَا الْأَدَبُ
وَإِنْ سَأَلْتَ عَنْ الْأَبَاءِ فَالْعَرَبُ
فِي رَائِعَاتِ الْمَعَالِي ذَلِكَ النَّسَبُ
تِلْكَ الْقِرَابَةُ لَمْ يَقْطَعْ لَهَا سَبَبُ؟
بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَضْطَرِبُ
أَجَابَهُ فِي ذُرَا لُبْنَانَ مُنْتَجِبُ
تَصَافَحَتْ مِنْهُمَا الْأَمْوَاهُ وَالْعُشْبُ
يَحْفُ نَاحِيَتَيْهِ الْجُودُ وَالذَّأْبُ
وَسَالَ هَذَا مَضَاءٌ دُونَهُ الْقُضْبُ
مِنَ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَيَاكُ مُنْسَكِبُ

لِمِصْرَ أَمْ لِرُبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ
رُكْنَانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا
خِدْرَانِ لِلضَّادِ لَمْ تَهْتِكْ سَتُورَهُمَا
أَمْ اللُّغَاتِ غَدَاةَ الْفَخْرِ أُمُّهُمَا
أَيَّرَغَبَانِ عَنِ الْحُسْنَى وَبَيْنَهُمَا
وَلَا يَمْتَنَانِ بِالْقُرْبَى وَبَيْنَهُمَا
إِذَا أَلَمَتْ بَوَادِي النِّيلِ نَازِلَةٌ
وَإِنْ دَعَا فِي ثَرَى الْأَهْرَامِ ذُو أَلَمٍ
لَوْ أَخْلَصَ النِّيلُ وَالْأَزْدُنُّ وَدَّهِمَا
بِالْوَادِيَيْنِ تَمْشَى الْفَخْرُ مَشِيَّتَهُ
فَسَالَ هَذَا سَخَاءٌ دُونَهُ دِيمُ
نَسِيمِ لُبْنَانَ كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ

تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُهَا لَهَا
 مِنْ طَيْبِ رِيَاكَ لَكِنَّ الْعُلَا تَعَبُ
 عَلَى أَلِيفٍ لَهَا يَرْمِي بِهِ الطَّلَبُ!
 وَيَنْتَنِي وَحُلَاهُ الْمَجْدُ وَالذَّهَبُ
 وَعِزُّهُ لَيْسَ يَدْرِي كَيْفَ يَنْقَلِبُ
 أَسَدٌ جِيَاعٌ إِذَا مَا وَوُثِبُوا وَثَبُوا
 سَوَى مَضَاءِ تَحَامَى وَرَدَّهُ النُّوبُ
 وَجَيْشُهُمْ عَمَلٌ فِي الْبَرِّ مُعْتَرِبُ
 وَفِي ذُرَا كُلِّ طَوْدٍ مَسْلُكٌ عَجَبُ
 إِلَّا وَكَانَ لَهَا بِالشَّامِ مُرْتَقِبُ
 فَالشُّهُبُ مَنُتَوَّرَةٌ مَذْكَانَتِ الشُّهُبُ
 فَكُلُّ حَيٍّ لَهُ فِي الْكُونِ مُضْطَرَبُ
 إِلَى الْمَجَرَّةِ رَكْبًا صَاعِدًا رَكِبُوا
 مَدُّوا لَهَا سَبَبًا فِي الْجَوِّ وَانْتَدَبُوا
 أُمُّ اللُّغَاتِ بِذَلِكَ السَّعْيِ تَكْتَسِبُ
 عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَجِبُ
 فَصَافِحُهَا تُصَافِحُ نَفْسَهَا الْعَرَبُ
 رُبُوعَهَا مِنْ بَنِيهَا سَادَةٌ نُجَبُ
 مَنَّا وَمِنْهُمْ لَمَّا لُمْنَا وَلَا عَتَبُوا
 فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا

فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَنْفَاسٌ مُسَعَّرَةٌ
 لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَبْتَغُوا بَدَلًا
 كَمْ غَادَةٍ بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِئَةٍ
 يَمْضِي وَلَا حِيلَةَ إِلَّا عَزِيمَتُهُ
 يَكُرُّ صَرْفُ اللَّيَالِي عَنْهُ مُنْقَلِبًا
 بِأَرْضِ (كَوْلُمَب) أَبْطَالُ غَطَارِفَةٍ
 لَمْ يَحْمِهِمْ عِلْمٌ فِيهَا وَلَا عُدَّةُ
 أَسْطُولُهُمْ أَمَلٌ فِي الْبَحْرِ مُرْتَجِلُ
 لَهُمْ بِكُلِّ خِصَمٍّ مَسْرَبٌ نَهْجُ
 لَمْ تَبْدُ بَارِقَةٌ فِي أَفْقٍ مُنْتَجِعِ
 مَا عَابَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ قَدْ نُبِرُوا
 وَلَمْ يَضُرَّهُمْ سُرَاءٌ فِي مَنَازِكِهَا
 رَادُّوا الْمَنَاهِلَ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ وَجَدُوا
 أَوْ قِيلَ فِي الشَّمْسِ لِلرَّاجِينَ مُنْتَجِعِ
 سَعَوْا إِلَى الْكَسْبِ مَحْمُودًا وَمَا فَتِنَتْ
 فَأَيْنَ كَانَ الشَّامِيُّونَ كَانَ لَهَا
 هَذَا يَدِي عَنْ بَنِي مِصْرٍ تُصَافِحُكُمْ
 فَمَا الْكِنَانَةُ إِلَّا الشَّامُ عَاجٌ عَلَى
 لَوْلَا رِجَالٌ تَغَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ
 إِنْ يَكْتُبُوا لِي ذَنْبًا فِي مَوَدَّتِهِمْ

(١٠) فِي الْحَثِّ عَلَى تَعْضِيدِ مَشْرُوعِ الْجَامِعَةِ

أَنشَدَهَا فِي الْحِفْلِ الَّذِي أَقِيمَ فِي «تِيَاتُرُو بَرْنَتَانِيَا» فِي ٨ مَآيُو سَنَةِ ١٩٠٨م

حَيَّاكُمْ اللَّهُ أَحْيُوا الْعِلْمَ وَالْأَدَبَا
 لَا حَيَاةَ لَكُمْ إِلَّا بِجَامِعَةٍ
 إِنْ تَنْشُرُوا الْعِلْمَ يَنْشُرْ فِيكُمْ الْعَرَبَا
 تَكُونُ أُمَّا لَطِلَابِ الْعُلَا وَأَبَا

تَبْنِي الرِّجَالَ وَتَبْنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ
ضَعُوا الْقُلُوبَ أَسَاسًا لَا أَقُولُ لَكُمْ
وَابْنُوا بِأَكْبَادِكُمْ سُورًا لَهَا وَدَعُوا
لَا تَقْنَطُوا إِنْ قَرَأْتُمْ مَا يُزَوِّقُهُ
وَرَأَقِبُوا يَوْمَ لَا تُغْنِي حَصَائِدُهُ
بَنَى عَلَى الْإِفْكِ أَبْرَاجًا مُشَيَّدَةً
وَجَاوَبُوهُ بِفَعْلٍ لَا يَقْوُضُهُ
لَا تَهْجَعُوا إِنَّهُمْ لَنْ يَهْجَعُوا أَبَدًا
هَلْ جَاءَكُمْ نَبَأُ الْقَوْمِ الْأَلَى دَرَجَا
عَزَتْ (بِقَرْطَاجَةٍ) الْأَمْرَاسُ فَارْتَهَنْتِ
وَالْحَرْبُ فِي لَهَبٍ وَالْقَوْمُ فِي حَرْبٍ
وَدُّوا بِهَا وَجَوَارِيَهُمْ مُعْطَلَةٌ
هُنَالِكَ الْغَيْدُ جَادَتْ بِالَّذِي بَخَلَتْ
جَزَتْ عِدَائِرَ شَعْرِ سَرَحَتْ سَفْنًا
رَأَتْ حُلَاهَا عَلَى الْأَوْطَانِ فَابْتَهَجَتْ
وَزَادَهَا ذَاكَ حُسْنًا وَهِيَ عَاطِلَةٌ
و(برثران) الَّذِي حَاكَ الْإِبَاءُ لَهُ
أَقَامَ فِي الْأَسْرِ حِينًا ثُمَّ قِيلَ لَهُ:
قُلْ وَاحْتَكِمْ أَنْتَ مُخْتَارٌ، فَقَالَ لَهُمُ:
خُذُوا الْقَنَاطِيرَ مِنْ تَبَرٍ مُقْنَطَرَةً
قَالُوا: حَكَمْتَ بِمَا لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ
فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا فِي الْحَيِّ غَايِلَةٌ
لَوْ أَنَّهُمْ كَلَّفُوهَا بَيْعَ مِغْرَلِهَا
هَذَا هُوَ الْأَثَرُ الْبَاقِي فَلَا تَقْفُوا
وَدُونَكُمْ مَثَلًا أَوْشَكْتُ أَضْرِبُهُ
سَمِعْتُ أَنَّ امْرَأَةً قَدْ كَانَ يَأْلَفُهُ
فَمَرَّ يَوْمًا بِهِ وَالْجَوْعُ يَنْهَبُهُ

مَنْ الْمَعَالِي وَتَبْنِي الْعِزَّ وَالْغَلْبَا
ضَعُوا النُّضَارَ فَإِنِّي أَصْغُرُ الذَّهَبَا
قِيلَ الْعَدُوُّ؛ فَإِنِّي أَعْرِفُ السَّبَبَا
ذَاكَ الْعَمِيدُ وَيَزْمِيكُمْ بِهِ غَضَبَا
فَكُلُّ حَيٍّ سَيُجْزَى بِالَّذِي اكِتْسَبَا
فَابْنُوا عَلَى الْحَقِّ بُرْجًا يَنْطَحُ الشُّهْبَا
قَوْلُ الْمُفْنَدِ أَنَّى قَالَ أَوْ خَطْبَا
وَطَالِبُوهُمْ وَلَكِنْ أَجْمِلُوا الطَّلَبَا
وَحَلَفُوا لِلْوَرَى مِنْ ذِكْرِهِمْ عَجَبَا
فِيهَا السَّفِينُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا اضْطَرَبَا
قَدْ مَدَّ نَقْعُ الْمَنَایَا فَوْقَهُمْ طُنْبَا
لَوْ أَنَّ أَهْدَابَهُمْ كَانَتْ لَهَا سَبَبَا
بِهِ دَلَالًا فَقَامَتْ بِالَّذِي وَجَبَا
وَاسْتَنْقَذَتْ وَطْنًا وَاسْتَرْجَعَتْ نَشَبَا
وَلَمْ تَحَسَّرْ عَلَى الْحَلِيِّ الَّذِي ذَهَبَا
تُزْهِى عَلَى مَنْ مَشَى لِلْحَرْبِ أَوْ رَكَبَا
تَوْبًا مِنَ الْفَخْرِ أَبْلَى الدَّهْرُ وَالْحِقَبَا
أَلَمْ يَبْنِ أَنْ تُفَدِّي الْمَجْدَ وَالْحَسَبَا
إِنَّا رَجَالٌ نُهَيْنُ الْمَالَ وَالنَّشَبَا
يَخُورُ خَازِنُكُمْ فِي عَدِّهَا تَعَبَا
حَمَلًا نَكَادُ نَرَى مَا قُلْتَهُ لَعَبَا
مِنَ الْجِسَانِ تَرَى فِي فِدَيْتِي نَصَبَا
لَا تَرْتَنِي وَصَحَّتْ قَوْتَهَا رَغَبَا
عِنْدَ الْكَلَامِ إِذَا حَاوَلْتُمْ أَرْبَا
فِيكُمْ وَفِي مِصْرٍ إِنْ صَدَقًا وَإِنْ كَذِبَا
كَلْبٌ فَعَاشَا عَلَى الْإِخْلَاصِ وَاصْطَحَبَا
نَهَبًا فَلَمْ يُبْقِ إِلَّا الْجِلْدَ وَالْعَصَبَا

يَزُولُ ضَعْفًا وَيَقْضِي نَحْبَهُ سَغْبًا
لو شامها جائعٌ من فَرْسَخٍ وَثْبًا
يَبْكِي، وَذِي أَلَمٍ يَسْتَقْبِلُ الْعَطْبَا
مَنِّي وَيُنْشِبُ فِيهِ النَّابَ مُغْتَصِبَا
هَذَا الدَّوَاءُ فَهَلْ عَالَجْتَهُ فَأَبَى؟
بين الصَّدِيقِينَ مِنْ فَرَطِ الْقَلَى حُجْبًا
أَمَا كَفَى أَنْ يَرَانِي الْيَوْمَ مُنْتَجِبَا
حُزْنًا وَهَذَا فَوَادِي يَرْتَعِي لَهَبًا
كصاحبِ الْكَلْبِ سَاءَ الْأَمْرُ مُنْقَلَبَا
منكم بُكَاءٌ وَلَا تُلْفِي لَكُمْ دَابَا
أَجْرُ الْمُجَاهِدِ، طُوبَى لِلَّذِي اكْتَنَبَا

فَظَلَّ يَبْكِي عَلَيْهِ حِينَ أَبْصَرَهُ
يَبْكِي عَلَيْهِ وَفِي يُمْنَاهُ أَرْغَفَهُ
فَقَالَ قَوْمٌ وَقَدْ رَقُوا لَذِي أَلَمٍ
مَا خَطَبُ ذَا الْكَلْبِ؟ قَالَ: الْجُوعُ يَخْطِفُهُ
قَالُوا وَقَدْ أَبْصَرُوا الرُّغْفَانَ زَاهِيَةً:
أَجَابَهُمْ وَدَوَاعِي الشُّخِّ قَدْ ضَرَبَتْ
لِذَلِكَ الْحَدَّ لَمْ تَبْلُغْ مَوَدَّتِنَا
هَذَا دُمُوعِي عَلَى الْحَدَّيْنِ جَارِيَةً
أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ إِنْ كَانَتْ مَوَدَّتِنَا
أَعْيَذُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُ فَنَرَى
إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ فِي أَوْطَانِكُمْ فَلَكُمْ

(١١) رعاية الأطفال

أنشدها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في الأوبرا في ٨ أبريل سنة ١٩١٠م

لا، بَلْ فَتَاةٌ بِالْعَرَاءِ حِيَالِي
رَاعَ هُنَاكَ وَمَا لَهَا مِنْ وَالِي
نَارًا بِأَنَاتٍ ذَكِيْنٍ طِوَالِ
مَالِي أَشَاطِرُهَا الْوَجِيعةَ مَالِي؟
وَقَعُ النَّبَالِ عَطْفَنَ إِثَرِ نِبَالِ
رَسَمٌ عَلَى طَلَلٍ مِنَ الْأَطْلَالِ
لَمْ تَدْرِ طَعْمَ الْغَمِّصِ مُنْذُ لِيَالِي
وَمَضَى الْجِمَامُ بَعْمَهَا وَالْخَالِ
وَجَرَى الْبُكَاءُ بِدَمْعِهَا الْهَطَالِ
يَحْنُو عَلَى أَمْثَالِهَا أَمْثَالِي
فِي هَيْكَلٍ يَرْنُو إِلَى تِمْتَالِ

شَبَحًا أَرَى أَمْ ذَاكَ طَيْفُ خَيَالِ
أُمَسْتُ بِمَدْرَجَةِ الْخُطُوبِ فَمَا لَهَا
حَسْرَى، تَكَادُ تُعِيدُ فَحْمَةً لَيْلَهَا
مَا خَطَبُهَا، عَجَبًا، وَمَا خَطَبِي بِهَا؟
دَانِيَتْهَا وَلِصَوْتِهَا فِي مَسْمَعِي
وَسَأَلْتُهَا: مَنْ أَنْتِ؟ وَهِيَ كَأَنَّهَا
فَتَمَلَّمَلَتْ جَزَعًا وَقَالَتْ: حَامِلٌ
قَدْ مَاتَ وَالِدُهَا، وَمَاتَتْ أُمُّهَا
وَالِى هَذَا حَبَسَ الْحَيَاءُ لِسَانَهَا
فَعَلِمْتُ مَا تُخْفِي الْفَتَاةُ وَإِنَّمَا
وَوَقَفْتُ أَنْظُرُهَا كَأَنِّي عَابِدٌ

بزوالهنَّ فواريحُ الأثقالِ
هَيْفَاءَ رَوَّعَهَا الْأَسَى بِهِزَالِ
شَمْسِ النَّهَارِ فَأَصْبَحَتْ كَالْأَلِ
من قَبْرِهِ وَيَسِيرُ شَنْ بَالِي
حُمِّلْتُ حِينَ حَمَلْتُ عُودَ خِلَالِ
بِاللَّيْلِ (دَارَ رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ)
بَابِ الْحَيَاةِ وَمُؤْنِ بَزْوَالِ
لَهُمَا مِنَ الْإِشْفَاقِ وَالْإِعْوَالِ
أَحَدًا وَلَا مُتَرَقِّبًا لِسُؤَالِ
أَوْ طَرَّقَ رَبَّ الدَّارِ غَيْرَ مُبَالِي
نَقَاتِ مَرَضَى مُدْلَجِينَ عِجَالِ
صُنْعَ الْجَمِيلِ تَطَوَّعَتْ فِي الْحَالِ
بَعْضًا لَوَجْهِ اللَّهِ لَا لِلْمَالِ
كَالَامٍ تَكَلَّأَ طِفْلُهَا وَتَوَالِي
فَوْقَ الْوَسَائِدِ فِي مَكَانٍ عَالِي
بَسْرِيرِ ضَيَّفَتْهُمْ كِبَعُضِ الْآلِ
وَيَرُودُ مَكْمَنَ دَائِهَا الْقَتَالِ
نَقَاتِ قَلْبِ أُمِّ دَبِيبِ نِمَالِ
وَحَرَجْتُ مُنْشَرِحًا رَضِيَ الْبَالِ
لِلْبَاقِيَّاتِ وَصَالِحِ الْأَعْمَالِ
تِلْكَ الْمُرُوءَةُ وَالشُّعُورُ الْعَالِي
تَنْبُو بِحَامِلِهَا عَنِ الْإِذْلَالِ
مَاءُ الْوُجُوهِ فَذَاكَ خَيْرُ نَوَالِ
— وَهُوَ الْجَوَادُ — يُعَدُّ فِي الْبَحَالِ
جَمُّ الْوَجِيعَةِ سَيِّئِ الْأَحْوَالِ
عُزِّي، إِلَى سَقَمٍ، إِلَى إِقْلَالِ
نَفْسٍ مُرَوَّعَةٍ وَجَيْبٍ خَالِي

وَرَأَيْتُ آيَاتِ الْجَمَالِ تَكْفَّلَتْ
لَا شَيْءَ أَفْعَلُ فِي النُّفُوسِ كَقَامَةِ
أَوْ غَادَةٍ كَانَتْ تُرِيكَ إِذَا بَدَتْ
قَلْتُ: انْهَضِي، قَالَتْ: أَيْنَهُضُ مَيِّتٌ
فَحَمَلْتُ هَيْكَلَ عَظْمِهَا وَكَأَنَّنِي
وَطَفِقْتُ أَنْتَهَبُ الْخُطَا مُتِمِّمًا
أُمِّشِي وَأَحْمِلْ بِائِسِينَ: فَطَارِقُ
أَبْكِيهِمَا وَكَأَنَّمَا أَنَا ثَالِثٌ
وَطَرَقْتُ بَابَ الدَّارِ لَا مُتَهَيِّبًا
طَرَّقَ الْمُسَافِرِ أَبَ مِنْ أَسْفَارِهِ
وَإِذَا بِأَصْوَاتٍ تَصِيحُ: أَلَا افْتَحُوا
وَإِذَا بِأَيْدٍ طَاهِرَاتٍ عُودَتْ
جَاءَتْ تُسَابِقُ فِي الْمَبَرَّةِ بَعْضُهَا
فَتَنَاوَلَتْ بِالرُّفُقِ مَا أَنَا حَامِلٌ
وَإِذَا الطَّبِيبُ مُشَمَّرٌ وَإِذَا بِهَا
جَاءُوا بِأَنْوَاعِ الدَّوَاءِ وَطَوَّفُوا
وَجَثَّ الطَّبِيبُ يَجْسُ نَبْضًا خَافِتًا
لَمْ يَذَرِ حِينَ دَنَا لِيَبْلُو قَلْبَهَا
وَدَعَتْهَا وَتَرَكَتْهَا فِي أَهْلِهَا
وَعَجَزَتْ عَنْ شُكْرِ الَّذِينَ تَجَرَّدُوا
لَمْ يُخْجِلُوهَا بِالسُّؤَالِ عَنْ اسْمِهَا
خَيْرُ الصَّنَائِعِ فِي الْأَنَامِ صَنِيعَةُ
وَإِذَا النُّوَالُ أَتَى وَلَمْ يَهْرَقْ لَهُ
مَنْ جَادَ مِنْ بَعْدِ السُّؤَالِ فَإِنَّهُ
لِلَّهِ دَرُّهُمْ فَكَمْ مِنْ بَائِسٍ
تَزْمِي بِهِ الدُّنْيَا، فَمِنْ جُوعٍ، إِلَى
عَيْنٍ مُسْهَدَةٍ وَقَلْبٍ وَاجِفٍ

لم يَدْرِ ناظِرُهُ أُعْرِيانًا يَرَى
فَكَأَنَّ نَاجِلَ جِسْمِهِ فِي ثَوْبِهِ
يَا بَرْدُ، فَاحْمِلْ، قَدْ ظَفَرْتُ بِأَعْزَلِ
يَا عَيْنُ سُحِّي، يَا قُلُوبُ تَفْطَرِي
لَوْلَاهُمْ لَقَضَى عَلَيْهِ شَقَاؤُهُ
لَوْلَاهُمْ كَانَ الرَّدَى وَقَفًا عَلَى
لِلَّهِ دَرُ السَّاهِرِينَ عَلَى الْأَلَى
القائمين بِخَيْرِ مَا جَاءَتْ بِهِ
أَهْلُ الْيَتِيمِ وَكَهْفِهِ وَحُمَاتِهِ
لَا تَهْمِلُوا فِي الصَّالِحَاتِ فَإِنَّكُمْ
إِنِّي أَرَى فَقَرَاءَكُمْ فِي حَاجَةٍ
فَتَسَابَقُوا الْخَيْرَاتِ فَهِيَ أَمَامَكُمْ
وَالْمُحْسِنُونَ لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ
وَجَزَاءُ رَبِّ الْمُحْسِنِينَ يَجِلُّ عَنْ

أَمْ كَاسِيًا فِي تِلْكَ الْأَسْمَالِ
خَلْفَ الْخُرُوقِ يُطْلُ مِنْ غَرْبَالِ
يَا حَرُّ، تِلْكَ فَرِيَسَةُ الْمُغْتَالِ
يَا نَفْسُ رَقِّي يَا مُرَوَّةُ وَالِي
وَحَلَا الْمَجَالُ لَخَاطِفِ الْأَجَالِ
نَفْسِ الْفَقِيرِ ثَقِيلَةَ الْأَحْمَالِ
سَهَرُوا مِنَ الْأَوْجَاعِ وَالْأَوْجَالِ
مَدَنِيَّةُ الْأَيَّانِ وَالْأَجْيَالِ
وَرَبِيعِ أَهْلِ الْبُؤْسِ وَالْإِمْحَالِ
لَا تَجْهَلُونَ عَوَاقِبَ الْإِهْمَالِ
— لَوْ تَعْلَمُونَ — لِقَائِلِ فَعَالِ
مَيِّدَانِ سَبَقَ لِلْجَوَادِ النَّالِ
يَوْمَ الْإِثَابَةِ عَشْرَةُ الْأَمْثَالِ
عَدُّ وَعَنْ وَزْنٍ وَعَنْ مَكْيَالِ

(١٢) مدرسة البنات ببورسعيد

أنشدها في حفل أقيم ببورسعيد في ٢٩ مايو سنة ١٩١٠م لإعانة تلك المدرسة

كَمْ ذَا يُكَابِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي
إِنِّي لِأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً
لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أَرَكَ طَلِيقَةً
كَلِفَ بِمَحْمُودِ الْخِلَالِ مُتَيِّمٌ
إِنِّي لِتَطْرُبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةً
وَتَهْزُنِي ذِكْرَى الْمُرَوَّةِ وَالنَّدَى
مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مَزَاجِهَا
وَالشَّمْسُ تَبْدُو فِي الْكُتُوسِ وَتَخْتَفِي

فِي حُبِّ مِصْرَ كَثِيرَةِ الْعِشَاقِ
يَا مِصْرُ قَدْ خَرَجْتُ عَنْ الْأَطْوَاقِ
يَحْمِي كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبُ رَاقِي
بِالْبَذْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ
طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأُوبَةِ وَتِلَاقِي
بَيْنَ الشَّمَائِلِ هَزَّةَ الْمُشْتَاكِ
وَالشَّرْبِ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسَبَاقِ
وَالْبَدْرِ يُشْرِقُ مِنْ جَبِينِ السَّاقِي

قد مازجته سلامة الأذواق
فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
علم، وذاك مكارم الأخلاق
بالعلم كان نهاية الإخلاق
تعلية كان مطية الإخفاق
ما لم يتوج ربّه بخلاق
لوقيعة وقطيعة وفراق
لمكيذة أو مستحلّ طلاق
كالبرج لكن فوق تل نفاق
أن الذي يدعون خدن شقاق
ما لا تحل شريعة الخلاق
جمع الدوانق من دم مهراق
يوم الفخار تجارب الحلاق
مفتاح رزق العامل المطراق
بالماء طوع الأصفر البراق
في السلب حد الخائن السراق
قطع الأنامل أو لظى الإحراق
فكأنه في السحر رقية راق
سما وينفثه على الأوراق
قدسية علوية الإشراق
من ظلمة التّمويه ألف نطاق
فحياته ثقل على الأعناق
ببيانه ويراعه السباق
في الشرق علّة ذلك الإخفاق
أعدت شعبا طيب الأعراق
بالريّ أوزق أيما إيراق
شغلت مأثرهم مدى الآفاق

بالذ من خلق كريم طاهر
فيذا رزقت خليفة محمود
فالناس هذا حظّه مال، وذا
والمال إن لم تدخره محصنا
والعلم إن لم تكتنفه شمائل
لا تحسبن العلم ينفع وحده
كم عالم مدّ العلوم حبالاً
وفقيه قوم ظلّ يرصد فقهه
يمشي وقد نصبت عليه عمامة
يدعونه عند الشقاق وما دروا
وطبيب قوم قد أحلّ لطبه
قتل الأجنة في البطن وتارة
أغلى وأثمن من تجارب علمه
ومهندس للنيل بات بكفه
تندى وتيبس للخلائق كفه
لا شيء يلوي من هواه فحده
وأديب قوم تستحقّ يمينه
يلهو ويلعب بالعقول بيانه
في كفه قلم يمجّ لعبه
يردّ الحقائق وهي بيض نصع
فيردّها سوداً على جناباتها
عريت عن الحقّ المطهر نفسه
لو كان ذا خلق لأسعدّ قومه
من لي بتربية النساء فإنها
الأم مدرسة إذا أعددتها
الأم روض إن تعهده الحيا
الأم أستاذ الأساتذة الألى

أنا لا أقول دَعُوا النِّسَاءَ سَوَافِرًا
يَدْرُجْنَ حَيْثُ أَرَدْنَ لَا مِنْ وَازِعٍ
يَفْعَلْنَ أَفْعَالَ الرِّجَالِ لَوَاهِيًا
فِي دُورِهِنَّ شُنُونُهُنَّ كَثِيرَةٌ
كَلًّا وَلَا أَدْعُوكُمْ أَنْ تُسْرِفُوا
لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ حُلَى وَجَوَاهِرًا
لَيْسَتْ نِسَاؤُكُمْ أَثَاثًا يُفْتَنَى
تَتَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا
فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا
رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا
وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بِنَاتُكُمْ

بَيْنَ الرِّجَالِ يَجْلُنَ فِي الْأَسْوَاقِ
يَحْذَرْنَ رِقَبَتَهُ وَلَا مِنْ وَاقي
عَنْ وَاجِبَاتِ نَوَاعِسِ الْأَحْدَاقِ
كَشْتُونَ رَبِّ السَّيْفِ وَالْمِزْرَاقِ
فِي الْحَجَبِ وَالتَّضْيِيقِ وَالْإِزْهَاقِ
خَوْفَ الضَّيَاعِ تُصَانُ فِي الْأَحْقَاقِ
فِي الدُّورِ بَيْنَ مَخَارِيعِ وَطَبَاقِ
دَوْلًا وَهَنَّ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقِي
فَالشَّرُّ فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ
فِي الْمَوْقِفَيْنِ لَهُنَّ خَيْرٌ وَثَاقِ
نُورَ الْهُدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِي

(١٣) ملجأ رعاية الأطفال (نشرت في أول فبراير سنة ١٩١١م)

أنشدها في حفل أقامته جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا، وقد استهلها بوصف القطار

صَفْحَةُ الْبَرْقِ أَوْمَضَتْ فِي الْغَمَامِ
أَمْ سَلِيلُ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَضِ
مَرَّ كَاللَّمْحِ لَمْ تَكَدْ تَقِفُ الْعَيْ
أَوْ كَشْرَخِ الشَّبَابِ لَمْ يَدِرْ كَاسِي
لَا يُبَالِي السُّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْ
يَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالْفَيَافِي وَحِيدَا
لَيْسَ يَنْتَبِهَ مَا يُذِيبُ دِمَاعَ الضُّ
لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُخْرِسُ النَّا
هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَرْعَجَهُ الصَّيْبُ
فَهُوَ يَشْتَدُّ فِي النَّجَاءِ وَيَهْوِي
يَا حَدِيدًا يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدِ

أَمْ شَهَابٌ يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلَامِ
بِدِ فَاغِيَا سَوَابِقِ الْأَوْهَامِ
نُ عَلَى ظِلِّ جِرْمِهِ الْمُتْرَامِي
بِهِ تَوَلَّى فِي يَقْظَةٍ أَوْ مَنَامِ
لُ وَخَانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ
لَمْ تُضْعِضْهُ وَخَشَةُ الْإِظْلَامِ
بَّ يَوْمَ الْهَجِيرِ بَيْنَ الْمَوَامِي
بِحَ فِي الزَّمْهَرِيرِ بَيْنَ الْخِيَامِ
دُ وَرَاعَتْهُ طَائِشَاتُ السَّهَامِ
حَيْثُ تُرْمَى بِجَانِبَيْهِ الْمَرَامِي
كَانْسِيَابِ الرَّقْطَاءِ فَوْقَ الرَّغَامِ

بذَرَاعِي مُشَمِّرٍ مَقْدَامِ
 مَا بَجَنْبِيٍّ مُسْتَدِيمِ الضَّرَامِ
 سَتَ تَرِينَا زَفِيرَ أَهْلِ الْغَرَامِ
 فِ فما هذه الدُّمُوعُ الْهَوَامِي
 مِنْ شَدِيدِ الْقُوَى شَدِيدِ الْغَرَامِ
 بَا وَأَسْرَفَتْ فِي أذى الْمُسْتَهَامِ
 وَخَلَطَتْ الْأَسْوَدَ بِالْأَرَامِ
 ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ نِطَاقُ الْكَلَامِ
 رِ قِيَامٌ وَاللَّيْلُ لَيْلُ التَّمَامِ
 بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ مَمَاتِ زُؤَامِ
 قَدْ رَمَاهُ مِنَ الْمَقَادِيرِ رَامِي
 يَتَّقِيهِ الْقَضَاءُ وَالنَّهْرُ طَامِي
 انْقِضَاضَ الْعُقَابِ فَوْقَ الْحَمَامِ
 لَمْ يَعُودْ مَوَاقِفَ الْإِحْجَامِ
 سَلَّهَ مِنْ يَدِ الْهَلَاكِ اللَّزَامِ
 كِبْلَاءِ الْمُهَنْدِ الصَّمْصَامِ
 رِ رُجُوعَ الْكَمِيِّ غَبَّ اغْتِنَامِ
 تِلْكَ إِحْدَى عَجَائِبِ الْأَيَّامِ
 رِ، مِنْ النَّهْرِ، جَلَّ رَبُّ الْأَنَامِ
 بَرَزَتْ مِنْ صُفُوفِ ذَاكَ الزُّحَامِ
 تِلْكَ عُقْبَى رِعَايَةِ الْأَيْتَامِ
 هُ وَحَاطَتْهُ رَغَمٌ أَنْفِ الْجِمَامِ
 يَدْفَعُ الشَّرَّ عَنْ حِيَاضِ الْكِرَامِ
 سِي وَسَيْفٌ عَلَى رِقَابِ اللَّئَامِ
 وَحَمَانِي مِنْ عَادِيَاتِ السَّقَامِ
 بِكِسَاءٍ وَبَذَرَةٍ وَطَعَامِ
 سِ وَقَامُوا فِي اللَّهِ خَيْرَ الْقِيَامِ

قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا
 بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا بَجَنْبِيٍّ لَكُنْ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْغَرَامَ وَإِنْ كُنْ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَنِينَ إِلَى الْإِلْ
 أَنْتَ قَاسِي الْفَوَادِ جَلْدٌ عَلَى الْإِيْ
 لَا تُبَالِي أَرْعَتَ بِالْبَيْنِ أَحْبَا
 أَمْ جَمَعْتَ الْأَعْدَاءَ فَوْقَ صَعِيدِ
 إِنَّنِي قَدْ شَهِدْتُ فَيْكَ عَجِيبًا
 جَزْتَ يَوْمًا بَنَّا وَنَحْنُ عَلَى الْجِسْ
 وَإِذَا رَاكِبٌ إِلَى الْجِسْرِ يَهْوِي
 مَرَّ كَالسَّهْمِ بَيْنَ تِلْكَ الْحَنَايَا
 فَتَرَدَّى فِي الْمَاءِ وَالْمَاءُ غَمْرٌ
 وَإِذَا سَابِحٌ قَدْ انْقَضَ فِي الْمَا
 غَاصَ فِي لُجَّةِ الْحُتُوفِ بَعْزَمِ
 غَابَ فِيهَا وَعَادَ يَحْمِلُ جِسْمًا
 كَافَحَ الْمَوْجَ، صَارَعَ الْهَوْلَ، أَبْلَى
 وَانْتَنَى رَاجِعًا إِلَى شَاطِئِ النَّهْ
 وَقَفَ النَّاسُ ذَاهِلِينَ وَصَاحُوا
 أَنْجَاةً مِنَ الْقِطَارِ، مِنْ الْجِسْ
 وَإِذَا صَيْحَةٌ عَلَتْ مِنْ فَتَاةٍ
 وَقَفَتْ مَوْقِفَ الْخُطِيبِ وَنَادَتْ
 بَسَطْتَ تَحْتَهُ أَكْفًا تَلَقَّيْتُ
 دَعْوَةَ الْبَائِسِ الْمَعْدَبِ سَوْرٌ
 وَهِيَ حَرْبٌ عَلَى الْبَخِيلِ وَذِي الْبَغْ
 إِنَّ هَذَا الْكَرِيمَ قَدْ صَانَ عِرْضِي
 عَالَ طِفْلِي وَعَالَانِي وَحَبَانِي
 وَهُوَ مِنْ مَعْشَرِ أَغَاثُوا ذَوِي الْبُؤْ

خَيْرَ وَرِدٍ يَوْمُهُ كُلُّ ظَامِي
 فَهِيَ لِلْبَائِسَاتِ دَارُ السَّلَامِ
 وَشِعَاعُ الرَّجَاءِ يَسْرِي أَمَامِي
 سَأَلُونِي هُنَاكَ عَنْ آلَامِي
 بِهِ بِأَحْلَى مِنْ مُنْعِشَاتِ الْمُدَامِ
 قَدْ نَجَا صَاحِبُ الْأَيْدِي الْعِظَامِ
 بِتِ بِفَضْلِ الزَّكَاةِ وَالْإِنْعَامِ
 فَسَ مِنْهَا جَلَالُ ذَاكَ الْمَقَامِ
 إِذْ تَجَلَّى فِي ثَغْرِهَا الْبَسَامِ
 رَبِّ تَبَدَّى فِي شَخْصِ ذَاكَ الْهُمَامِ
 بِهِ قَبْلَ الصَّلَاةِ قَبْلَ الصَّيَامِ
 فَهِيَ رُكْنُ الْأَرْكَانِ فِي الْإِسْلَامِ
 لِحَيَاةِ الشُّعُوبِ خَيْرُ قَوَامِ
 يَا وَأَهْوَى عَلَيَّ اقْتِنَاءَ الْحُطَامِ
 لِرُكُوبِ الشَّرُورِ وَالْآثَامِ
 لَا يُبَالِي بِشِرْعَةٍ أَوْ زِمَامِ
 أَخَذًا قُوَّتَهُ بِحَدِّ الْحُسَامِ
 صُبَّ فِي قَالِبٍ بَدِيعِ النُّظَامِ
 مِنْ كُتُوسِ الْهُمُومِ وَالْقَلْبُ دَامِي
 دُونَ شَرْبِي قَذَاهُ شَرْبُ الْجِمَامِ
 وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخُطُوبِ الْجِسَامِ
 وَمَشَى الْحُزْنُ نَاحِرًا فِي عِظَامِي
 سَ عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامِ

وَأَقَامُوا لِلْبِرِّ دَارًا فَكَانَتْ
 مُلِئَتْ رَحْمَةً وَفَاضَتْ حَنَانًا
 زُرْتُهَا وَالشَّقَاءُ يَجْرِي وَرَائِي
 لَمْ يَقُولُوا: مَنْ الْفِتَاءُ؟ وَلَكِنْ
 ثُمَّ أَهْوَتْ إِلَى الْغَرِيقِ تَوَاسِي
 قَبَّلْتُ رَاحَتِيهِ شُكْرًا وَصَاحَتْ
 قَدْ نَجَا الْمُنْعِمُ الْجَوَادُ مِنَ الْمَوِّ
 فَأَطَفْنَا بِهَا وَقَدْ مَلَأَ الْأَنْفُ
 وَشَهِدْنَا ثَغَرَ الْوَفَاءِ تَجَلَّى
 وَرَأَيْنَا شَخْصَ الْمُرُوءَةِ وَالْبِرِّ
 وَعَلِمْنَا أَنَّ الزَّكَاةَ سَبِيلُ اللَّهِ
 خَصَّهَا اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بِذِكْرِ
 بَدَأَتْ مَبْدَأُ الْيَقِينِ وَظَلَّتْ
 لَوْ وَفَى بِالزَّكَاةِ مَنْ جَمَعَ الدُّنْ
 مَا شَكَا الْجُوعَ مُعْدِمٌ أَوْ تَصَدَّى
 رَاكِبًا رَأْسَهُ طَرِيدًا شَرِيدًا
 سَائِلًا عَنْ وَصِيَّةِ اللَّهِ فِيهِ
 لَمْ أَقِفْ مَوْقِفِي لِأُنْشِدَ شِعْرًا
 إِنَّمَا قُمْتُ فِيهِ وَالنَّفْسُ نَشَوَى
 نَقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْشًا
 فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانًا
 وَمَشَى الْهَمُّ ثَاقِبًا فِي فَوَادِي
 فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعِظُ النَّاسَ

(١٤) إلى الخديوي عباس

قالها عند عودة سموه من دار الخلافة وقد عرض ليها لما كان في مصر من الخلاف بين المسلمين والأقباط في سنة ١٩١١م

دامي الفؤادِ وَلَيْلُهُ لَا يَعْلَمُ
راميه لَا يَحْنُو وَلَا يَتَرَحَّمُ
كَمْ فِيكَ سَاعَاتٍ تُشِيبُ وَتُهْرَمُ
أَتَعَبْتَنِي وَتَعَبْتَ، هَلْ مَنْ يَحْكُمُ؟
بِعَظِيمِ مَا يُخِي الفؤادُ وَيَكْتُمُ
عَنِّي، وَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتَظَلَّمُ؟
هُوَ ذَلِكَ الْمُتَوَجَّعُ الْمُتَأَلَّمُ
— لَوْلَا عُيُونُكَ — حُجَّةٌ لَا تُفْحَمُ
مِمَّا يُجَشِّمُهَا الْهَوَى لَا تَسْلَمُ
مُتَحَرِّمًا بِفَنَائِكُمْ لَا يُحْرَمُ
تِلْكَ الْعُيُونُ وَمَا جَنَاهُ الْيَمْعَصُمُ
يُبْقِي عَلَيْهِ وَلَا الصَّبَابَةُ تَرْحَمُ
مُتَمَلِّمًا مِنْ هَوْلٍ مَا يَتَجَشَّمُ
وَجَلًّا يُؤَخِّرُ رِجْلَهُ وَيُقَدِّمُ
جَزْعًا وَيُقَدِّمُ بَعْدَ ذَاكَ وَيُحْجِمُ
لِلْقَتْلِ فَوْقَ فَرَاشِهِ يَتَقَدَّمُ
وَانْسَابَ فِيهِ بِكُلِّ رُكْنٍ أَرْقَمُ
وَإِذْ قَدْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ جَهَنَّمَ
مِنْ نَازِرِيكَ، وَمَا كَتَمْتَكَ أَعْظَمُ
حَتَّامٌ تُنَجِّدُ فِي الْغَرَامِ وَتُتْهِمُ؟
(هَارُوتُ) فِي أَثْنَائِهَا يَتَكَلَّمُ
وَأَطَالَ فِيكَ وَفِي هَوَاكِ الْلُؤْمُ
فِي مَا تُزَيِّنُ لِلْحِسَانِ وَتُوْهِمُ

كَمْ تَحْتَ أَذْيَالِ الظَّلَامِ مُتَيِّمُ
مَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَوَّلُ عَاشِقِ
أَهْرَمْتَنِي يَا لَيْلُ فِي شَرْخِ الصَّبَا
لَا أَنْتَ تَقْصُرُ لِي وَلَا أَنَا مُقْصِرُ
لِلَّهِ مَوْقِفْنَا وَقَدْ نَاجَيْتُهَا
قَالَتْ: مَنْ الشَاكِي؟ تُسَائِلُ سِرْبَهَا
فَأَجَبَتْهَا وَعَجِبْنَ كَيْفَ تَجَاهَلَتْ:
أَنَا مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ جَهَلْتَ وَمَنْ لَهُ
أَسْلَمْتُ نَفْسِي لِلْهَوَى وَأُظْنُّهَا
وَأَتَيْتُ يَحْدُو بِي الرَّجَاءُ وَمَنْ أَتَى
أَشْكُو لَذَاتِ الْخَالِ مَا صَنَعْتَ بِنَا
لَا السَّهْمُ يَرْفُقُ بِالْجَرِيحِ وَلَا الْهَوَى
لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَيْهِ فِي جَوْفِ الدُّجَى
يَمْشِي إِلَى كَنْفِ الْفَرَاشِ مُحَاذِرًا
يَرْمِي الْفَرَاشَ بِنَازِرِيهِ وَيَنْتَنِي
فَكَأَنَّهُ — وَالْيَأْسُ يُنْشِفُ نَفْسَهُ —
رُشِقَتْ بِهِ فِي كُلِّ جَنْبٍ مُدِيَّةُ
فَكَأَنَّهُ فِي هَوْلِهِ وَسَعِيرِهِ
هَذَا وَحَقِّكَ بَعْضُ مَا كَابَدْتَهُ
قَالُوا: أَهَذَا أَنْتَ! وَيَحَكَ فَائِدُ
كَمْ نَفْثَةً لَكَ تَسْتَثِيرُ بِهَا الْهَوَى
إِنَّا سَمِعْنَا عَنْكَ مَا قَدْ رَابَنَا
فَاذْهَبْ بِسَحْرِكَ قَدْ عَرَفْنَاكَ وَاقْتَصِدْ

أَصَغْتُ إِلَى قَوْلِ الْوُشَاةِ فَأَسْرَفْتُ
حَتَّى إِذَا يَيْئَسَ الطَّبِيبُ وَجَاءَهَا
وَأَتَتْ تَعُودَ مَرِيضِهَا لَا بَلَّ أَتَتْ
أَقْسَمْتُ (بِالْعَبَّاسِ)، إِنِّي صَادِقُ
تِلْكَ عَدَوْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِحَوْلِهِ
النَّجْمُ مِنْ حُرَّاسِهِ، وَالْدَّهْرُ مِنْ
هَلَلْتُ حِينَ رَأَيْتُ رَكْبَكَ سَالِمًا
وَحَمِدْتُ رَبِّي حِينَ حَلَّ عَرِينَهُ
خَفَقْتُ قُلُوبَ الْمُسْلِمِينَ وَأَشْفَقْتُ
وَدَعَا لَكَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ فَأَمَّنْتَ
وَدَوَى بِمَضَرِّ لَكَ الدُّعَاءُ فَنِيْلَهَا
وَمَشَى الصَّغِيرُ إِلَى الْكَبِيرِ مُسَائِلًا
حَتَّى اطمَأَنَّتْ بِالشِّفَاءِ نَفُوسَهُمْ
مَوْلَايَ أَمَّتْكَ الْوَدِيعَةُ أَصْبَحَتْ
نَادَى بِهَا الْقَبْطِيُّ مِلءَ لَهَاتِهِ
وَهُمْ أَغَارَ عَلَى النَّهْيِ وَأَضَلَّهَا
فَهَمُّوا مِنَ الْأَدْيَانِ مَا لَا يَرْتَضِي
مَاذَا دَهَا قَبْطِيَّ مَضَرَ فَصَدَّه
وَعَلَامَ يَخْشَى الْمُسْلِمِينَ وَكَيْدَهُمْ
قَدْ ضَمَّنَا أَلَمَ الْحَيَاةِ وَكَلَّنَا
إِنِّي ضَمِينُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعُهُمْ
رَبِّ الْأَرِيكَةِ، إِنَّنَا فِي حَاجَةٍ
فَأَفْضُ عَلَيْنَا مِنْ سَمَائِكَ حِكْمَةً
وَأَجْمَعُ شَتَاتَ الْعُنْصُرَيْنِ بِعَزْمَةٍ
فَكِلَاهُمَا لِعَزِيزِ عَرْشِكَ مُخْلِصُ

فِي هَجْرَهَا وَجَنَّتْ عَلَيَّ وَأَجْرُمُوا
أَنِّي تَلِفْتُ تَنَدَّمْتُ وَتَنَدَّمُوا
مَنِّي تُشْيِعُ رَاحِلًا لَوْ تَعْلَمُ
فَمُرِيَهُمْ بِجَلَالِهِ أَنْ يُقْسِمُوا
وَعَدَوْتُ فِي آلَائِهِ أَتَنْعَمُ
خُدَّامِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُنْعَمُ
وَرَأَيْتُ (عَبَّاسًا) بِهِ يَنْبَسِمُ
مُتَجَدِّدَ الْعَزَمَاتِ ذَاكَ الضَّيْعَمُ
دَارُ الْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ الْأَعْظَمُ
بَطْحَاءُ مَكَّةَ وَالْحَطِيمُ وَزَمَرَمُ
وَسُهُولُهَا وَفَصِيحُهَا وَالْأَعْجَمُ
يَتَسَقَطُ الْأَخْبَارُ أَوْ يَتَنَسَّمُ
وَطَلَعَتْ بِالسَّعْدِ الْعَمِيمِ عَلَيْهِمْ
وَعُرَا الْمَوَدَّةِ بَيْنَهَا تَتَفَصَّمُ
أَنْ لَا سَلَامَ وَضَاقَ فِيهَا الْمُسْلِمُ
فَجَرَى الْغَبِيِّ وَأَقْصَرَ الْمُتَعَلِّمُ
دِينَ وَلَا يَرْضَى بِهِ مَنْ يَفْهَمُ
عَنْ وَدِّ مُسْلِمِهَا وَمَاذَا يَنْقِمُ؟
وَالْمُسْلِمُونَ عَنِ الْمَكَائِدِ نُومُ
يَشْكُو، فَنَحْنُ عَلَى السَّوَاءِ وَأَنْتُمْ
أَنْ يُخْلِصُوا لَكُمْ إِذَا أَخْلَصْتُمْ
لِجَمِيلِ رَأْيِكَ وَالْحَوَادِثُ حُومُ
تَأْسُو الْقُلُوبَ فَإِنَّ رَأْيَكَ أَحْكَمُ
تَأْتِي عَلَى هَذَا الْخِلَافِ وَتَحْسِمُ
وَكِلَاهُمَا بِرِضَاكَ صَبُّ مُغْرَمُ

(١٥) محاوره بين حافظ و خليل مطران في حفل أقامته جمعيّة رعاية الطفل
بالأوبرا (نشرت في ٣١ مارس سنة ١٩١٣م)

حافظ:

هذا صبيّ هائمٌ
أبلى الشقاءَ جديدهُ
فانظرْ إلى أسماله
هو لا يريدُ فراقها
لكنّها قد فارقتْ
إنّي أعدُّ ضلوعه
أبصرتُ هيكلَ عظمه
فكأنّما هو ميتٌ
قد كان يهدمه النسيبُ
وتراه من فرطِ الهزا
عجبًا أيقرسه الطوى
وتغوله البؤسى وطرُ
كم مثله تحت الدجى
خزيان، يخرُجُ في الظلا
متلفعًا جلبابه
يقنّى برؤيته فلا

تحت الظلامِ هيامَ حائرُ
وتقلّمتُ منه الأظافرُ
لم يبقَ منها ما يَظَاهِرُ
خوفَ القوارسِ والهواجِرُ
هُ فراقَ معذورٍ وعاذِرُ
من تحتها والليلُ عاكِرُ
فذكرتُ سگانَ المقابرُ
أحياءُ (عيسى) بعدَ (عازرُ)
مُ وكاد تدرّوه الأعاصِرُ
ل تكادُ تنقُبُه المَواطِرُ
في قلبِ حاضرةِ الحَواضرُ
ف (رعايةُ الأطفالِ) ساهِرُ!
أسوانَ بادي الضُرِّ طائرُ
م خروجَ خُفّاشِ المَغاوِرُ
مُترقّبًا معروفَ عابرُ
تلوي عليه عينُ ناظرُ

ومنها:

قعدتُ شعوبُ الشرقِ عنْ
فونّت وفي شرعِ التنا
تمشي الشعوبُ لقصدها
كم في الكنانة من فتى
لكنهم لم يُرزقوا

كسبِ المَحامِدِ والمَفاخرِ
حر من وئى لا شكَّ خاسرُ
قدّمًا وشعبُ النّيلِ آخرُ
نذب وكم في الشّامِ قادرُ
رأيًا ولم يردوا المَخاطرُ

هذا يطيرُ مع الخيا
جَهِلُوا الحِياةَ وما الحيا
يَجْتَابُ أَجْوَازَ القِفَا
لا يَسْتَشِيرُ سِوَى العَزِي
يَزْمِي وراءَ الباقِيا
ما هَدَّ عَزَمَ القادِريـ
كَمْ ذا نُحِيلُ على غِدِّ
خَوَتِ الدِّيارُ فلا اخْتِرا
دَعْ ما يُجَشِّمُها الجُمو
في الاقْتِصادِ حِياتِنَا
تَرْبُو به فينا المِصا
سَلْ (حِشْمَتًا) عنه فـهـ
أُحيا الصَّنَاعةَ والتَّجا

لِ وَذاك يَرْتَجِلُ النُّواذِرُ
هُ لَغَيْرِ كَداحِ مُغامِرُ
رِ وَيَمْتَطِي مَتَنَ الزَّواجِرِ
حَمَةٍ في المَوارِدِ والمَصادِرِ
تِ بِنَفْسِهِ رَمَيَ المُقامِرِ
نَ بِمَضَرٍ إِلَّا قَوْلُ: (باكِزُ)
وَعَدُّ مَصرِ اليَومِ صائِرُ
عَ ولا اقْتِصادَ ولا نَخائِرُ
دُ وما يَجُرُّ مِنَ الجَرائِرِ
وَبقاؤُنَا رَغَمَ المُكابِرِ
نِعُ والمَزارِعُ والمَناجِرِ
ذا (حِشْمَتُ) في الجَمْعِ حاضِرُ
رَةٍ مِثْلَما أُحيا الضَّمائِرُ

مطران:

عَجَبًا تُعَرِّفُنِي به
لي فيه ما لَكَ فيه مِنْ
أَنسِيَتْ (مُوجَزَ الاقْتِصا
أو لم يَكُنْ هذا الوَزيـ
أَنسِيَتْ ما عانَيْتَه

وَأنا بِهِمَّتِهِ أَفاخِرُ!
أَمَلٍ على الأَيَّامِ كابِرُ
دِ) وَفَضْلُهُ أَمْ أَنْتَ ذاكِزُ
رُ بِذلك التَّعْريبِ أَمْرُ
واللَّفْظُ مُسْتَعَصٍ وَنافِرُ

حافظ:

لَمْ أَنَسَ ما سالتُ به
مَنْ خاْطِرِي ثَلَكِ المَقاْطِرُ

مطران:

لَمْ أَنْسَ إِذْ لَالَ الْكَلَا مِ وَذِلَّتِي بَيْنَ الْمَحَابِرِ

حافظ:

لَمْ أَنْسَ نَحْتِي لِاصْطِلَا حِ دُونَهُ نَحْتُ الْمَحَاجِرِ

مطران:

لَمْ أَنْسَ تَشْذِيبَ الْفُضُو لِ وَمَقْرَضُ التَّنْقِيفِ دَائِرُ

(١٦) دعوة إلى الإحسان (نشرت في سنة ١٩١٥م)

أَجَادَ (مَطْرَانُ) كَعَادَاتِهِ
فَإِنْ أَقْفَ مِنْ بَعْدِهِ مُنْشِدًا
وإنْ رَأَيْتُمْ فِي يَدِي زَهْرَةً
رَثَى (حَبِيبًا) وَرَثَى بَعْدَهُ
كَانَا إِذَا مَا ظَهَرَا مِنْبَرًا
فَأَصْبَحَا هَذَا طَوَاهُ الرَّدَى
لَوْلَا (سَلِيمٌ) لَمْ يَقْلُ قَائِلُ
لِلَّهِ مَا أَشْجَعَهُ إِنَّهُ
يَقُومُ فِي مَشْرُوعِهِ نَافِذًا
تَلْقَاهُ فِي الْجِدِّ كَمَا تَبْتَغِي
(سَرْكِيْسُ) إِنْ رَاقَكَ مَا قُلْتُهُ
أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآلِئِهِ
بِالْخُنْسِ الْكُنْسِ فِي سَبْجِهَا
بِأَنَّ هَذَا عَمَلٌ صَالِحٌ

وهكذا يُؤَثَّرُ عَنْ (قُسِّ)
فَإِنَّمَا مِنْ طَرَسِهِ طَرْسِي
فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْغَرَسِ
لِذَلِكَ الْمُؤَفِّي عَلَى الرَّمْسِ
حَلًّا مِنْ السَّامِعِ فِي النَّفْسِ
وَذَاكَ نَهَبٌ فِي يَدِ الْبُؤْسِ
وَلَمْ يَجِدْ مَنْ جَادَ بِالْأَمْسِ
نُوْ مَرَّةً فِينَا وَنُوْ بِأَسْ
كَأَنَّهُ (عَنْتَرَةُ الْعَبْسِي)
وَتَارَةً تَلْقَاهُ فِي (الْهَلْسِ)
فِي مَعْرِضِ الْهَزْلِ فَقُلْ «مَرْسِي»
بَعَرَّشَهُ بِاللُّوْحِ بِالْكَرْسِي
بِالْبَدْرِ فِي مَرَاهُ بِالشَّمْسِ
قَامَ بِهِ هَذَا الْفَتَى الْقُدْسِي

ذَكَّرْنَا وَالْمَرْءُ مِنْ نَفْسِهِ
بِالْوَجِبِ الْأَقْدَسِ فِي حَقِّ مَنْ
هَذَا (أَبُو الْعَدْلِ) فَمَنْ خَالَه
كَانَتْ لَهُ فِي حَلْقِهِ ثَرْوَةٌ
فَعَالَهَا الدَّهْرُ كَمَا غَالَهُ
فَاكْتَسَبُوا الْأَجْرَ وَلَا تَبْتَغُوا
إِنِّي أَرَى التَّمَنِّيَّ فِي غَمْرَةٍ
لَمْ يَرْمِهِ فِي شَرْخِهِ مَا رَمَى
أَكُلَّمَا خَفَّتْ بِهِ صَخْوَةٌ
إِنْ تُغْفِلُوا دَارِسَ آثَارِهِ
أَعْجَزَهَا النُّطْقُ فَجَاءَتْ بِنَا
وَعَيْشُهُ فِي شَاغِلٍ يُنْسِي
بَاعْتَهُ مَصْرُ بَيْعَةِ الْوَكُيسِ
حَيًّا فَمَا خَالَ سَوَى الْعَكْسِ
مِنْ نَبْرَةٍ تُشْجِي وَمِنْ جَرَسِ
حَتَّى غَدَا كَالطَّلَلِ الدَّرْسِ
شِرَاءَهُ بِالنِّمْنِ الْبَخْسِ
غَامِرَةٍ تَدْعُو إِلَى الْيَأْسِ
لَوْ كَانَ مَبْنِيًّا عَلَى أَسْ
مِنْ دَائِهِ عُوْجَلٍ بِالنُّكْسِ
عَقَى عَلَيْهَا الدَّهْرُ بِالطُّمْسِ
تَنْوُبُ عَنْ أَلْسِنِهَا الْخُرْسِ

(١٧) العدو والصديق ترجمة عن قولتير (نشر هذا البيت في ١٥ يناير سنة ١٩١٦م)

لا أبالي أذى العدو فحطني أنت يا رب من ولأى الصديق

(١٨) جمعية الاتحاد السوري

أنشدها في حفل خيرى أقامته هذه الجماعة في الأوبرا السلطانية لإعانة الطلبة الشاميين بالأزهر ليلة الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩١٦م

أَيُّهَا الْوَسْمِيُّ زُرْ نَبْتَ الرُّبَا
حَيِّهِ وَانْتُرْ عَلَى أَكْمَامِهِ
أَيُّهَا الزَّهْرُ أَفُقْ مِنْ سَنَةِ
مِنْ رَحِيقِ أُمِّهِ غَدِيَّةٍ
وَاسْبِقِ الْفَجْرَ إِلَى رَوْضِ الزَّهْرِ
مِنْ نِطَافِ الْمَاءِ أَشْبَاهِ الدُّرِّ
وَاصْطَبِحْ مِنْ حَمْرَةٍ لَمْ تُغْتَصَرْ
سَاقَهَا تَحْتَ الدُّجَى رَوْحُ السَّحَرِ

عَلَّه يَوْقِظُ سُكَانَ الشَّجَرِ
يُؤْنِسُ النَّفْسَ وَقَدْ نَامَ السَّمَرُ
إِنِّي قَدْ شَفَّنِي طَوْلُ السَّهَرِ
وَارَوْ عَنْ إِسْحَاقَ مَاثُورَ الْخَبَرِ
أَنْ تُغْنِيَنِي إِذَا الْفَجْرُ ظَهَرَ
سَرَّتِ الْأَشْجَانُ عَنِّي وَالْفِكَرُ
خَرَقَ السَّمْعَ فَأَذْمَى فَوْقَ
بَعْجِيبٍ مِنْ أَعَاجِيبِ الْعَبْرِ
وَعُرُوشَ تَتَهَاوَى وَسُرُرُ
كُسْيُولٍ دَفَقَتْ فِي مُنَحَدَرِ
لَا تُبَالِي غَابَ عَنْهَا أَمْ حَضَرَ
صَبِيَّةٌ خَفَّتْ إِلَى لِعْبِ الْأَكْرِ
أَطْفَنْتُ شَبَّ لَهَاهَا وَاسْتَعَزَّ
وَاسْتَعَاذَ الشَّمْسُ مِنْهَا وَالْقَمَرُ
فِي عُبَابِ الْبَحْرِ، فِي مَجْرَى النَّهْرِ
أَنْ يَبِيدُوا قَبْلَ مِيعَادِ الْبَشَرِ
نِعْمَةَ الْأَمْنِ وَطِيبِ الْمُسْتَقَرِّ
نِعْمَةَ الْأَمْنِ إِذَا الْخَطْبُ اكْفَهَرَ
صَاحِبَ الدَّوْلَةِ مَحْمُودَ الْأَثَرِ
أَمَّمْ فِي الْغَرْبِ أَشْقَاهَا الْقَدَرُ
لَمْ تُسَاوِرْهَا اللَّيَالِي بِالْكَدَرِ
مَنْ لَطَى نِيرَانَهَا بَعْضُ الشَّرِّ
فِي عَنَاءٍ وَشَقَاءٍ وَضَجَرِ
أَوْ يُضَامُوا إِنَّهَا إِحْدَى الْكَبَرِ
مَسَّهُمْ ضُرٌّ وَنَابَتْهُمْ غَيْرُ
إِنَّ خَيْرَ الْأَجْرِ أَجْرُ مُدَحَّرِ

وَانْفَحِ الرِّوْضَ بِنَشْرِ طَيِّبِ
إِنَّ بِي شَوْقًا إِلَى ذِي غُنَّةِ
إِيهِ يَا طَيْرُ أَلَا مِنْ مُسْعِدٍ؟
قُمْ وَصَفِّقْ وَاسْتَجِرْ وَاسْجَعْ وَنَحْ
ظَهَرَ الْفَجْرُ وَقَدْ عَوَّدْتَنِي
غَنَّنِي كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدِ
إِخْرَقَ السَّمْعَ سَوَى مِنْ نَبَاِ
كُلِّ يَوْمٍ نَبَأَةٌ تَطْرُقُنَا
أَمَّمْ تَفَنَّى وَأَرْكَانُ تَهِي
وَجُيُوشُ بِجُيُوشٍ تَلْتَقِي
وَرَجَالُ تَتَبَارَى لِلرَّدىِ
مَنْ رَأَاهَا فِي وَغَاهَا خَالَهَا
وَحُرُوبُ طَاجِنَاتُ كُلَّمَا
ضَجَّتِ الْأَفْلَاكُ مِنْ أَهْوَالِهَا
فِي الثَّرَى، فِي الْجَوِّ، فِي شَمِّ الذُّرَاِ
أُسْرِفَتْ فِي الْخَلْقِ حَتَّى أَوْشَكُوا
فَاصْمِدُوا ثُمَّ اِحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى
نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا
وَاشْكُرُوا سُلْطَانَ مِصْرٍ وَاشْكُرُوا
نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَهُ
تَتَمَنَّى هَجْعَةً فِي غِبْطَةٍ
إِنَّ فِي الْأَزْهَرِ قَوْمًا نَالَهُمْ
أَصْبَحُوا — لَا قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا —
نُزْلَاءَ بَيْنِنَا إِنْ يُزْهَقُوا
فَاعِينُوهُمْ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ
أَقْرِضُوا اللَّهَ يَضَاعِفْ أَجْرَكُمْ

(١٩) الجمعية الخيرية الإسلامية (نشرت في ٢٨ مارس سنة ١٩١٦م)

أنشد هذه القصيدة بين يدي المغفور له السلطان حسين كامل في ليلة أحييتها الجمعية الخيرية بالأوبرا السلطانية. وقد قالها على لسان صنعة من صنائع الجمعية كان يتيمًا بئسًا، فكفلته الجمعية حتى اكتمل عقلا وعلمًا.

قَضَيْتُ عَهْدَ حَدَاتِي
لَمْ يُغْنِ عَنِّي بَيْنَ مَشَى
صَفَرَتْ يَدِي فَخَوَى لَهَا
وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ لَيْسَ فِي
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِي سِوَى
أَمْشِي يُرَنِّحُنِي الْأَسَى
فَلَكُمْ ظَلَلْتُ عَلَى طَوَى
وَالْجُوعُ فَرَّاسٌ لَهُ
فَكَأَنَّهُ فِي مُهْجَتِي
وَلَكُمْ صَحَبْتُ الْأَبْيَضِ
فَإِذَا ظَفِرْتُ بِكَسْرَةٍ
وَعَلَيَّ طِمْرٌ لَوْ هَفْتُ
فَخَرَوْقُهُ وَمَصَائِبِي
مَا زِلْتُ أَوْسَعُ مَحْنَتِي
حَتَّى تَنْفَسَ صُبْحُ إِقْدِ
وَلِكُلِّ سَيْفٍ مُضَلَّتِ
وَالْعَيْشُ فِي إِقْبَالِهِ
فَتَلَقَّ فِتْنَتِي فَتِيَّةٌ
مَهْدُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِمَا
وَعَدُوا إِلَى الْحُسْنَى كَمَا
كَمْ أُسْرَةٌ ضَاقَ الرَّجَا
دَقُّوا عَلَيْهَا بِأَبْهَا

مَا بَيْنَ ذُلٍّ وَاعْتِرَابٍ
رَقِهَا وَمَغْرِبَهَا اضْطِرَابٍ
رَأْسِي وَجَوْفِي وَالْوِطَابِ
طَوْقِي مُكَافَحَةُ الصَّعَابِ
ذِكْرُ تَنَاسَاهُ الصَّحَابِ
وَالْبُؤْسُ تَرْنِيحُ الشَّرَابِ
يَوْمِي وَبِتُّ عَلَى تَبَاتٍ
ظَفَرُ يَصُولُ بِهِ وَنَابِ
نَصْلٌ تَغْلَغَلَ لِلنَّصَابِ
نِ فَأَبْلَىا بُرْدَ الشَّبَابِ
فِإِدَامِهَا مِنِّي لُعَابِ
رِيحُ الشَّمَالِ بِهِ لَذَابِ
فِي الْعَدِّ يُخْطِئُهَا الْحِسَابِ
صَبْرًا وَأَحْتَمِلُ الْعَذَابِ
جَالِي وَنَجْمُ النَّحْسِ غَابِ
لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا قِرَابِ
شُهِدُ وَفِي الْإِدْبَارِ صَابِ
رُحْبُ الشَّمَائِلِ وَالْجَنَابِ
صَنَعُوهُ زُلْفَى وَاحْتِسَابِ
تَعْدُو الْمُطَهَّمَةَ الْعِرَابِ
ءُ بِهَا وَأَعْيَاهَا الطَّلَابِ
وَاللَّيْلُ مَسْدُولُ النَّقَابِ

وَتَعَاهَدُوهَا مِثْلَمَا
وَجَمَالُ صُنْعِ الْبِرِّ أَلْ
فَتَحُوا الْمَدَارِسَ حِسْبَةً
فِيهَا تَبَيَّنْتُ الْهُدَى
وَبِهَا صَدَفْتُ عَنِ الضَّلَا
وَعَدَوْتُ إِنْسَانًا تَجَمُّ
مُتَبَصِّرًا ذَا فِطْنَةٍ
(جَمْعِيَّةٌ خَيْرِيَّةٌ)
قَدْ كَانَ فِيهَا (عَبْدُهُ)
لَمْ يَدْعُ مِسْمَاحًا إِلَى
مَا غَابَ عَنْهَا مَرَّةً
و(لِعَاصِمٍ) أَثَرٌ بِهَا
قَدْ كَانَ يَحْمِيهَا كَمَا
ثَبَّتَتْ وَكَانَ ثَبَاتُهَا
وَالشَّرْقُ أَوْرَثَ أَهْلَهُ
فِينَا عَلَى كَرَمِ الطَّبَا
دَاءُ التَّوَكُّلِ وَهُوَ فِي الـ
ثَبَّتَتْ لِأَنَّ لَهَا إِلَى
لَوْلَا (حُسَيْنٌ) لَمْ تَدُمُ
اللَّهُ أَذْرَكَهَا بِهِ
يَا وَاهِبَ الْأَلَافِ كَمْ
لَكَ سَاحَةٌ عَلَوِيَّةٌ
مَهَّدَتْ لِلْأَخْيَارِ مَيْدَ
لَا زَلَّتْ فِي الْقُطْرَيْنِ مَحْ

يَتَعَاهَدُ النَّبْتَ السَّحَابُ
لَا يُسْتَشْفَى لَهُ حِجَابُ
وَتَنْظُرُوا حُسْنَ الْمَاءِ
وَقَرَأْتُ (فَاتِحَةَ الْكِتَابِ)
لَهُ وَاهْتَدَيْتُ إِلَى الصَّوَابِ
حِمْلُهُ الْفَضَائِلُ لَا الثِّيَابِ
تَنْفِي الْقَشُورَ عَنِ اللَّبَابِ
قَامَتْ لِتَخْفِيفِ الْمَصَابِ
عَوْنًا يُلَبِّي مَنْ أَهَابَ
إِنْعَاشَهَا إِلَّا أَجَابَ
حَتَّى تَغِيَّبَ فِي الثَّرَابِ
بَاقٍ وَذِكْرُ مُسْتَطَابِ
تَحْمِي مَجَازِمِهَا الْعُقَابِ
يَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ الْعُجَابِ
حُبُّ التَّقَلُّبِ وَالْخِلَابِ
عِ وَنُبْلُهَا طَبْعُ يُعَابِ
عُمُرَانِ دَاعِيَةُ الْخَرَابِ
أُعْتَابِ مَوْلَانَا انْتِسَابِ
إِلَّا كَمَا دَامَ الْحَبَابِ
بَحْرًا مَوَارِدُهُ عِذَابِ
طَوَّقَتْ بِالْمِنَنِ الرَّقَابِ
مَا أَمَّهَا أَمَلٌ وَخَابِ
دَانَ السَّبَاقِ إِلَى الثَّوَابِ
رُوسَ الْأَرِيكِةِ وَالرَّكَابِ

(٢٠) جمعيّة إعانة العميان

قالها في حفل أقامته الجمعيّة لبناء مدرسة للعميان بالأحداث بالأوبرا في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٦م ونشرت في اليوم التالي

إِنَّ يَوْمَ احْتِفَالِكُمْ زَادَ حُسْنًا
فاقتِرَانُ الْيَوْمَيْنِ رَمَزٌ إِلَى يُمِّ
فَكَأَنِّي أَشِيْمُ عَاطِفَةَ الْبَرِّ
وَأَرَى فِي الْوُجُوهِ سَيِّمًا ارْتِيَا ح
إِنَّ حَقَّ الضَّرِيرِ عِنْدَ ذَوِي الْأَبِّ
لَمْ يَضُرْهُ فَقْدَانُهُ نُورَ عَيْنَيْهِ
أَنَسُوا نَفْسَهُ إِذَا أَظْلَمَ الْعَيْنُ
وَجَّهُوهُ إِلَى الْفَلَاحِ يُفِدُكُمْ
أَكْمَلُوا نَقْصَهُ يَكُنْ عَبَقْرِيًّا
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَكْمِهِ لَا يُجَارَى
لَمْ تَقَفْ آفَةُ الْعُيُونِ حِجَارًا
عَدِمَ الْحِسَّ قَائِدًا فَحْدَاهُ
مِثْلُ هَذَا إِذَا تَعَلَّمَ أَغْنَى
ذَاكَ أَنَّ الذِّكَاءَ وَالْحِفْظَ حَلَّا
فَعَلَى كُلِّ أَكْمِهِ وَبَصِيرٍ

وَجَلَالًا بِيَوْمِ عِيدِ الْجُلُوسِ
نَ وَبُشْرَى تَسْرُّ رَهْنَ الْحُبُوسِ
رِ عِيَانًا تَجُولُ بَيْنَ الْجُلُوسِ
وَابْتِهَاجٍ لِسَعْيِ تِلْكَ الْعَرُوسِ
صَارَ حَقٌّ مُسْتَوْجِبُ التَّقْدِيسِ
هَ إِذَا اغْتَاضَ عَنْهُمَا بِأَنْبِيسِ
شُ يَعْلَمُ فَالْعِلْمُ أَنْسُ النُّفُوسِ
فَوْقَ مَا يَسْتَفِيدُهُ مِنْ دُرُوسِ
مِثْلَ (طه) مُبَرِّزًا فِي الطُّرُوسِ
وَضَرِيرٍ يُرْجَى لِيَوْمِ عُبُوسِ
بَيْنَ وَثْبَاتِهِ وَبَيْنَ الشَّمُوسِ
هَدْيٍ وَجْدَانِهِ إِلَى الْمَحْسُوسِ
عَنْ كَثِيرٍ وَجَاءَنَا بِالنَّفِيسِ
فِي جَوَارِ النَّهْيِ بِتِلْكَ الرُّعُوسِ
شُكْرُ أَعْضَائِكُمْ وَشُكْرُ الرَّئِيسِ

(٢١) ملجأ الحرّية (نشرت في ١٩ مايو سنة ١٩١٩م)

أَيُّهَا الطِّفْلُ لَكَ الْبُشْرَى فَقَدْ
قَدَّرَ اللَّهُ حَيَاةَ حُرَّةً
لَا تَخَفْ جُوعًا وَغُرْيًا وَلَا
لَكَ عِنْدَ الْبَرِّ فِي مَلَجَةِ

قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نُنْشَرَ
وَأَبَى سُبْحَانَهُ أَنْ تُقْبَرَ
تَبْكُ عَيْنَاكَ إِذَا خَطْبُ عَرَا
حَيْثُ تَأْوِي خَاطِرُ لَنْ يُكْسَرَ

حيثُ تَلَقَى فِيهِ حَدْبًا وَتَرَى
 لَا تُسَى ظَنًّا بِمُثْرِينَا فَقَدْ
 كَانَ بِالْأَمْسِ وَأَقْصَى هَمِّهِ
 فَعَدَا الْيَوْمَ يُوَاسِي شَعْبَهُ
 نَبَّهَتْ عَاطِفَةَ الْبَرِّ بِهِ
 جَمَعْتُنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ
 فَتَعَاهَدْنَا عَلَى دَفْعِ الْأَذَى
 وَتَوَاصَيْنَا بِصَبْرِ بَيْنِنَا
 أَنْشَرْتَ فِي مِصْرَ شَعْبًا صَالِحًا
 كَمْ مُحِبِّ هَائِمٍ فِي حُبِّهَا
 وَشَبَابٍ وَكُهُولٍ أَقْسَمُوا
 يَا رِجَالَ الْجِدِّ هَذَا وَقْتُهُ
 مَلَجًا أَوْ مَصْرِفًا أَوْ مَصْنَعًا
 أَنَا لَا أَعِذُّ مِنْكُمْ مَنْ وَنَى
 فَابْدَءُوا بِالْمَلَجِ الْحَرِّ الَّذِي
 وَاكْفُلُوا الْإِيْتَامَ فِيهِ وَاعْلَمُوا
 أَيُّهَا الْمُثْرَى أَلَا تَكْفُلُ مَنْ
 أَنْتَ مَا يُدْرِيكَ لَوْ أَنْبَتَهُ
 رَبِّمَا أَطْلَعْتَ (سَعْدًا) آخِرًا
 رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ (عَبْدَهُ)
 رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ شَاعِرًا
 رَبِّمَا أَطْلَعْتَ مِنْهُ فَارِسًا
 كَمْ طَوَى الْبُؤْسَ نَفُوسًا لَوْ رَعَتْ
 كَمْ قَضَى الْعُدْمَ عَلَى مَوْهَبَةٍ
 كُلُّ مَنْ أَحْيَا يَتِيمًا ضَائِعًا
 إِنَّمَا تُحْمَدُ عُقْبَى أَمْرِهِ

بَيْنَ أَثْرَابِكَ عَيْشًا أَنْضَرَا
 تَابَ عَنْ أَثَامِهِ وَاسْتَغْفَرَا
 إِنْ أَتَى عَارِفَةً أَنْ يَظْهَرَا
 وَهُوَ لَا يَرْغَبُ فِي أَنْ يُشْكِرَا
 مِحْنَةً عَمَّتْ وَمِقْدَارُ جَرَى
 وَأَرَادْتُنَا عَلَى أَنْ نُقْهَرَا
 بِرُكُوبِ الْحَزْمِ حَتَّى نَظْفَرَا
 فَعَدَوْنَا قُوَّةَ لَا تُزْدَرَى
 كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مُنْفَكَّ الْعُرَا
 ذَادَ عَنْ أَجْفَانِهِ سَرْحَ الْكُرَى
 أَنْ يَشِيدُوا مَجْدَهَا فَوْقَ الذَّرَا
 أَنْ أَنْ يَعْمَلَ كُلُّ مَا يَرَى
 أَوْ نِقَابَاتٍ لَزُرَاعِ الْقُرَى
 وَهُوَ ذُو مَقْدَرَةٍ أَوْ قَصْرَا
 جِئْتُ لِلْأَيْدِي لَهُ مُسْتَمْطِرَا
 أَنْ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا
 بَاتَ مَحْرُومًا يَتِيمًا مُعْبِرَا
 رَبِّمَا أَطْلَعْتَ بَدْرًا نَيْرَا
 يُحْكِمُ الْقَوْلَ وَيَرْقَى الْمُنْبَرَا
 مَنْ حَمَى الدِّينَ وَزَانَ (الْأَزْهَرَا)
 مِثْلَ (شَوْقِي) نَابَهَا بَيْنَ الْوَرَى
 يَدْخُلُ الْغِيلَ عَلَى أَسَدِ الشَّرَى
 مَنبِتًا خِصْبًا لَكَانَتْ جَوْهَرَا
 فَتَوَارَتْ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى
 حَسْبُهُ مَنْ رَبِّهِ أَنْ يُوْجَرَ
 مَنْ لِأَخْرَاهُ بِدُنْيَاهُ اشْتَرَى

(٢٢) جمعية الطفل

أنشدها في الحفل الذي أقامته هذه الجمعية في يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٢٨ م

رِ ولا تَخْشَ عَادِيَاتِ اللَّيَالِي
تَعْشَقُ الْبِرَّ مِنْ ذَوَاتِ الْجِبَالِ
رِ وَدُمْتَنَ قُدْوَةً لِلرَّجَالِ
كُنْ أَوْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمَعَالِي
وَتُعِيدُ الْبَخِيلَ أَكْرَمَ نَالِ
فِي رِضَاكُنْ أَرْخَصُوا كُلَّ غَالِي
يَتَجَلَّى فِي هَالَةٍ مِنْ جَلَالِ
لِقَاقِ عِنْدِي أَسْمَى مَجَالِي الْجَمَالِ
فَ عَلَى الْبَائِسِينَ وَالسُّؤَالَ
لِ شَرِيدًا فَرِيَسَةَ الْمُغْتَالَ
نَسْأَلُ الْقَادِرِينَ بَعْضَ النُّوَالِ
إِنَّ جُهْدَ الْمُقِلِّ حُسْنُ الْمَقَالِ
لِ شِقَاءٍ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالِ
سُ يَعِشْ نَكَبَةً عَلَى الْأُجْيَالِ
يَطْرَحُ الْمَرْءُ فِي مَهَاوِي الضَّلَالِ
مُضْلِحٌ أَوْ مُغَامِرٌ لَا يُبَالِي
ذُو مَضَاءٍ يَدُكَ شَمَّ الْجِبَالِ
وَتَأْبَى عَلَى شَدِيدِ الْمِحَالِ
لَوْ تَبَيَّنْتَ مِنْ دَبِيبِ النَّمَالِ
— لَوْ أُتِيحَ الطَّيِّبُ — غَيْرُ عُضَالِ
رِ بِجَاهٍ يُظِلُّهُ أَوْ بِمَالِ
سَاءُ لَوْلَا (رِعَايَةُ الْأَطْفَالِ)
شَهْوَةُ الْحَرْبِ — مِنْ رِجَالِ الْقِتَالِ
أَوْ بَلَاءٍ مُصَوِّبٍ أَوْ نِكَالِ

أَيُّهَا الْطِفْلُ لَا تَخَفْ عَنَتَ الدَّهْرِ
قَيِّضَ اللَّهُ لِلضَّعِيفِ نَفُوسًا
أَيُّ ذَوَاتِ الْجِبَالِ عِشْتَنَ لِلْبِرِّ
لَمْ يَكُونُوا لِيُذَرِّكُوا الْمَجْدَ لَوْلَا
بَسْمَةُ تَجْعَلُ الْجَبَانَ شُجَاعًا
وِعِظَامُ الرِّجَالِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ
رَاعَنِي مِنْ نَفُوسِكُنْ جَمَالُ
وَجَمَالُ النُّفُوسِ وَالشَّعْرِ وَالْأَخْ
قُمْنَ عَلَّمَنَّا الْمُرُوءَةَ وَالْعَطْفَ
قُمْنَ عَلَّمَنَّا الْحَنَانَ عَلَى الطَّفِّ
قَدْ أَجَبْنَا نِدَاءَكُنْ وَجِئْنَا
لَوْ مَلَكْنَا غَيْرَ الْمَقَالِ لَجَدْنَا
أَنْقَذُوا الطِّفْلَ إِنْ فِي شِقْوَةِ الطَّفِّ
إِنْ يَعِشْ بَائِسًا وَلَمْ يَطُوهُ الْبُؤْسُ
رُبَّ بُؤْسٍ يُخَبِّتُ النَّفْسَ حَتَّى
أَنْقِذُوهُ فَرَبَّمَا كَانَ فِيهِ
رَبَّمَا كَانَ تَحْتَ طِمْرِيهِ عِزُّ
رُبَّ سِرٍّ قَدْ حَلَّ جِسْمَ صَغِيرٍ
فَخَفَافُ الْأَفْيَالِ أَرْفَقَ وَقَعًا
شَاعَ بُؤْسُ الْأَطْفَالِ وَالْبُؤْسُ دَاءُ
أَيَّدُوا كُلَّ مَجْمَعٍ قَامَ لِلْبِرِّ
كَمْ يَتِيمٌ كَادَتْ بِهِ الْبَاءُ
وَرِجَالُ الْإِسْعَافِ أَنْبَلُ — لَوْلَا
يَسْهَرُونَ الدُّجَى لِتَخْفِيفِ وَيْلِ

كم جَرِيحٍ لولاهُم ماتَ نَزَفًا
 كم صَرِيحٍ من صَدْمَةٍ أو صَرِيحٍ
 كم حَرِيقٍ قد أُحْجِمَ الناسُ فيه
 يَتَرَامُونَ في اللَّهْيَبِ سِرَاعًا
 لا لشيءٍ سوى المُرَوَّةِ يَحْلُو
 فاصْنَعُوا البرَّ مُنْعِمِينَ وَجُودُوا
 لانتِشارِ العلومِ أو لانتِطوَاءِ الـ

في يَدِ الجَهْلِ أو يَدِ الإِهْمَالِ
 من سُموْمٍ مُخْدِرِ الأَوْصَالِ
 عن ضحايا تَتَنُّ تحتَ التَّلَالِ
 كَتَرَامِي القَطَا لورْدِ الزُّلالِ
 طَعَمُهَا في فَمِ المَرِيءِ المُوَالِ
 أيُّهَا القَادِرُونَ قَبْلَ السُّؤَالِ
 بُؤْسِ وَالشَّرِّ أو لِتَرْفِيهِ حَالِ

(٢٣) كَلِيَّةُ البَنَاتِ الأَمْرِيكِيَّةِ (نشرت في ٢٦ مايو سنة ١٩٢٨م)

قالها في الحفل الذي أقامته الكليّة لتوزيع الشهادات والجوائز على الفائزات

أي رجال الدنيا الجديدة مهلاً
 وفهمتم معنى الحياة فأرصد
 وحرصتم على العقول فحرّم
 وقدركم دقيقة العمر حرصاً
 كم أحالوا على غدٍ كل أمر
 قد تحدّيتكم المنيّة حتّى
 وطوّيتكم فراسخ الأرض طيّاً
 ثم سخرتم الرياح فسسّتم
 تسرجون الهواء إن رمت السّيّد
 وتخذتم موج الأثير بريداً
 ثم حاولتم الكلام مع النّج
 ومحا (فورّد) آية المشي حتّى
 وانتزعتكم من كلّ شبرٍ بظهر الـ
 وأقمتم في كلّ أرض صروحاً
 وغرستم للعلم رَوْضاً أنيقاً

قد شأوتكم بالمُعْجَزَاتِ الرِّجَالِ
 ثم عليها لكلّ نقصٍ كمالاً
 ثم عصيراً يراه قومٌ حلالاً
 وسواكم لا يقدّر الأجيالاً
 ومُحيلُ الأمور يبغي المُحَالَ
 هم أن يغلب البقاء الزّوالاً
 ومشيتم على الهواء اختيالاً
 حيث شئتم جنوبها والشمالاً
 ر وفي الأرض من يشدّ الرّحالاً
 حين خلّتم أن البروق كسالى
 ثم فحملتكم الشعاع مَقَالاً
 شرع الناس ينبذون النّعالاً
 أرض أو بطنها المُحَجَّبِ مالا
 تنطح السّحب شامخات طوالاً
 فوق دنيا الوري يمدّ الظلالاً

وَحَلَلْتُمْ بِأَرْضِنَا فَعَرَفْنَا
وَرَأَيْنَا الْبَنَاتِ كَيْفَ يُثَقَّفُ
لَيْتَ شَعْرِي مَتَى أَرَى أَرْضَ مِصْرَ
وَأَرَى أَهْلَهَا يُبَارُونَكُمْ عَلَـ
قَدْ نَفَضْنَا عَنَا الْكَرَى وَابْتَدَرْنَا
وَعَلِمْنَا بِأَنَّ غَفْلَةَ يَوْمٍ
فَشَقَّقْنَا إِلَى الْحَيَاةِ طَرِيقًا
وَنَهَضْنَا فِي ظِلِّ عَرْشِ (فُؤَادِ)
قَدْ أَبَى اللَّهُ أَنْ نَعِيشَ عَلَى النَّا
كَيْفَ تُنْمُونَ بَيْنَنَا الْأَطْفَالَا
نَ بَعْلَمُ يَزِيدُهُنَّ جَمَالَا
فِي جَمَى اللَّهِ تُنْبِتُ الْأَبْطَالَا
مَا وَوَثْبًا إِلَى الْعُلَا وَنِضَالَا
فُرِصَ الْعَيْشِ وَانْتَقَلْنَا انْتِقَالَا
تَحْرِمُ الْمَرْءَ سَعْيَهُ أَحْوَالَا
وَأَصْبَنَّا عَلَى الزُّحَامِ مَجَالَا
وَرَفَعْنَا لِعَهْدِهِ تِمَثَالَا
سِ - وَإِنْ ضَاقتِ الوجوه - عِيَالَا

(٢٤) الأُزْبِكِيَّة

كَمْ وَارِثٍ غَضَّ الشَّبَابِ رَمِيَّتَهُ
الْبَسْتِهِ التَّوْبِينِ فِي حَالِيهِمَا
بَغْرَامٍ رَاقِصَةٍ وَحَبِّ هَلُوكِ
تِيهِ الْغَنِيِّ وَذِلَّةِ الْمَفْلُوكِ

(٢٥) نشيد الشبَّان المسلمين

أَعِيدُوا مَجْدَنَا دُنْيَا وَدِينَا
فَمَنْ يَغْنُو لَغَيْرِ اللَّهِ فِينَا
مَلَكْنَا الْأَمْرَ فَوْقَ الْأَرْضِ دَهْرًا
أَتَى (عُمَرُ) فَأَنْسَى عَدَلَ (كِسْرَى)
جَبِينَا السُّحْبَ فِي عَهْدِ الرَّشِيدِ
وَطَوَّقَتِ الْعَوَارِفُ كُلَّ جِيدِ
سَلُّوا (بَغْدَادَ) وَالْإِسْلَامَ دِينَ
رِجَالُ الْحَوَادِثِ لَا تَلِينُ
وَذُودُوا عَنْ تَرَاثِ الْمُسْلِمِينَا
وَنَحْنُ بَنُو الْغَزَاةِ الْفَاتِحِينَا
وَحَلَّدْنَا عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرَى
كَذَلِكَ كَانَ عَهْدُ الرَّاشِدِينَا
وَبَاتَ النَّاسُ فِي عَيْشِ رَغِيدِ
وَكَانَ شِعَارُنَا رِفْقًا وَلِينَا
أَكَانَ لَهَا عَلَى الدُّنْيَا قَرِينُ
وَعِلْمُ أَيَّدِ الْفَتْحِ الْمُبِينَا

فلسنا منهم والشرق عاني
ونرفعه إلى أعلى مكان
إذا لم نكفه عنت الزمان
كما رفعوه أو نلقى المنونا

(٢٦) غلاء الأسعار

أيها المصلحون ضاق بنا العيـ
عزت السلعة الدليـة حتـى
وعدا القوت في يد الناس كاليا
يقطع اليوم طاويـا ولديـه
ويخال الرغيف في البعد بدرا
إن أصاب الرغيف من بعد كـ
أيها المصلحون أضلحتم الأـ
أصلحوا أنفسا أضـر بها الفقـ
ليس في طوقها الرحيل ولا الجد
تؤثر الموت في ربا النيل جوعا
ورجال الشام في كـرة الأـ
ركبوا البحر، جاوزوا القطب، فاتوا
يمتطون الخطوب في طلب العيـ
وبنو مضر في جمى النيل صرعى
أيها النيل كيف نمسي عطاشا
يرد الواغل الغريب فيروى
إن لين الطباع أورثنا الذلـ
إن طيب المناخ جر علينا
أيها المصلحون رفقا بقوم
وأغيثوا من الغلاء نفوسا
أوشكت تأكل الهبيد من الفقـ

ش ولم تحسنوا عليه القيامـ
بات مسح الحذاء خطبا جساما
قوت حتـى نوى الفقير الصيامـ
دون ريح القطار ريح الخزامى
ويظن اللحوم صيدا حراما
صاح: من لي بأن أصيب الإداما؟
ض وبتم عن النفوس نياما
ر وأحيا بموتها الأثاما
د ولا أن توصل الإقداما
وترى العار أن تعاف المقاما
ض يبارون في المسير الغماما
موقع النيرين خاضوا الظلاما
ش ويبرون للنضال السهاما
يرقبون القضاء عاما فعاما
في بلاد رويت فيها الأناما
وبنوك الكرام تشكو الأواما
ل وأغرى بنا الجناة الطغاما
في سبيل الحياة ذاك الزحاما
قيـد العجز شيخهم والغلاما
قد تمتت مع الغلاء الجماما
ر وكادت تذود عنه النعاما

فأعيدوا لنا المُكُوسَ فإنَّا
ضاقَ في مَصْرَ قَسْمُنَا فاعذرونا
قد شَقِينَا — ونحنُ كَرَمْنَا اللـ
قد رأينا المُكُوسَ أرخى زماما
إن حَسَدْنَا على الجَلَاءِ الشَّامَا
هُ — بَعَصِرٍ يُكْرِمُ الأنْعَامَا

(٢٧) أضرحة الأولياء

أحيأونا لا يُرْزَقُونَ بِدِرْهَمٍ
مَنْ لي بِحَظِّ النَّائِمِينَ بِحُفْرَةٍ
يَسْعَى الأَنَامُ لَهَا، وَيَجْرِي حَوْلَهَا
وَيُقَالُ: هَذَا الْقُطْبُ بَابُ الْمُصْطَفَى
وبألف ألف تُرْزَقُ الأمواتُ
قَامَتْ على أَحْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
بَحْرُ النَّدْوِرِ، وتُفْرَأُ الآيَاتُ
ووسيلةُ تَقْضَى بها الحاجاتُ

وقال على لسان طفلة:

أخشى مُرَبِّيَّتِي إذا
وأظُلُّ بين صَوَاحِبِي
لا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لي ولا
وأخاف والِدَتِي إذا
وأبيتُ أَرْتَقِبُ الجَزَا
ما ضَرَّنِي لو كُنْتُ أَسَدَ
ما ضَرَّنِي لو صُنْتُ أَثَدَ
وحَفِظْتُ أَوْرَاقِي بِمَحَدَ
فأَعِيشُ أَمَنَةً وَأَمَدَ
طَلَعَ النَّهَارُ وَأَفْزَعُ
لِعِقَابِهَا أَتَوَقَّعُ
طُولُ التَّضَرُّعِ يَنْفَعُ
جَنِّ الظَّلَامِ وَأَجْزَعُ
ءَ وَأَعِينِي لا تَهْجَعُ
تَمِعُ الكَلَامَ وَأَخْضَعُ
سَوَابِي فلا تَتَقَطَّعُ
فَقِظْتِي فلا تَتَوَزَّعُ
رَعُ في الهَنَاءِ وَأَرْتَعُ

(٢٨) إلى باني الهرم

من شاعر مصر الكبير حافظ إبراهيم إلى فرعون مصر العظيم، باني الهرم ومسخر الملايين.

من الشاعر في عهد الحرّية الشخصية وحكم الديمقراطية، إلى فرعون في عهد الملوك الآلهة والرعايا العبيد.

من ابن مصر في القرن العشرين بعد الميلاد، إلى سيّد مصر في القرن العشرين قبل الميلاد.

(٢٩) البلاغ الأسبوعي

سَخَّرَ الْعِلْمَ لِيَبْنِيَ آيَةً	فوق شطّ النيلِ تبدو كالْعَلَمِ
هِيَ ذِكْرٌ خَالِدٌ لَكِنَّهُ	عَابَسُ الْوَجْهِ إِذَا الذُّكْرُ ابْتَسَمَ
كُلُّ مَا فِيهَا عَلَى إِعْجَازِهَا	أَنْهَا قَبْرٌ لَجَبَّارٍ حُطِّمَ
لَيْتَهُ سَخَّرَ مَا فِي عَهْدِهِ	مَنْ قُوَى فِي غَيْرِ تَقْدِيسِ الرَّمَمِ
مَنْ فَنُونٍ أَعْجَزَتْ أَطَوَاقُنَا	وَعُلُومٍ عِنْدَهَا الْفِكْرُ وَجَمَ
وَبَنَانٍ مَبْدَعَاتٍ صَوَّرَتْ	أَوْجُهُ الْعُذْرِ لِعَبَادِ الصَّنَمِ
أَبْدَعَتْ مَا أَبْدَعَتْ ثُمَّ انْطَوَتْ	وَعَلَى أَسْرَارِهَا الدَّهْرُ حَتَمَ

(٣٠) من شاعر مصر إلى أبناء مصر

قيلت بعد ائتلاف حزبي الوفد والأحرار الدستوريين البلاغ الأسبوعي ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٦

قَدْ غَفَوْنَا وَانْتَبَهْنَا فإِذَا	نَحْنُ غَرْقَى، وَإِذَا الْمَوْتُ أَمَمَ
ثُمَّ كَانَتْ فَتْرَةٌ مَقْدُورَةٌ	غَرَّ فِينَا الدَّهْرَ ضَعْفٌ فَهَجَمَ
فَتَمَاسَكْنَا فَكَانَتْ قُوَّةٌ	زَلْزَلَتْ رُكْنَ اللَّيَالِي فَانْهَدَمَ
كَانَ فِي الْأَنْفُسِ جُرْحٌ مِنْ هَوَى	نَظَرَ اللَّهُ إِلَيْهِ فَالْتَأَمَ

تحت ظلّ الله لا ظلّ الأمم
 من بحبل الله والصبر اعتصم
 آفة الشعب إذا الشعب انقسم
 أو يعقّ النيل في رعي الذمم
 تشترون المقصد الأسمى، بكم؟
 وسهاد في العلا حلوا الألم
 أحسب الحاضر يطرى أو يذم
 مثل ما كنتم أسوداً في أجم
 في اقتحام النار عزّاً لاقتحم
 ذاك عهد قد تولى وانصرم
 وصراع بين برّ وسقم
 غفل الموقد فالنار حمم
 فالعلا وقف على من لم ينم
 وانيّا أو وادعاً غير الندم
 همّة المرء إذا المرء اعتزم
 فهي كالماء لإخماد الضرم
 ركزت أعلامها فوق القمم
 في دجى عميائه حتى انهزم
 إنها تحتل أبراج الهمم
 أنبل الغايات لا تدري السأم
 خلفها الأيّام في صفّ الخدم
 أم عليها النجم بالنجم اصطدم
 وكفى بالشمس رمزاً للعظم
 جانب الشمس مكاناً لم يرم

فنشدنا العيش حُرّاً طلقاً
 وحقيق أن يوفى حقه
 آفة المرء إذا المرء ونى
 ليس منا من يني أو ينثنى
 نشء مصر، نبئوا مصرًا: بكم
 بنضال يضقل العزم به
 أنا لا أفخر بالماضي، ولا
 كل همي أن أراكم في غد
 فالفتى كل الفتى من لو رأى
 لا تظنوا العيش أحلام المنى
 هو حرب بين فقر وغنى
 هو نار ووقود فإذا
 فانفضوا النوم وجدوا للعلا
 ليس يجني من تمنى وصلها
 والأمانى شر ما تمنى به
 تحمد العزم وتثني حده
 وانظروا اليابان في الشرق وقد
 حاربوا الجهل وكانوا قبلنا
 فاسألوا عنها الثرى لا الثرى
 هم يمشي بها العلم إلى
 فهي أنى حاولت أمرًا مشّت
 لا تبالي زلزلت من تحتها
 تخذت شمس الضحى رمزاً لها
 فهي لا تألو صعوداً تبتغي

(٣١) التبرع للتعليم

أقامت نقابة العلّمين حفلاً في دار الجامعة المصريّة مساء الجمعة ٢٩ من أكتوبر سنة ١٩٢٠ تكريمًا لمحسني المنوفيّة: حسنين عبد الغفّار وعبد العزيز حبيب ومحمود السيّد أبي حسين لتبرّعهم بسبعين فدّاناً من أطيّانهم في المنوفيّة أوقفوها على التعليم. ودُعي حافظ للاشتراك في تكريمهم، فألقى هذه القصيدة:

ثلاثَةٌ من سَراةِ النيلِ قد حَبَسُوا	على مدارِسنا سبَعين فدّانا
أُخِيوا بها أَملاً قد كان يَخْنُقُهُ	بُخْلُ الغنِيِّ وَجَهْلُ قد تَغَشَّانا
وَخالَفُوا سُنَّةً في مِصرَ شائِعَةً	جَرَّتْ على العِلْمِ والآدابِ خُسارانا
فإن هَمَّ سَراةِ النيلِ أن يَقيفُوا	على القبورِ وإن لم تَحوَ إنسانا
فكم ضَريحٍ خِلاءَ لا رُفاتَ به	تَرى له في مِناحي النيلِ «أطيّانا»
وكم حَبوسٍ على الموتى، وَغَلَّتْها	يَشرِي الجُبابَةُ به خِوصاً وريحانا
والعِلْمُ في حِسرَةٍ، والعِقلُ في أَسفٍ	والدِّينُ في خِجلٍ مِمّا تَوَلَّانا
ما كان ضَرَّ سَراةِ النيلِ لو فَعَلُوا	شَرواكَم، فَبَنَوْا لِلعِلْمِ أركانا
تَقْدَى عِيونُ بني مِصرٍ بِمَظْهَرِهِم	في «الرملِ» حيناً، وفي «حِلوان» أحياناً
يَبْغُونَ أن تَحْتَوِيَ الدُنيا خَزائِنُهُم	وَيَزرَعُوا فِلواتِ اللّهِ أَقْطانا
وليس فيهِم أخو نَفْعٍ وَصالِحَةٍ	ولا تَرى لهُمُ بَراً وإِحسانا
يا مِصرُ حَتّامٌ يَشكو الفُلُ في زَمَنِ	يُجنى عليه وَيُمسِي فيكَ أَسوانا
قد سَالَ وادِيكَ خِصْباً مِمْتَعاً فَمَتى	تَسيلُ أَرجاؤُهُ عِلْماً وَعِرفانا

(٣٢) إلى الدكتور طه حسين

عندما أصدر الدكتور طه حسين مؤلفه «في الشعر الجاهليّ» شَنَّ عليه جامدو الفكر حملة بتكفيره وبخروجه على الإسلام، وتغالى بعضهم فطالبوا بإهدار دمه، وكان منهم المرحوم الدكتور عبد الحميد سعيد الذي كان عضواً بمجلس النواب ورئيساً لجمعية الشبّان المسلمين وقتئذٍ فقال حافظ:

إن صَحَّ ما قالوا، وما أَرْجَفُوا وألصقوا زورًا بدين العميد
فَكُفِّرْ «طه» عند دِيانِهِ أَحَبُّ من إسلامِ عبدِ الحميد

(٣٣) من حافظ إلى الشيخ عبد الرحيم الدمرداشي

لما ترجم حافظ كتاب البؤساء ليفكتور هوجو، أقبل الفضلاء على تعزيده بالاشتراك في أعداد من نسخ الكتاب، عدا شيخ الطريقة الدمرداشية وكان من أغنى أغنياء البلاد. فلما انتهى طبع الكتاب، أرسل إليه حافظ نسخة هدية، وكتب عليها إهداءه:

هَدِيَّةٌ من شاعرٍ بائِسٍ إلى الدمرداشي وليِّ النِّعَمِ
يُشْرِكُ باللهِ ولا يَشْتَرِكُ في نسخةٍ فيها ضروبُ الحِكمِ

(٣٤) مداعبة لحافظ

كان حافظ مدعوًا لإلقاء قصيدة في حفل جمعية رعاية الأطفال بحديقة الأزبكية. وعند دخوله أراد المشرف أن يداعبه، فطلب منه التذكرة، فقال له إنه حافظ إبراهيم، وجاء للمشاركة في الاحتفال السنوي كعادته بقصيدة، فزعم المشرف أنه لا يعرفه، وعليه أن يثبت شخصيته ببيتين يرتجلهما.

فضحك حافظ وقال له: لم أرَ أخبث منك مشرفًا ... وارتجل هذين البيتين:

رياضُ الأزبكية قد تَحَلَّتْ بأنجابِ كرام أنت مِنْهُمْ
فَهَبْها جَنَّةً فَتَحَتْ لخيرٍ وأَدْخِلْنا مَعَ المَعْفُو عنهم

وضحك المشرف وقال: تفضّل يا حافظ بك ...

السِّيَاسَات

(١) العلمان المصري والإنجليزي في مدينة الخرطوم

رُوَيْدَكَ حَتَّى يَخْفِقَ الْعِلْمَانِ
فَمَا مِصْرُ كَالسُّودَانِ لِقَمَةٍ جَائِعٍ
دَعَانِي وَمَا أَرْجَفْتُمَا بِاحْتِمَالِهِ
أَرَى مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَالْهِنْدَ وَاجِدًا
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّ يَوْمَ جَلَائِهِمْ
إِذَا غَاضَتِ الْأَمْوَاهُ مِنْ كُلِّ مَزِيدٍ
وَعَادَ زَمَانُ السَّمْهَرِيِّ وَرَبِّهِ
هُنَاكَ اذْكُرَا يَوْمَ الْجَلَاءِ وَنَبَّهَا
وَتَنْظُرُ مَا يَجْرِي بِهِ الْفَتْيَانِ
وَلَكِنَّهَا مَرْهُونَةٌ لِأَوَانٍ
فَإِنِّي بِمَكْرِ الْقَوْمِ «شَقُّ» زَمَانِي
بِهَا اللَّزْدُ وَالْفَيْكُنْتُ يَسْتَبِقَانِ
وَيَوْمَ نُشُورِ الْخَلْقِ مُقْتَرِنَانِ
وَحَرَّتْ بُرُوجُ الرَّجْمِ لِلْحَدَثَانِ
وَحُكِّمَ فِي الْهَيْجَاءِ كُلُّ يَمَانِي
نِيَامًا عَلَيْهِمْ يَنْدُبُ الْهَرَمَانِ

(٢) إلى مولاي عبد العزيز سلطان مراکش (نشرت في ٤ أبريل سنة ١٩٠٤م)

قالها وقد اقترح المؤيد على الشعراء أن ينظموا في عتاب مولاي عبد العزيز سلطان
مراكش

(عبد العزيز) لقد دَكَّرْتَنَا أُمَمًا
دَكَّرْتَنَا يَوْمَ ضَاعَتْ أَرْضُ أُنْدَلُسِ
كَانَتْ جَوَارِكَ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرَبِ
الْحَرْبِ فِي الْبَابِ وَالسُّلْطَانِ فِي اللَّعِبِ

فاحذَرُ على التَّخْتِ أَنْ يَسْرِيَ الخرابُ له فتَخَتُّ (سُلْطَانِيَّة) أَعْدَى من الجَرَبِ

(٣) غادة اليابان (نشرت في ٦ أبريل سنة ١٩٠٤م)

ضمَّنها غرامه بغادة يابانيَّة، وأشاد بالشجاعة التي ظهرت بها أمة اليابان في الحرب
بينها وبين روسيا

صَحَّ مِنِّي العَزمُ والدَّهرُ أبى
أَخْطَأُ التَّوْفِيقَ فيما طَلَبَا
كانت العَلِيَاءُ فيه السَّبَبَا
أُوثِرُ الحُسْنَى عَقَقْتُ الأَدْبَا
لا أرى بَرَقَكَ إِلَّا خَلَبَا
خَاذِلًا ما بَتُّ أَشْكَو النُّوبَا
بُغْضُهَا الأَهْلَ وَحُبُّ الغُرْبَا
وَتَفَدِّي بالنَّفُوسِ الرُّتَبَا
تَعَشَّقُ اللَّهْوُ وَتَهْوَى الطَّرْبَا
أَمْ بها صَرَفُ اللَّيَالِي لَعِبَا
ذاتَ شَجْوٍ وحديثًا عَجَبَا
وَهَبَ اللهُ لها ما وَهَبَا
صُفْرَةً تُنْسِي اليَهُودَ الذَّهَبَا
لا رِعاكَ اللهُ يا ذاكَ النُّبَا
وهَلالُ الأفقِ في الأفقِ حَبَا
نَظَمَ الدُّرَّ به والحَبَبَا:
لا أرى لي بَعْدَهُ مُنْقَلَبَا
عَلَّنِي أَقْضِي له ما وَجَبَا
أَيُّظُنُّ الدُّبُّ أَلَّا يُغْلَبَا
وَيْك! ما تَصْنَعُ في الحَرْبِ الظُّبَا؟

لا تَلُمَّ كَفِّي إذا السَّيْفُ نَبَا
رُبَّ سَاعٍ مُبْصِرٍ في سَعْيِهِ
مَرْحَبًا بِالْخَطْبِ يَبْلُونِي إذا
عَقَّنِي الدَّهْرُ ولولا أَنَّنِي
إِيَّه يا دُنْيَا اغْبِسي أو فابِسي
أنا لولا أَنَّ لي مِنْ أُمَّتِي
أُمَّةٌ قد فَتَّتْ في سَاعِدِهَا
تَعَشَّقُ الأَلْقَابَ في غَيْرِ العُلا
وهي والأَحْدَاثُ تَسْتَهْدِفُهَا
لا تُبَالِي لَعِبَ القَوْمُ بها
لَيْتَهَا تَسْمَعُ مِنِّي قِصَّةً
كنتُ أَهْوَى في زَمَانِي غَادَةً
ذاتَ وَجْهِ مَرْجِ الحُسْنِ به
حَمَلْتُ لي ذاتَ يومٍ نَبَأً
وَأَتَتْ تَخْطِرُ والليلُ فَتَى
ثمَّ قالت لي بِثَغْرِ بِاسْمِ
نَبَّئُونِي بِرَحِيلٍ عاجِلِ
ودعاني مَوْطِنِي أَنْ أَغْتَدِي
نَذَبِحُ الدُّبَّ ونَفْري جِلْدَهُ
قلتُ والأَلَامُ تَفْري مُهْجَتِي:

ما عهدناها لظبّي مَسْرَحًا
ليست الحربُ نفوسًا تُشْتَرَى
أَحْسَبِتِ القَدَّ من عُدَّتْهَا
فَسَلِينِي، إِنَّنِي مَارَسْتُهَا
وَتَقَحَّمْتُ الرَّدَى فِي غَارَةٍ
قَطَّبْتُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهَا لَنَا
جَالٍ عِزْرَائِيلُ فِي أَنْحَائِهَا
فَدَعِيهَا لِلَّذِي يَعْرِفُهَا
فَأَجَابْتَنِي بِصَوْتٍ رَاعَنِي
إِنَّ قَوْمِي اسْتَعَذَّبُوا وَرَدَّ الرَّدَى
أَنَا يَابَانِيَّةٌ لَا أَنْتَنِي
أَنَا إِنْ لَمْ أَحْسِنِ الرَّمْيَ وَلَمْ
أَخْدُمُ الْجَرْحَى وَأَقْضِي حَقَّهُمْ
هَكَذَا (الميكادُ) قَدْ عَلَّمَنَا
مَلِكُ يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ
وَإِذَا مَارَسْتَهُ أَلْفِيَّتَهُ
كَانَ وَالتَّاجُ صَغِيرَيْنِ مَعًا
فَغَدَا هَذَا سَمَاءً لِلْعُلَا
بَعَثَ الْأَمَّةَ مِنْ مَرْقَدِهَا
فَسَمَتْ لِلْمَجْدِ تَبْغِي شَأْوَهُ

يَبْتَغِي مَلْهُى بِهِ أَوْ مَلْعَبًا
بِالْتَّمَنِّي أَوْ عُقُولًا تُسْتَبَى
أَمْ ظَنَنْتِ اللَّحْظَ فِيهَا كَالشَّابَا؟
وَرَكِبْتُ الْهَوَلَ فِيهَا مَرْكَبًا
أَسْدَلَ النَّقْعُ عَلَيْهَا هَيْدَبًا
فَرَأَيْتُ الْمَوْتَ فِيهَا قَطْبًا
تَحْتَ ذَاكَ النَّقْعِ يَمْشِي الْهَيْدَبِي
وَالرَّمْيَ يَا ظَبْيَةَ الْبَانِ الْخَبَا
وَأَرْتَنِي الظَّبْيَ لَيْثًا أَغْلَبَا:
كَيْفَ تَدْعُونِي إِلَّا أَشْرَبَا؟
عَنْ مُرَادِي أَوْ أَذَوَقَ الْعَطْبَا
تَسْتَطِيعُ كَفَايَ تَقْلِيْبَ الظُّبَا
وَأُوَاسِي فِي الْوَعَى مَنْ نُكِبَا
أَنْ نَرَى الْأَوْطَانَ أُمًّا وَأَبَا
أَنْهَضَ الشَّرْقَ فَهَزَّ الْمَغْرِبَا
حَوْلًا فِي كُلِّ أَمْرٍ قُلُوبَا
وَجَلَّالُ الْمُلْكِ فِي مَهْدِ الصَّبَا
وَعَدَا ذَلِكَ فِيهَا كَوُكْبَا
وَدَعَاهَا لِلْعُلَا أَنْ تَذَابَا
وَقَضَّتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَأْرَبَا

(٤) الحرب اليابانية الروسية (نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٤م)

أَسَاحَةٌ لِلْحَرْبِ أَمْ مَحْشَرُ
وَهَذِهِ جُنْدٌ أَطَاعُوا هَوَى
لِلَّهِ مَا أَقْسَى قُلُوبَ الْأُلَى
وَمَوْرِدُ الْمَوْتِ أَمْ الْكَوْثَرُ؟
أَرْبَابِهِمْ، أَمْ نَعَمْ تُنَحَرُ؟
قَامُوا بِأَمْرِ الْمُلْكِ وَاسْتَأْثَرُوا!

فَأَمَعْنُوا فِي الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُوا
لَا يَهْجُرُونَ الْمَوْتَ أَوْ يُنْصَرُوا
لَا يَغْمِدُونَ السَّيْفَ أَوْ يَظْفَرُوا
حِينَ التَّقَى الْأَبْيَضُ وَالْأَصْفَرُ
يَلْهُو بِهَا (الْمِيكَادُ) وَالْقَيْصَرُ
إِذْ لَاحَ فِيهَا الشَّفَقُ الْأَحْمَرُ
لَعَلَّهَا مِنْ رَجْسِهَا تَطْهَرُ
وَعَصَتِ الْعِقْبَانُ وَالْأَنْسَرُ
وَمَطَمَعُ الْإِنْسَانِ لَا يُقَدَّرُ
وَذَلِكَ التَّنْيِينُ لَا يُقْهَرُ
وَالصُّفْرُ بَعْدَ الْيَوْمِ لَا تُكْسَرُ
عَنْ سَاقِهَا حَتَّى قَضَى الْعَسْكَرُ
فَسَالَتْ الْبَطْحَاءُ وَالْأَنْهَرُ
يَغَارُ مِنْهَا الدُّرُّ وَالْجَوْهَرُ
بِأَنْفُسٍ كَالْقَطْرِ لَا تُحْصَرُ
حَيْرَانٌ لَا يَدْرِي بِمَا يُؤْمَرُ
— وَأَنْتَ ذَاكَ الْكَيْسُ الْأَمْهَرُ —
إِذَا تَعَالَى صَوْتُهُ الْمُنْكَرُ؟
لَا الدَّرْعُ يَثْنِيهِ وَلَا الْمِغْفَرُ
وَبَاتَ (أَوِيَامَا) لَهُ يَنْظُرُ
وَالْمَجْدُ يَدْعُوهُمْ أَلَا فَاصْبِرُوا
حَتَّى عَرَاهُ الْفَزْعُ الْأَكْبَرُ؟
تَحْتَ الدُّجَى أَوْ قَارِبُ يَمْحَرُ
تَحِيَّةً (طُوجُو) بِهَا أَخْبِرُ؟
أَنْفَاسُهُ مِنْ حَرِّهَا تَزْفِرُ
مَا تُغْلِنُ الْحَرْبُ وَمَا تَضْمِرُ؟
يَنْتَابُهُ الْأُظْفُورُ وَالْمِنْسَرُ

وَعَرَّهُمْ فِي الدَّهْرِ سُلْطَانُهُمْ
قَدْ أَقْسَمَ الْبَيْضُ بِصُلْبَانِهِمْ
وَأَقْسَمَ الصُّفْرُ بِأَوْثَانِهِمْ
فَمَادَتِ الْأَرْضُ بِأَوْتَادِهَا
وَأَثْمَلَتْهَا خَمْرَةٌ مِنْ دَمٍ
وَأَشْبَهَتْ يَوْمَ الْوَعَى أَحْتَهَا
وَأَصْبَحَتْ تَشْتَاقُ طُوفَانَهَا
أَشْبَعْتَ يَا حَرْبُ ذَنَابَ الْفَلَا
وَمِيرَتِ الْحَيَاتَانِ فِي بَحْرِهَا
إِنْ كَانَ هَذَا الدُّبُّ لَا يَنْتَنِي
وَالْبَيْضُ لَا تَرْضَى بِخِذْلَانِهَا
فَمَا لِتِلْكَ الْحَرْبِ قَدْ شَمَّرَتْ
سَالَتْ نَفُوسُ الْقَوْمِ فَوْقَ الظُّبَا
وَأَصْبَحَتْ (مَكْدُنٌ) يَاقُوتَةٌ
يَاقُوتَةٌ قَدْ قُوِّمَتْ بَيْنَهُمْ
أَضْحَى رَسُولُ الْمَوْتِ مَا بَيْنَهَا
عِزْرِيلُ، هَلْ أَبْصَرْتَ فِيمَا مَضَى
كَذَلِكَ الْمِدْفَعِ فِي بَطْشِهِ
تَرَاهُ إِنْ أَوْفَى عَلَى مُهْجَةٍ
أُمْسَى (كُرُوبَتَكَيْنِ) فِي غَمْرَةٍ
وِظَلَّتِ (الرُّوسُ) عَلَى جَمْرَةٍ
وَذَلِكَ الْأَسْطُولُ مَا خَطْبُهُ
أَكَلَّمَا لَاحَ لَهُ سَابِخُ
ظَنَّ بِهِ (طُوجُو) فَأَهْدَى لَهُ
تَحِيَّةً مِنْ وَاجِدٍ شَيْقٍ
فَهَلْ دَرَى الْقَيْصَرُ فِي قَصْرِهِ
فَكُمْ قَتِيلٍ بَاتَ فَوْقَ الثَّرَى

وكم جريحٍ باسِطٍ كَفَّهُ
وكم غريقٍ راحَ في لُجَّةٍ
وكم أسيرٍ باتَ في أسره
إن لم تَرَوْا في الصُّلحِ خَيْرًا لَكُمْ
تَسْوءُنَا الحَرْبُ وَإِنْ أَصْبَحَتْ
أتى على الشَّرْقِيِّ حينٌ إذا
ومرَّ بالشَّرْقِ زمانٌ وما
حتى أعادَ (الصُّفْرُ) أَيْامَهُ
فرحمة الله على أُمَّةٍ
يَدْعُو أَخَاهُ وَهُوَ لَا يُبْصِرُ
يَهْوِي بِهَا الطَّوْدُ فَلَا يَظْهَرُ
وَنَفْسُهُ مِنْ حَسْرَةٍ تَقْطُرُ
فَالدَّهْرُ مِنْ أَطْمَاعِكُمْ أَقْصَرُ
تَدْعُو رِجَالَ الشَّرْقِ أَنْ يَفْخَرُوا
مَا ذُكِرَ الْأَحْيَاءُ لَا يُذَكَّرُ
يَمُرُّ بِالْبَالِ وَلَا يَخْطُرُ
فَانْتَصَفَ الْأَسْوَدُ وَالْأَسْمَرُ
يَرَوِي لَهَا التَّارِيخُ مَا يُؤَثَّرُ

(٥) إلى الإمبراطورة أوجيني (نشرت في ٢٦ يناير سنة ١٩٠٥ م)

نظم هذه القصيدة إجابة لاقتراح صحيفة المؤيد على الشعراء أن ينظموا في هذه الإمبراطورة، ويوازنوا بين مجيئها إلى مصر متنكرة تنزل في فندق سافوي ببورسعيد، ومجيئها قبل ذلك في سنة ١٨٦٩ في افتتاح قناة السويس، واستقبال الخديوي إسماعيل إيّاها استقبالا فحما.

أَيْنَ يَوْمُ (القَنَالِ) يَا رَبَّةَ التَّاءِ
أَيْنَ مُجْرِي القَنَالِ أَيْنَ مُمِيتُ الـ
أَيْنَ هَارُونَ مِصْرَ؟ أَيْنَ أَبُو الْأَشْفِ
أَيْنَ لَيْثُ الْجَزِيرَةِ (ابْنُ عَلِيٍّ)
أَيْنَ ذَا القَصْرِ بِالْجَزِيرَةِ تَجْرِي
فيه لِلنَّحْسِ كَوَكَبٌ مُسْرِعُ السَّيْرِ
قَدْ جَرَى النَّيْلُ تَحْتَهُ بِخُشُوعٍ
كَنْتُ بِالْأَمْسِ جَنَّةَ الحُورِ يَا قَصْ
خَطَرَ اللَّيْثُ فِي فِنَائِكَ يَا قَصْ
وَعَوَى الذُّئْبُ فِي نَوَاحِيكَ يَا قَصْ
جِ وَيَا شَمْسَ ذَلِكَ المِهْرَجَانِ؟
حَمَالِ أَيْنَ العَزِيزُ ذُو السُّلْطَانِ؟
بِجَالِ رَبِّ القُصُورِ رَبِّ القِيَانِ؟
وَاهِبُ الْأَلْفِ مُكْرِمُ الضُّيُفَانِ؟
فيه أَرْزَاقُنَا وَتَحَبُّو الْأَمَانِي؟
رِ وَلِلسَّعْدِ كَوَكَبٌ مُتَوَانِي
وَانكِسَارِ وَهَابَةِ الْفَتَيَانِ
رُ فَأَصْبَحَتْ جَنَّةَ الْحَيَوَانِ
رُ وَقَدْ كُنْتَ مَسْرَحًا لِلْجِسَانِ
رُ وَقَدْ كُنْتَ مَعْقِلًا لِللِّسَانِ

وَحَبَاكَ الزُّوَارُ بِالْمَالِ يَا قَصْ
 كُنْتَ تُعْطَى، فَمَالِكَ الْيَوْمَ تُعْطَى
 إِنَّ أَطَافْتَ بِكَ الْخُطُوبُ فَهَذَا
 رَبُّ بَانَ نَأَى، وَرَبُّ بِنَاءٍ
 تِلْكَ حَالُ الْإِيوَانِ يَا رَبَّةَ التَّاءِ
 قَدْ طَوَاهُ الرَّدَى وَلَوْ كَانَ حَيًّا
 وَتَوَلَّتْ حِرَاسَةَ الْمَوْكِبِ الْأَسَدِ
 إِنْ يَكُنْ غَابَ عَنْ جَبِينِكَ تَاجُ
 فَلَقَدْ زَانَكَ الْمَشِيبُ بِتَاجِ
 ذَاكَ مِنْ صَنْعَةِ الْأَنَامِ وَهَذَا
 كُنْتَ بِالْأَمْسِ ضَيْفَةً عِنْدَ مَلِكٍ
 وَاعْذُرِينَا عَلَى الْقُصُورِ، كِلَانَا
 رُوقَد كُنْتَ مَصْدَرُ الْإِحْسَانِ
 أَيْنَ بَانِيكَ؟ أَيْنَ رَبُّ الْمَكَانِ؟
 سُنَّةُ الْكُونِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ
 أَسْلَمَتْهُ النَّوَى إِلَى غَيْرِ بَانِي
 جِ فَمَا حَالُ صَاحِبِ الْإِيوَانِ؟
 لَمْ يَمْشِ فِي رِكَابِكَ الثَّقْلَانِ
 حَتَّى نَجُومُ السَّمَاءِ وَالنَّيِّرَانِ
 كَانَ بِالْغَرْبِ أَشْرَفَ التَّيْجَانِ
 لَا يُدَانِيهِ فِي الْجَلَالِ مُدَانِي
 مِنْ صَنِيعِ الْمُهَيِّمِ الدِّيَانِ
 فَانْزِلِي الْيَوْمَ ضَيْفَةً فِي خَانِ
 غَيَّرْتَهُ طَوَارِئُ الْحَدَثَانِ

(٦) عيد تأسيس الدولة العلية

أنشدها في الحفل الذي أقيم في فندق (الكونتنتال) في مساء الجمعة ٢٦ يناير سنة ١٩٠٦م

أُيْحِصِي مَعَانِيكَ الْقَرِيضُ الْمُهْدَبُ
 لَقَدْ مَكَّنَ الرَّحْمَنُ فِي الْأَرْضِ دَوْلَةً
 بَنَاهَا فَظَنَّتْهَا الدَّرَارِي مَنَازِلًا
 وَقَامَ رِجَالٌ بِالْإِمَامَةِ بَعْدَهُ
 وَرَدُّوا عَلَى الْإِسْلَامِ عَهْدَ شَبَابِهِ
 أَسَوْدُ عَلَى الْبُسْفُورِ تَحْمِي عَرِينَهَا
 لَهَا وَثَبَاتٌ تَحْتَ ظِلِّ هِلَالِهَا
 إِذَا رَاعَهَا مَسٌّ مِنَ الضَّيْمِ خَلَّتْهَا
 وَإِنْ هَزَّهَا ذَاكَ الْهِلَالُ لِحَادِثِ
 عَلَى أَنَّ صَدَرَ الشُّعْرِ لِلْمَدْحِ أَرْحَبُ
 لِعُثْمَانَ لَا تَعْفُو وَلَا تَتَشَعَّبُ
 لِبَدْرِ الدُّجَى تُبْنَى وَلِلسَّعْدِ تُنْصَبُ
 فزَادُوا عَلَى ذَاكَ الْبِنَاءِ وَطَنُوبُوا
 وَمَدُّوا لَهُ جَاهًا يُرْجَى وَيُرْهَبُ
 وَتَرَعَى نِيَامَ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ يَرْقُبُ
 كَمَا مَرَّ سَهْمٌ أَوْ كَمَا انْقَضَ كَوْكَبُ
 كَمَنْ رَاعَهُ بِالْمَسِّ سَلَكَ مُكْهَرَبُ
 رَأَيْتَ قَضَاءَ اللَّهِ يَمْشِي وَيَرْكَبُ

فَعُثْمَانُ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ لَهُمْ أَبُ
فَأُولَى الْوَرَى بِالتَّيِّهِ ذَاكَ الْمُعَصَّبُ
عَلَى صَفْحَاتِ الدَّهْرِ بِالتَّبَرِّ يُكْتَبُ
وَسَارَ لَهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَرْكَبُ
سُطُورٍ لِأَقْلَامِ الْجَلَالَةِ تُنْسَبُ
هُنَا الْفَاتِحُ الْغَازِي الْكَمِيُّ الْمُدْرَبُ
بِأَكْنَافِهِ (كُوشُوطُ) وَالْخَطْبُ غَيْهَبُ
حَيَاتِي، وَأَمَّا صَارِمِي فَمُشْطَبُ
وَأِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَشَدُّوا وَجَرَّبُوا
وَأَعْدَاؤُهُمْ فِي الْغَرْبِ تَشْقَى وَتُنْكَبُ
وَأَمْسَى لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَسْرَى وَمَسْرَبُ
فَأَضْحَى امْتِيَارَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقِ مَغْرَبُ
وَأَيُّ مَكَانٍ لَيْسَ فِيهِ تَعَصُّبُ؟!
فَفِيهِ مِنَ الصَّهْبَاءِ طَبْعُ مَذَوَّبُ
وَحَفْ ضَعْفَهَا فِي الْكَأْسِ وَالْكَأْسُ تُطْرَبُ
وَيَطْوِيهِ تَيَّارُ الْفَضَاءِ فَيَرْسَبُ
عَلَى كُلِّ عَرْشٍ مِنْ عُرُوشِكَ (أَشْعَبُ)

إِذَا ضَاءَتْ الْأَحْسَابُ يَوْمًا لِمُغْرَقٍ
وَأِنْ تَاهَ بِالْأَبْنَاءِ وَالْبَاسِ وَالِدُ
فَهَذَا سُلَيْمَانُ وَقَانُونُ عَدْلِهِ
وَذَاكَ الَّذِي أَجْرَى السَّفِينِ عَلَى الثَّرَى
عَلَى بَابِهِ الْعَالِي هُنَاكَ تَأَلَّقَتْ
هُنَا — فَاخْفِضُوا الْأَبْصَارَ — عَرْشُ مُحَمَّدٍ
وَمَا كَانَ مِنْ (عَبْدِ الْمَجِيدِ) إِذْ احْتَمَى
يُنَادِيهِمْ: أَمَّا نَزِيلِي فَدُونَهُ
فَأِنْ كَانَتْ الْحُسْنَى فَإِنِّي سَمَائُهَا
كَذَلِكَ كَانُوا يَسْتَقِرُّونَ فِي الذَّرَا
فَكَمْ طَلَبُوا مِنْهُمْ أَمَانًا فَأَمَّنُوا
فَكَانَ أَمَانَ الْقَوْمِ وَالشَّرْقِ مَشْرِقُ
يَقُولُونَ: فِي هَذَا الرَّبُوعِ تَعَصُّبُ
فِيَا شَرْقُ إِنَّ الْغَرْبَ إِنْ لَانَ أَوْ قَسَا
فَخَفْ بِأَسْهًا فِي الرَّأْسِ وَالرَّأْسُ يَصْطَلِي
وَيَا غَرْبُ إِنَّ الدَّهْرَ يَطْفُو بِأَهْلِهِ
أَرَاكَ مَقَرَّ الطَّامِعِينَ كَأَنَّمَا

(٧) حادثة دنشواي (نشرت في ٢ يولييه سنة ١٩٠٦م)

هَلْ نَسِيْتُمْ وَلَانَا وَالْوِدَادَا
وَابْتَغُوا صَيْدَكُمْ وَجُوبُوا الْبِلَادَا
بَيْنَ تِلْكَ الرُّبَا فَصِيدُوا الْعِبَادَا
لَمْ تُغَادِرْ أَطْوَاقُنَا الْأَجْيَادَا
أَرْشَدُونَا إِذَا ضَلَلْنَا الرَّشَادَا
صَادَتْ الشَّمْسُ نَفْسَهُ حِينَ صَادَا

أَيُّهَا الْقَائِمُونَ بِالْأَمْرِ فِينَا
خَفِضُوا جَيْشَكُمْ وَنَامُوا هَنِيئًا
وَإِذَا أَعُوزَتْكُمْ ذَاتُ طَوِّقٍ
إِنَّمَا نَحْنُ وَالْحَمَامُ سَوَاءُ
لَا تَطْنُنُوا بِنَا الْعُقُوقَ وَلَكِنْ
لَا تُقِيدُوا مِنْ أُمَّةٍ بِقَتِيلٍ

ضِعْفَ ضِعْفَيْهِ قَسْوَةً وَاشْتِدَادًا
أَقْصَا صَا أَرَدْتُمْ أَمْ كِيَادَا؟
أَنْفُوسًا أَصَبْتُمْ أَمْ جَمَادَا؟
تَيْشٍ) عَادَتْ أَمْ عَهْدُ (نِيرونَ) عَادَا؟
مَنْ ضَعِيفٍ أَلْقَى إِلَيْهِ الْقِيَادَا؟
ظَ وَلَسْنَا لَغِيْظِكُمْ أُنْدَادَا
إِنَّمَا يُكْرِمُ الْجَوَادَ الْجَوَادَا
عَلَّمْتَنَا السُّكُونَ مَهْمَا تَمَادَى
مَنْ رَمَاهَا وَأَشْفَقْتَ أَنْ تُعَادَى
حَسْرَةً بَعْدَ حَسْرَةٍ تَتَهَادَى
بَعْضَ هَذَا فَقَدْ بَلَغْتَ الْمُرَادَا
وَضَمِنَّا لِنَجْلِكَ الْإِسْعَادَا
عَهْدُ (مَضْرُ) فَقَدْ شَفَيْتِ الْفُؤَادَا
رُ) فَأُضْحَى عَلَيْكَ شَوْكًا قَتَادَا
سِ فَادَمَى الْقُلُوبَ وَالْأَكْبَادَا
سَادَ فِي غَفْلَةِ الزَّمَانِ وَشَادَا
قَدْ لَبَسْنَا عَلَى يَدَيْكَ الْحِدَادَا

جاء جهالنا بأمر وجئتم
أحسنوا القتل إن ضمنتكم بعفو
أحسنوا القتل إن ضمنتكم بعفو
ليت شعري أتلک (محكمة التف
كيف يخلو من القوي التشفى
إنها مثله تشف عن الغيب
أكرمونا بأرضنا حيث كنتم
إن عشرين حبة بعد خمس
أمة النيل أكبرت أن تعادي
ليس فيها إلا كلام وإلا
أيها المدعي العمومي مهلاً
قد ضمننا لك القضاء بمض
فإذا ما جلست للحكم فاذكر
لا جرى النيل في نواحيك يا (مض
أنت أنبت ناعقاً قام بالأم
إيه يا مذرّة القضاء ويا من
أنت جلدنا فلا تنس أنا

(٨) استقبال اللورد كرومر عند عودته من مصيفه بعد حادثة دنشواي (نشرت

في ١٧ أكتوبر سنة ١٩٠٦م)

فالشرق ريع له وضج المغرب
بعد التحيّة إنني أتعتب
باتت لها أحشاؤنا تتلهب
عنا ولكن السياسة تكذب
لا نشرّب لها وما لك تغصّب

(قصر الدبارة) هل أتاك حديثنا
أهلاً بساكنك الكريم ومرحباً
نقلت لنا الأسلاك عنك رسالة
ماذا أقول وأنت أصدق ناقل
علّمنا معنى الحياة فما لنا

هذا الذي تَدْعُو إليه وتَنْدُبُ
 فيما تُقَرِّرُهُ لَدَيْكَ وَتَكْتُبُ
 يَوْمَ الْحَمَامِ فَإِنَّ صَدْرَكَ أَرْحَبُ
 أُمِسْتُ إِلَى مَعْنَى التَّعَصُّبِ تُنْسَبُ!
 لَيْسَتْ بِغَيْرِ وَلَائِهَا تَتَعَذَّبُ
 لِلْقُوَّةِ لَا لِلْمُسْلِمِينَ تَعَصَّبُوا
 وَسَخًا بِمُهْجَتِهِ عَلَى مَنْ يَغْصِبُ
 لِعَبِّ الْقَضَاءِ بِنَا وَعَزَّ الْمَهْرَبُ
 فَتَسَابَقُوا فِي صَيْدِهِنَّ وَصَوَّبُوا
 لَوْ كُنْتَ حَاضِرَ أَمْرِهِمْ لَمْ يُنْكَبُوا
 وَسَيَاطُهُمْ وَجِبَالُهُمْ تَنَاهَبُ
 بِجِبَالٍ مَنْ شَنِقُوا وَلَمْ يَتَهَيَّبُوا
 بَلَطَى سِيَاطِ الْجَالِدِينَ وَرَحِبُوا
 بَيْنَ الشَّفَاهِ وَطَعْمُهُ لَا يَعْذِبُ
 يَرْنُو، وَهَذَا أَجَلٌ يَتَرَقَّبُ
 وَمُعَاجِزٌ وَمُنَاجِزٌ وَمُحَزَّبُ
 وَالذَّمْعُ حَوْلَ رِكَابِهِ يَتَصَبَّبُ
 هُوَ خَيْرٌ مَا يَرْجُو الْعَمِيدُ وَيَطْلُبُ
 يُجْنَى بِمَغْرِسِهَا الثَّنَاءُ الطَّيِّبُ
 لِلْمُسْتَشَارِ فَإِنَّ عَذْلَكَ أَخْصَبُ
 رَفَقًا يَهْشُ لَهُ الْقَضَاءُ وَيَطْرَبُ
 سَاسُوا الْأُمُورَ فَدَرَبُوا وَتَدَرَبُوا
 طَاشَ الشَّبَابُ بِهِمْ وَطَارَ الْمَنْصِبُ
 إِنَّ الْقُلُوبَ مَعَ الْمَوَدَّةِ تُكْسَبُ
 هِيَ أُمَّةٌ تَلْهُو وَشَعْبٌ يَلْعَبُ
 فَالنَّاسُ أَمْثَالُ الْحَوَادِثِ قَلْبُ

أَنْقَمْتَ مِنَّا أَنْ نُحِسَّ؟ وَإِنَّمَا
 أَنْتَ الَّذِي يُعْزَى إِلَيْهِ صَلَاحُنَا
 إِنَّ ضَاقَ صَدْرُ النَّيْلِ عَمَّا هَالَهُ
 أَوْ كُلَّمَا بَاخَ الْحَزِينُ بِأَنَّةٍ
 رَفَقًا عَمِيدَ الدَّوْلَتَيْنِ بِأُمَّةٍ
 إِنَّ أَرْهَقُوا صَيَادَكُمْ فَلَعَلَّهُمْ
 وَلرَبِّمَا ضَنَّ الْفَقِيرُ بِقُوَّتِهِ
 فِي (دِنْشَوَايَ) وَأَنْتَ عَنَّا غَائِبُ
 حَسَبُوا النُّفُوسَ مِنَ الْحَمَامِ بِدِيلَةٍ
 نُكَبُوا وَأَقْفَرَتِ الْمَنَازِلُ بَعْدَهُمْ
 خَلَيْتَهُمْ وَالْقَاسِطُونَ بِمَرْصِدٍ
 جُلِدُوا وَلَوْ مَنِيَّتَهُمْ لَتَعَلَّقُوا
 شَنِقُوا وَلَوْ مَنَحُوا الْخِيَارَ لَأَهْلُوا
 يَتَحَاسَدُونَ عَلَى الْمَمَاتِ، وَكَأْسُهُ
 مَوْتَانِ: هَذَا عَاجِلٌ مُتَنَمَّرُ
 وَالْمُسْتَشَارُ مُكَاثِرُ بَرَجَالِهِ
 يَخْتَالُ فِي أَنْحَائِهَا مُتَبَسِّمًا
 طَاحُوا بِأَرْبَعَةٍ فَأَرْدُوا خَامِسًا
 حُبٌّ يُحَاوِلُ غَرْسَهُ فِي أَنْفُسِ
 كَنْ كَيْفَ شِئْتُ وَلَا تَكِلْ أَرْوَاحَنَا
 وَأَفِضْ عَلَى (بُنْدٍ) إِذَا وَلِيَ الْقَضَا
 قَدْ كَانَ حَوْلَكَ مِنْ رَجَالِكَ نُحْبَةٌ
 أَقْصَيْتَهُمْ عَنَّا وَجِئْتَ بِفَتْنِيَةٍ
 فَاجْعَلْ شِعَارَكَ رَحْمَةً وَمَوَدَّةً
 وَإِذَا سُئِلْتَ عَنِ الْكِنَانَةِ قُلْ لَهُمْ
 وَاسْتَبِقْ غَفْلَتَهَا وَنَمَّ عَنْهَا تَنَمَّ

(٩) شكوى مصر من الاحتلال (نشرت في أول يناير سنة ١٩٠٧م)

لقد كان فينا الظلم فَوْضَى فهُذِبَتْ
تَمَنُّ علينا اليومَ أَنْ أَخْصَبَ الثَّرَى
أَعْدَ عَهْدَ (إسماعيلَ) جَلْدًا وَسُخْرَةً
عَمِلْتُمْ على عِزِّ الْجَمَادِ وَذُلِّنا
إِذَا أَخْصَبَتْ أَرْضٌ وَأَجْدَبَ أَهْلُهَا
نَهَشُ إلى الدِّينَارِ حَتَّى إِذَا مَشَى
فَلا تَحْسِبُوا في وَفْرَةِ المَالِ — لم تُفِدْ
فإنَّ كَثِيرَ المَالِ — والخَفْضُ وَاِرْفُ —

حواشيه حَتَّى باتَ ظُلْمًا مُنْظَمًا
وَأَنْ أَصْبَحَ المِصْرِيُّ حُرًّا مُنْعَمًا
فإنِّي رأيتُ المَنَّ أَنْكى وَالْمَا
فَأَعْلَيْتُمْ طِينًا وَأَرْخَصْتُمْ دِما
فَلا أَطْلَعْتَ نَبْتًا ولا جَادَهَا السَّما
به رَبُّه للسوقِ أَلْفاهُ رِثْمًا
مَتَاعًا ولم تَعْصِمِ مِنَ الفَقْرِ — مَغْنَمًا
قليلٌ إِذَا حَلَّ الغَلَاءُ وَخَيْمًا

(١٠) وداع اللورد كرومر (نشر في ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٧م)

قالها عند استقالة اللورد وضمناها آراء الناس في سياسته

فتى الشَّعْرِ هذا مَوْطِنُ الصِّدْقِ والهُدَى
لقد حَانَ تَوْدِيعُ العَمِيدِ وإنَّه
فودَّعَ لنا الطَّوَدَ الَّذِي كانَ شامِخًا
وزَوَّدَهُ عَنَّا بِالكَرامَةِ كُلِّها
فَلِمَ لا نَرَى الأهرامَ يا نِيلُ مُيِّدًا
كَأَنَّكَ لم تَجْزَعْ عليه ولم تَكُنْ
سلامٌ ولو أَنَا نُسِيءُ إلى الألى
سَنُطْرِي أَيْادِيكَ الَّتِي قد أَفْضَتْها
أَمِنًا فلمْ يَسْلُكْ بنا الخَوْفُ مَسْلَكًا
وكنْتَ رَحِيمَ القلبِ تَحْمِي ضَعِيفَنا
ولولا أَسَى في (دِنْشَوايَ) وَلَوْعَةُ
وَرَمِيكَ شَعْبًا بالتَّعَصُّبِ غَافِلًا

فَلا تَكْذِبِ التَّارِيخَ إِنْ كُنْتَ مُنْشِدا
حَقِيقُ بَتَشْيِيعِ المُجَبِّينَ وَالْعِدا
وَشَيْعُ لَنَا البَحْرَ الَّذِي كانَ مُزْبِدا
وَإِنْ لم يَكُنْ بالباقياتِ مُزَوِّدا
وَفِرْعَوْنُ عَنْ وادِيكَ مُرْتَجِلُ غَدا؟
تَرَى في جِمْي فِرْعَوْنَ أَمِنًا ولا جِدا
أَساءوا إلينا ما مَدَدْنَا لَهُمْ يَدًا
علينا فَلَسْنَا أُمَّةً تَجْحَدُ اليَدَا
وَنِمْنَا فلمْ يَطْرُقْ لَنَا الذُّعْرُ مَرَقِّدا
وَتَدْفَعُ عَنَّا حادِثَ الدَّهْرِ إِنْ عدا
وفاجِعةٌ، أَذَمَّتْ قُلُوبًا وَأَكْبِدا
وتَصْويرُكَ الشَّرْقِيَّ غَرًّا مُجَرِّدا

نَرَى فِيكَ ذَاكَ الْمُصْلِحَ الْمُتَوَدِّدًا
أَفَادَ الْغِنَى أَهْلَ الْبِلَادِ وَأَسْعَدَا
تَرَخَّصَ فِيهَا تَارَةً وَتَشَدَّدَا
فَحَارَبَ جَيْشَ الْفَقْرِ حَتَّى تَبَدَّدَا
عَلَى أَهْلِهِ، خَضَبًا وَرِيًّا وَمُورِدَا
رَأَى الْقَوْلَ فِي أَسْرِ السُّكُوتِ مُقَيَّدَا
يَرَى أَنَّ ذَاكَ الْمَالِ لَا يَكْفُلُ الْهُدَى
بِعِلْمٍ، وَخَيْرُ الْعِلْمِ مَا كَانَ مُرْشِدَا
وَلَمْ تُبْقِ لِلتَّعْلِيمِ يَا (لُرْدُ) مَعَهْدَا
وَأَجْدَبَتْ فِي مِصْرَ الْعُقُولِ تَعَمُّدَا
قَضَاءَ عَلَيْنَا أَوْ سَبِيلُ إِلَى الرَّدَى
فَمَا زِلْتُ (بِالسُّودَانِ) حَتَّى تَمَرَّدَا
وَضَاعَتْ مَسَاعِينَا بِأَطْمَاعِكُمْ سُدَى
وَلَمْ تَسْتَقِلْ حَتَّى حَجَبْتَ (الْمُؤَيَّدَا)
رَأَيْنَا جَفَاءَ الطَّبْعِ فِيهَا مُجَسَّدَا
لِنَغْضَبُ إِنْ أَغْضَبْتَ فِي الْقَبْرِ (أَحْمَدَا)
وَأَيُّ بِنَاءٍ شَامَخَ قَدْ تَجَدَّدَا
بِأَجْدَبَ مِنْ عَهْدٍ لَكُمْ سَالَ عَسَجْدَا
مِنَ الصَّمِّ لَمْ تَسْمَعْ لِأَصْوَاتِنَا صَدَى
أَبِي إِذَا مَا أَصْدَرَ الْأَمْرَ أَوْرَدَا
عَنِ الْقَصْدِ إِنْ كَانَ السَّبِيلُ مُمَهَّدَا؟
سَدِيدًا وَلَكِنْ كَانَ سَهْمًا مُسَدَّدَا
تَجَرَّ عَلَيْنَا الْوَيْلَ وَالذُّلَّ سَرْمَدَا
يَبِيتُ بِهَا ذَاكَ الْغَرِيبُ مُسَوَّدَا
عَلَى حِينٍ لَمْ نَبْلُغْ مِنَ الْفِطْنَةِ الْمَدَى
خَبِيرَ وَكُنَّا جَاهِلِينَ وَرُقْدَا
سَوَى شَرِّكَ يُلْقِي بِهِ مَنْ تَصِيدَا

لَذُبْنَا أَسَى يَوْمِ الْوَدَاعِ لِأَنَّنَا
تَشَعَّبَتْ الْأَرْءُ فِيكَ فَقَائِلُ
وَكَانَتْ لَهُ فِي الْمُصْلِحِينَ سِيَاسَةٌ
رَأَى الْعِزَّ كُلَّ الْعِزِّ فِي بَسْطَةِ الْغِنَى
وَأُمْتَعَكُمُ بِالنَّيْلِ فَهُوَ مُبَارَكُ
وَسَنَّ لَكُمْ حُرِّيَّةَ الْقَوْلِ عِنْدَمَا
وَأَحْرُ لَمْ يَقْصُرْ عَلَى الْمَالِ هَمَّهُ
فَلَا يَحْمَدُ الْإِثْرَاءَ حَتَّى يَزِينَهُ
يُنَادِيكَ قَدْ أَزْرَيْتُ بِالْعِلْمِ وَالْحِجَا
وَأَنَّكَ أَخْصَبْتَ الْبِلَادَ تَعَمُّدًا
قَضَيْتَ عَلَى أُمَّ اللُّغَاتِ وَإِنَّهُ
وَوَافَيْتَ وَالْقُطْرَانِ فِي ظِلِّ رَايَةٍ
فَطَاحَ كَمَا طَاحَتْ (مُصَوِّغُ) بَعْدَهُ
حَجَبْتَ ضِيَاءَ الصُّحُفِ عَنْ ظُلُمَاتِهِ
وَأَوْدَعْتَ تَقْرِيرَ الْوَدَاعِ مَغَامِرًا
غَمَزْتَ بِهَا دِينَ النَّبِيِّ وَإِنَّا
يُنَادِيكَ أَيْنَ النَّابِغُونَ بَعْهَدِكُمْ
فَمَا عَهْدُ (إِسْمَاعِيلَ) وَالْعَيْشُ ضَيِّقُ
يُنَادِيكَ وَلَيْتَ الْوِزَارَةَ هَيْئَةً
فَلَيْسَ بِهَا عِنْدَ التَّشَاوُرِ مِنْ فِتْنَى
بِرَبِّكَ مَاذَا صَدَّنَا وَلَوْى بِنَا
أَشْرَتْ بِرَأْيٍ فِي كِتَابِكَ لَمْ يَكُنْ
وَحَاوَلْتَ إِعْطَاءَ الْغَرِيبِ مَكَانَهُ
فِيَا وَيْلَ مِصْرَ يَوْمَ تَشْقَى بِنَدْوَةٍ
أَلَمْ يَكْغِفْنَا أَنَا سُلْبُنَا ضِيَاعَنَا
وَزَاخَمْنَا فِي الْعَيْشِ كُلِّ مُمَارِسِ
وَمَا الشَّرِكَاتُ السُّودُ فِي كُلِّ بَلَدَةٍ

فهذا حديثُ النَّاسِ والنَّاسُ أَلْسُنٌ
ولو كنتُ من أَهْلِ السَّيَاسَةِ بَيْنَهُمْ
ولكنني في مَعْرِضِ الْقَوْلِ شَاعِرٌ
فيأَيُّهَا الشَّيْخُ الْجَلِيلُ تَحِيَّةٌ
لئن غاب هذا اللَّيْتُ عَنْكَ لِعِلَّةٍ

إذا قال هذا، صَاحَ ذَاكَ مَفْنَدًا
لَسَجَلْتُ لِي رَأْيَا وَبُلَّغْتُ مَقْصِدًا
أضَافُ إِلَى التَّارِيخِ قَوْلًا مُخَلَّدًا
ويأَيُّهَا الْقَصْرُ الْمُنِيفُ تَجَلَّدًا
لقد لَبِثْتُ أَثَارَهُ فِيكَ شُهَدَا

(١١) استقبال السير غورست (نشرت في ١٠ أكتوبر سنة ١٩٠٧م)

قالها في استقباله عند مجيئه إلى مصر معتمدًا للدولة الإنجليزِيَّة، خَلْفًا لِلُورد كرومر يَبِثَّ فيها آلامَ المَصْرِيِّينَ وآمالهم

بَنَاتِ الشَّعْرِ بِالنَّفَحَاتِ جُودِي
أَطْلِي وَاسْفِرِي وَدَعِيهِ يُخَيِّي
إِذَا مَا جَلَّ قَدْرُكَ عَنْ هُبُوطِ
وَأُولِي ذَلِكَ الْفَانِي بَيَانًا
وَحُلِّي عُقْدَةً مِنْ أَضْغَرِيهِ
فَمَا أَنَا وَإَقْفُ بَرُسُومِ دَارِ
وَلَا مُسْتَنْزَلُ هِبَةٍ بِمَدْحِ
ولكنني وَقَفْتُ أَنْوَحُ نَوْحًا
وَأَذْفَعُ عَنْهُمْ بِشَبَا يَرَاعِ
بَنَاتُ الشَّعْرِ إِنْ هِيَ أَسْعَدَتْنِي
وَلَمْ أَجِدْ عَوَارِفَهُ وَلَكِنْ
أَذِيقُونَا الرَّجَاءَ فَقَدْ ظَمِنْنَا
وَمُنُّوا بِالْوُجُودِ فَقَدْ جَهِلْنَا
إِذَا اَعْلَوَلَى الصِّيَاحُ فَلَا تَلْمُنَا
عَلَى قَدْرِ الْأَذَى وَالظُّلْمِ يَعْْلُو
جِرَاحُ فِي النَفُوسِ نَغْرَنُ نَغْرَا

فهذا يَوْمُ شَاعِرِكَ الْمُجِيدِ
بِمَا تُوحِيَنَّ أَيَّامَ الرَّشِيدِ
مُريه إِلَى سَمَائِكَ بِالصُّعُودِ
يَتِيهِ بِهِ عَلَى أَهْلِ الْخُلُودِ
يَلِنُ لِهَتَافِهِ قَاسِي الْحَدِيدِ
أَسَائِلُهَا وَلَا كِلْفُ بَرُودِ
وَلَا مُسْتَنْجِزُ حَرِّ الْوُعودِ
عَلَى قَوْمِي وَأَهْتِفُ بِالنَّشِيدِ
يَصُولُ بِكُلِّ قَافِيَةٍ شَرُودِ
شَكُوتُ مِنَ الْعَمِيدِ إِلَى الْعَمِيدِ
رَأَيْتُ الْمَنَّ دَاعِيَةَ الْجُحُودِ
بِعَهْدِ الْمُصْلِحِينَ إِلَى الْوُرُودِ
بِفَضْلِ وَجُودِكُمْ مَعْنَى الْوُجُودِ
فَإِنَّ النَّاسَ فِي جُهْدٍ جَهِيدِ
صِيَاحُ الْمُشْفِقِينَ مِنَ الْمَزِيدِ
وَكُنَّ قَدْ اَنْدَمَلْنَ عَلَى صَدِيدِ

هَتَكُنَّ سَرَائِرَ الْقَلْبِ الْجَلِيدِ
إِلَى (الْعَبَّاسِ) أَمْ (عَبْدُ الْحَمِيدِ)؟
تُرَوِّعُنَا بِأَصْنَافِ الْوَعِيدِ
يُطَوِّلُكُمُ وَلَا رُكْنَ شَدِيدِ
يَبِينُ بِهِ الْغَوِيُّ مِنَ الرَّشِيدِ
أَضَرَ بِأَهْلِهِ نَقْضُ الْعُهُودِ
بِكُفْرَانِ الْعَوَارِفِ وَالْكُنُودِ
وَلَوْ جِئْنَا بِقُرْآنٍ مَجِيدِ
يَدُومُ عَلَيْهِمْ أَبَدَ الْأَبِيدِ
تَعَاهَدَهُ بِمُنْهَلِ الصُّدُودِ
وَزَكَاها بِأَرْبَعَةِ شُهُودِ
وَأَيُّقِظُ هَاجِعَ الْقَوْمِ الرُّقُودِ
يُطَوِّقُ بِالسَّلَاسِلِ كُلِّ جِيدِ
بِمَجْلُودٍ وَمَقْتُولٍ شَهِيدِ
وَنُبِّعَتْ فِي الْعَوَالِمِ مِنْ جَدِيدِ
وَجَاءَ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدِ
وَيَعْبَثُ بِالنُّهَى عِبَثَ الْوَلِيدِ
وَصَاحَ بِهَا: سَبِيلُكَ أَنْ تَبِيدِي
وَأَحْكَمَ مِنْ فَلَاسِفَةِ (الْهُنُودِ)
وَقَدْ أَوْدَى بِنَا أَوْ كَادَ يُودِي
سَوَابِقُنَا مِنَ الْمَشْيِ الْوَتِيدِ
وَأَنْتُمْ أَهْلُ مَرَحَمَةٍ وَجُودِ
بِهَذَا الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ الْمُفِيدِ
فَتَى (كَالْفَضْلِ) أَوْ (كَابِنِ الْعَمِيدِ)
يَحِيدُ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ الْحَمِيدِ
قَدْ اسْتَعَصَى عَلَى الطَّبِّ الْعَهِيدِ
زَأْرْتُمْ دُونَهُ زَارَ الْأُسُودِ

إِذَا مَا هَاجَهُنَّ أَسَى جَدِيدُ
إِلَى مَنْ نَشْتَكِي عَنَتَ اللَّيَالِي
وَدُونَ جِمَاهُمَا قَامَتِ رِجَالُ
فَمَا جِئْنَا نَطَاوِلُكُمْ بِجَاهِ
وَلَا بَتْنَا نَعَايِزُكُمْ بِعِلْمِ
وَلَكِنَّا نَطَالِبُكُمْ بِحَقِّ
رِمَانَا صَاحِبِ التَّقْرِيرِ ظُلْمًا
وَأَقْسَمَ لَا يُجِيبُ لَنَا نِدَاءَ
وَبَشَّرَ أَهْلَ مِصْرٍ بِاحْتِلَالِ
وَأَنْبَتَ فِي النَفُوسِ لَكُمْ جَفَاءَ
فَأَثْمَرَ وَحْشَةً بَلَغَتْ مَدَاهَا
قَتِيلُ الشَّمْسِ أَوْرَثْنَا حَيَاةَ
فَلَيْتَ (كُرُومًا) قَدْ دَامَ فِينَا
وَيُتَحِفُ (مِصْرَ) أَنَا بَعْدَ أَنْ
لِنَنْزَعَ هَذِهِ الْأَكْفَانَ عَنَّا
رَمَى (دَارَ الْمَعَارِفِ) بِالرِّزَايَا
يُدِلُّ بِحَوْلِهِ وَيَتِيهَ تِيهًا
فَبَدَدَ شَمْلَهَا وَأَدَالَ مِنْهَا
هَبُؤَا (دَنْلُوبَ) أَرْحَبَكُمْ جَنَانًا
فَإِنَّا لَا نَطِيقُ لَهُ جَوَارًا
مَلَلْنَا طَوْلَ صُحْبَتِهِ وَمَلَّتْ
بِحَمْدِ اللَّهِ مُلْكُكُمْ كَبِيرُ
خُذُوهُ فَأَمْتِعُوا شَعْبًا سَوَانَا
إِذَا اسْتَوَزَرْتَ فَاسْتَوَزِرْ عَلَيْنَا
وَلَا تُثْقِلْ مَطَاهُ بِمُسْتَشَارِ
وَفِي الشُّورَى بِنَا دَاءُ عَهِيدِ
شَيْوُخُ كُلَّمَا هَمَّتْ بِأَمْرِ

على حُمْرِ الْمَلَابِيسِ وَالْخُدُودِ
بَأَنَّكَ قَيْنٌ هَاتِيكَ الْقِيُودِ؟
بهذا الموتِ أو هذا الْجُمُودِ؟
كفانا سَائِغُ النَّيْلِ السَّعِيدِ
(بِمَضْرَ) مَوَارِدِ الْغَيْشِ الرَّغِيدِ
وضاقَ بِحَمَلِهِمْ ذَرْعُ الْبَرِيدِ
على التَّشْرِيعِ فِي ظِلِّ الْعَمِيدِ؟
إِذَا أَنْصَفْتَنَا نَظَرَ الْوُدُودِ
بِأَنَّ الدُّلَّ شَنْشَنَةُ الْعَبِيدِ
لِغَيْرِ إِلَهَا ذُلُّ السُّجُودِ
نَثِبَ بِهِمْ إِلَى الشَّأْوِ الْبَعِيدِ
إِذَا جَلَسُوا لِإِقَامِ الْحُدُودِ
لَنَا مِنْ مَجْدِ دَوْلَتِكَ الْمَشِيدِ
بِتِلْكَ؛ فَإِنَّهَا بَيْتُ الْقَصِيدِ
بِمَا أُوتِيَتْ مِنْ رَأْيِ سَدِيدِ
فَقَدْ ضَاقَتْ بِهَا حِيلُ (الْيَهُودِ)
سَمِعْتَ أَنْيْنَ شَاكِ فِي (رَشِيدِ)
بِأَذْنَى الثُّغْرِ أَوْ أَعْلَى الصَّعِيدِ
عَلَى الْإِيَّامِ عَائِثَرَةُ الْجُدُودِ
ثَنَاءَ الْقَوْمِ مِنْ بَيْضِ وَسُودِ
وِظَنِّي فِيكَ بِالْأَمَلِ الْوَطِيدِ
وَتَرَفَعْنَا إِلَى أَوْجِ السُّعُودِ؟
أَتَى فِي ثَوْبِ مُعْتَمَدٍ جَدِيدِ؟

لِحَيِّ بَيْضَاءِ يَوْمِ الرَّأْيِ هَانَتْ
أَتَرَضَى أَنْ يُقَالَ — وَأَنْتَ حُرٌّ —
وَهَلْ فِي دَارِ نَدْوَتِكُمْ أَنْاسُ
فَنَحْ غَضَاضَةَ التَّامِيزِ عَنَّا
أَرَى أَحْدَاثَكُمْ مَلَكَوْا عَلَيْنَا
وَقَدْ ضِقْنَا بِهِمْ وَأَبَيْكَ ذَرْعًا
أَكُلُّ مَوْظَفٍ مِنْكُمْ قَدِيرٌ
فَضَعْ حَدًّا لَهُمْ وَانْظُرْ إِلَيْنَا
وَحَبِّرْهُمْ وَأَنْتَ بِنَا حَبِيرٌ
وَأَنْ نُفُوسَ هَذَا الْخَلْقِ تَأْبَى
وَوَلِّ أُمُورَنَا الْأَخْيَارِ مِنَّا
وَأَشْرِكْنَا مَعَ الْأَخْيَارِ مِنْكُمْ
وَأَسْعِدْنَا بِجَامِعَةٍ وَشَيْدٍ
وَأِنْ أَنْعَمْتَ بِالْإِصْلَاحِ فَابْدَأْ
وَفَرِّجْ أَرْزَمَةَ الْأَمْوَالِ عَنَّا
وَسَلِّ عَنْهَا (الْيَهُودِ) وَلَا تَسْلُنَا
إِذَا مَا نَاحَ فِي (أُسْوَانَ) بَاكِ
جَمِيعِ النَّاسِ فِي الْبُلُوى سَوَاءٌ
تَدَارَكَ أُمَّةً بِالْشَّرْقِ أُمَسَتْ
وَأَيَّدَ مِصْرَ وَالسُّودَانَ وَاغْنَمَ
وَمَا أَذْرِي وَقَدْ زَوَّدَتْ شِعْرِي
أَجِئْتُ تَحُوطُنَا وَتَرُدُّ عَنَّا
أَمِ اللُّرْدُ الَّذِي أَنْحَى عَلَيْنَا

(١٢) تحية العام الهجري (سنة ١٣٢٧هـ - يناير سنة ١٩٠٩م)

هَلالٌ رآهُ المُسْلِمُونَ فَكَبَّرُوا
 عَلَى الدَّهْرِ حُسْنًا أَنَّهَا تَتَكَرَّرُ
 وَغُرَّتْهُ وَالنَّاضِرِينَ مُبَشِّرُ
 بِهِ تَوَجُّعِ التَّارِيخِ وَالسَّعْدُ مُسْفِرُ
 يَحْفُفُ بِهِ مِنْ قُوَّةِ اللَّهِ عَسْكَرُ
 مَلَائِكَةٍ تَرعى خُطَاهُ وَتَخْفِرُ
 هُدًى، وَبَيْمَنَاهُ الْكِتَابُ الْمُطَهَّرُ
 وَفِي (يَثْرِبِ) أَنْوَارُهُ تَتَفَجَّرُ
 تُعَدِّدُ أَثَارُ لَهُ وَتُسَطِّرُ
 هَنَاتٍ فَطَبَعُ الدَّهْرِ يَصْفُو وَيَكْدُرُ
 مُجِيبٌ: لَقَدْ أَحْيَا الْمَلَائِينَ فَانْظُرُوا
 فَأَرْبَى عَلَيْهَا؛ فَالْإِسَاءَةُ تُغْفَرُ
 عَلَيْهِمْ كَأَهْلِ الْكَهْفِ فِي النَّوْمِ أَغْصُرُ
 لَهُ أَثَرٌ بَاقٍ وَزَكْرٌ مُعْطَرُ
 وَمَا بَدَّلُوا فِي الْمَشْرِقَيْنِ وَغَيْرُوا
 فَقَدْ مَلَأَ الدُّنْيَا (نِيَاذِي) وَ(أَنْوَرُ)
 سُيُوفًا وَجَدُّوا جِدَّهُمْ وَتَدَبَّرُوا
 عَلَى هَامِهَا سَعْدُ الْكَوَاكِبِ يُنْثَرُ
 عَلَى شَعْبِهِ وَالشَّاهُ خَزْيَانُ يَنْظُرُ
 وَأُمَّتِهِ مَا قَامَ فِي الشَّرْقِ مِنْبَرُ
 فَقَدْ كَانَ فِيهِ (الْفَرْسُ) عُمِيًّا فَأَبْصَرُوا
 فَبَاتُوا عَلَى أَبْوَابِهَا وَتَجَمَّهَرُوا
 وَأَحْيَى قُلُوبًا أَوْشَكَتْ تَتَفَطَّرُ
 إِلَى الْوَصْلِ لَوْلَا ذَلِكَ الْمُتَغَشِّمُ
 بِسَرِّكَ أَوْفَى مِنْهُ حَوْلًا وَأَقْدَرُ

أَطْلَلَ عَلَى الْأَكْوَانِ وَالْخَلْقِ تَنْظُرُ
 تَجَلَّى لَهُمْ فِي صُورَةٍ زَادَ حُسْنُهَا
 وَبَشَّرَهُمْ مِنْ وَجْهِهِ وَجَبِينِهِ
 وَأَذْكَرَهُمْ يَوْمًا أَغْرَّ مُحَجَّلًا
 وَهَاجَرَ فِيهِ خَيْرٌ دَاعٍ إِلَى الْهُدَى
 يُمَاشِيهِ جَبْرِيلُ وَتُسْعَى وَرَاءَهُ
 بَيْسْرَاهُ بُرْهَانٌ مِنَ اللَّهِ سَاطِعُ
 فَكَانَ عَلَى أَبْوَابِ (مَكَّةَ) رَكْبُهُ
 مَضَى الْعَامُ مَيِّمُونَ الشُّهُورُ مُبَارَكًا
 مَضَى غَيْرَ مَذْمُومٍ فَإِنْ يَذْكُرُوا لَهُ
 وَإِنْ قِيلَ أَوْدَى بِالْأَلُوفِ أَجَابَهُمْ
 إِذَا قِيسَ إِحْسَانُ امْرِئٍ بِإِسَاءَةٍ
 فَفِيهِ أَفَاقُ النَّائِمُونَ وَقَدْ أَتَتْ
 وَفِي عَالَمِ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ
 سَلُّوا (التُّرْكَ) عَمَّا أَدْرَكُوا فِيهِ مِنْ مُنَى
 وَإِنْ لَمْ يَقُمْ إِلَّا (نِيَاذِي) وَ(أَنْوَرُ)
 تَوَاصَوْا بِصَبْرِ ثُمَّ سَلُّوا مِنَ الْحِجَا
 فَسَادُوا وَشَادُوا لِلْهَلَالِ مَنَازِلًا
 تَجَلَّى بِهَا (عَبْدُ الْحَمِيدِ) بِوَجْهِهِ
 سَلَامٌ عَلَى (عَبْدِ الْحَمِيدِ) وَجَيْشِهِ
 سَلُّوا (الْفَرْسَ) عَنْ ذِكْرِى أَيَادِيهِ عِنْدَهُمْ
 جَلَا لَهُمْ وَجْهَ الْحَيَاةِ فَشَاقَهُمْ
 يُنَادُونَ أَنْ مُنَى عَلَيْنَا بِنَظَرَةٍ
 كِلَانَا مَشُوقٌ وَالسَّبِيلُ مُمَهَّدُ
 أَطْلَى عَلَيْنَا لَا تَخَافِي فَإِنَّا

خَلِيقُونَ أَنْ تَحْيُوا كِرَامًا وَتَفْخَرُوا
يُرِيقُ دِمَاءَ الْمُصْلِحِينَ وَيَهْدُرُ
وَأُخْنَى عَلَيْهِ الدَّهْرُ وَالْأَمْرُ مُدِيرُ
قَوَائِمُهُ عُوْدٌ وَدُفٌّ وَمِزْهَرُ
وَمَرٌّ عَلَى أَدْرَاجِهِ يَتَعَثَّرُ
عَلَى عَهْدِهِ (مُرَاكِشُ) تَتَخَضَّرُ
وَأَيَّامُهُ بِالسَّعْدِ وَالْيَمْنِ تَزْهَرُ
وَفَارَقَهَا وَالْعُوْدُ فَيَنَانُ مُثْمِرُ
إِذَا مَا رَمَا (إِدْوَرْدُ) أَوْ رَاشَ (فَيَصْرُ)
أَرَى تَحْتَهَا سِرًّا خَفِيًّا سَيَظْهَرُ
وَيُخْصَبُ فِيهَا كُلُّ جَذْبٍ وَيَنْضُرُ
أَضَاءَتْ لِأَهْلِيهَا السَّبِيلَ فَبَكَّرُوا
تَفَكُّ لَهَا تِلْكَ الْقِيُوْدُ وَتُكْسَرُ
لَهُ أَثَرًا فِي لَوْحَةِ الدَّهْرِ يُذَكِّرُ
مُبَارَكَةً مِنْ غَيْرَةٍ تَتَسَعَّرُ
تَجَافَتْ عَنِ الْإِبْرَاءِ لَوْلَا (كُرُومَرُ)
سَبِيلًا إِلَى إِخْمَادِهَا وَهِيَ تَزْفَرُ
فَفِي (مِصْرَ) أَيْقَاطُ عَلَى (مِصْرَ) تَسْهَرُ
فَأَصْبَحَ فِي أَغْصَابِنَا يَتَخَدَّرُ
عَزَائِمُنَا عَنْ نَيْلِهَا كَيْفَ نَعْدَرُ؟
مِنَ الْعَيْشِ إِلَّا فِي ذَرَا الْعِزِّ تَسْخَرُ
إِلَى الْمَوْتِ قَهَارًا وَلَا مُتَجَبِّرُ
إِلَى قَادَةِ تَبْنِي وَشَغْبٍ يُعَمَّرُ
إِلَى عَالِمٍ يَدْعُو وَدَاعٍ يُدْكَرُ
إِلَى عَالِمٍ يَذْرِي وَعِلْمٍ يُقَرَّرُ
إِلَى جِكْمَةٍ تُمْلَى وَكُفٍّ تُحَرَّرُ
إِلَيْكُمْ فَسُدُّوا النَّقْصَ فِينَا وَشَمِّرُوا

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أُمَّةَ (الْفُرْسِ) إِنَّكُمْ
وَلَا أَقْرَى (الشَّاهِ) السَّلَامَ فَإِنَّهُ
وَفِيهِ هَوَى (عَبْدُ الْعَزِيزِ) وَعَرْشُهُ
وَلَا عَجَبٌ أَنْ ثُلَّ عَرْشُ مُمَلِّكَ
فَأَلْقَى إِلَى (عَبْدِ الْحَفِيزِ) بَتَاجِهِ
وَقَامَ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مُوَفَّقُ
وَفِي دَوْلَةِ (الْأَفْغَانِ) كَانَتْ شُهُورُهُ
أَقَامَ بِهَا وَالْعُوْدُ رِيَّانُ أَخْضَرُ
وَعَوْدُهَا بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ طَامِعٍ
وَفِيهِ نَمَتْ فِي (الْهِنْدِ) لِلْعِلْمِ نَهْضَةٌ
فَتَجْرِي إِلَى الْعُلَيَّاءِ وَالْمَجْدِ شَوْطُهَا
وَفِيهِ بَدَتْ فِي أَفْقِ (جَاوَةِ) لَمْعَةٌ
فِيَا لَيْتَهُ أُولَى (الْجَزَائِرِ) مِنْهُ
وَفِي (تُونِسَ) الْخَضْرَاءُ يَا لَيْتَهُ بَنَى
وَفِيهِ سَرَتْ فِي (مِصْرَ) رُوحٌ جَدِيدَةٌ
خَبَتْ زَمَنًا حَتَّى تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا
تَصْدَى فَأَوْرَاهَا وَهَيْهَاتَ أَنْ يَرَى
مَضَى زَمَنُ التَّنْوِيمِ يَا نَيْلُ وَانْقَضَى
وَقَدْ كَانَ «مُرْفِينُ» الدَّهَاءِ مُخَدَّرًا
شَعَرْنَا بِحَاجَاتِ الْحَيَاةِ فَإِنْ وَنَتْ
شَعَرْنَا وَأُحْسَسْنَا وَبَاتَتْ نَفُوسُنَا
إِذَا اللَّهُ أَحْيَا أُمَّةً لَنْ يَرُدَّهَا
رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ
رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ
رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ
رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ
رِجَالُ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّا بِحَاجَةٍ

بِمُرِّ مُرُورِ الْأَمْسِ وَالْعَيْشِ أَغْبِرُ
تُنَاشِدُكُمْ بِاللَّهِ أَنْ تَتَذَكَّرُوا
تَعَهُدُ رَوْضَ الْعِلْمِ فَالرَّوْضُ مُقْفَرُ
يَدَا تَبَتَّنِي مَجْدًا وَرَأْسًا يُفَكِّرُ
وَصُونُوا حِمَى أَوْطَانِكُمْ وَتَحَرَّروا
تَبَيَّتُوا عَلَى يَأْسٍ وَلَا تَتَضَجَّرُوا
أَرَاهُ عَلَى أَبْوَابِكُمْ يَتَخَطَّرُ
أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ يُقَالَ تَهَوَّرُوا
وَلَا نَالَهُ فِي الْعَالَمِينَ مُقْصَرُ
وَنَحْنُ عَلَى الْآثَارِ لَا شَكَّ نَظْفَرُ
وَنَحْنُ لَنَا الْعَامُ الْجَدِيدُ مُقَدَّرُ
بِكُمْ وَبِمَا تَرْجُونَ أَدْرَى وَأُخْبِرُ
عَلَى عَرَشِ (وَادِي النَّيْلِ) يَنْهَى وَيَأْمُرُ

رِجَالَ الْغَدِ الْمَأْمُولِ لَا تَتَرَكُوا غَدًا
رِجَالَ الْغَدِ الْمَأْمُولِ إِنَّ بِلَادَكُمْ
عَلَيْكُمْ حَقُوقٌ لِلْبِلَادِ أَجْلُهَا
قُصَارَى مُنَى أَوْطَانِكُمْ أَنْ تَرَى لَكُمْ
فَكُونُوا رِجَالًا عَامِلِينَ أَعِزَّةً
وَيَا طَالِبِي الدُّسْتُورِ لَا تَسْكُنُوا وَلَا
أَعِدُّوا لَهُ صَدْرَ الْمَكَانِ، فَإِنَّنِي
فَلَا تَنْطِقُوا إِلَّا صَوَابًا، فَإِنَّنِي
فَمَا ضَاعَ حَقٌّ لَمْ يَنْمَ عَنْهُ أَهْلُهُ
لَقَدْ ظَفَرَ الْأَتْرَاكُ عَدْلًا بِسُؤْلِهِمْ
هُمْ لَهُمُ الْعَامُ الْقَدِيمُ مُقَدَّرُ
ثِقُوا بِالْأَمِيرِ الْقَائِمِ الْيَوْمَ إِنَّهُ
فَلَا زَالَ مَحْرُوسَ الْأَرِيكَةِ جَالِسًا

(١٣) الانقلاب العثماني (نشرت في ١٢ مايو سنة ١٩٠٩م)

قالها في ثورة الأتراك التي انتهت بخلع السلطان عبد الحميد وتولية السلطان محمد الخامس

كَيْفَ أُمْسِيَّتِي يَا بَنَ (عَبْدِ الْمَجِيدِ)
وَمُجِيعَ الْجُنُودِ تَحْتَ الْبُنُودِ
بِتُّ أَبْكِي عَلَيْكَ (عَبْدَ الْحَمِيدِ)؟
فِيكَ قَبْلَ الدُّرُوزِ قَبْلَ الْيَهُودِ
مَةِ أَنْ يَشَمَتَ الْوَرَى فِي طَرِيدِ
دُ و (عَبْدُ الْحَمِيدِ) رَهْنُ الْقَيُودِ
فِي كِبَارِ الرِّجَالِ أَهْلُ الْخُلُودِ
صَفَحَاتُ مَا بَيْنَ بَيْضِ وَسُودِ

لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهَا مِنْ جُدُودِ
مُشْبِعِ الْحَوْتِ مِنْ لُحُومِ الْبَرَايَا
كَنْتُ أَبْكِي بِالْأَمْسِ مِنْكَ فَمَالِي
فَرِحَ الْمُسْلِمُونَ قَبْلَ النَّصَارَى
شَمِتُوا كُلُّهُمْ وَلَيْسَ مِنَ الْهَمِّ
أَنْتَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) وَالتَّاجُ مَعْقُودِ
خَالِدٌ أَنْتَ رَغَمَ أَنْفِ اللَّيَالِي
لَكَ فِي الدَّهْرِ — وَالْكَمَالُ مُحَالٌ —

لو يُطِيقُونَ طَمَسَ خَطَّ الْحَدِيدِ
 ه باقٍ إِنْ ضَاعَ عِنْدَ الْعَبِيدِ
 سَخٍ وَلَا تُرْهَقُوهُ بِالتَّهْدِيدِ
 لَيْسَ فِيهِ بَقِيَّةٌ لِلصُّعُودِ
 بِاسْمِهِ كُلُّ مُسْلِمٍ فِي الْوُجُودِ
 عِي (لَعَبْدِ الْحَمِيدِ) بِالتَّأْيِيدِ
 نَا بِذِكْرِ الرَّسُولِ وَالتَّوْحِيدِ
 إِنْ أَثَرْتُمْ مِنْ كَامِنَاتِ الْحُقُودِ
 فَعِدَا الْيَوْمِ أَلْفُ (عَبْدِ الْحَمِيدِ)
 بِأَسِيرٍ فِي (سَالْنِيكَ) جَدِيدِ
 صِمَكِ إِعْدَادُ عُدَّةٍ أَوْ عَدِيدِ
 وَاحٍ وَالْمَالِ يَا غَرَامَ الْجُنُودِ
 أَرْضُ؟ كَيْفَ انْفَرَدْتَ بِالتَّمْجِيدِ؟
 وَصَبَغْتَ الصَّعِيدَ بَعْدَ الصَّعِيدِ
 هَمَّةُ الدَّهْرِ قَلْتَ: هَلْ مِنْ مَزِيدِ؟
 حَتَّ بِطَرْفٍ إِلَى السَّمَاءِ عَتِيدِ
 كَ لَغَيْرِ الْمُهَيِّمِينَ الْمَعْبُودِ
 مِنْ أَسِيرِ الْجَزِيرَةِ الْمَكْمُودِ
 لَوْ سَأَلْتَ الْأَسْفَارَ عَنْ (بَا يَزِيدِ)
 مِنْهُ فِي الْأَسْرِ وَالْبَلَاءِ الشَّدِيدِ
 لَا وَلَا يَسْتَلِدُّ طَعْمَ الْهُجُودِ
 خَطَرَةَ الرِّيحِ أَوْ بُكَاءِ الْوَلِيدِ
 فِي تَدَجِّيهِ مِنْ ضَمِيرِ الْكَنُودِ
 بَابٍ بَابِ الْخَلِيفَةِ الْمَنْكُودِ
 مَا سَمِعْنَا مِنَ الرُّوَاةِ الشُّهُودِ
 عَ وَأَرْبَى عَلَى فِعَالِ (الْوَلِيدِ)؟
 يَوْمَ تُجْزَى أَمَامَ رَبِّ شَهِيدِ

حَاوَلُوا طَمَسَ مَا صَنَعْتَ وَوَدُّوا
 ذَاكَ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) ذُخْرُكَ عِنْدَ اللَّهِ
 أَكْرَمُوهُ وَرَاقِبُوا اللَّهَ فِي الشَّيْءِ
 لَا تَخَافُوا أَذَاهُ فَالْشَّيْخُ هَاوٍ
 وَلِي الْأَمْرِ ثُلُثُ قَرْنٍ يُنَادِي
 كُلَّمَا قَامَتِ الصَّلَاةُ دَعَى الدَّاءِ
 فَاسْمُ هَذَا الْأَسِيرِ قَدْ كَانَ مَقْرُوءِ
 بَتُّ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ يَقُولُوا
 كَانَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) بِالْأَمْسِ فَرْدًا
 يَا أَسِيرًا فِي (سَنَتِ هِيلِينَ) رَحْبٍ
 قُلْ لَهُ كَيْفَ زَالَ مُلْكُكَ لَمْ يَعِ
 لَمْ تَصْنُكَ الْجُنُودُ تَفْدِيكَ بِالْأَرْ
 قُلْ لَهُ كَيْفَ كُنْتَ؟ كَيْفَ اِمْتَلَكْتَ الـ
 فَتَلَلْتَ الْعُرُوشَ عَرْشًا فَعَرْشًا
 كُلَّمَا نَلْتَ غَايَةَ لَمْ تَنْلَهَا
 ضَاقَتِ الْأَرْضُ عَنْ مَدَاكَ فَأَرْسَلْ
 قُلْ لَهُ: جَلَّ مَنْ لَهُ الْمُلْكُ لَا مُلْ
 أَنْتَ مَهْمَا شَقِيتَ أَرْفَهُ حَالًا
 وَأَسِيرُ الْأَقْفَاصِ قَدْ كَانَ أَشْقَى
 كَانَ (عَبْدُ الْحَمِيدِ) فِي الْقَصْرِ أَشْقَى
 كَانَ لَا يَعْرِفُ الْقَرَارَ بَلِيلِ
 حَذَرًا يَرْهَبُ الظَّلَامَ وَيَخْشَى
 نَفَقٌ تَحْتَ طَابِقِ الْأَرْضِ أَخْفَى
 يُعْجِزُ الْوَهْمَ عَنْ تَلْمُسِ ذَاكَ الـ
 أَصْحَبُ مَا قِيلَ عَنْكَ وَحَقُّ
 أَنَّ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) قَدْ هَدَمَ الشَّرَّ
 إِنْ بَرِيئًا وَإِنْ أَثِيمًا سَتُجْزَى

أَصْحِيحُ بَكَيتَ لَمَّا أَتَى الْوَفْدُ
وَنَسِيتَ الْآبَاءَ وَالْمَجْدَ وَالسُّوءُ
مَا عَهْدُنَا الْمُلُوكَ تَبْكِي وَلَكِنْ
عَلَّهَا دَمْعَةُ الْوَدَاعِ لَذَاكَ الـ
غَسَلَ الدَّمْعُ عَنْكَ حَوْبَةَ مَاضِيـ
شَفَعَ الدَّمْعُ فِيكَ عِنْدَ الْبِرَايَا
دَمْعُكَ الْيَوْمَ مِثْلُ أَمْرِكَ بِالْأَمَمِ
كَانَ (عَبْدُ الْعَزِيزِ) أَجْمَلَ أَمْرًا
خَافَ مَأْثُورَ قَوْلِهِ فَتَعَالَى
ضَمَّ مِقْرَاضُهُ إِلَيْهِ وَنَادَى
حَيَّ عَهْدَ الرَّشَادِ يَا شَرُّقُ وَابْلُغْ
قَدْ تَوَلَّى (مَحَمَّدُ الْخَامِسُ) الْمُلْـ
وَتَجَلَّى فِي مَهْرَجَانِ تَجَلَّى
وَقَفَ الدَّهْرُ خَاشِعًا إِذْ رَأَى السَّيِّـ
طَاطِطِي لِلْجَلَالِ يَا أُمَمَ الْأَرْـ
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ عَهْدَ (رَشَادِ)

دُ وَنَابَتْكَ رِعْشَةُ الرَّعْدِ
دُدَّ وَالْعِزُّ يَا كَرِيمَ الْجُدُودِ؟
عَلَّهَا نَزْوَةُ الْفُؤَادِ الْجَلِيدِ
مُلْكُكَ أَوْ ذِكْرُهُ لَتِلْكَ الْعُھُودِ
كَ وَوَقَاكَ شَرُّ يَوْمِ الْوَعِيدِ
لَيْسَ ذَاكَ الشَّفِيعُ بِالْمَرْدُودِ
سِ مَطَاعٌ فِي سَيِّدٍ وَمَسُودِ
مِنْكَ فِي يَوْمِ خَلْعِهِ الْمَشْهُودِ
عَنْ صَغَارٍ وَمَاتَ مَوْتَ الْأَسُودِ
دُونَ ذَلِكَ الْحَيَاةِ قَطْعُ الْوَرِيدِ
مَا تَمَنَّيْتَ مِنْ زَمَانٍ بَعِيدِ
كَ فَأَعْظَمَ بِتَاجِهِ الْمَعْقُودِ
سَيْفُ (عُثْمَانٍ) فِيهِ بِالتَّقْلِيدِ
فَتَيْنِ فِي قَبْضَةِ الْعَزِيزِ الْمَجِيدِ
ضِ سُجُودًا، هَذَا مَقَامُ السُّجُودِ
خَيْرُ فَاَلْ بَرْدُ عَهْدِ (الرَّشِيدِ)

(١٤) عيد الدستور العثماني

أنشدها في الحفل الذي أقيم في حديقة الأزبكية في مساء الجمعة ٢٣ يولييه سنة ١٩٠٩ م

أَجَلْ هَذِهِ أَعْلَامُهُ وَمَوَاكِبُهُ
هَنِيئًا لَهُمْ فَالْكُونُ فِي يَوْمِ عِيدِهِمْ
رَعَى اللَّهُ شَعْبًا جَمَعَ الْعَدْلُ شَمْلَهُ
تَحَالَفَ فِي ظِلِّ الْهَلَالِ إِمَامُهُ
خُذُوا بِيَدِ الْإِصْلَاحِ وَالْأَمْرُ مُقْبِلُ
وَرُدُّوا عَلَى الْمُلْكِ الشَّبَابِ الَّذِي ذَوَى

هَنِيئًا لَهُمْ فَلْيَسْحَبِ الذَّيْلَ سَاحِبُهُ
مَشَارِقُهُ وَضَاءَةٌ وَمَغَارِبُهُ
وَتَمَّتْ عَلَى عَهْدِ الرَّشَادِ رَغَائِبُهُ
وَحَاخَامُهُ — بَعْدَ الْخِلَافِ — وَرَاهِبُهُ
فَإِنِّي أَرَى الْإِصْلَاحَ قَدْ طَرَّ شَارِبُهُ
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمُلْكَ شَابَتْ ذَوَائِبُهُ

فَمَنْ يَطْلُبُ الدُّسْتُورَ بِالسُّوءِ بَعْدَمَا
إِذَا (شَوَّكْتُ الْفَارُوقُ) قَامَ مُنَادِيًا
ثَلَاثَةَ آسَادٍ يُجَانِبُهَا الرَّدَى
يُصَارِعُهَا صَرْفُ الْمَنُونِ فَتَلْتَقِي
رَوَتْ قَوْلَ (بَشَارٍ) فَثَارَتْ وَأَقْسَمَتْ
(إِذَا الْمَلِكُ الْجَبَّارُ صَعَرَ حَدَّهُ
وَسَارَ عَلَى أَعْقَابِهَا كُلُّ سَابِحٍ
يَصِيحُ بِهِ: لَا رِيَّ أَوْ نَبْلُغِ الْمُنَى
هُنَالِكَ فَانْهَلْ وَاتَّخِذْ ثَمَّ مَرْبِطًا
رِجَالٌ مِنَ الْإِيمَانِ مَلَأَى نُفُوسَهُمْ
صَوَالِحُهُ سُمْرُ الْقَنَا، وَكُرَاتُهُ
إِذَا ثَارَ دُكَّتْ أَجْبُلٌ وَتَحَشَّعَتْ
وُثِّلَتْ عُروُشٌ وَاسْتَقَرَّتْ مَمَالِكُ
فَمَنْ لَمْ يُشَاهِدْ (يَلْدِرًا) بَعْدَ رَبِّهَا
وَأَسْلَمَهُ أَحْبَابُهُ لِقَضَاتِهِ
وَقَلَّمَتْ الْأَقْدَارُ أَظْفَارَ بَطْشِهِ
فَمَا شَهِدَ الدُّنْيَا تَزُولَ وَلَا رَأَى
أَبِيحَ جِمَاهَا وَانطوى مَجْدُ رَبِّهَا
وَلَمْ يُغْنِ عَنْ (عَبْدِ الْحَمِيدِ) دَهَاؤُهُ
وَلَمْ يَحْمِهِ حِصْنٌ وَلَمْ تَرْمِ دُونَهُ
لَمْ يُخَفِهِ عَنْ أَعْيُنِ الْحَقِّ مِخْدَعُ
أَقَامَ عَلَيْهِ مَهْلِكًا عِنْدَ مَهْلِكِ
تَحَامَاهُ حَتَّى الْوَهْمُ خَوْفُ اغْتِيَالِهِ
وَأَسْرَفَ فِي حُبِّ الْحَيَاةِ فَحَاطَهَا
فَفِي كُلِّ قَفْلٍ لِلْمَنِيَّةِ مَكْمَنٌ
وَفِي كُلِّ رُكْنٍ صُورَةٌ لَوْ تَكَلَّمْتُ
تَمَائِيلُ إِيهَامٍ أَنْيَمْتُ وَأَقْعِدْتُ

حَمَّتْهُ يَدُ (الْفَارُوقِ) فَالَلَهُ طَالِبُهُ
إِلَى الْحَقِّ لَبَّاهُ (نِيَاذِي) وَصَاحِبُهُ
وَأِنْ هِيَ لَأَقَاهَا الرَّدَى لَا تُجَانِبُهُ
مَخَالِبُهَا فِيهِ وَتَنْبُو مَخَالِبُهُ
وَقَامَتْ إِلَى (عَبْدِ الْحَمِيدِ) تُحَاسِبُهُ:
مَشِينَا إِلَيْهِ بِالسُّيُوفِ نُعَاتِبُهُ
عَلَى مَتْنِهِ بُرْجٌ مَشِيدٌ يُدَاعِبُهُ
وَلَا شِبَعٌ أَوْ يَرْجِعَ الْحَقُّ غَاصِبُهُ
(بِيلْدَرِ) وَأَحْمَدُ فِي الْوَعَى مَنْ تُصَاحِبُهُ
وَجَيْشٌ مِنَ الْأَتْرَافِ ظَمَأَى قَوَاضِيَهُ
رُءُوسُ الْأَعَادِي، وَالْحُصُونُ مَلَاعِبُهُ
بَحَارٌ وَأَمْضَى اللَّهُ مَا هُوَ كَاتِبُهُ
وَلَوْ أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ فِيهَا يُنَاصِبُهُ
وَقَدْ زَالَ عَنْهُ الْمُلْكُ وَانْدَكَ جَانِبُهُ
وَفَرَّ — وَلَمْ يَخْشَ الْمَعَرَّةَ — كَاتِبُهُ
وَدَلَّ عَلَى مَا تَجْهَلُ الْجَنُّ حَاجِبُهُ
بَلَاءَ قَضَاءِ اللَّهِ فَيَمُنُ يُحَارِبُهُ
وَقَامَتْ عَلَى الْبَيْتِ (الْحَمِيدِي) نَوَاطِبُهُ
وَلَا عَصَمَتْ (عَبْدَ الْحَمِيدِ) تَجَارِبُهُ
دَنَانِيرُهُ وَالْأَمْرُ بِالْأَمْرِ حَازِبُهُ
وَلَا نَفَقُ فِي الْأَرْضِ جَمٌّ مَسَارِبُهُ
يَمُرُّ بِهِ رَوْحُ الصَّبَا فَيُؤَاثِبُهُ
فَلَوْ مَسَّهُ طَيْفٌ لِدَارَتْ لَوَالِبُهُ
بَسُورٌ مِنَ الْأَهْوَالِ لَمْ يَنْجُ رَاكِبُهُ
وَفِي كُلِّ مِفْتَاحٍ قَضَاءٌ يُرَاقِبُهُ
لَمَّا شَكَّ فِي (عَبْدِ الْحَمِيدِ) مُخَاطِبُهُ
تَرَاءَى بِهَا أَعْطَافُهُ وَمَنَاكِبُهُ

وَتَخَذُ فِيهِ الْمَوْتَ حِينَ يُقَارِبُهُ
لِيُغْلِبَ مَوْتًا وَاحِدًا عَزَّ غَالِبُهُ
عَجَائِبُهُ؟ أَوْ أَحْرَزَتْهُ غَرَائِبُهُ؟
فَضَاقَتْ عَلَى شَيْخِ الْمُلُوكِ مَذَاهِبُهُ
وَجَرَّدَهُ مِنْ سَيْفِ (عُثْمَانَ) وَاهِبُهُ
يُغَالِبُ ذِكْرِي مُلْكُهُ وَتُغَالِبُهُ
فَكُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا هُوَ كَاسِبُهُ
فَرَدُّ لَهُمْ بِالْأَمْسِ مَا أَنْتَ سَالِبُهُ
فَلَمْ يَبْقَ لِلْأَمَالِ فَضْلٌ تُجَاذِبُهُ
وَوَلَّتْ أَفَاعِيهِ وَمَاتَتْ عَقَارِبُهُ
لَجَرَحِي الْأَسَى وَالذَّهْرُ تَعْدُو نَوَائِبُهُ
وَأَنْصَفَتْ مَظْلُومًا تَوَالَتْ مَصَائِبُهُ
أَوَائِلُهُ مَيِّمُونَةٌ وَعَوَاقِبُهُ
تَحْلِي هِلَالِ الشَّهْرِ أَوْ لَاحِ حَاجِبُهُ
فَتَهْتِزُّ مِنْ وَقْعِ السُّرُورِ جَوَانِبُهُ
تَدْفُقُ فِي دَارِ السَّلَامِ مَوَاكِبُهُ
تُطِيفُ بِهِمُ الْآؤُهُ وَمَنَاقِبُهُ
خِلَافَتُهُ فَالْعَرْشُ سَعْدٌ كَوَاكِبُهُ
كَمَا مَلَكَتْ شُمَّ الْجِبَالِ كَتَائِبُهُ
رَكَائِبُهُ مَنْصُورَةٌ وَمَرَكَبُهُ

تَمَثَّلُهُ فِي نَوْمِهِ وَجُلُوسِهِ
أَقَامَ عَلَيْهِ أَلْفَ مَوْتٍ مُحَجَّبٍ
سَلَوُهُ أَلْعَنَتْ عَنْهُ فِي يَوْمِ خَلْعِهِ
وَقَدْ نَزَلَ الْمِقْدَارُ بِالْأَمْرِ صَادِعًا
وَأَخْرَجَهُ مِنْ (يَلْدِزِ) رَبِّ (يَلْدِزِ)
وَأَصْبَحَ فِي مَنْفَاهُ وَالْجَيْشُ دُونَهُ
يُنَادِيهِ صَوْتُ الْحَقِّ: نُقْ مَا أَدَقَّتَهُمْ
هُمْ مَنَحُوكَ الْيَوْمَ مَا أَنْتَ مُشْتَهٍ
وَدَعْ عَنْكَ مَا أَمَلْتَ إِنْ كُنْتَ حَازِمًا
مَضَى عَهْدُ الْإِسْتِبْدَادِ وَإِنْدَكَ صَرْحُهُ
لَكَ اللَّهُ يَا (تَمُوزُ) إِنَّكَ بَلَسَمٌ
فَكَمْ رُعْتَ جَبَّارًا وَأَرْهَقْتَ ظَالِمًا
فَدَيْنَاكَ مِنْ شَهْرٍ أَغَرَّ مُحَجَّلٍ
تُقَابِلُهُ الْأَعْيَادُ فِي الْأَرْضِ كُلَّمَا
فَفِي الْغَرْبِ عِيدٌ يَنْظُمُ الْغَرْبُ حُسْنَهُ
وَفِي الشَّرْقِ عِيدٌ لَمْ يَرَ الشَّرْقُ مِثْلَهُ
يُطِيفُونَ بِالْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَرَبُّهُ
لَتَهْنَأُ — أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ — مُحَمَّدًا
سَتَمَلِكُ أَمْوَاجَ الْبِحَارِ سَفِينُهُ
مَمَالِكُهُ مَحْرُوسَةٌ وَتُغَوَّرُهُ

(١٥) إلى البرنس حسين كامل باشا (نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩م)

رئيس مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية، عبّر فيها عن آلام الأمة المصرية وآمالها

لَقَدْ نَصَلَ الدُّجَى فَمَتَى تَنَامُ أَهْمُ ذَاكَ نَوْمَكَ أَمْ هَيَامُ

أَخُو الْبَلَوَى وَنَامَ الْمُسْتَهَامُ
وَأَوْنَةً يُقْلِبُكَ السَّقَامُ
تَعْلَمَ مِنْ مُحَاجِرِكَ الْغَمَامُ
وَأَشْفَقَ مِنْ تَلَهُّفِكَ الظَّلَامُ
وَعَيْنُ الْكَوْنِ رَنَّقَهَا الْمَنَامُ
أَذَاعَ الصَّمْتُ مَا أَخْفَى الْكَلَامُ
مَنْ الذِّكْرَى وَهَلْ رَجَعَ الْغَرَامُ؟
عَلَى فَوْدِيكَ عَلَّقَهُ الْحِمَامُ
بُكَاءُ الطُّفْلِ أَرْهَقَهُ الْفِطَامُ
وَمِصْرٌ فِي يَدِ الْبَاغِي تُضَامُ؟
هَوَى بَيْنَ الضُّلُوعِ لَهُ ضِرَامُ
وَعَالَ شَبَابِي الْخَطْبُ الْجُسَامُ
فَعَلَّمَنِي الَّذِي جَهَلَ الْأَنَامُ
وَمَالِي دُونَهَا أَمَلٌ يُرَامُ
تَصُولُ بِهَا الْفِرَاعِنَةُ الْعِظَامُ
وَأَيَّامَ الزَّمَانِ لَهَا غِلَامُ
وَبَاتَتْ مِصْرٌ فِيهِ، فَهَلْ أَلَامُ؟
تَمَخَّحَ عَظْمُهُ دَاءٌ عِقَامُ
أَطْلَّ عَلَيْهِ بِالْبَأْسَاءِ عَامُ
تَخَطَّفَ رِزْقُهُ ذَاكَ الزَّحَامُ
كَمَا اسْتَعَصَى عَلَى الطَّبِّ الْجُذَامُ
وَمَوْتُ الشَّعْبِ مَنْشُوهُ انْقِسَامُ
فَلَا سَعْيٍ هُنَاكَ وَلَا وِثَامُ
وِطَابَ لَغِيرِنَا فِيهَا الْمَقَامُ
مَذَاهِبُنَا وَأَكْثَرُنَا نِيَامُ
رِجَالًا عَنْ طِلَابِ الْحَقِّ نَامُوا
فَأَنْتَ بِكَفِّهِ نَعْمَ الْحُسَامُ

عَفَا الْمَحْزُونُ وَالشَاكِي وَأَغْفَى
وَأَنْتَ تَقْلِبُ الْكَفَّيْنِ أَنَا
تَحَدَّرْتَ الْمَدَامُ مِنْكَ حَتَّى
وَضَجَّتْ مِنْ تَقْلِبِكَ الْحَشَايَا
تَبَيَّتْ تُسَاجِلُ الْأَفْلَاكَ سُهْدًا
وَتَكْتُمُنَا حَدِيثَ هَوَاكَ حَتَّى
بِرِّكَ هَلْ رَجَعْتَ إِلَى رَسِيْسِ
وَقَدْ لَمَعَ الْمَشِيبُ وَذَاكَ سَيْفُ
أَيُّجُمْلُ بِالْأَدِيبِ أَدِيبُ مِصْرٍ
وَيَصْرِفُهُ الْهَوَى عَنْ ذِكْرِ مِصْرٍ
عَدِمْتُ يِرَاعَتِي إِنْ كَانَ مَا بِي
وَمَا أَنَا وَالْغَرَامُ — وَشَابَ رَأْسِي
وَرَبَّانِي الَّذِي رَبَّى (لَبِيدًا)
لَعَمْرُكَ مَا أَرِقْتُ لِغَيْرِ مِصْرٍ
ذَكَرْتُ جَلَالَهَا أَيَّامَ كَانَتْ
وَأَيَّامَ الرِّجَالِ بِهَا رِجَالُ
فَأَقْلَقَ مَضْجَعِي مَا بَاتَ فِيهَا
أَرَى شَعْبًا بِمَذَرَجَةِ الْعَوَادِي
إِذَا مَا مَرَّ بِالْبَأْسَاءِ عَامُ
سَرَى دَاءُ التَّوَاكُلِ فِيهِ حَتَّى
قَدْ اسْتَعَصَى عَلَى الْحُكَمَاءِ مَنَا
هَلَاكُ الْفَرْدِ مَنْشُوهُ تَوَانُ
وَأَنَا قَدْ وَنِينَا وَانْقَسَمْنَا
فَسَاءَ مَقَامُنَا فِي أَرْضِ (مِصْرٍ)
فَلَا عَجَبُ إِذَا مُلِكْتُ عَلَيْنَا
(حُسَيْنُ حُسَيْنُ) أَنْتَ لَهَا فَنَبَّةُ
وَكُنْ بِأَبِيكَ لِابْنِ أَخِيكَ عَوْنًا

فَقَدْ أَوْدَى بِنَا وَبَهَا الْخِصَامُ
فَمِثْلُكَ لَا يَرَوْعُهُ الصَّدَامُ
وإِنْ قَلُّوا فَإِنَّهُمْ كِرَامُ
كُفَاةٌ لَا يَطِيبُ لَهَا انْهَزَامُ
مِنَ النُّهْزَاتِ وَالْفُرْصِ اغْتِنَامُ
وَلَكِنْ فِي صُفُوفِهِمْ انْضِمَامُ
فَإِنَّ سَحَابَ سَاسَتِهِمْ جَهَامُ
أَرَى السُّوَّاسَ لَيْسَ لَهُمْ زِمَامُ
وَعَرَّ سَرَائِنَا مِنْهُ ابْتِسَامُ
وَجَهْلُ الشَّعْبِ وَالْفَوْضَى لِزَامُ
بِأَنَّ النَّقْصَ يَغْقُبُهُ التَّمَامُ
إِذَا لَمْ يَنْصُرِ الْعِلْمَ اعْتِزَامُ
فَمَا لِحَيَاتِهَا أَبَدًا قِوَامُ
وَقَالُوا: إِنَّهُ مَوْتُ زُؤَامُ
سِوَى الشَّرَكَاتِ حَلَّ لَهَا الْحَرَامُ
بَثَّرَوْتِنَا وَأَوَّلَهَا (التَّرَامُ)
(بَنُو التَّامِيزِ) وَانْحَسَرَ اللَّثَامُ
بِأَيْدِينَا وَقَدْ عَزَّ الْخُطَامُ
فَوَا لَهْفِي إِذَا قُطِعَ الزِّمَامُ
أَحْرَبُ فِي جِرَابِكَ أَمْ سَلَامُ
فَنَقْضِي أَمْ يُرَادُ بِنَا أَمَامُ
لَقَدْ طَاشَتْ نِبَالُكَ وَالسَّهَامُ
وَمِنْ أَبْنَاءِ نَجْدَتِكَ السَّلَامُ

أَفِضْ فِي قَاعَةِ الشُّورَى وَثَامًا
وَعَلَّمَهُمْ مُصَادِمَةَ الْعَوَادِي
فَفِي حِزْبِ الْيَمِينِ لَدَيْكَ قَوْمُ
وَفِي حِزْبِ الشَّمَالِ لَدَيْكَ أَسَدُ
فَكُونُوا لِلْبِلَادِ وَلَا يَفْتِكُكُمْ
فَمَا سَادُوا بِمُعْجِزَةٍ عَلَيْنَا
فَلَا تَثِقُوا بِوَعْدِ الْقَوْمِ يَوْمًا
وَخَافُوهُمْ إِذَا لَانُوا فَإِنِّي
فَكَمْ ضَحِكَ الْعَمِيدُ عَلَى لِحَانَا
أَبَا الْفَلَاحِ إِنَّ الْأَمْرَ فَوْضَى
فَأُسْعِدْنَا بِنَشْرِ الْعِلْمِ وَاعْلَمُ
وَلَيْسَ الْعِلْمُ يُمَسِّكُنَا وَحِيدًا
وَإِنْ لَمْ يَدْرِكِ الدُّسْتُورُ (مَضْرًا)
حَمُونَا وَرَدَّ مَاءِ (النَّيْلِ) عَذْبًا
وَمَا الْمَوْتُ الزُّؤَامُ إِذَا عَقَلْنَا
لَقَدْ سَعِدَتْ بِغَفْلَتِنَا فِرَاحَتُ
فِيَا وَيْلَ الْقَنَازَةِ إِذَا احْتَوَاهَا
لَقَدْ بَقِيَتْ مِنَ الدُّنْيَا خُطَامًا
وَقَدْ كُنَّا جَعَلْنَاهَا زِمَامًا
(فِيَا قَصْرَ الدُّبَابَةِ) لَسْتُ أُدْرِي
أَجِبْنَا، هَلْ يُرَادُ بِنَا وَرَاءُ
وَيَا حِزْبَ الْيَمِينِ إِلَيْكَ عَنَّا
وَيَا حِزْبَ الشَّمَالِ عَلَيْكَ مِنَّا

(١٦) تحية العام الهجري (سنة ١٣٢٨هـ - يناير سنة ١٩١٠م)

أَمَلْتُ سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَتَحَقَّقَا
كَأَخِيكَ مَشْتَوِمَ الْمَنَازِلِ أُخْرِقَا
مَمَّا بَهَا وَكُنَ الطَّبِيبَ مُوَفَّقَا
وَرَجَوْتُ فِيهِ الْخَيْرَ حِينَ تَأَلَّقَا
تَلَيْتُ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ لِأَعْدَقَا
مِضْرًا وَأَسْرَفَ فِي النُّحُوسِ وَأَغْرَقَا
لِسَأَلْتُ رَبِّي ضَارِعًا أَنْ يُمَحِّقَا
وَأَعَادَ لِلْأَتْرَاكِ ذَاكَ الرَّوْنَقَا
حَتَّى رَأَيْتُ الشَّاهَ يَخْشَى الْبَيْدَقَا
فَهَوَى وَحَاوَلَ أَنْ يَعُودَ فَأُخْفَقَا
وَلَقَدْ يَكُونُ وَمَا يُبَالِي الْفَيْلَقَا
بِالْمَنَازِلِ السُّودِ حَتَّى أَرْهَقَا
وَلَوْ أَنَّهَا أَبْقَتْ عَلَيْهِ لَأُورَقَا
وَمَشَى الْهَوَى بَيْنَ الرَّعِيَّةِ مُطْلَقَا
وَلَوْ أَنَّهَا تَمَّتْ لَتَمَّ بِهَا الشَّقَا
(مِضْرُ) وَمَا فِيهَا وَلَا تَنْطِقَا
صُحْفُ إِذَا نَزَلَ الْبَلَاءُ وَأَطْبَقَا
عَنَا أَسَى حَتَّى تَغْصَ وَتَشْرَقَا
نَرْمِي بِهَا وَسَوَابِقًا يَوْمَ اللَّقَا
فِيهَا الْهُمُومُ وَأَوْشَكْتُ أَنْ تَزْهَقَا
لَوْلَا الصَّمَامُ مِنَ الْأَسَى لَتَمَزَّقَا
مَاذَا أَلَمَّ بِهَا وَمَاذَا أَحْدَقَا؟
أَمِنُوا صَوَاعِقَهَا فَكَانَتْ أَضْعَقَا
يَبْنِي عَزَائِمَهَا فَكَانَتْ أَحْدَقَا
جَدَّدْتُمُ الْعَهْدَ الَّذِي قَدْ أَخْلَقَا

لِي فِيكَ حِينَ بَدَا سَنَاكَ وَأَشْرَقَا
أَشْرِقْ عَلَيْنَا بِالسُّعُودِ وَلَا تَكُنْ
قَدْ كَانَ جَرَّاحَ النُّفُوسِ فِدَاوَهَا
هَلَلْتُ حِينَ لَمَحْتُ نَوْرَ جَبِينِهِ
وَهَزَزْتُه بِقَصِيدَةٍ لَوْ أَنَّهَا
فَنَأَى بِجَانِبِهِ وَخَصَّ بِنَحْسِهِ
لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَا يُحِبُّهُ لَنَا
أَوَّلَى الْأَعَاجِمِ مِنْهُ مَذْكُورَةً
وَتَغَيَّرْتُ فِيهِ الْخُطُوبُ بِفَارِسِ
وَأَدَالَ مِنْ (عَبْدِ الْحَمِيدِ) لَشُعْبِهِ
أَمْسَى يُبَالِي حَارِسًا مِنْ جُنْدِهِ
وَرَمَى عَلَى أَرْضِ الْكِنَانَةِ جِرْمَهُ
حَصَدْتُ مَنَاجِلَهُ غِرَاسَ رَجَائِنَا
فَتَقَيَّدْتُ فِيهِ الصَّحَافَةَ عَنُودَةً
وَأَتَى يُسَاوِمُ فِي (الْقَنَاةِ) خَدِيعَةً
إِنَّ الْبَلِيَّةَ أَنْ تُبَاعَ وَتُشْتَرَى
كَانَتْ تُوَاسِينَا عَلَى أَلَامِنَا
فَإِذَا دَعَوْتُ الدَّمَعَ فَاسْتَعَصَى بَكْتُ
كَانَتْ لَنَا يَوْمَ الشَّدَائِدِ أَسْهُمًا
كَانَتْ صِمَامًا لِلنُّفُوسِ إِذَا غَلَّتْ
كَمْ نَفَسْتُ عَنْ صَدْرِ حُرٍّ وَاجِدِ
مَالِي أَنْوَحُ عَلَى الصَّحَافَةِ جَازِعًا
قَصُّوا حَوَاشِيهَا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ
وَأَتَوْا بِحَاذِقِهِمْ يَكِيدُ لَهَا بِمَا
أَهْلًا بِنَابِتَةِ الْبِلَادِ وَمَرْحَبًا

فَلَرَبِّ مَغْلُوبٍ هَوَىٰ ثُمَّ ارْتَقَى
خَيْطَ الرَّجَاءِ إِلَى الْعُلَا فَتَسَلَّقَا
إِنِّي رَأَيْتُ الْمَجْدَ صَعَبَ الْمُزْتَقَى
سَبَبًا إِلَى آمَالِهِ وَتَعَلَّقَا
— مَهْمَا تَقَلَّبَ دَهْرُهُ — أَنْ يُسَبِّقَا
لِعِبِ الشَّقَاقُ بِجَمْعِنَا فَتَفَرَّقَا
فَلَكُمْ أَفَاضَ عَلَيْكُمْ وَتَدَفَّقَا
فَتَأَنَّقُوا فِي سَلْبِنَا وَتَأَنَّقَا
يَا وَيْلَكُمْ إِنْ لَمْ تَهْزُوا الْمَشْرِقَا
لَمْ يُبْقِ بَابًا لِلْسَّعَادَةِ مُغْلَقَا
إِنَّ الْقَوَىٰ بِكُلِّ أَرْضٍ يُتَّقَى
سُورًا وَخُطُوءًا مِنْ جِذَارِ خَنْدَقَا
خَبِئُوا لَكُمْ فِي كُلِّ حَرْفٍ مَزَلَقَا
وَعُرْ أَطَافَ بِهِ الْهَلَاكُ وَحَلَقَا
لِلْسَّالِكِينَ بِكُلِّ فَجٍّ مَوْبِقَا
وَالْمَوْتُ كُلُّ الْمَوْتِ أَلَا يُطْرَقَا
وَتَعَجَّلُوهَا بِالْعِزَائِمِ وَالرُّقَى
فُرْصُ الْحَيَاةِ خَلِيقَةٌ أَنْ تُخْلَقَا
مَلِكًا بِأَمَّتِهِ أَبَرُّ وَأَرْفَقَا
تَحْتَ الْهَلَالِ يَزِينُ ذَاكَ الْمَفْرِقَا

لَا تَيَاسُوْا أَنْ تَسْتَرِدُّوْا مَجْدَكُمْ
مَدَّتْ لَهُ الْأَمَالُ مِنْ أَفْلَاكِهَا
فَتَجَشَّمُوا لِلْمَجْدِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
مَنْ رَامَ وَصَلَ الشَّمْسِ حَاكَ خُيُوطَهَا
عَارٌ عَلَى ابْنِ النَّيْلِ سَبَاقِ الْوَرَى
أَوْ كُلَّمَا قَالُوا تَجَمَّعَ شَمْلُهُمْ
فَتَدَفَّقُوا حُجْبًا وَخُوطُوا نَيْلَكُمْ
حَمَلُوا عَلَيْنَا بِالزَّمَانِ وَصَرَفَهُ
هَزُّوا مَغَارِبَهَا فَهَابَتْ بِأَسْهُمِ
فَتَعَلَّمُوا فَالْعِلْمُ مِفْتَاحُ الْعُلَا
ثُمَّ اسْتَمِدُّوا مِنْهُ كُلُّ قُوَاكُمْ
وَابْنُوا حَوَالِي حَوْضِكُمْ مِنْ يَقْظَةٍ
وَزِنُوا الْكَلَامَ وَسَدَّدُوهُ فَإِنَّهُمْ
وَأْمَشُوا عَلَى حَذَرٍ فَإِنَّ طَرِيقَكُمْ
نَصَبُوا لَكُمْ فِيهِ الْفِخَاخَ وَأَرْصَدُوا
الْمَوْتَ فِي غِشْيَانِهِ وَطُرُوقِهِ
فَتَحَيَّنُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ كَثِيرَةً
أَوْ فَاخْلُقُوهَا قَادِرِينَ فَإِنَّمَا
وَتَفَيَّئُوا ظِلَّ الْأَرِيكَةِ وَاقْصِدُوا
لَا زَالَ تَاوَجُ الْمُلْكِ فَوْقَ جَبِينِهِ

(١٧) تحية الأسطول العثماني

أنشدها في حفل أقيم بتياترو عباس في ٩ مارس سنة ١٩١٠م برئاسة رءوف باشا المعتمد
العثماني

بَالَّذِي أَجْرَاكِ يَا رِيحَ الْخُزَامَى بَلِّغِي الْبُسْفُورَ عَنْ مِصْرَ السَّلَامَا

واقطفي من كل رَوْضِ زَهْرَةٍ
وانشري رِيَّكَ في ذاك الحمى
مَلِكُ الشَّرْقِ في أَيَّامِهِ
أَيُّهَا القَائِمُ بالأَمْرِ لَقَدْ
جَرَّدَ الرَّأْيَ فَكَمْ رَأْيٍ إِذَا
وَابَعَثَ الأَسْطُولَ تَزْمِي دُونَهُ
يَكْلَا الشَّرْقَ وَيَرَعَى بُقْعَةً
وَتُغَوِّرًا هِيَ أَبْهَى مَنَظَرًا
خَصَّهَا اللَّهُ بِأَفْقٍ مُشْرِقٍ
حَيٍّ يَا مَشْرِقَ أَسْطُولِ الأَلَى
مَلَكُوا الْبَرَّ فَلَمَّا لَمْ يَسَعْ
بَجَوَارِ مُنْشَأَتِ كَالدُّمَى
كَلَّمَا أَوقَتْ عَلَى أَمْوَاجِهِ
كَانَ بِالْبَحْرِ إِلَيْهَا ظَمًا
فَهِيَ فِي السَّلْمِ جَوَارِ تُجْتَلَى
وَهِيَ فِي الْحَرْبِ قَضَاءٌ سَابِحٌ
مَا نُجُومُ الرَّجْمِ مِنْ أَبْرَاجِهَا
مِنْ مَرَامِيهَا بِأَنْكَى مَوْقِعًا
وَهِيَ بِرِكَانٍ إِذَا مَا هَاجَهَا
جَبَلَ النَّارِ لَقَدْ رُغِتَ الْوَرَى
أَنْتَ فِي الْبَرِّ بَلَاءٌ فَإِذَا
فَاتَّقُوا الطُّودَ مَكِينًا رَاسِيًا
حَمَلْتَ حَرْبًا فَكَانَتْ حِقْبَةً
خَافَهَا الْعَالَمُ حَتَّى أَصْبَحَتْ
بُعِثَ الْمَشْرِقُ مِنْ مَرْقِدِهِ
أَيُّهَا الشَّرْقِيُّ شَمَّرْ لَا تَنْمُ
وَامْتِطِ الْعِزَّمَ جَوَادًا لِلْعُلَا

واجعلِهَا لِتَحَايَانَا كِمَامَا
وَالثَّمِي الأَرْضَ إِذَا جِئْتَ الإِمَامَا
هِمَّةُ الْغَرْبِ نُهُوضًا وَعِزَامَا
قُمْتَ فِي النَّاسِ فَأَحْسَنْتَ الْقِيَامَا
سَلَّ مِنْ غِمْدِ النَّهْيِ فَلَّ الْحُسَامَا
قُوَّةُ اللَّهِ وَرَاءَ وَأَمَامَا
رَفَعَ اللَّهُ بِهَا (الْبَيْتَ الْحَرَامَا)
مِنْ تُغَوِّرِ الْغَيْدِ يُبْدِينَ ابْتِسَامَا
ضَمَّ فِي الآلَاءِ (مِصْرًا) وَ(الشَّامَا)
ضَرَبُوا الدَّهْرَ بِسَوْطٍ فَاسْتَقَامَا
مَجْدَهُمْ نَالُوا مِنَ الْبَحْرِ الْمَرَامَا
أَيْنَمَا سَارَتْ صَبَا الْبَحْرِ وَهَامَا
سَجَدَ الْمَوْجُ خُشُوعًا وَاحْتِشَامَا
وَعَجِيبٌ يَشْتَكِي الْبَحْرُ الأَوَامَا
تَبْهَرُ الْعَيْنُ رُوءًا وَنِظَامَا
يَدْعُ الْحِصْنَ تِلَالًا وَرِجَامَا
إِثْرَ عَفْرِيتٍ مِنَ الْجِنِّ تَرَامِي
لَا وَلَا أَقْوَى مِرَاسًا وَعُزَامَا
هَائِجُ الشَّرِّ عِدَاءٌ وَخِصَامَا
أَنْتَ فِي حَالِيكَ لَا تَزْعَى ذِمَامَا
رَكِبَ الْبَحْرَ غَدَا مَوْتًا زُؤَامَا
وَاتَّقُوا الطُّودَ إِذَا مَا الطُّودُ عَامَا
نُذْرًا لِلْمَوْتِ تَجْتَاحُ الأَنَامَا
رُسُلًا تَحْمِلُ أَمْنًا وَسَلَامَا
بَعْدَ حِينٍ، جَلَّ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَا
وَانْفُضَ الْعَجَزُ؛ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا
وَاجْعَلِ الْحِكْمَةَ لِلْعِزِّ زَمَامَا

فَارْكَبِ الْبَرْقَ وَلَا تَرْضَ الْغَمَامَا
رُبَّ ذِي لُبٍّ عَنِ الْحَقِّ تَعَامَى
بِالْمُرُوءَاتِ وَبِالْبَأْسِ اعْتَصَامَا
وَأَجْعَلِ الرَّحْمَةَ وَالتَّقْوَى لِزَامَا
قَادِرَ الْمَوْتِ وَأَنْ يَثْنُوا الْحِمَامَا
فَوْقَ هَامِ الشُّهْبِ فِي الْغَيْبِ مَقَامَا
طَاوَلَ الْخَالِقَ فِي الْكَوْنِ وَسَامَى
سِرَّهُ بَزًّا وَلَمْ يَخْشَ انْتِقَامَا
وَأَفِيضِي فِي بَنِي الشَّرِّقِ الْوِثَامَا
أَمْلَيْتِ التَّارِيخَ وَالْدُّنْيَا كَلَامَا
خِدْمَةَ الْأَوْطَانِ شَيْخًا وَغُلَامَا
فِي الْوَعَى أُنْدَادَ (طُوجُو) وَ(أَيَامَا)

وَإِذَا حَاوَلْتَ فِي الْأَفْقِ مُنَى
لَا تَضُقْ ذَرْعًا بِمَا قَالَ الْعُدا
سَابِقِ الْغَرْبِيِّ وَاسْبِقْ وَاعْتَصِمْ
جَانِبِ الْأَطْمَاعِ وَانْهَجْ نَهْجَهُ
طَلَبُوا مِنْ عَلِمِهِمْ أَنْ يُعْجِزُوا
وَأَرَادُوا مِنْهُ أَنْ يَرْفَعَهُمْ
(قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ)
أَخْرَجَ الْغَيْبَ إِلَى أَنْ بَزَّهُ
قُوَّةَ الرَّحْمَنِ زَيْدِينَا قُوَى
أَفْرِغِي مِنْ كُلِّ صَدْرٍ حَقْدَهُ
أَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَلْهَمَنَا
أَنْ أَرَى فِي الْبَحْرِ وَالْبَرِّ لَنَا

(١٨) حرب طرابلس (في سنة ١٩١٢م)

فَاسْتَفِقْ يَا شَرْقٍ وَاحْذَرْ أَنْ تَنَامَا
كُلُّ مَنْ يَسْكُنُ فِي الشَّرِّقِ السَّلَامَا
فِي سَبِيلِ الْحَقِّ قَدْ مِتْنَا كِرَامَا
مِنْ دَمِ الْقَتْلَى حَلَالًا وَحَرَامَا
فَاعْلُوا مِنْ ذَرَارِينَا الْحُسَامَا
بِذَوَاتِ الْخَذْرِ، طَاحُوا بِالْيَتَامَى
يَرْحَمُوا طِفْلًا وَلَمْ يُبْقُوا غُلَامَا
حَرَمْتَ (لَاهَاي) فِي الْعَهْدِ احْتِرَامَا
فَسَلُوهُ بَارَكَ الْقَوْمُ عَلَامَا؟
أَمْرًا يُلْقَى عَلَى الْأَرْضِ سَلَامَا؟
وَجَلُّوا عَنْ أَفْقِ الشَّرِّقِ الظَّلَامَا

طَمَعُ أَلْقَى عَنِ الْغَرْبِ اللَّثَامَا
وَاحْمِلِي أَيْتُهَا الشَّمْسُ إِلَى
وَاشْهَدِي يَوْمَ التَّنَادِي أَنَّنَا
مَادَتِ الْأَرْضُ بَنَا حِينَ انْتَشَتْ
عَجَزَ الطُّلِيَانِ عَنْ أَبْطَالِنَا
كَبَلُوهُمْ، قَتَلُوهُمْ، مَثَّلُوا
ذَبَحُوا الْأَشْيَاخَ وَالزَّمْنَى وَلَمْ
أَحْرِقُوا الدُّورَ، اسْتَحَلُّوا كُلَّ مَا
بَارَكَ الْمَطْرَانُ فِي أَعْمَالِهِمْ
أَبْهَذَا جَاءَهُمْ أَنْجِيلُهُمْ
كَشَفُوا عَنْ نِيَّةِ الْغَرْبِ لَنَا

أَقْسَمْتَ تَلْتَهُمُ الشَّرْقُ التِّهَامَا
يُطْلِقُ الزَّاجِلُ فِي الْجَوِّ الْحَمَامَا
يَحْمِلُ الْأَنْبَاءَ شَوْمًا وَانْهَازِمَا
فَدَعَوْهُمْ يَمْلَأُوا الدُّنْيَا كَلَامَا
أَيْنَمَا حَلُّوا هَلَاكًا وَاخْتِرَامَا
أَذْهَشَ الْعَالَمَ حَرْبًا وَنِظَامَا
جَيْشَهُ يَسْبِقُ فِي الْجَزْيِ النَّعَامَا
يُسْلِمُ الْأَرْوَاحَ أَوْ يُلْقِي الزَّمَامَا
مِنَّةً نَذْكُرُهَا عَامًا فَعَامَا
وَلِبَاسًا وَشَرَابًا وَطَعَامَا
ذَا كَلَالٍ فَعَدَا يَفْرِي الْعِظَامَا
وَرُبَانَا إِنَّهَا تَشْفِي السَّقَامَا
يُشْبِعُ الْأَيْتَامَ مِنَّا وَالْأَيَامَى
مَنْ بَنَى (التَّلْيَانِ) أَمْ تَزْعَى سَوَامَا
لَزِمُوا السَّاحِلَ خَوْفًا وَاعْتِصَامَا
نَارَ حَرْبٍ لَمْ تَكُنْ أَدْنَى ضَرَامَا
نَفَضْتُ إِفْرِيْقِيَا عَنْهَا الْمَنَامَا
مَالِكُ الْمُلْكِ جَزَاءً وَانْتِقَامَا
آتَرُوا (فِيْزَوْفَ) وَاخْتَارُوا الْمُقَامَا
تَنَكُّثُ الْعَهْدَ وَلَا تَرَعَى الذَّمَامَا
أَوْ تَعَالِ أَوْ عَنِ الْحَقِّ تَعَامَى
فِي (طَرَابُلسَ) أَبَتْ إِلَّا انْقِسَامَا
أَنْ يَرَى التَّاجَ عَلَى رَأْسِ أَقَامَا
مُلْكُ (فَكْتُورَ) وَلَمْ يَخْشَوْا مَلَامَا
قَيْدَ أَظْفُورِ وَرَاءَ أَوْ أَمَامَا
يَحْسَبُ النُّزْهَةَ فِي الْبَحْرِ صِدَامَا
وَافْتِرَاءً وَاحْتِجَاجًا وَاحْتِكَامَا

فَقَرَأْنَاهَا سُطُورًا مِنْ دَمٍ
أَطْلَقُوا الْأَسْطُولَ فِي الْبَحْرِ كَمَا
فَمَضَى غَيْرَ بَعِيدٍ وَأَنْتَنَى
قَدْ مَلَأْنَا الْبَرَّ مِنْ أَشْلَائِهِمْ
أَعْلَنُوا الْحَرْبَ وَأَضْمَرْنَا لَهُمْ
خَبْرُوا (فَكْتُورَ) عَنَّا أَنَّهُ
أَذْهَشَ الْعَالَمَ لَمَّا أَنْ رَأَوْا
لَمْ يَقِفْ فِي الْبَرِّ إِلَّا رَيْثِمَا
حَاتِمَ الطُّلِيَانَ قَدْ قَلَّدْتَنَا
أَنْتَ أَهْدَيْتَ إِلَيْنَا عُدَّةً
وَسِلَاحًا كَانَ فِي أَيْدِيكُمْ
أَكْثَرُوا النُّزْهَةَ فِي أَحْيَائِنَا
وَأَقِيمُوا كُلَّ عَامٍ مَوْسِمًا
لَسْتُ أَدْرِي بِتَّ تَرَعَى أُمَّةً
مَا لَهُمْ — وَالنَّصْرُ مِنْ عَادَاتِهِمْ —
أَفْلَتُوا مِنْ نَارِ (فِيْزَوْفَ) إِلَى
لَمْ يَكُنْ (فِيْزَوْفَ) نَمَ عَنْهُمْ فَقَدْ
فَهِيَ بُرْكَانُ لَهُمْ سَخَّرَهُ
لَوْ دَرَوْا مَا حَبَأَ الشَّرْقُ لَهُمْ
تِلْكَ عُقْبَى أُمَّةٍ غَايِرَةٍ
تِلْكَ عُقْبَى كُلِّ جَبَّارٍ طَغَى
لَوْ دَرَتْ (رُومَةُ) مَا قَدْ نَابَهَا
وَأَبَى كُلُّ اشْتِرَاكِيٍّ بِهَا
أَعْلَنُوا ضَمَّ مَغَانِينَا إِلَى
أَعْلَنُوا الضَّمَّ وَلَمَّا يَفْتَحُوا
فَاعْجَبُوا مِنْ فَاتِحِ نِي مِرَّةٍ
وَيَرَى الْفَتْحَ ادِّعَاءً بَاطِلًا

أَيُّهَا الْحَائِزُ فِي الْبَحْرِ اقْتَرِبْ
كَمْ سَمِعْنَا عَنْ لِسَانِ الْبَرِّقِ مَا
عَامَ شَهْرَيْنِ وَلَمْ يَفْتَحْ سِوَى
دَفَنُوا تَارِيخَهُمْ فِي قَاعِهَا
فَاطْمَئِنِّي أُمَمَ الشَّرْقِ وَلَا
إِنَّ فِي أَضْلَاعِنَا أَفئِدَةً
مَنْ جَمَى (الْبُسْفُورِ) إِنَّ كُنْتَ هُمَامَا
يُزْعِجُ الدُّنْيَا إِذَا الْأَسْطُولُ عَامَا
هُوَّةَ فِيهَا الْمَلَائِكُ تَرَامِي
وَرَمَوْا فِي إِثْرِهِ الْمَجْدَ غُلَامَا
تَقْنَطِي الْيَوْمَ فَإِنَّ الْجَدَّ قَامَا
تَعَشُّقُ الْمَجْدَ وَتَأْبَى أَنْ تُضَامَا

(١٩) منظومة تمثيلية

قالها الشاعر عقب ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت انتقاماً من الأتراك؛ وذلك في عهد نشوب الحرب الطرابلسية التي وقعت بين الإيطاليين والترك في سنة ١٩١٢م، وقد فرض الشاعر هذه الرواية بين جريح من أهل بيروت، وزوج له اسمها (ليل)، وطبيب، ورجل عربيّ.

الجريح:

(لَيْلَايَ) مَا أَنَا حَيٌّ
لَمْ أَقْضِ حَقَّ بِلَادِي
شَفَيْتُ نَفْسِي لَوْ أَنِّي
(بَيْرُوتُ) لَوْ أَنَّ خَصَمًا
أَوْ دَاسَ أَرْضِكَ بَاغٍ
أَوْ حَلَّ فِيكَ عَدُوٌّ
لَكِنْ رَمَاكَ جَبَانٌ
(لَيْلَايَ) لَا تَحْسَبِينِي
وَلَا تَظَنِّي شَكَاتِي
وَلَا يُخَيِّقَنَّكَ ذِكْرِي
(بَيْرُوتُ) مَهْدُ غَرَامِي
جَرَرْتُ ذَيْلَ شَبَابِي
يُرْجَى وَلَا أَنَا مَيِّتٌ
وَهَآنَا قَدْ قَضَيْتُ
لَمَّا رُمِيتُ رَمَيْتُ
مَشَى إِلَيَّ مَشَيْتُ
لِدُسْتِهِ وَبَغَيْتُ
مُنَازِلُ مَا اتَّقَيْتُ
لَوْ بَانَ لِي لَاشْتَفَيْتُ
عَلَى الْحَيَاةِ بَكَيْتُ
مَنْ مَضَرَعِي إِنْ شَكُوتُ
(بَيْرُوتُ) أَنِّي سَلَوْتُ
فِيهَا وَفِيكَ صَبَوْتُ
لَهُوًا وَفِيهَا جَرَيْتُ

فِيهَا عَرَفْتُكَ طِفْلاً	وَمِنْ هَوَاكِ انْتَشَيْتُ
وَمِنْ عُيُونِ رُبَاهَا	وَعَذِبَ فِيكَ ارْتَوَيْتُ
فِيهَا (لَيْلَى) كِنَاسُ	وَلِي مِنَ الْعَزِّ بَيْتُ
فِيهَا بَنَى لِي مَجْداً	أَوَائِلِي وَبَنَيْتُ
(لَيْلَى) سِرَاجُ حَيَاتِي	خَبَا فَمَا فِيهِ زَيْتُ
قَدْ أَطْفَأْتُهُ كُرَاتُ	مَا مِنْ لَظَاهُنَّ فَوْتُ
رَمَى بِهِنَّ بُغَاةٌ	أَصْبَنَنِي فَتَوَيْتُ

ليلى:

لَوْ تَفْتَدَى بِحَيَاتِي	مَنْ الرَّدَى لَفَدَيْتُ
لَوْ وَقَاكَ وَفِيَّ	بِمُهِجَةٍ لَوْقَيْتُ
إِنْ عِشْتَ أَوْ مِتَّ إِنِّي	كَمَا نَوَيْتُ نَوَيْتُ

الجريح:

(لَيْلَى) عِيشِي وَقَرِّي	إِذَا الْحِمَامُ دَعَانِي
(لَيْلَى) سَاعَاتُ عُمْرِي	مَعْدُودَةٌ بِالثَّوَانِي
فَكْغَفِكْفِي مِنْ دُمُوعٍ	تَفْرِي حُشَاشَةً فَانِي
وَمَهْدِي لِي قَبْراً	عَلَى ذُرَا (لُبْنَانِ)
ثُمَّ اكْتُبِي فَوْقَ لَوْحٍ	لِكُلِّ قَاصٍ وَدَانِي:
هُنَا الَّذِي مَاتَ غَدْرًا	هُنَا فَتَى الْفِتْيَانِ
رَمَتْهُ أَيْدِي جُنَاةٍ	مِنْ جِيرَةِ النَّيِّرَانِ
قُرْصَانٍ بَحْرٍ تَوَلَّوْا	مِنْ حَوْمَةِ الْمَيْدَانِ
لَمْ يَخْرُجُوا قَيْدَ شِبْرِ	عَنْ مَسْبَحِ الْحِيتَانِ
وَلَمْ يُطِيقُوا ثَبَاتًا	فِي أَوْجِهِ الْفُرْسَانِ
فَشَمُّرُوا لَانْتِقَامٍ	مِنْ غَافِلٍ فِي أَمَانِ
وَسَوَّدُوا وَجْهَ (رُومَا)	بِالْكَيْدِ لِلجِيرَانِ

فَرُّوا مِنَ الْعِقْبَانِ	تَبَّأَ لَهُمْ مِنْ بُغَاثٍ
فِي الشَّامِ يَوْمَ طِعَانٍ	لَوْ أَنَّهُمْ نَازَلُونَا
لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ	رَأَوْا طَرَابُلُسَ تَبْدُو
بِالْمَوْتِ قَبْلَ الْأَوَانِ	يَا لَيْتَنِي لَمْ أُعَاجِلْ
رَغَمَ اعْتِدَاءِ الزَّمَانِ	حَتَّى أَرَى الشَّرْقَ يَسْمُو
لَهُ وَرَفْعَةَ شَانٍ	وَيَسْتَرِدُّ جَلالاً
كَأُمَّةٍ (الْيَابَانِ)	وَلْيَعْلَمِ الْغَرْبُ أَنَا
فِي ذِلَّةٍ وَهَوَانٍ	لَا نَرْتَضِي الْعَيْشَ يَجْرِي
مَنَازِلَ الْحَيَوَانِ	أَرَاهُمْ أَنْزَلُونَا
عَنْ رُتْبَةِ الْإِنْسَانِ	وَأُخْرِجُونَا جَمِيعًا
طِبَائِعُ الْعُمَرَانِ	وَسَوْفَ تَقْضِي عَلَيْهِمُ
وَيَسْتَوِي الْخَافِقَانِ	فَيُصْبِحُ الشَّرْقُ غَرْبًا
لِخِدْمَةِ الْأَوْطَانِ	لَاهُمْ جَدَّدُ قَوَانَا
نَشْكُو بِكُلِّ لِسَانٍ	فَنَحْنُ فِي كُلِّ صُقْعٍ
وَأُمَّةَ الْقُرْآنِ	يَا قَوْمَ إِنْجِيلٍ (عِيسَى)
فَالْمُلْكُ لِلدِّيَانِ	لَا تَقْتُلُوا الدَّهْرَ حَقْدًا

ليلي:

جَمَاعَةٌ مُقْبِلِينَا	إِنِّي أَرَى مِنْ بَعِيدٍ
لَعَلَّ فِيهِمْ مُعِينَا	لَعَلَّ فِيهِمْ نَصِيرَا

العربي:

إِنِّي سَمِعْتُ أَنِينَا	هَوْنٌ عَلَيْكَ، تَمَاسَكَ
يَشْكُو الْأَسَى أَوْ طَعِينَا	أَظُنُّ هَذَا جَرِيحًا
يَا هَذِهِ خَبْرِينَا؟	بِاللَّهِ مَاذَا دَهَاهُ

ليلي:

لقد دَهَتْهُ المَنَايا من غَارَةِ الخَائِنِيَا
صَبُّوا عَلَيْنَا الرِّزَايا لم يَتَّقُوا اللَّهَ فِيْنَا
فَخَفَّفُوا مِنْ أَذَاهُ إِنَّ كُنْتُمْ فَاعِلِينَا

العربي:

لا تَيَأْسِي، وَتَجَلَّدْ أَرَاكَ شَهْمًا رَكِينَا
أُبَشِّرُ فَإِنَّكَ نَاجٍ وَاصْبِرْ مَعَ الصَّابِرِينَا

الطبيب:

أَوَاهِ إِنِّي أَرَاهُ بِالمَوْتِ أَمْسَى رَهِينَا
جِرَاحُهُ بِالِغَاثِ تُغِييَ الطَّبِيبَ الْفَطِينَا
وَعَنْ قَرِيبٍ سَيَقْضِي غَضَّ الشَّبَابِ حَزِينَا

العربي:

أَفْ لِقَوْمٍ جِياعٍ قَدْ أَرْعَجُوا الْعَالَمِينَا
قِرَاهُمُ أَيْنَ حَلُّوا ضَرَبُ يَقْدُ الْمُتُونَا
عَقُّوا الْمُرُوءَةَ هَدُّوا مَفَاخِرَ الْأَوَّلِينَا
عَاتُوا فَسَادًا وَقَرُّوا يَسْتَعْجِلُونَ السَّفِينَا
وَأَلْبَسُوا الْغَرْبَ خَزِيًّا فِي قَرْنِهِ الْعِشْرِينَا
وَأَلْجَمُوا كُلَّ دَاعٍ وَأَخْرَجُوا الْمُصْلِحِينَا
فِيَا (أُرْبَةً) مَهْلًا أَيْنَ الَّذِي تَدَّعِينَا
مَاذَا تُرِيدِينَ مِنَّا وَالِدَاءُ أَمْسَى دَفِينَا
أَيْنَ الْحَضَارَةُ إِنَّا بَعِيشْنَا قَدْ رَضِينَا
لَمْ نُؤْذِ فِي الدَّهْرِ جَارًا وَلَمْ نُخَاتِلْ خَدِينَا

إِخْوَانُكُمْ مَا حَينَا	(مَسْرَّة) الشَّامِ إِنَّا
بَكُمْ وَجِئْنَا قَطينَا	ثَقُوا فَإِنَّا وَثِقْنَا
يَدْعُو إِلَى الْخَيْرِ فِينَا	إِنَّا نَرَى فِيكَ (عِيسَى)
قَدْ أَوْشَكَتُ أَنْ تَبِينَا	قَرَّبَتْ بَيْنَ قُلُوبٍ
وَصَاحِبُ الْمُسْلِمِينَ	فَأَنْتَ فَخْرُ النَّصَارَى

الجريح:

وَهَمْسَه فِي فُؤَادِي	رَأَيْتُ يَأْسَ طَبِيبِي
أَقْضِي وَتَحْيَا بِلَادِي	لَا تَنْدُبِينِي فَإِنِّي

العربي:

نَدْبًا طَوِيلَ النُّجَادِ	أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ شَهْمًا
كَانَتْ رَجَاءَ الْبِلَادِ	أَسْتَوْدِعُ اللَّهَ رُوحًا
عَدْرًا كُرَاتُ الْأَعَادِي	فِيَا شَهِيدًا رَمْتُهُ
فَلَمْ تَنْمِ أَحْقَادِي	نَمْ هَانِيًا مُطْمَئِنًّا
يُذِيبُ قَلْبَ الْجَمَادِ	فَسَوْفَ يُرْضِيكَ ثَأْرُ

(٢٠) استقبال الطيَّار العثماني فتحي بك

نشرت في سنة ١٩١٤م ويلاحظ أنَّ هذه القصيدة كانت قد أُعدَّت لاستقبال الطيَّار المذكور، فسقطت به طائرته، ومات قبل إتمام رحلته إلى مصر فرأى حافظ من الوفاء نشر هذه القصيدة بعد موته؛ لتكون له حيًّا وميتًا.

فِي الْمَشْرِقَيْنِ عَلَا وَطَارُ	أَهْلًا بِأَوَّلِ مُسْلِمٍ
لَكَ تَجَاذَبَا ذَيْلَ الْفَخَارِ	النَّيْلُ وَالْبُسْفُورُ فِيهِ
حَمِيمُونَ وَاجْتَزَتْ الْقِفَارُ	يَوْمَ امْتَطَيْتَ بُرَاقَكَ الْـ

تَلْهُو وَتَعْبَثُ بِالرِّيَا
لو سَابَقْتَنكَ سَوَابِقُ الـ
حَسَدَتِكَ فِي الْأَفْقِ الْبُرُ
تَجْرِي بِسَابِحَةٍ تَشُ
وَتَكَادُ تَقْدَحُ فِي الْأَثِي
مثل الشُّهَابِ انْقَضَ فِي
فَإِذَا عَلَتْ فَكَدَعُوهُ الـ
وَإِذَا هَوَتْ فَكَمَا هَوَتْ
وَتُسِفُ أَوْنَةً وَآ
فِيخَالُهَا الرَّاوُونَ قَدْ
لِعَبِّ الْجَوَادِ أَقْلٌ لَيْ
أَوْ كَاللَّعُوبِ مِنَ الْحَمَا
وَكَأَنَّهَا فِي الْأَفْقِ حَيْ
وَالشَّمْسُ تُلْقِي فَوْقَهَا
مَلِكٌ تُمَثِّلُهُ لَنَا (السُّ
(فَتَحِي) بَرَبِّكَ مَا رَأَيْ
أَبْلَغْتَ تَسْبِيحَ الْمَلَا
أَمْ خِفْتَ تِلْكَ الرَّاصِدَا
أَرَأَيْتَ سُكَّانَ النُّجُ
أَهْنَاكَ فِي (الْمَرِيخِ) مَا
أَهْنَاكَ يَسْتَعْدِي الضَّعِي
مَا لَابِنِ آدَمَ زَادَ فِي
يَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَه
أَمْ لَأَنْ مُعْتَصِمًا بِكُرْ
فَاسْتَلَّ مِنْ قَلْبِ الْجَمَا
وَتَسَلَّقَ الْأَجْوَاءَ مُمَّ
يَرْجُو النَّجَاءَ مِنَ الْمَظَا

ح عَلَى الْمَفَاوِزِ وَالْبِحَارِ
أَفْكَارِ أَدْرَكَهَا الْعِشَارُ
قُ وَغَارَ فِي الْأَرْضِ الْبُخَارُ
قُ سَبِيلَهَا شَقَّ الْإِزَارُ
رَ فَيَسْتَحِيلُ إِلَى شَرَارُ
آثَارِ عِفْرِيَّتِ وَثَارُ
مُضْطَرَّ تَخْتَرِقُ السَّتَارُ
أَنْثَى الْعُقَابِ عَلَى الْهَزَارُ
وَنَهْ يَحِيدُ بِهَا اِزْوَارُ
قَرَّتْ وَلَيْسَ بِهَا قَرَارُ
سُتًا مِنْ قُضَاعَةٍ أَوْ نِزَارُ
يَمُ فَوْقَ مَلْعِيهِ اسْتِطَارُ
سَ يَمِيلُ مِيزَانُ النَّهَارُ
حُلُلُ احْمِرَارٍ وَاصْفِرَارُ
سَمَا) فَيَأْخُذُنَا انْبِهَارُ
سَتْ بِذَلِكَ الْفَلَكَ الْمُدَارُ
ئِكَ أَوْ دَنَوْتَ مِنَ السَّرَارُ
تِ هُنَاكَ مِنْ شُهْبٍ وَنَارُ
مِ وَأَنْتَ فِي ذَاكَ الْجَوَارُ
فِي الْأَرْضِ مِنْ عِلَلِ الشَّجَارُ
فُ عَلَى الْقَوِيِّ فَلَا يُجَارُ
غُلُوَاهُ فَطَغَى وَجَارُ
فِي عَالَمِ الْمَلَكَوَتِ ثَارُ
سَيِّ الْمُهَيِّمِينَ وَاسْتِجَارُ
دِ الصُّلْبِ أَجْنَحَةٌ وَطَارُ
تَطَئًا عَوَاصِفَهَا وَسَارُ
لِمِ وَالْمَغَارِمِ وَالْدَّمَارُ

يَأْيُهَا الطَّيَّارُ طِرْ
 فزُرِ السُّهَى وَالْفَرْقَدِيَّ
 وَسَلِ النُّجُومَ عَنِ الْحَيَا
 هُمْ يُنَبِّئُونَكَ أَنَّ كُلَّ
 وَالظُّلْمَ مِنْ طَبْعِ النَّظَا
 إِنَّ الَّذِي بَرَأَ السَّيِّدِ
 فِي الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسَّ
 خُلِقَ الضَّعِيفُ لخدمَةِ الـ
 فَتَقَوَّ يَرْهَبُكَ الْقَوِ
 فِي الْأَرْضِ مَا تَبْغُونَ مِنْ
 فِيهَا الْحَدِيدُ وَفِيهِ بَأُ
 فِيهَا الْكُنُوزُ الْحَافِلَا
 مِنْهَا اسْتَمَدَّ قُوَاهُ مَنْ
 وَبِمَا احْتَوَتْ رَدَّ الْحَصِي
 فِي ذِمَّةِ الْأَفَاقِ سِرْ
 وَاجْعَلْ تَحِيَّتَنَا إِلَى
 دَارُ عَلَيْهَا لِلْخِلَا
 دَارُ الْغُزَاةِ الْفَاتِحِي
 فِي كُلِّ حَاضِرَةٍ لَهُمْ
 ضَرَبُوا الزَّمَانَ بِسَوْطِ عِزْ
 يَمْشُونَ فِي غَابِ الْقَنَا
 مِنْ كُلِّ أَرْوَاعٍ فَاتِكِ
 ذِي مِرَّةٍ تَشْجِيهِ ذَا
 يَغْشَى الْمَعَامِعَ ضَارِبًا
 لَا يَنْتَنِي أَوْ تَخْرُجَ الـ
 عَبَسَتْ لَهُمْ أَيَّامُهُمْ
 مَا عَابَهُمْ أَنَّ الصُّعُ

فَإِذَا بَلَغْتَ مَدَى الْمَطَارِ
 مِنْ إِذَا أُتِيحَ لَكَ الْمَزَارِ
 فِي السُّؤَالِ لَكَ اعْتِبَارِ
 لَ الْكَائِنَاتِ إِلَى بَوَارِ
 مَ فَإِنَّ ظَلِمْتَ فَلَا تُمَارِ
 مَ هُوَ الَّذِي بَرَأَ الْغُبَارِ
 سُفْلِي أَحْكَامُ تُدَارِ
 أَقْوَى وَلَيْسَ لَهُ خِيَارِ
 يُ وَهُنُ يُلَازِمُكَ الصَّغَارِ
 عِزٍّ وَأَمَالٍ كِبَارِ
 سَ يَوْمَ يُمْتَحَنُ الذُّمَارِ
 تُ لِمَنْ تَبَصَّرَ وَاسْتَنَارِ
 قَهَرَ الْمَمَالِكَ وَاسْتَعَارِ
 فُ الرَّاْيِ غَارَةً مَنْ أَعَارِ
 وَارْجِعْ إِلَى تِلْكَ الدِّيَارِ
 بَلَدَ بِهِ لِلْمُلْكِ دَارِ
 فَةٍ وَالْهُدَى رُفِعَ الْمَنَارِ
 نَ الصَّفْوَةِ الْغُرِّ الْخِيَارِ
 عَزُوفُ فَفَتْحُ فَاَنْتِصَارِ
 رَتِيهِمْ فَلَانَ لَهُمْ فِدَارِ
 مَشْيِ الْمُرْنَجِ بِالْعُقَارِ
 لَا يَسْتَشِيرُ سَوَى الْغِرَارِ
 تُ النَّقْعِ لَا ذَاتُ الْخِمَارِ
 بِحَيَاتِهِ ضَرَبَ الْقِمَارِ
 أَجْرَامُ عَنْ فَلَكِ الْمَدَارِ
 وَالْعَبَسُ يَعْقُبُهُ افْتِرَارِ
 دَ يَلِيهِ فِي الدَّهْرِ انْحِدَارِ

فَلِكُلِّ غَادٍ رَوْحَةٌ وَلِكُلِّ وُضَاءٍ سِرَارٌ
وَلَسَوْفَ يَغْلُو نَجْمُهُمْ وَيَسْوُدُ ذِيَاكَ الشِّعَارُ

(٢١) إلى معتمد بريطانيا في مصر (نشرت في يناير سنة ١٩١٥م)

قالها عند تعيين معتمد جديد لبريطانيا، وهو السير مكماهون

أَيُّ (مَكْمَهُونُ) قَدِمْتَ بَالِ
مَاذَا حَمَلْتَ لَنَا عَنِ الْـ
أَوْضَحِ (لِمَصْرَ) الْفَرْقِ مَا
وَأَزِلْ شُكُوكًا بِالنَّفْوِ
وَدِعِ الْوُعُودَ فَإِنَّهَا
أَضَحَّتْ رُبُوعَ النَّيْلِ سَلْ
فَتَعْهَدُوهَا بِالصَّلَا
إِنَّا لَنَشْكُو وَاثْقِي
نَرْجُو حَيَاةَ حُرَّةٍ
وَنَرُومُ تَعْلِيمًا يَكُونُ
وَنُودٌ أَلَّا تَسْمَعُوا
أَنْتُمْ أَطِبَّاءُ الشُّعُو
أَنْتِي حَلَلْتُمْ فِي الْبِلَا
رَسَخْتَ بِنَايَهُ مَجْدِكُمْ
وَعَدَلْتُمْ فَمَلَكْتُمْ الذِّ
إِنْ تَنْصُرُوا الْمُسْتَضْعَفِي
أَوْ تَعْمَلُوا لَصَلَاحِنَا
إِنَّا بَلَّغْنَا رُشْدَنَا
لَا تَأْخُذُونَا بِالْكَلا
هَذَا (حُسَيْنٌ) فَوْقَ عَرْ
هُوَ خَيْرٌ مَن يَبْنِي لَنَا

قَصْدِ الْحَمِيدِ وَبِالرَّعَايَةِ
حَمَلِكِ الْكَبِيرِ وَعَنْ (غَرَايَةِ)؟
بَيْنَ السِّيَادَةِ وَالْحِمَايَةِ
سِ تَعَلَّقْتُ مِنْذُ الْبَدَايَةِ
فِي مَا مَضَى كَانَتْ رِوَايَةُ
طَنَةٍ وَقَدْ كَانَتْ وَلَايَةُ
حِ وَأَحْسِنُوا فِيهَا الْوَصَايَةَ
مَنْ بَعْدَ مَنْ يُشْكِي الشُّكَايَةَ
مَضْمُونَةٍ فِي ظِلِّ رَايَةٍ
نُ لَهُ مِنَ الْفَوْضَى وَقَايَةٍ
فِينَا السَّعَايَةِ وَالْوِشَايَةِ
بِ وَأَنْبَلُ الْأَقْوَامِ غَايَةِ
دِ لَكُمْ مِنَ الْإِصْلَاحِ آيَةِ
فَوْقَ الرُّوِيَةِ وَالْهَدَايَةِ
نِيَا وَفِي الْعَدْلِ الْكِفَايَةِ
مَنْ فَتَحْنَا أَوْضَعَهُمْ نَكَايَةِ
فَتَدَارَكُوهُ إِلَى النُّهَايَةِ
وَالرُّشْدُ تَسْبِقُهُ الْغَوَايَةِ
مِ فَلَيسَ فِي الشُّكُوى جِنَايَةِ
شِ (النَّيْلِ) تَحْرُسُهُ الْعِنَايَةِ
فَدَعُوهُ يَنْهَضُ بِالْبِنَايَةِ

(٢٢) إلى غليوم الثاني إمبراطور ألمانيا (نشرت في يناير سنة ١٩١٥م)

قالها يَنكر عليه إثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيها من الفظائع

لله آثارُ هُناكَ كَرِيمَةٌ
طاحَتْ بها تِلْكَ المَدافِعُ تارَةً
ماذا رَأَيْتَ مِنَ النِّبَالَةِ والعُلا
لو أَنَّ في (بِرْلين) عِنْدَكَ مِثْلُها
إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هَدَمْتَ (رِمَس) فَإِنَّه
لم يُغْنِ عنها مَعْبَدٌ خَرِبَتْه
لا تَحْسَبَنَّ الفَخْرَ ما أَحْرَزَتْه
هل شَدَّتْ في (بِرْلين) غَيْرَ مُعَسِّكَرٍ
وَجَمَعْتَ شَعْبَكَ كُلَّه في قَبْضَةٍ
نَظَّمْتَ تِجارَتَكَ المَدائِنَ والقُرَى
فَبِكُلِّ أَرْضٍ من رِجالِكَ عُصْبَةٌ
تَسْرِي وَتَسْرُكُ أَتَيْنَ لُحْنَ يَظِلُّها
فالأَمْرُ أَمْرُكَ والمُهَنْدُ مُغَمَّدٌ
قد كان في (بِرْلين) شَعْبُكَ وادِعًا
فُتِحَتْ له أَبوابُها فَسَبِيلُها
فَعَلَّامٌ أَرَهَقَتْ الْوَرَى وأَثَرَتْها
تالِهٌ لو نُصِرَتْ جُيُوشُكَ لَأَنْطَوَى
سَبْعُونَ مِليونًا إِذا وَزَعَتْها
وَيْلٌ لِمَنْ يَسْتَعْمِرُونَ بِلادَه
أَكْثَرَتْ من ذِكْرِ الإله تَوَرُّعًا
عَجَبًا أَتَذْكُرُهُ وتَمَلًّا كَوْنَه
وكذلكَ القِصَابُ يَذْكُرُ رَبَّه

حَسَدَتْ رَوائِعَ حُسْنِها (بِرْلينُ)
لَمَّا أَمَرَتْ وتارَةً (زِبْلينُ)
في عُدْمِهِنَّ وكُلُّهُنَّ غَيُونُ
لَعَرَفَتْ كَيْفَ تُجَلُّها وتَصُونُ
أودى بِمَجْدِكَ رُكْنُها المَوْهُونُ
ظُلُمًا ولم يُمْسِكْ عِناقَكَ دِينُ
الفَخْرُ بالذِّكْرِ الجَمِيلِ رَهينُ
قَامَتْ عليه مَعاقِلُ وحُصُونُ
إِنْ لم تَكُنْ لَأَنْتَ فَسَوْفَ تَلِينُ
(فالنَّيْلُ) ناءٌ بها وناءٌ (السَّيْنُ)
وبِكُلِّ بَحْرٍ من لَدُنْكَ سَفِينُ
لا اللَّيْثُ يُزْعِجُها ولا التَّنِينُ
والنَّهْيُ نَهْيُكَ والسُّرَى مَأْمُونُ
يَسْتَعِمِرُ الأسواقَ وهي سُكُونُ
وَقَفَّ عليه وَرِزْقُه مَضْمُونُ
شَعْوَاءَ فيها لِلهَلَاكِ فُنُونُ؟
أَجَلُ السَّلَامِ وأَقْفَرُ المَسْكُونُ
بَيْنَ الحَوَاضِرِ نالنا مِليونُ
القَحْطُ أَيْسَرُ خَطْبِه والهُونُ
وَزَعَمْتَ أَنَّكَ مُرْسَلٌ وأَمِينُ
وَيْلًا لِيَنْعَمَ شَعْبُكَ المَغْنُونُ
والنَّصْلُ في عُنُقِ الذَّبِيحِ دَفِينُ

(٢٣) الحرب العظمى (نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٥م)

لَهُمْ إِنَّ الْعَرْبَ أَصْبَحَ شُعْلَةً
الْعِلْمُ يُذْكَى نَارُهَا وَتُثِيرُهَا
وَلَقَدْ حَسِبْتُ الْعِلْمَ فِينَا نِعْمَةً
فَإِذَا بِنِعْمَتِهِ بَلَاءٌ مُرْهَقُ
عَجَزَ الرُّمَاءُ عَنِ الرُّمَاءِ فَأَرْسَلُوا
تَتَعَوَّدُ الْأَفَاقُ مِنْهُ وَتَنْتَنِي
وَتَنَابِلُوا بِالْكَيمِيَاءِ فَأَسْرَفُوا
وَتَنَارَلُوا فِي الْجَوِّ حِينَ بَدَأَ لَهُمْ
نَفَسُوا عَلَى الْحَيَاتَانِ وَاسِعَ مُلْكِهَا
مَلَكُوا مَسَابِحَهَا عَلَيْهَا بَعْدَمَا
إِنْ كَانَ عَهْدُ الْعِلْمِ هَذَا شَأْنُهُ

مِنْ هَوْلِهَا أُمُّ الصَّوَاعِقِ تَفَرَّقُ
مَدَنِيَّةٌ خَرَقَاءُ لَا تَتَرَفَّقُ
تَأْسُو الضَّعِيفَ وَرَحْمَةً تَتَدَفَّقُ
وَإِذَا بِرَحْمَتِهِ قَضَاءٌ مُطْبِقُ
كَسَفًا يَمُوجُ بِهَا دُخَانٌ يَخْنُقُ
عَنْهُ الرِّيَّاحُ وَيَتَّقِيهِ الْفَيْلَقُ
وَتَسَاجَلُوا بِالْكَهْرِبَاءِ فَأَغْرَقُوا
أَنَّ الْبَسِيطَةَ عَنْ مَدَاهِمُ أَضِيقُ
فَتَفَنَّنُوا فِي سَلْبِهِ وَتَأَنَّقُوا
عَلَبُوا النُّسُورَ عَلَى الْجَوَاءِ وَحَلَّقُوا
فِينَا فَعَهْدُ الْجَاهِلِيَّةِ أَرْفَقُ

(٢٤) مظاهرات السيِّدات

قالها في مظاهرة قامت بها السيِّدات في الثورة الوطنيَّة في سنة ١٩١٩م ونشرت إذ ذاك في منشورات وطنيَّة، وتأخَّر نشرها في الصحف إلى ١٢ مارس سنة ١٩٢٩م

خَرَجَ الْغَوَانِي يَحْتَجِّجُ
فَإِذَا بِهِنَّ تَخِذْنَ مِنْ
فَطْلَعْنَ مِثْلَ كَوَاكِبِ
وَأَخَذْنَ يَجْتَزْنَ الطَّرِيقَ
يَمْشِينَ فِي كَيْفِ الْوَقَا
وَإِذَا بِجَيْشٍ مُقْبِلِ
وَإِذَا الْجُنُودُ سَيُوفُهَا
وَإِذَا الْمَدَافِعُ وَالْبِنَا

نَ وَرُحْتُ أَرْقُبُ جَمْعَهُنَّ
سُودِ النِّيَابِ شِعَارَهُنَّ
يَسْطَعْنَ فِي وَسْطِ الدُّجْنِ
قَى وَدَارُ (سَعْدٍ) قَصْدَهُنَّ
رِ وَقَدْ أَبَنَّ شَعُورَهُنَّ
وَالْخَيْلُ مُطْلَقَةُ الْأَعْنَى
قَدْ صُوِّبَتْ لِنُحُورِهِنَّ
يَقُ وَالصُّوَارِمُ وَالْأَسْنَى

وَالْخَيْلُ وَالْفُرْسَانُ قَدْ
وَالْوَرْدُ وَالرَّيْحَانُ فِي
فَتْطَاخَنَ الْجَيْشَانِ سَا
فَتَضَعُ النُّسَوَانَ وَالذَّ
ثُمَّ انْهَزَمْنَ مُشْتَتَاتَا
فَلِيَهْنَأَ الْجَيْشُ الْفَخُو
فَكَأَنَّمَا الْأَلْمَانُ قَدْ
وَأَتُوا (بِهَنْدُنْبُرَج) مُحْ
فَلَذَاكَ خَافُوا بِأَسْهَنَ

ضَرَبَتْ نِطَاقًا حَوْلَهُنَّ
ذَاكَ النَّهَارِ سِلَاحُهُنَّ
عَاتٍ تَشِيبُ لَهَا الْأَجِنَّةُ
سَوَانُ لَيْسَ لِهِنَّ مِنْهُ
بِ الشَّمْلِ نَحْوُ قُصُورِهِنَّ
رُ بِنَصْرِهِ وَبِكَسْرِهِنَّ
لَبَسُوا الْبَرَاقِعَ بَيْنَهُنَّ
حَتْفِيًا بِمَصْرَ يَقُودُهُنَّ
نَ وَأَشْفَقُوا مِنْ كَيْدِهِنَّ

(٢٥) أَيَا صُوفِيَا

قالها حين خيف على الأستانة أن تمتلكها دول الحلفاء وتنزعها من يد الأتراك وذلك عقب الحرب العظمى، وكانت جيوش تلك الدول قد احتلت هذه المدينة (وتأخر نشر هذه القصيدة إلى سنة ١٩٣٢م)

(أَيَا صُوفِيَا) حَانَ التَّفَرُّقُ فَادْكُرِي
إِذَا عُدْتَ يَوْمًا لِلصَّلِيبِ وَأَهْلِهِ
وَدُقَّتْ نَوَاقِيسُ وَقَامَ مُزْمَرُ
فَلَا تُنْكِرِي عَهْدَ الْمَآذِنِ إِنَّهُ
تَبَارَكْتَ، (بَيْتُ الْقُدُسِ) جَذْلَانُ آمِنُ
أَيَرْضِيكَ أَنْ تَغْشَى سَنَابِكَ خَيْلَهُمْ
وَكَيْفَ يَذِلُّ الْمُسْلِمُونَ وَبَيْنَهُمْ
نَبِيُّكَ مَحْزُونٌ وَبَيْتُكَ مُطْرَقُ
عَصِينَا وَخَالَفْنَا فَعَاقَبْتَ عَادِلًا

عُهُودَ كِرَامٍ فِيكَ صَلُّوا وَسَلَّمُوا
وَحَلَّى نَوَاجِيكَ الْمَسِيحُ وَمَرِيمُ
مِنَ الرُّومِ فِي مِحْرَابِهِ يَتَرَنَّمُ
عَلَى اللَّهِ مِنْ عَهْدِ النُّوَاقِيسِ أَكْرَمُ
وَلَا يَأْمَنُ (الْبَيْتُ الْعَتِيقُ) الْمُحَرَّمُ
حِمَاكَ وَأَنْ يَمْنَى (الْحَطِيمُ) وَ(زَمَزَمُ)؟
كِتَابُكَ يُتْلَى كُلَّ يَوْمٍ وَيُكْرَمُ؟
حَيَاءٌ وَأَنْصَارُ الْحَقِيقَةِ نَوْمُ
وَحَكْمَتُ فِينَا الْيَوْمَ مَنْ لَيْسَ يَرْحَمُ

(٢٦) مصر

أنشدها في الحفل الذي أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلي يكن باشا بعد عودته من أوروبا قاطعاً المفاوضة مع الإنجليز ومستقياً من الوزارة.
نشرت في ١٥ ديسمبر سنة ١٩٢١م وهذه القصيدة على لسان مصر تتحدث عن نفسها

كيف أبني قواعدَ المَجْدِ وَحْدِي
رِ كَفُونِي الكَلَامَ عندَ التَّحْدِي
قِ وَدَّرَاتِهِ فَرَائِدُ عِقْدِي
سِ جَمَالاً وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُ عِنْدِي؟
وَسَمَائِي مَصْقُولَةٌ كَالْفِرْنِ
عندَ زَهْرٍ مُدْنِرٍ عندَ رَنْدٍ
من كُهولٍ مِلءِ العُيُونِ وَمُرْدٍ
مُعْجِزَاتِ الذِّكَاءِ فِي كُلِّ قَصْدٍ
صَدَأَ الدَّهْرُ مِنْ ثَوَاءِ وَغَمْدٍ
كُنَّ كَالْمَوْتِ مَا لَهُ مِنْ مَرْدٍ
لَا تَرَى الشَّرْقَ يَرْفَعُ الرَّأْسَ بَعْدِي
مَنْ قَدِيمِ عَنَايَةِ اللَّهِ جُنْدِي
ثُمَّ زَالَتْ وَتِلْكَ عُقْبَى التَّعْدِي
رَغْمَ رُقْبَى الْعِدَا وَقَطَعْتُ قَدِّي
نَيْتُ حَيْنِي وَهَيَّا الْقَوْمَ لَحْدِي
مِثْلَ مَا أَنْكَرُوا مَاثِرَ وَلَدِي
بَرٍ يَوْمًا فَرَيْتُمْ بَعْضَ جُهْدِي؟
أَعْجَزَتْ طَوْقَ صَنَعَةِ الْمُتَحْدِي؟
عِدْ وَمَا مَسَّ لَوْنَهَا طَوْلُ عَهْدٍ
مِنْ عُلُومِ مَخْبُوءَةِ طَيِّ بَرْدِي؟
رَ وَأَبْلَى الْبِلَى وَأَعْجَزَ نِدِي

وَقَفَ الْخَلْقُ يَنْظُرُونَ جَمِيعًا
وَبُنَاةَ الْأَهْرَامِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
أَنَا تَاجُ الْعَلَاءِ فِي مَفْرِقِ الشَّرِّ
أَيُّ شَيْءٍ فِي الْغَرْبِ قَدْ بَهَرَ النَّاسَ
فَتْرَابِي تَبَرُّ وَنَهْرِي فُرَاتُ
أَيْنَمَا سِرَتْ جَذُولٌ عِنْدَ كَرَمٍ
وَرَجَالِي لَوْ أَنْصَفُوهُمْ لَسَادُوا
لَوْ أَصَابُوا لَهُمْ مَجَالًا لَا يَبْدُوا
إِنَّهُمْ كَالظُّبَا أَلَحَّ عَلَيْهَا
فَإِذَا صَيَّقُلُ الْقَضَاءِ جَلَاهَا
أَنَا إِنْ قَدَّرَ إِلَهُ مَمَاتِي
مَا رَمَانِي رَامَ وَرَاحَ سَلِيمًا
كَمْ بَعَثَتْ دَوْلَةً عَلَيَّ وَجَارَتْ
إِنْنِي حُرَّةٌ كَسَرْتُ قَيْوَدِي
وَتَمَاثَلْتُ لِلشِّفَاءِ وَقَدْ دَا
قُلْ لِمَنْ أَنْكَرُوا مَفَاخِرَ قَوْمِي
هَلْ وَقَفْتُمْ بِقِمَّةِ الْهَرَمِ الْأَكْبَرِ
هَلْ رَأَيْتُمْ تِلْكَ النُّقُوشَ اللَّوَاتِي
حَالَ لَوْنُ النَّهَارِ مِنْ قَدَمِ الْعَهْدِ
هَلْ فَهَمْتُمْ أَسْرَارَ مَا كَانَ عِنْدِي
ذَاكَ فَنَ التَّحْنِيطِ قَدْ غَلَبَ الدَّهْرُ

نَ ففِي (مِصْرَ) كَانَ أَوَّلُ عَقْدٍ
مَنْ لَهُ مِثْلُ أُولِيَّاتِي وَمَجْدِي؟
مَا نَ عَنِّي الْأَصُولَ فِي كُلِّ حَدٍّ
فِي سَمَاءِ الدُّجَى فَأَحْكَمْتُ رَضْدِي
قَبْلَ عَهْدِ الْيُونَانِ أَوْ عَهْدِ (نَجْدِ)
فَفَرَقَنَ الْبِحَارَ يَحْمِلْنَ بَنْدِي
لِي سَرِيًّا وَطَالِعِي غَيْرَ نَكْدِ
وَسَلَوْا الْبَرَّ عَنْ مَوَاقِعِ جُرْدِي
فِي مَرَايِسَ لَمْ أَبْلُغِ الْيَوْمَ رُشْدِي؟
وَارِفِ الظِّلَّ أَخْضَرَ اللَّوْنِ رَغْدِ؟
سَمَاءَ صَفَوْا وَأَنْ يُكَدَّرَ وَرْدِي؟
أَسَدَ مِنْهُمْ وَأَنْ تَقْيَدَ أُسْدِي؟
مَا يُعَانِي هَوَانَهُ كُلُّ عَبْدٍ
ئِي فَشَدُّوا إِلَى الْعُلَا أَيَّ شَدٍّ
يَا نَ أَمْضَى مِنْ كُلِّ أَبْيَضٍ هِنْدِي
مَنْ رَجَالِي فَأَنْجِزُوا الْيَوْمَ وَعْدِي
تَشْنَأُ الْمَهْرَ مِنْ غُرُوضٍ وَنَقْدِ
يَخْطُبُ النِّجْمَ فِي الْمَجَرَّةِ وَدِي
لِقَاقِ فَالْعِلْمِ وَحَدَهُ لَيْسَ يُجْدِي
رَقَّ قَوْمًا فَمَا لَهُ مِنْ مَسَدٍ
مَ وَأَعْنَى عَنْ اخْتِرَاعٍ وَعَدٍّ
صَابِرَاتٍ وَأَوْجِهٍ غَيْرِ رُبْدِ
بِ وَأَنْحَى عَلَى الْقَوِي الْأَشَدِّ
كَحَلَّتْهَا الْأَطْمَاعُ فَيْكُمْ بِسُهْدِ
كُمُ وَيَطْوِي شِعَاعَهُ كُلُّ بُعْدِ
غَيْرِ رَثِّ الْعُرَا وَسَعْيٍ وَكَدٍّ
رُبُّ هَافٍ هَافًا عَلَى غَيْرِ عَمْدِ

قَدْ عَقَدْتُ الْعُهُودَ مِنْ عَهْدِ فِرْعَوْنَ
إِنَّ مَجْدِي فِي الْأُولِيَّاتِ عَرِيقُ
أَنَا أُمُّ التَّشْرِيعِ قَدْ أَخَذَ الرُّوْ
وَرَصَدْتُ النُّجُومَ مِنْذُ أَضَاءَتْ
وَشَدَا (بِنْتِئُورُ) فَوْقَ رُبُوعِي
وَقَدِيمًا بَنَى الْأَسَاطِيلَ قَوْمِي
قَبْلَ أَسْطُولِ (نَلْسَن) كَانَ أَسْطُو
فَسَلَوْا الْبَحْرَ عَنْ بَلَاءِ سَفِينِي
أُتْرَانِي وَقَدْ طَوَيْتُ حَيَاتِي
أَيُّ شَعْبٍ أَحَقُّ مِنِّي بَعِيثِ
أَمِنْ الْعَدْلِ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ أَلِ
أَمِنْ الْحَقِّ أَنَّهُمْ يُطْلِقُونَ أَلِ
نِصْفُ قَرْنٍ إِلَّا قَلِيلًا أَعَانِي
نَظَرُ اللَّهِ لِي فَأَرْشِدْ أَبْنَا
إِنَّمَا الْحَقُّ قُوَّةٌ مِنْ قُوَى الدَّيِّ
قَدْ وَعَدْتُ الْعُلَا بِكُلِّ أَبِي
أَمْهَرُوهَا بِالرُّوحِ فَهِيَ عَرُوسُ
وَرُدُّوا بِي مَنَاهِلَ الْعِزِّ حَتَّى
وَارْفَعُوا دَوْلَتِي عَلَى الْعِلْمِ وَالْأَخْ
وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ فَالْصَّبْرُ إِنْ فَا
خُلِقَ الصَّبْرُ وَحَدَهُ نَصَرَ الْقَوُ
شَهِدُوا حَوْمَةَ الْوَعَى بِنَفُوسِ
فَمَحَا الصَّبْرُ آيَةَ الْعِلْمِ فِي الْحَزِّ
إِنَّ فِي الْغَرْبِ أَعْيُنًا رَاصِدَاتٍ
فَوْقَهَا مَجْهَرٌ يُرِيهَا خَفَايَا
فَاتَّقَوْهَا بِجُنَّةٍ مِنْ وَثَامِ
وَاصْفَحُوا عَنْ هَنَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ

نَحْنُ نَجْتَازُ مَوْقِفًا تَعَثُّرُ الْآ
وَنُعِيرُ الْأَهْوَاءَ حَرْبًا عَوَانًا
وَنُثِيرُ الْفَوْضَى عَلَى جَانِبَيْهِ
وَيَظُنُّ الْغَوِيُّ أَنْ لَا نِظَامَ
فَقِفُوا فِيهِ وَقْفَةً الْحَزْمِ وَارْمُوا
إِنَّا عِنْدَ فَجْرِ لَيْلٍ طَوِيلٍ
عَمَرْتَنَا سُودَ الْأَهَاوِيلِ فِيهِ
وَتَجَلَّى ضِيَاؤُهُ بَعْدَ لَأَيٍ
فَاسْتَبِينَا قَصْدَ السَّبِيلِ وَجِدُّوا

رَأَى فِيهِ وَعَثْرَةَ الرَّأْيِ تُرْدِي
مِنْ خِلَافٍ وَالْخَلْفُ كَالسَّلِّ يُعْدِي
فَيُعِيدُ الْجَهْلُ فِيهَا وَيُبْدِي
وَيَقُولُ الْقَوِيُّ قَدْ جَدَّ جَدِّي
جَانِبَيْهِ بَعَزْمَةَ الْمُسْتَعِدِّ
قَدْ قَطَعْنَاهُ بَيْنَ سُهْدٍ وَوَجْدٍ
وَالْأَمَانِيُّ بَيْنَ جَزَرٍ وَمَدِّ
وَهُوَ رَمَزٌ لِعَهْدِي الْمُسْتَرَدِّ
فَالْمَعَالِي مَخْطُوبَةٌ لِلْمُجْدِّ

(٢٧) تصريح ٢٨ فبراير (نشرت في أول أبريل سنة ١٩٢٢م)

مَالِي أَرَى الْأَكْمَامَ لَا تَفْتَحُ
وَالطَّيْرَ لَا تَلْهُو بِتَدْوِيمِهَا
وَالنَّيْلَ لَا تَرْقُصُ أَمْوَاهُ
وَالشَّمْسَ لَا تُشْرِقُ وَضَاءَةً
وَالْبَدْرَ لَا يَبْدُو عَلَى ثَغْرِهِ
وَالنَّجْمَ لَا يَزْهَرُ فِي أَفْقِهِ
أَلَمْ يَجِئْهَا نَبَأُ جَاءَنَا
أَصْبَحْتُ لَا أَدْرِي عَلَى خَبْرَةٍ
أَمْوَقِفُ لِلْجِدِّ نَجَاتَهُ
أَلَمْحُ لِاسْتِقْلَالِنَا لَمْعَةً
وَتَطْمِسُ الظُّلْمَةُ آثَارَهَا
قَدْ حَارَتْ الْأَفْهَامُ فِي أَمْرِهِمْ
فَقَائِلُ لَا تَعْجَلُوا إِنَّكُمْ
وَقَائِلُ أَوْسَعُ بِهَا خُطْوَةٌ

وَالرَّوْضَ لَا يَذْكُو وَلَا يُنْفَحُ
فِي مُلْكِهَا الْوَاسِعِ أَوْ تَصْدَحُ
فَرَحَى وَلَا يَجْرِي بِهَا الْأَنْبُحُ
تَجْلُو هُمُومَ الصَّدْرِ أَوْ تَنْزَحُ
مِنْ بَسَمَاتِ الْيَمْنِ مَا يَشْرَحُ
كَأَنَّهُ فِي غَمْرَةٍ يَسْبَحُ
بَأَنَّ مِصْرًا حُرَّةً تَمْرَحُ؟
أَجَدَّتِ الْإِيَّامُ أَمْ تَمْرَحُ؟
أَمْ ذَاكَ لِلْأَهْيِ بِنَا مَسْرَحُ؟
فِي حَالِكِ الشَّكِّ فَاسْتَرْوَحُ
فَأَنْتَنِي أَنْكَرُ مَا أَلْمَحُ
إِنْ لَمَحُوا بِالْقَصْدِ أَوْ صَرَحُوا
مَكَانَكُمْ بِالْأَمْسِ لَمْ تَبْرَحُوا
وَرَاءَهَا الْغَايَةُ وَالْمَطْمَحُ

وقائلٌ أَسْرَفَ في قَوْلِهِ: هذا هُوَ اسْتِقْلَالُكُمْ فافرحوا
 إن تَسْأَلُوا الْعَقْلَ يَقُلْ: عاهدوا واستوثقوا في عهدكم تَرْبَحُوا
 وأَسْأَلُوا دَارًا لِنَوَابِكُمْ للرأي فيها والحجا أفسحوا
 ولتَذْكُرِ الْأُمَّةُ مِيثَاقَهَا ألا ترى عزتها تُجرح
 وتَنْتَخِبُ صَفْوَةَ أَبْنَائِهَا فمنهم الْمُخْلِصُ والمُصْلِحُ
 وليَتَّقِ اللَّهَ أَوَّلُو أَمْرِهَا أن يَسْكُتُوا الأصوات أو يَرْفُحُوا
 أو تَسْأَلُوا الْقَلْبَ يَقُلْ: حاذروا وصابروا أعداءكم تُفْلِحُوا
 إنِّي أرى قَيْنًا فلا تُسَلِّمُوا أيديكم؛ فالقيد لا يُسَجِّحُ
 إن هَيَّئُوهُ من حَرِيرٍ لَكُمْ فهو على لِينٍ به أَفْدَحُ
 حَتَّامٌ — والصَّبْرُ له غَايَةٌ لغيرنا مِنْ بَثْرنا نَمْنَحُ؟
 حَتَّامٌ — والأَمْوَالُ مَشْفُوهَةٌ نَمْنَحُ إِلَّا (مَصْرًا) ما نَمْنَحُ؟
 حَتَّامٌ يُمَضِّي أَمْرنا غَيْرنا وذاك بالأحرار لا يَمْلَحُ؟
 أساء بعضُ النَّاسِ في بَعْضِهِمْ ظنًّا وقد أَمَسُوا وقد أَصْبَحُوا
 فانتَهَزَتْ أَعْدَاؤُنَا نُهْزَةً فينا وما كانت لهم تَسْنَحُ
 فالرأي كلُّ الرأْيِ أن تُجْمَعُوا فإنَّما إجماعكم أَرْجَحُ
 وكلُّ مَنْ يَطْمَعُ في صَدْعِكُمْ فإنه في صَخْرَةٍ يَنْطَحُ
 أخشى إذا استكثرتُم بَيْنَكُمْ من قَادَةِ الآراءِ أن تُفَضَّحُوا
 فَلتَقْصِدُوا ما اسطَعْتُمْ فيهم فإنَّما في القِلَّةِ المَنْجَحُ

(٢٨) عيد الاستقلال

نشرت في ١٥ مارس سنة ١٩٢٣ م تحت عنوان: «بين اليقظة والمنام»

أَشْرِقْ فَدَتْكَ مِشَارِقُ الْإِصْبَاحِ وَأَمِطْ لِثَامَكَ عن نهار ضاحي
 بُورِجَتْ يا يَوْمَ الْخِلاصِ ولا وَنَتْ عَنْكَ السُّعُودُ بَغْدُودَ وَرَوَاحِ
 بِاللَّهِ كُنْ يُمْنًا وَكُنْ بُشْرَى لَنَا فِي رَدِّ مُغْتَرِبِ وَفَكِّ سَرَّاحِ
 أَقْبَلْتُ وَالْأَيَّامُ حَوْلَكَ مُثَلِّ صَفَيْنِ تَخْطِرُ خَطَرَةَ الْمَيَّاحِ

وَحَرَجْتَ مِنْ حُجْبِ الْغُيُوبِ مُحَجَّلًا
 لَوْ صَحَّ فِي هَذَا الْوُجُودِ تَنَاسُخٌ
 وَلَكُنْتُ يَوْمَ (اللابرننت) بَعَيْنُهُ
 يَوْمُ يُرِيكَ جَلَالَهُ وَرُؤُؤُهُ
 خَلَعْتَ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حُلَّةَ عَسَجِدِ
 اللَّهُ أَثَبَّتَهُ لَنَا فِي لَوْحِهِ
 حَيَّيْهِ عَنَّا يَا أَزَاهِرُ وَاُمَلِّئِي
 وَاَنْفَحْهُ عَنَّا يَا رَبِيعُ بِكُلِّ مَا
 تَهْ يَا (فؤادُ) فَحَوْلَ عَرْشِكَ أُمَّةٌ
 أَبْنَاؤُنَا — وَهُمْ أَحَادِيثُ النَّدَى —
 صَبَرُوا عَلَى مَرِّ الْخُطُوبِ فَأَذْرَكُوا
 شَاكِي سِلَاحِ الصَّبْرِ لَيْسَ بِأَعَزَّلِ
 الصَّبْرُ — إِنْ فَكَّرْتَ — أَعْظَمُ عُدَّةٍ
 قَدْ أَنْكَرُوا حَقَّ الضَّعِيفِ فَهَلْ أَتَى
 كَمْ خَدَّرْتَ أَعْصَابَ مِصْرَ نَوَافِحِ
 فَتَعَلَّلَ الْمِصْرِيُّ مُغْتَبِطًا بِهَا
 وَتَأَنَّقُوا فِي الْخُلْفِ حَتَّى أَصْبَحَتْ
 لَمَّا تَنَبَّهَ بِالْكِنَانَةِ نَائِمٌ
 وَتَكَشَّفَتْ تِلْكَ الْغِيَاهَبُ وَاَنْطَوَتْ
 عَلِمُوا بِحَمْدِ اللَّهِ أَنْ قَرَارَنَا
 فَالْيَوْمَ قَرَّرِي يَا كِنَانَةَ وَاَهْدِئِي
 مَنْ ذَا يُغَيِّرُ عَلَى الْأَسْوَدِ بَغَايَهَا
 لِلنَّيْلِ مَجْدٌ فِي الزَّمَانِ مُؤْتَلٌ
 فَسَلِ الْعُصُورَ بِهِ وَسَلْ آثَارَهُ
 يَا صَاحِبَ الْقُطْرَيْنِ غَيْرِ مُدَافِعِ
 لَمْ يَبْدُ نَوْرٌ فَوْقَ نَوْرِ يُجْتَلَى
 ذَكَرْتَ بَعَرْشِكَ (مِصْرُ) يَوْمَ وَلِيَّتَهُ

فِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ أَلْفُ صَبَاحِ
 لَرَأَيْتُ فِيكَ تَنَاسُخَ الْأَرْوَاحِ
 فِي عِزَّةٍ وَجَلَالَةٍ وَسَمَاحِ
 فِي الْحُسْنِ قُدْرَةً فَالِقِ الْإِصْبَاحِ
 وَحَبَاهُ (أَذَارُ) أَرْقَ وَشَاحِ
 أَبَدَ الْأَبِيدِ فَمَا لَهُ مِنْ مَاحِي
 أَرْجَاءَهُ بِأَرِيحِكِ الْفَوَاحِ
 أَطْلَعْتَ مِنْ رَنْدٍ وَنَوْرٍ أَقَاحِ
 عَقَدْتَ خَنَاصِرَهَا عَلَى الْإِصْلَاحِ
 لَيْسُوا عَلَى أَوْطَانِهِمْ بِشَاحِ
 حُلُوا الْمُنَى مَعْسُولَةَ الْأَقْدَاحِ
 يَغْزُوهُ رَبُّ عَوَامِلٍ وَصِفَاحِ
 وَالْحَقُّ — لَوْ يَدْرُونَ — خَيْرُ سِلَاحِ
 إِنْكَارُ ذَاكَ الْحَقِّ فِي إِضْحَاحِ؟
 لَوْعُودِهِمْ كَنُوَافِحِ التَّفْجَاحِ
 أَرَأَيْتَ طِفْلًا عَلَّوهُ بَدَاحِ؟
 أَقْوَالُهُمْ تُذَرِّى بِغَيْرِ رِيَاحِ
 وَأَصَاتٍ بِالشَّكْوَى الْأَلِيْمَةِ صَاحِي
 وَبَدَتْ شُمُوسُ الْحَقِّ وَهِيَ ضَوَاحِي
 فِي ظِلٍّ غَيْرِ اللَّهِ غَيْرُ مُتَاحِ
 حَرَمُ الْكِنَانَةِ لَمْ يَكُنْ بِمُبَاحِ
 أَوْ مَنْ يَعُومُ بِمَسْبَحِ التَّمْسَاحِ؟
 مِنْ عَهْدِ (أَمُونِ) وَعَهْدِ (فَتَاحِ)
 فِي (مِصْرَ) كَمْ شَهِدَتْ مِنَ السِّيَاحِ
 مَا مِثْلُ سَاحِكَ فِي الْعُلَا مِنْ سَاحِ
 كَالْتَّاجِ فَوْقَ جَبِينِكَ الْوَضَاحِ
 عَرْشُ (الْمُعِزِّ) بِهَا وَعَرْشُ (صَلَاحِ)

فِي كُلِّ قُطْرٍ مِنْ جَلَالِكَ رَوْعَةً
لَكَ (مِصْرُ) وَ(السُّودَانُ) وَالنَّهْرُ الَّذِي
وَبَوَاسِقُ (السُّودَانِ) تَشْهَدُ أَنَّهَا
لَا غَرْوُ إِنْ غَنَى بِمَدْحِكَ صَائِحُ
حُسْنِ الْغِنَاءِ مَعَ الصَّيَاحِ كَحُسْنِهِ
أَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ مُلْكُ مِصْرَ وَنِيلُهَا
مَنْضُورَةُ الْجَنَاتِ حَالِيَةِ الرُّبَا
قَدْ قَالَ (عَمْرُو) فِي تَرَاهَا آيَةً
بَيْنَا تَرَاهُ لَأَلْنَا وَكَأَنَّمَا
وَإِذَا بِهِ لِلنَّاطِرِينَ زُمُرْدُ
وَإِذَا بِهِ مِسْكُ تَشُقُّ سَوَادَهُ
الْبَرْلَمَانِ تَهَيَّأَتْ أَسْبَابُهُ
هُوَ فِي يَدَيْكَ وَدِيْعَةٌ لِرَعِيَّةٍ
رَدُّ الْوَدِيْعَةِ يَا (فُؤَادُ) فَإِنَّمَا
وَانْهَضْ بِشَعْبِكَ يَا (فُؤَادُ) إِلَى الْعُلَا
فَاللَّهُ يَشْهَدُ وَالْخَلَائِقُ أَنَّنَا
هَذَا مَنَارُ الْبَرْلَمَانِ أَمَامَكُمْ
فَتَيَمَّمُوهُ مُخْلِصِينَ فَمَا لَكُمْ
الْفَصْلُ لِلشُّورَى وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي
هِيَ لَا تَضِلُّ سَبِيلَهَا فَكَأَنَّمَا
هِيَ - لَا بَرَاخَ - تَرُدُّ كَيْدَ عَدُوِّكُمْ
فَتَكْنَفُوا الشُّورَى عَلَى اسْتِقْلَالِكُمْ
وَيَدُ الْإِلَهِ مَعَ الْجَمَاعَةِ فَاضْرِبُوا
كُونُوا رَجَالًا عَامِلِينَ وَكَذَّبُوا
وَدَعُوا التَّخَاذُلَ فِي الْأُمُورِ فَإِنَّمَا
وَاللَّهِ مَا بَلَغَ الشَّقَاءُ بِنَا الْمَدَى
قُمْ يَا بَنَ (مِصْرَ) فَأَنْتَ حُرٌّ وَاسْتَعِدْ

وَلِكُلِّ قُطْرٍ مِنْكَ ظِلُّ جَنَاحٍ
يَخْتَالُ بَيْنَ رَبِّي وَبَيْنَ بِطَاحٍ
غُرِسَتْ بَعْدَ جُدُودِكَ الْفُتَاحِ
أَوْ مُسَجَّحٌ فِي حَلْبَةِ الْمُدَّاحِ
عِنْدَ الْخَبِيرِ بِهِ مَعَ الْإِسْجَاحِ
يَنْسَابُ بَيْنَ مُرُوجِهَا الْأَفْيَاحِ؟
مَطْلُولَةُ السَّرَحَاتِ وَالْأَزْوَاحِ
مَأْثُورَةٌ نَقِشَتْ عَلَى الْأَلْوَحِ:
نُثِرَتْ بِتُرْبَتِهَا عُقُودُ مِلَاحٍ
يَشْفِيكَ أَخْضَرُهُ مِنَ الْأَتْرَاحِ
شَقُّ الْأَدِيمِ مَحَارِثُ الْفَلَاحِ
لَمْ يَبْقَ مِنْ سَبَبِ سَوَى الْمِفْتَاحِ
تُنْتَنِي بِالْأَسِنَّةِ عَلَيْكَ فِصَاحِ
رَدُّ الْوَدِيْعَةِ شِيْمَةً الْمِسْمَاحِ
وَالِى مَكَانٍ فِي الْوُجُودِ بَرَاخِ
طُلَّابُ حَقٍّ فِي الْحَيَاةِ صِرَاحِ
لَهْدَى السَّبِيلِ كَابِرَةِ الْمَلَاحِ
مِنْ دُونِهِ مِنْ غِبْطَةٍ وَفَلَاحِ
تَزَعُ الْهَوَى وَتَرُدُّ كُلَّ جِمَاحِ
خُلِقَ السَّبِيلُ لَهَا بِغَيْرِ نَوَاحِ
وَتَقْلُ غَرْبَ الْغَاصِبِ الْمُجْتَاحِ
فِي الرَّأْيِ لَا تُوجِيهِ نَزْعَةٌ وَاجِ
بَعْصَا الْجَمَاعَةِ تَظْفَرُوا بِنَجَاحِ
وَالصُّبْحُ أَبْلَجُ، حَامِلُ الْمِصْبَاحِ
شَبَحُ التَّخَاذُلِ أَنْكَرُ الْأَشْبَاحِ
بِسَوَى خِلَافٍ بَيْنَنَا وَتَلَاجِ
مَجْدُ الْجُدُودِ وَلَا تَعُدْ لِمَرَاحِ

دُنْيَاكَ دَارٌ تَنَاحِرُ وَكَفَاحٍ
فَإِذَا رَقَا فَاُمْتَحَ مَعَ الْمُتَّاحِ
وَاضْرِبْ عَلَى الْإِلْحَاحِ بِالْإِلْحَاحِ
خَوْضُ الْبَحَارِ رِيَاضَةُ السَّبَّاحِ
لَا تَحْسَبَنَّ الْغَمْرَ كَالضَّخْضَاحِ
لَكَ فَاغْدُهَا وَانْزَحْ مَعَ النُّزَاحِ
فِي الْبَرِّ لَا يَلُوكِ غَابٌ رِمَاحِ
بَيْنَ الشُّعُوبِ طَبِيعَةُ الْكَدَّاحِ
إِلَّا بَنِيَّاتٍ هُنَاكَ صِحَاحِ
وَالْجَوُّ بَيْنَ تَنَاحُوحِ الْأَرْوَاحِ
يَرْمِي بَنَزَاحِ الشَّوَى لَوَاحِ
عَجِبْ وَوَجْهِ فِي الْخُطُوبِ وَقَاحِ
وَعُرُ الطَّرِيقِ لَدَيْهِ كَالصَّخْصَاحِ
يَرْنُو بَعَيْنَ غَيْرِ ذَاتِ طِمَاحِ
وَذَكَأُوهُ كَالْخَاطِيفِ اللَّمَّاحِ
فِي الْبَحْرِ بَيْنَ أَجَاغِهِ الْمُنْدَاحِ
فِي فَادِحِ الْبُؤْسَى مَعَ الْأَنْوَاحِ
إِنَّ الذِّكَاءَ حُبَالَةُ الْأَزْبَاحِ
بُزْدَيْنِ مِنْ حَزْمٍ وَمِنْ إِسْجَاحِ
فَلَكُمْ وَرَدَتْ الْمَاءَ غَيْرَ قَرَّاحِ

شَمَّرُ وَكَافِحُ فِي الْحَيَاةِ فَهَذِهِ
وَأَنْهَلُ مَعَ النَّهَالِ مِنْ عَذْبِ الْحَيَاةِ
وَإِذَا أَلَحَّ عَلَيْكَ خَطْبُ لَا تَهْنُ
وَحُضْ الْحَيَاةَ وَإِنْ تَلَاظَمَ مُوْجُهَا
وَأَجْعَلْ عِيَانَكَ قَبْلَ خَطُوكَ رَائِدًا
وَإِذَا اجْتَوَيْتَكَ مَحَلَّةً وَتَنَكَّرْتَ
فِي الْبَحْرِ لَا تَشْنِيكَ نَارُ بَوَارِجِ
وَانْظُرْ إِلَى الْعَرَبِيِّ كَيْفَ سَمَتْ بِهِ
وَاللَّهِ مَا بَلَغَتْ بَنُو الْعَرَبِ الْمُنَى
رَكِبُوا الْبَحَارَ وَقَدْ تَجَمَّدَ مَائُهَا
وَالْبَرَّ مَضْهُورَ الْخَصَى مُتَأَجِّجًا
يَلْقَى فَتِيَّتَهُمُ الزَّمَانَ بِهِمَّةٍ
وَيَشْقُ أَجْوَارَ الْقِفَارِ مُغَامِرًا
وَابْنُ الْكِنَانَةِ فِي الْكِنَانَةِ رَاكِدٌ
لَا يَسْتَعِلُّ — كَمَا عَلِمْتَ — ذِكَاءَهُ
أَمْسَى كَمَا النَّهْرُ ضَاعَ فُرَاتُهُ
فَانْهَضْ وَدَعْ شَكْوَى الزَّمَانِ وَلَا تَنْحُ
وَارْبَحْ لِمِصْرَ بَرَأْسَ مَالِكِ عِرَّةٍ
وَإِذَا رُزِقْتَ رَأْسَةً فَانْسِجْ لَهَا
وَاشْرَبْ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ مُنْعَمًا

(٢٩) من قصيدة في شؤون مصر السياسية (نشرت في ٩ مارس سنة ١٩٣٢م)

قالها في عهد وزارة إسماعيل صدقي باشا وقد نظمها حافظ بعد إحالته إلى المعاش في سنة ١٩٣٢م وكانت تبلغ نحو مائتي بيت لم نعثر منها إلا على هذه الأبيات

قَدْ مَرَّ عَامٌ يَا سَعَادُ وَعَامٌ وَابْنُ الْكِنَانَةِ فِي حِمَاهُ يُضَامُ

سَبُّوا الْبَلَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَنِصْفُهُمْ
يَجْبِي الْبَلَاءَ وَنِصْفُهُمْ حُكَّامُ
أَشْكُو إِلَى (قَصْرِ الدُّبَارَةِ) مَا جَنَى
(صِدْقِي الْوَزِيرُ) وَمَا جَبَى (عَلَامُ)

ومنها في الإنجليز:

قُلْ لِلْمُحَايِدِ هَلْ شَهِدْتَ دِمَاءَنَا
سُفِكَتْ مَوَدَّتُنَا لَكُمْ وَبَدَا لَنَا
إِنَّ الْمَرَّاجِلَ شَرُّهَا لَا يَتَّقِي
لَمْ يَبْقَ فِينَا مَنْ يُمْنِي نَفْسَهُ
أَمِنْ السِّيَاسَةِ وَالْمُرُوءَةِ أَنَّنَا
إِنَّا جَمَعْنَا لِلْجِهَادِ صُفُوفَنَا
تَجْرِي وَهَلْ بَعْدَ الدِّمَاءِ سَلَامُ؟
أَنَّ الْحَيَادَ عَلَى الْخِصَامِ لِثَامُ
حَتَّى يُنْفَسَ كَرْبُهُنَّ صِمَامُ
بُودَادِكُمْ فَوِدَادُكُمْ أَحْلَامُ
نَشَقِي بِكُمْ فِي أَرْضِنَا وَنُضَامُ؟
سَنَمُوتُ أَوْ نَحْيَا وَنَحْنُ كِرَامُ

ومنها في مخاطبة إسماعيل صدقي باشا:

وَدَعَا عَلَيْكَ اللَّهُ فِي مَحْرَابِهِ
لَا هُمْ أَحْيٍ ضَمِيرُهُ لِيَذُوقَهَا
الشَّيْخُ وَالْقَسِيسُ وَالْحَاخَامُ
غُصَصًا وَتَنْسِفَ نَفْسُهُ الْأَلَامُ

إلى الإنجليز:

بَبَيْتُكُمْ عَلَى الْأَخْلَاقِ أَسَاسَ مُلْكُكُمْ
فَمَا لِي أَرَى الْأَخْلَاقَ قَدْ شَابَ قَرْنُهَا
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَثْرَةً بَعْدَ نَهْضَةٍ
أَضَعْتُمْ وَدَادًا لَوْ رَعَيْتُمْ عُهْدَهُ
أَبْعَدَ حِيَادٍ لَا رَعَى اللَّهُ عَهْدَهُ
إِذَا كَانَ فِي حُسْنِ التَّفَاهُمِ مَوْتُنَا
فَكَانَ لَكُمْ بَيْنَ الشُّعُوبِ ذِمَامُ
وَحَلَّ بِهَا ضَعْفٌ وَدَبَّ سَقَامُ
فَلَيْسَ لِمُلْكِ الظَّالِمِينَ دَوَامُ
لَمَّا قَامَ بَيْنَ الْأَمْتَيْنِ خِصَامُ
وَبَعْدَ الْجُرُوحِ النَّاعِرَاتِ وَئَامُ
فَلَيْسَ عَلَى بَاغِي الْحَيَاةِ مَلَامُ

(٣٠) إلى المندوب السامي (نشرت في ١١ مارس سنة ١٩٣٢م)

تَصِيدُ الْبَطَّ بُؤْسَ الْعَالَمِينَا؟	أَلَمْ تَرَ فِي الطَّرِيقِ إِلَى (كِيَادِ)
مَنْ الْبَلَوَى أَلَمْ تَسْمَعْ أَنِينَا؟	أَلَمْ تَلْمَحْ دُمُوعَ النَّاسِ تَجْرِي
وَقَدْ بَعَثُوكَ مَذْدُوبًا أَمِينَا	أَلَمْ تُخْبِرْ بَنِي التَّامِيزِ عَنَّا
وَأَصْبَحَ ظَنُّنَا فِيكُمْ يَقِينَا؟	بِأَنَّا قَدْ لَمَسْنَا الْغَدَرَ لَمْسًا
وَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ مُحَايِدِينَا	كَشَفْنَا عَنْ نَوَايَاكُمْ فَلَسْتُمْ
لَدَى الْجُلَى كِرَامًا صَابِرِينَا	سَنُجْمِعُ أَمْرَنَا وَتَرَوْنَ مِنَّا
تُطِيفُ بِنَا وَرَغَمَ الْقَاسِطِينَا	وَنَأْخُذُ حَقَّنَا رَغَمَ الْعَوَادِي
مَنْ النَّيْرَانِ يُعْيِي الدَّارِعِينَا	ضَرَبْتُمْ حَوْلَ قَادَتِنَا نِطَاقًا
وَلَكِنْ بِالْأَسْوَدِ مُصَفِّدِينَا	عَلَى رَغَمِ الْمُرُوءَةِ قَدْ ظَفَرْتُمْ

(٣١) الأخلاق والحياد (نشرا في ٤ أبريل سنة ١٩٣٢م)

قالها وكان الإنجليز إذ ذاك يدعون الحياد في الشئون المصرية

فَمُصَابِكُمْ وَمُصَابُنَا سِيَانِ	لَا تَذْكُرُوا الْأَخْلَاقَ بَعْدَ حَيَادِكُمْ
أَخْلَقْنَا فَتَأَلَّمَ الشَّعْبَانِ	حَارَبْتُمْ أَخْلَاقَكُمْ لِتُحَارِبُوا

(٣٢) ثمن الحياد (نشرا في ٤ أبريل سنة ١٩٣٢م)

أَمَا أَرْضَاكُمُ ثَمَنُ الْحَيَادِ؟	لَقَدْ طَالَ الْحَيَادُ وَلَمْ تَكْفُوا
فَمَا هَذَا التَّحَكُّمُ فِي الْعِبَادِ؟	أَخَذْتُمْ كُلَّ مَا تَبْغُونَ مِنَّا
فَكَانَ كِلَاهُمَا ذَرُّ الرَّمَادِ	بَلَوْنَا شِدَّةً مِنْكُمْ وَلِينًا
فَلَمْ يُغْنِ الْمُسَالَمَ وَالْمُعَادِي	وَسَالَمْتُمْ وَعَادَيْتُمْ زَمَانًا
وَلَيْسَ أَمَانًا غَيْرُ الْجِهَادِ	فَلَيْسَ وَرَاءَكُمْ غَيْرُ التَّجَنِّي

(٣٣) إلى الإنجليز (نشرت في ٢٨ أبريل سنة ١٩٣٢م)

وَأَطِمْسُوا النَّجْمَ وَاحْرِمْوْنَا النَّسِيمَا	حَوَّلُوا النَّيْلَ وَاحْجُبُوا الصُّوءَ عَنَّا
وَأَمْلَأُوا الْبَحْرَ إِنْ أَرَدْتُمْ سَفِينًا	وَأَقِيمُوا لِلْعَسْفِ فِي كُلِّ شِبْرِ
(كُنُسْتَبَلًا) بِالسَّوْطِ يَفْرِي الْأَدِيمَا	إِنَّا لَنْ نَحُولَ عَنْ عَهْدٍ مَضَرٍ
أَوْ تَرَوْنَا فِي التُّرْبِ عَظْمًا رَمِيمَا	عَاصِفٌ صَانَ مُلْكَكُمْ وَحَمَاكُمْ
وَكَفَاكُمْ بِالْأَمْسِ خَطْبًا جَسِيمَا	غَالٍ (أَزْمَادَةً) الْعَدُوَّ فَفُزْتُمْ
وَبَلَّغْتُمْ فِي الشَّرْقِ شَأْوًا عَظِيمَا	فَعَدَلْتُمْ هُنَيْهَةً وَبَغَيْتُمْ
وَتَرَكْتُمْ فِي النَّيْلِ عَهْدًا ذَمِيمَا	فَشَهَدْنَا ظُلْمًا يُقَالُ لَهُ الْعَدُ
لُ وَوَدَّأَ يَسْقِي الْحَمِيمَ الْحَمِيمَا	فَاتَّقُوا غَضَبَةَ الْعَوَاصِفِ إِنِّي
قَدْ رَأَيْتُ الْمَصِيرَ أَمْسَى وَخِيمَا	

(٣٤) الحياد الكاذب (نشرت في سنة ١٩٣٢م)

تَ الْعَهْدَ نَقَضَ الْغَاصِبِ	(قَصَرَ الدُّبَارَةَ) قَدْ نَقَضَ
وَأَبْنَتُ وَدَّ الصَّاحِبِ	أَخْفَيْتُ مَا أَضْمَرْتَهُ
سِ مِنْ الْحَيَادِ الْكَاذِبِ	الْحَرْبُ أَرْوَحُ لِلنُّفُو

(٣٥) جلاء الإنجليز عن مصر

قالهما تنديدًا بكاتب فرنسي كان قد زعم أنَّ جلاء الإنجليز عن مصر سيكون في أكتوبر

أَصْبَحَ فِي الْإِبْهَامِ كَالْمَحْشَرِ	كَمْ حَدَّدُوا يَوْمَ الْجَلَاءِ الَّذِي
كَذْبَةً (إِبْرِيلَ لِأَكْتُوبَرِ)	وَسَنَّ قَوْمُ الطَّيِّشِ مَنْ جَهْلِهِمْ

(٣٦) الامتيازات الأجنبية

سَكْتُ فَأَصْغَرُوا أَدَبِي
وما أَرْجُوهُ مِنْ بَلَدٍ
وهل (في مِصْرَ) مَفْخَرَةٌ
وذي إِرْثٍ يُكَاثِرُنَا
وفي الرُّومِيِّ مَوْعِظَةٌ
يُقَتِّلُنَا بِلَا قَوَدٍ
وَيَمْشِي نَحْوَ رَأْيَتِهِ
فَقُلْ لِلْفَاخِرِينَ: أَمَّا
أروني بَيْنَكُم رَجُلًا
أروني نِصْفَ مُحْتَرَعٍ
أروني نَادِيًا حَفْلًا
وماذا في مَدَارِسِكُمْ
وماذا في مَسَاجِدِكُمْ
وماذا في صَحَائِفِكُمْ
حَصَائِدُ أَلْسِنٍ جَرَّتْ
فَهَبُوا مِنْ مَرَاقِدِكُمْ
فهذي أَمَّةُ (الِيَابَا)
فَهَامَتْ بِالْعُلَا شَغَفًا

وَقُلْتُ فَأَكْبَرُوا أَرَبِي
به ضَاقَ الرَّجَاءُ وَبِي؟
سِوَى الْأَلْقَابِ وَالرُّتَبِ؟
بِمَالٍ غَيْرِ مُكْتَسَبٍ
لِشَعْبٍ جَدٍّ فِي اللَّعِبِ
وَلَا رِيَّةٍ وَلَا رَهَبٍ
فَتَحْمِيهِ مِنَ الْعَطَبِ
لهذا الْفَخْرُ مِنْ سَبَبِ؟
رَكِينًا وَاضِحَ الْحَسَبِ
أروني رُبْعَ مُحْتَسِبٍ؟
بِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ؟
مِنَ التَّعْلِيمِ وَالْكُتُبِ؟
مِنَ التَّبَيَّانِ وَالْخُطَبِ؟
سِوَى التَّمْوِيهِ وَالْكَذِبِ؟
إِلَى الْوَيْلَاتِ وَالْحَرْبِ
فَإِنَّ الْوَقْتَ مِنْ ذَهَبٍ
(نِ) جَازَتْ دَارَةَ الشُّهْبِ
وَهَمْنَا بِابْنَةِ الْعِنَبِ

(٣٧) من شعر حافظ في ثورة سنة ١٩١٩

وَلَّتْ بَشَاشَةُ دُنْيَانَا وَدُنْيَاكَ
حَمَاكَ دُونِي أَسْوَدٌ لَا يُطَاوِلُهَا
وَجَشْمُونِي عَلَى ضَعْفِي وَقُوَّتِهِمْ

وفارقَ الْأَنْسُ مَغْنَانَا وَمَغْنَاكَ
شَاكِي السِّلَاحِ فَكَيْفَ الْأَعْزَلُ الشَّاكِي
أَنْ أُمْسِكَ الْقَوْلَ حَتَّى عَنْ تَحَايَاكَ

وَأُرْصَدُوا لِي رَقِيبًا لَيْسَ يُخْطِئُهُ
يُحْصِي تَرَدُّدَ أَنْفَاسِي وَيَمْنَعُنِي
مُنِعْتُ حَتَّى مِنَ النَّجْوَى وَسَلَوْتُهَا
مَا كَاد يَأْتِي عَلَى نَفْسِي وَيُورِدُنِي
تَنَاوَلْتُ مَا وَرَاءَ النَّفْسِ غَايَتُهُ
وظَنُّ أَهْلِكَ بِي سُوءًا وَأَرْمَضَنِي
قَالُوا سَلَا عَنْكَ غَدْرًا وَابْتَغَى بَدَلًا
كَمْ لِي أَحَادِيثُ شَوْقٍ لَا تُنَافِحُهَا
إِنْ تُنَكِّرِيهَا فَكَمْ طَارَ الرَّوَاءُ بِهَا
سَتَعْلَمِينَ إِذَا مَا الْعَمْرَةَ انْحَسَرَتْ
رَمَيْتُ عَنْكَ عَلَى أَنْ خَانَنِي وَتَرِي

هَجَسُ الْفَوَادِ إِذَا حَاوَلْتُ ذِكْرَكَ
نَفَحَ الشَّمَائِلُ إِنْ جَازَتْ بَرِّيَاكَ
وَكَمْ تَعَلَّلْتُ فِي الْبَلَوَى بَنَجْوَاكَ
مَوَارِدَ الْحَتْفِ إِلَّا حُبُّكَ الزَّاكِي
وَقَرَّ فِي خَلَجَاتِ الْقَلْبِ مَثْوَاكَ
قَوْلُ الْوَشَاةِ وَدَعْوَى كُلِّ أَفَّاكَ
وَكَانَ بِالْأَمْسِ مِنْ أَوْفَى رَعَايَاكَ
زَهْرُ الرِّيَاضِ وَلَا يَسْمُو بِهَا الْحَاكِي
إِلَى حِمَاكَ وَكَمْ قَدْ عَطَّرَتْ فَاكِ
مَنْ صَدَّ عَنْكَ وَمَنْ بِالنَّفْسِ فَدَاكَ
وَلَمْ أَخُنْ فِي إِسَارِي عَهْدَ نِعْمَاكَ

(٣٨) برقية من حافظ إلى الخديو عباس

جاءت الأنباء بسقوط مدينة أدرنة التابعة لدولة الخلافة العثمانية يوم الاحتفال بزفاف كريمة الخديو إلى نجل الصدر الأعظم جلال باشا، فأرسل حافظ هذه البرقية إلى الخديو:

عَيْدٌ هُنَا، وَهَنَاكَ قَامَ الْمَأْتَمُ
عَجَبًا أَرَى تِلْكَ الدَّمَاءَ فَهَا هُنَا
مَلِكٌ يَنْوَحُ، وَتَابِعٌ يَتَرَنَّمُ
دَمٌ فَرِحَ، وَهَنَاكَ لِلْقَتْلِ دَمٌ

فأمر الخديو بإزالة معالم الزينات مشاركة للخليفة وللعالم الإسلامي في تلك النكبة.

(٣٩) قصر الدوبارة وقصر عابدين

قصر الدوبارة هو القصر الذي يقيم فيه المعتمد البريطاني ممثل الاحتلال وصاحب السلطة الفعلية في البلاد.

وقصر عابدين هو قصر الخديو صاحب السلطة الشرعية والخاضع للسلطان الإنجليزي.

وفي هذين البيتين بعقد حافظ مقارنة بين كلا الحاكمين.

قصر الدوبارة ما لليتك رابضاً والذئبُ في قصرِ الإمارةِ يحجُلُ
إني سمعتُ بعابدينَ عُواءَهُ فعجبتُ كيف يسودُ من لا يعقلُ

من حافظ شاعر مصر إلى فؤاد ملك مصر:

يا مليكاً برغمه يلبسُ التاجَ جَ وَيَرْقَى لعرشه مملوكا
إن أتممت يداك تخريبَ مصر فلقد مهدَ الخرابَ أبوكا
أبقى شيئاً — إذا مضيت ذميماً عن قريبٍ — يأتي عليه بنوكا

الشكوى

(١) إلى محمد الشيمي بك المحامي بطنطا

قال حافظ هذين البيتين، وكان يعمل بمكتبه في أول شبابه قبل انتظامه في سلك المدرسة الحربية، ثم تركه لخلاف وقع بينهما

بباب أستاذنا (الشيمي) ولا عجباً
مم؟ فقال من الحسرات واحرباً

جرباً حظي قد أفرغته طمعا
فعاد لي وهو مملوء فقلت له:

(٢) إلى آدم أبي البشر

وكم خطت أناملنا ضريحا
فدت بالكبش (إسحاق) الذبيحا
وألقت في يد القوم (المسيحا)
ولم تمنحهم الود الصحيحا
تركتهم فكننت لهم مريحا
وصادف سهمي القدح المنيعا

سليل الطين كم نلنا شقاء
وكم أزرنا بنا الأيام حتى
وباعت (يوسفا) بيع الموالى
ويا (نوحا) جنيت على البرايا
علام حملتهم في الفلك هلا
أصاب رفاقي القدح المعلى

(٣) النفس الحزينة (نُشرا في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠م)

بيتان مترجمان عن (جان جاك روسو)

خَلَقْتَ لِي نَفْسًا فَأَرْصَدْتَهَا لِلْحُزْنِ وَالْبَلْوَى وَهَذَا الشَّقَاءُ
فَامَنْنُ بِنَفْسٍ لَمْ يَشُبْهَا الْأَسَى لَعَلَّهَا تَعْرِفُ طَعْمَ الْهَنَاءِ

(٤) سعيّ بلا جدوى (نُشرت في ٣١ ديسمبر سنة ١٩٠٠م)

يصف سعيه المتواصل وبؤسه وإبائه، ويتمنى الراحة من ذلك بالموت

سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلَ الدِّمَا سَعَيْتُ إِلَى أَنْ كِدْتُ أَنْتَعِلَ الدِّمَا
لَحَى اللَّهُ عَهْدَ الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ لَحَى اللَّهُ عَهْدَ الْقَاسِطِينَ الَّذِي بِهِ
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلْقَى السَّعَادَةَ بَيْنَهُمْ
سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودِعٍ سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا سَلَامٌ مُودِعٍ
أَضَرَّتْ بِهِ الْأُولَى فَهَامَ بِأَخْتِهَا أَضَرَّتْ بِهِ الْأُولَى فَهَامَ بِأَخْتِهَا
فَهُبِّي رِياحَ الْمَوْتِ نُكْبًا وَأُطْفِئِي فَهُبِّي رِياحَ الْمَوْتِ نُكْبًا وَأُطْفِئِي
فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي فَمَا عَصَمْتَنِي مِنْ زَمَانِي فَضَائِلِي
فِيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعُ إِذَا عَضَّكَ الْأَسَى فِيَا قَلْبُ لَا تَجْزَعُ إِذَا عَضَّكَ الْأَسَى
وَيَا عَيْنُ قَدْ أَنْ الْجُمُودُ لِمَدَمَعِي وَيَا عَيْنُ قَدْ أَنْ الْجُمُودُ لِمَدَمَعِي
وَيَا يَدُ مَا كَلَّفْتُكَ الْبَسْطَ مَرَّةً وَيَا يَدُ مَا كَلَّفْتُكَ الْبَسْطَ مَرَّةً
فَلِلَّهِ مَا أَحْلَاكَ فِي أَنْمِلِ الْبِلَى فَلِلَّهِ مَا أَحْلَاكَ فِي أَنْمِلِ الْبِلَى
وَيَا قَدَمِي مَا سَرَّتْ بِي لِمَذَلَّةٍ وَيَا قَدَمِي مَا سَرَّتْ بِي لِمَذَلَّةٍ
فَلَا تُبْطِئِي سَيْرًا عَلَى الْمَوْتِ وَاعْلَمِي فَلَا تُبْطِئِي سَيْرًا عَلَى الْمَوْتِ وَاعْلَمِي
وَيَا نَفْسُ كَمْ جَشَّمْتُكَ الصَّبْرَ وَالرِّضَا وَيَا نَفْسُ كَمْ جَشَّمْتُكَ الصَّبْرَ وَالرِّضَا
فَمَا اسْطَعْتُ أَنْ تَسْتَمِرِّي مَرَّ طَعْمِهِ فَمَا اسْطَعْتُ أَنْ تَسْتَمِرِّي مَرَّ طَعْمِهِ
فَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِنَا فَتَجَمَّلِي فَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِنَا فَتَجَمَّلِي
وَيَا صَدْرُ كَمْ حَلَّتْ بِذَاتِكَ ضَيْقَةٌ وَيَا صَدْرُ كَمْ حَلَّتْ بِذَاتِكَ ضَيْقَةٌ

فهلأ تَرَى في ضيقَةِ القَبْرِ فسحةً
ويا قَبْرُ لا تَبْحُلْ بِرَدِّ تَحِيَّةِ
وهيهات يَأْتِي الحَيِّ لِلْمَيِّتِ زائراً
ويأْيُهَا النَّجْمُ الَّذِي طَالَ سَهْدُهُ
لَعَلَّكَ لا تَنْسى عَهودَ مُنادِمٍ
تَنْفُسُ عَنْكَ الكَرْبَ إِنْ بَتَّ مُبْرَمًا؟
على صاحِبِ أَوْفَى عَلَيْنَا وَسَلِّمًا
فإِنِّي رَأَيْتُ الْوَدَّ فِي الحَيِّ أَسْقَمًا
وقد أَخَذْتُ مِنْهُ السُّرَى أَيْنَ يَمَّمَا
تَعْلَمَ مِنْكَ السُّهْدَ وَالْأَيْنَ كُلَّمَا

(٥) الإخفاق بعد الكد (نشرت سنة ١٣١٨هـ - سنة ١٩٠٠م)

وفيهما ينعي مجد الترك والعرب، ويشير إلى معان أخرى في الشكوى

ماذا أَصَبْتَ مِنَ الْأَسْفَارِ وَالنَّصَبِ
نَرَاكَ تَطْلُبُ لا هَوْنًا ولا كَثَبًا
لا تُطْعِمَانِي أَنْيَابَ الْمَلَامِ عَلَى
وِدْدْتُ لَوْ طَرَحُوا بِي يَوْمَ جِئْتُهُمْ
لَعَلَّ (مَانِي) لَاقَى مَا أَكَابَدُهُ
غَنِي أَحْتَسَبْتُ شَبَابًا بَتُّ أَنْفَقُهُ
كَمْ هِمْتُ فِي الْبَيْدِ وَالْأَرَامِ قَائِلُهُ
وَكَمْ لَبِسْتُ الدُّجَى وَالتُّرْبُ نَاعِسُهُ
وَالنَّجْمُ يَعْجَبُ مِنْ أَمْرِي وَيَحْسَبُنِي
لَكِنِّي غَيْرُ مَجْدُودٍ وَمَا فَتِنْتُ
وقد غَدَوْتُ وَأَمَالِي مُطَرَّحَةٌ
فإِنْ تَكُنْ نِسْبَتِي لِلشَّرْقِ مَانِعَتِي
وقاضباتٍ لَهُمْ كَانَتْ إِذَا اخْتَرِطْتُ
وَجَمْرَةٌ لَهُمْ فِي الشَّرْقِ مَا هَمَدَتْ
مَتَى أَرَى (النَّيْلَ) لا تَحْلُو مَوَارِدُهُ
فقد غَدَتْ (مَضْرُ) فِي حَالٍ إِذَا ذُكِرْتُ
كَأَنَّني عِنْدَ ذِكْرِي مَا أَلَمَ بِهَا
وَطَيْكَ الْعُمَرَاءَ بَيْنَ الْوَحْدِ وَالْخَبَبِ؟
ولا نَرَى لَكَ مِنْ مَالٍ ولا نَسْبِ
هذا الْعِثَارِ فَإِنِّي مَهْبِطُ الْعَجَبِ
فِي مَسْبَحِ الْحَوْتِ أَوْ فِي مَسْرَحِ الْعَطَبِ
فَوَدَّ تَعْجِيلُنَا مِنْ عَالَمِ الشَّجَبِ
وَعَزَمَهُ شَابَتِ الدُّنْيَا وَلَمْ تَشَبِ
وَالشَّمْسُ تَرْمِي أَدِيمَ الْأَرْضِ بِاللَّهَبِ
وَاللَّيْلُ أَهْدَأُ مِنْ جَأْشِي لَدَى النُّوبِ
لدى السُّرَى ثَامِنًا لِلْسَّبْعَةِ الشُّهْبِ
يَدُ الْمَقَادِيرِ تُقْصِينِي عَنِ الْأَرْبِ
وفي أُمُورِي مَا لِلضَّبِّ فِي الذَّنْبِ
حَظًّا فَوَاهَا لِمَجْدِ التُّرْكِ وَالْعَرَبِ
تَدَثَّرَ الْغَرْبُ فِي ثَوْبٍ مِنَ الرَّهَبِ
ولا عَلَاهَا رِمَادُ الْخَنْتِلِ وَالْكَذِبِ
لِغَيْرِ مُرْتَهَبٍ لِلَّهِ مُرْتَقِبِ
جَاءَتْ جُفُونِي لَهَا بِاللُّوْلُو الرُّطْبِ
قَرْمٌ تَرَدَّدَ بَيْنَ الْمَوْتِ وَالْهَرَبِ

إِذَا نَطَقْتُ فَقَاعَ السَّجْنِ مُتَّكِّئًا
أَيْشْتُكِي الْفَقْرَ غَادِينَا وَرَائِحُنَا
وَالْقَوْمُ فِي (مِصْرَ) كَالْإِسْفَنْجِ قَدْ ظَفِرَتْ
(يَا آلَ عَثْمَانَ) مَا هَذَا الْجَفَاءَ لَنَا
تَرَكْتُمُونَا لِأَقْوَامٍ تُخَالِفُنَا
وإن سَكْتُ فَإِنَّ النَّفْسَ لَمْ تَطِبْ
ونحن نَمْشِي عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ
بِالْمَاءِ لَمْ يَتْرُكُوا ضَرْعًا لِمُحْتَلِبِ
ونحنُ فِي اللَّهِ إِخْوَانٌ وَفِي الْكُتُبِ
فِي الدِّينِ وَالْفَضْلِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْأَدَبِ

(٦) حسرة على فائت (نشرت في يونيه سنة ١٩٠٢م)

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا بِأَيْدِينَا
كُنَّا قِلَادَةَ جِيدِ الدَّهْرِ فَاَنْفَرَطَتْ
كَانَتْ مَنَازِلُنَا فِي الْعِزِّ شَامِخَةً
وَكَانَ أَقْصَى مَنَى نَهْرِ (الْمَجَرَّةِ) لَوْ
وَالشُّهْبُ لَوْ أَنَّهَا كَانَتْ مُسَحَّرَةً
فَلَمْ نَزَلْ وَصُرُوفُ الدَّهْرِ تَرْمُقُنَا
حَتَّى غَدُونَا وَلَا جَاهٌ وَلَا نَشَبٌ
إِلَّا بَقِيَّةَ دَمْعٍ فِي مَآقِينَا
وَفِي يَمِينِ الْعُلَا كُنَّا رِيَاحِينَا
لَا تُشْرِقُ الشُّمُسُ إِلَّا فِي مَغَانِينَا
مِنْ مَائِهِ مُزِجَتْ أَقْدَاحُ سَاقِينَا
لَرَجْمٍ مَنْ كَانَ يَبْدُو مِنْ أَعَادِينَا
شَزْرًا وَتَخَدُّعُنَا الدُّنْيَا وَتُلْهِينَا
وَلَا صَدِيقٌ وَلَا خِلٌّ يُوَاسِينَا

(٧) وداع الشباب (نشرت في ٢٦ فبراير سنة ١٩٣٢م)

قال هذه القصيدة في دار وسط مزارع في الجيزة قضى فيها بعض أيام شبابه، ثم مرَّ بها بعد عهد طويل من تحوله عنها فتحرَّكت في نفسه ذكريات، وجاش صدره بهذه الأبيات

كَمْ مَرَّ بِي فِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَذْكُرُهُ
وَدَعْتُ فِيكَ بَقَايَا مَا عَلِقْتُ بِهِ
أَهْفُو إِلَيْهِ عَلَى مَا أَقْرَحْتُ كِبْدِي
لِبِسْتُهُ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ طَيِّعَةٌ
فَكَانَ عَوْنِي عَلَى وَجْدٍ أَكَابِدُهُ
وَمَرَّ بِي فِيكَ عَيْشٌ لَسْتُ أَنْسَاهُ
مَنْ الشَّبَابُ وَمَا وَدَعْتُ ذِكْرَهُ
مَنْ التَّبَارِيحِ أَوْلَاهُ وَأَخْرَاهُ
وَالنَّفْسُ جِيَّاشَةٌ وَالْقَلْبُ أَوَاهُ
وَمُرَّ عَيْشٌ عَلَى الْعِلَاقِ أَلْقَاهُ

إِنْ خَانَ وَدِّي صَدِيقٌ كُنْتُ أَصْحَبُهُ
 قَدْ أَرْحَصَ الدَّمْعُ يَنْبُوعُ الْغَنَاءِ بِهِ
 كَمْ رَوْحَ الدَّمْعِ عَنْ قَلْبِي وَكَمْ غَسَلْتُ
 لَمْ أَذْرِ مَا يَدُهُ حَتَّى تَرَشَّفَهُ
 قَالُوا تَحَرَّرْتُ مِنْ قَيْدِ الْمَلَاكِ فَعِشْ
 فَقُلْتُ يَا لَيْتَهُ دَامَتْ صِرَامَتُهُ
 بُدِّلْتُ مِنْهُ بِقَيْدٍ لَسْتُ أَفْلَتُهُ
 أَسْرَى الصَّبَابَةِ أَحْيَاءُ وَإِنْ جَهْدُوا
 أَوْ خَانَ عَهْدِي حَبِيبٌ كُنْتُ أَهْوَاهُ
 وَاهْتَفَّتِي، وَنُضُوبُ الشَّيْبِ أَغْلَاهُ
 مِنْهُ السَّوَابِقُ حُزْنًا فِي حَنَائَاهُ
 فَمُ الْمَشِيبِ عَلَى رَغْمِي فَأَفْنَاهُ
 حُرًّا فِي الْأَسْرِ ذُلٌّ كُنْتُ تَأْبَاهُ
 مَا كَانَ أَرْفَقَهُ عِنْدِي وَأَحْنَاهُ
 وَكَيْفَ أَفْلَتُ قَيْدًا صَاغَهُ اللَّهُ
 أَمَّا الْمَشِيبُ فِي الْأَمْوَاتِ أَسْرَاهُ

وقال: (كتب بها من السودان إلى بعض أصدقائه يشكو حظّه ويتشوّق إلى مصر)

رَمَيْتُ بِهَا عَلَى هَذَا التَّبَابِ
 وَمَا حَمَلْتُهَا إِلَّا شَقَاءَ
 جَنَيْتُ عَلَيْكَ يَا نَفْسِي وَقَبْلِي
 فَلَوْلَا أَنَّهُمْ وَأَدُّوا بَيَانِي
 سَعَيْتُ وَكَمْ سَعَى قَبْلِي أَدِيبُ
 وَمَا أَعَذَّرْتُ حَتَّى كَانَ نَعْلِي
 وَحَتَّى صَيَّرْتَنِي الشَّمْسُ عَبْدًا
 وَحَتَّى قَلَمَ الْإِمْلَاقُ ظُفْرِي
 مَتَى أَنَا بَالِغٌ يَا (مِصْرُ) أَرْضًا
 رَأَيْتُ ابْنَ الْبُخَارِ عَلَى رُبَاهَا
 كَأَنَّ بِجَوْفِهِ أَحْشَاءَ صَبَّ
 إِذَا مَا لَاحَ سَاءَلْنَا الدِّيَاجِي
 وَمَا أَوْرَدْتُهَا غَيْرَ السَّرَابِ
 تُقَاضِيَنِي بِهِ يَوْمَ الْحِسَابِ
 عَلَيْكَ جَنَى أَبِي فَدَعِيَ عِتَابِي
 بَلَغْتُ بِكَ الْمُنَى وَشَفَقْتُ مَا بِي
 فَابَ بَحْيِبَةٍ بَعْدَ اغْتِرَابِ
 دَمًا وَوَسَادَتِي وَجْهَ التُّرَابِ
 صَبِيغًا بَعْدَ مَا دَبَغْتَ إِهَابِي
 وَحَتَّى حَطَمَ الْمِقْدَارُ نَابِي
 أَشْمُ بِتُرْبِهَا رِيحَ الْمَلَابِ
 يَمُرُّ كَأَنَّهُ شَرَحُ الشَّبَابِ
 يُوجِّجُ نَارَهَا شَوْقُ الْإِيَابِ
 أَبْرُقُ الْأَرْضَ أَمْ بَرُقَ السَّحَابِ

وقال:

ما لهذا النّجم في السّحر
 خِلْتَهُ يَا قَوْمُ يُؤْنِسُنِي
 قد سَهَا من شِدَّةِ السَّهْرِ؟
 إِنَّ جَفَانِي مُؤْنِسُ السَّحَرِ

يا لِقَوْمِي إِنِّي رَجُلٌ
 أَسْهَرْتُني الحَادِثَاتُ وَقَدْ
 وَالِدُجَيَّ يَخْطُو عَلَى مَهْلٍ
 فِيهِ شَخْصُ الْيَأْسِ عَانَقْنِي
 وَأَثَارَتْ بِي فَوَادِحُهُ
 وَكَأَنَّ اللَّيْلَ أَقْسَمَ لَا
 أَيُّهَا الزَّنَجِيُّ مَالِكَ لَمْ
 لِي حَبِيبٌ هَاجِرٌ وَلَهُ
 أَتَلَاشِي فِي مَحَبَّتِهِ
 أَفْنَتِ الْآيَامَ مُصْطَبِرِي
 نَامَ حَتَّى هَاتِفُ الشَّجَرِ
 خَطُّو نِي عَزَّ وَذِي خَفَرٍ
 كَحَبِيبِ أَبٍ مِنْ سَفَرٍ
 كَامِنَاتِ الْهَمِّ وَالْكَدْرِ
 يَنْقُضِي أَوْ يَنْقُضِي عُمْرِي
 تَخَشُّ فِينَا خَالِقَ الْبَشَرِ؟
 صُورَةٌ مِنْ أَبْدَعِ الصُّوَرِ
 كَتَلَاشِي الظِّلَّ فِي الْقَمَرِ

(٨) شكوى الظلم

لَقَدْ كَانَتْ الْأَمْثَالُ تُضْرَبُ بَيْنَنَا
 فَلَمَّا بَدَتْ فِي الْكُونِ آيَاتُ ظُلْمِهِمْ
 بَجَوْرِ (سُدُومَ) وَهُوَ مِنْ أَظْلَمِ الْبَشَرِ
 إِذَا (بَسْدُومَ) فِي حُكُومَتِهِ (عُمَرُ)

وقال في مرض له:

مَرَضْنَا فَمَا عَادَنَا عَائِدُ
 وَلَا حَنْ طَرُسٍ إِلَى كَاتِبِ
 سَكَنَّا فَعَزَّ عَلَيْنَا السُّكُوتُ
 فَيَا دَوْلَةً أَذْنَتْ بِالزَّوَالِ
 وَلَا تَحْسِبِينَا سَلَوْنَا النَّسِيبِ
 وَلَا قِيلَ: أَيْنَ الْفَتَى الْأَلْمَعِي؟
 وَلَا خَفَّ لَفْظُ عَلَى مِسْمَعِ
 وَهَانَ الْكَلَامُ عَلَى الْمُدَّعِي
 رَجَعْنَا لِعَهْدِ الْهَوَى فَارْجِعِي
 وَبَيْنَ الضُّلُوعِ فَوَادٍ يَعْجِي

(٩) سجن الفضائل

نَعْمَنَ بِنَفْسِي وَأَشَقَيْتَنِي	فِيَا لَيْتَهُنَّ وَيَا لَيْتَنِي
خِلَالُ نَزَلَنَ بِخُصْبِ النُّفُوسِ	فَرَوَيْنَهُنَّ وَأَظْمَأْنَنِي
تَعَوَّدَنَ مِنِّي إِبَاءَ الْكَرِيمِ	وَصَبَرَ الْحَلِيمِ وَتِيهِ الْغَنِي
وَعَوَّدْتُهُنَّ نِزَالَ الْخُطُوبِ	فَمَا يَنْتَنِينَ وَمَا أَنتَنِي
إِذَا مَا لَهَوْتُ بِلَيْلِ الشَّبَابِ	أَهْبَنَ بَعَزْمِي فَنَبَّهَنِي
فَمَا زِلْتُ أَمْرَحُ فِي قَدَّهِنَّ	وَيَمْرَحُنَ مِنِّي بَرُوضَ جَنِي
إِلَى أَنْ تَوَلَّى زَمَانُ الشَّبَابِ	وَأَوْشَكَ عُودِي أَنْ يَنْحَنِي
فِيَا نَفْسُ إِنْ كُنْتَ لَا تُوقِنِينَ	بِمَعْقُودِ أَمْرِكَ فَاسْتَيْقِنِي
فَهَذِي الْفَضِيلَةُ سَجْنُ النُّفُوسِ	وَأَنْتِ الْجَدِيرَةُ أَنْ تُسْجَنِي
فَلَا تَسْأَلِينِي مَتَى تَنْقُضِي	لِيَالِي الْإِسَارِ؟ وَلَا تَحْزَنِي

(١٠) كتاب إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

كتب به إليه من السودان

كتابي إلى سيدي، وأنا من وعده بين الجنة والسلسيل، ومن تيهي به فوق النثرة والإكليل؛ وقد تعجلت السرور، وتسلفت الحبور؛ وقطعت ما بيني وبين النوائب

وَبَشَّرْتُ أَهْلِي بِالَّذِي قَدْ سَمِعْتُهُ	فَمَا مَحْنَتِي إِلَّا لِيَالٍ قَلَائِلُ
وَقُلْتُ لَهُمْ: لِلشَّيْخِ فِينَا مَشِيئَةٌ	فَلَيْسَ لَنَا مِنْ دَهْرِنَا مَا نُنَازِلُ

وجمعت فيه بين ثقة الزبيدي بالصمصامة، والحارث بالنعامة؛ فلم أقل ما قال الهذلي لصاحبه حين نسي وعده، وحجب رفده:

يَا دَارَ عَاتِكَةِ الَّتِي أَتَعَزَّلُ

بل أناديه نداء الأخيذة في عمورية، شجاع الدولة العباسية؛ وأمد صوتي بذكر
إحسانه، مد المؤذن صوته في أذانه؛ وأعتد عليه في البعد والقرب، اعتماد الملاح على نجمة
القطب.

وقال أصيحابي وقد هالني النوى وهالهم أمري: متى أنت قافل؟
فقلت: إذا شاء الإمام فأوبتي قريب وربعي بالسعادة أهل

وهأنا متماسك حتى تنحسر هذه الغمرة، وينطوي أجل تلك الفترة؛ وينظر لي سيدي
نظرة ترفعني من ذات الصدع، إلى ذات الرجوع؛ وتردني إلى وكري الذي فيه درجت رد
الشمس قطرة المزن إلى أصلها، ورد الوفي الأمانات إلى أهلها.

فإن شاء فالقرب الذي قد رجوته وإن شاء فالعز الذي أنا أمل
وإلا فإنني قاف (رؤبة) لم أزل بقيد النوى حتى تغول الغوائل

فلقد حلت السودان حلول الكليم في التابوت، والمغاضب في جوف الحوت؛ بين
الضيق والشدة، والوحشة والوحدة. لا، بل حلول الوزير في تنور العذاب والكافر في
موقف يوم الحساب؛ بين نارين: نار القيظ، ونار الغيظ.

فناديت باسم الشيخ والقيظ جمره يذيب دماغ الضب والعقل زاهل
فصرت كأني بين روض ومنهل تدب الصبا فيه وتشدو البلابل

واليوم أكتب إليه وقد قعدت همه النجمين، وقصرت يد الجديدين؛ عن إزالة ما
في نفس ذلك الجبار العنيد، فلقد نمت ضب ضغنه علي، وبدرت بوادر السوء منه إلي؛
فأصبحت كما سر العدو وساء الحميم، وآلمي كأنها جلود أهل الجحيم، كلما نضج منها
أديم تجدد أديم، وأمست وملك آلمي إلى الزوال أسرع من أثر الشهاب في السماء، ودولة
صبري إلى الاضمحلال أحت من حباب الماء؛ فنظرت في وجوه تلك العباد، وإنني لفارس
العين والفؤاد؛ فلم تقف فراستي على غير بابك.

وإنني أهديك سلاماً لو امتزج بالسحاب، واختلط منه باللعاب؛ لأصبحت تتهدى
بقطره الأكاسره، وأمست تدخر منه الزهبان في الأديرة؛ ولأعنى ذات الحجاب، عن الغالية

الشكوى

والمَلَاب؛ ولا بُدَّعَ إِذَا جَادَ السَّيِّدُ بِالرَّدِّ، فَقَدْ يُرَى وَجْهُ الْمَلِكِ فِي الْمِرْآةِ، وَخَيَالُ الْقَمَرِ فِي
الْأُضْءَةِ؛ وَإِنْ حَائِلٌ، دُونَ أُمْنِيَّةِ هَذَا السَّائِلِ؛ فَهُوَ لَا يَذُومُ يَوْمَكَ، وَلَا يَيْئَسُ مِنْ غَدِكَ؛
فَأَنْتَ خَيْرٌ مَا تَكُونُ حِينَ لَا تَتَظَنُّ نَفْسٌ بِنَفْسٍ خَيْرًا؛ وَالسَّلَامُ.

المراثي

(١) رثاء عثمان السيّد أباطه بك سنة ١٩٨٦م

فليس ذلك يومَ الرّاحِ والعُودِ
ماءِ المَدَامِجِ عن ماءِ العِناقيدِ
صَوْتُ النُّوَادِبِ لا صَوْتُ الأغاريدِ
وَبَلِّغَا الغِيدَ عَنِّي سَلْوَةَ الغِيدِ
قد آلَ أُمْرِي إلى هَمٍّ وَتَسْهِيدِ
مِنَ الحِياةِ وَحَظًّا غَيْرَ مَنكُودِ؟
داعي المَنونِ وَأَنِّي غَيْرُ مَنشُودِ
أَرْضُ نَوَارِيَتْ فِيهَا يا فَتَى الجُودِ
قُلْنَا بِأَنَّكَ فِيهَا خَيْرُ مَلْحُودِ
لَحَمْلِ نَعْشِكَ عن هامِ الأماجيدِ
وَأَثَرَتْ مَعَكَ سُكْنَى القَفْرِ والبيدِ
هذا الفَقِيدَ بِثُوبٍ مِنْهُ مَقْدُودِ
أَكْبَرَتْهَا عندَ تَلْيِينِ وَتَشْديدِ
جَفَّتْ عَلَيْكَ مَأْقَى الحَرِّدِ الخُودِ
عَلَيْكَ ما بَيْنَ مَحْزُونٍ وَمَعْمُودِ
بِالبِشْرِ مُنْتَقِبٍ فِي النَّاسِ مَحْمُودِ
أَفَقَ البُودِ وَغَابًا لِلصَّنَادِيدِ

رُدًّا كُتُوسَكُما عن شِبْهِ مَفْؤُودِ
يا ساقِيَّيَّ أَرَانِي قد سَكَنْتُ إلى
وَبَتْ يَرْتاحُ سَمْعِي حينَ يَفْتُتُّهُ
فَأَمْسِكَ الرّاحَ إِنِّي لا أَخَامِرُها
ثُمَّ أَمْضِيا ودَعَانِي إِنَّنِي رَجُلٌ
أَبْعَدُ (عُثْمَانُ) أَبْغِي مَأْرَبًا حَسَنًا
إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ جاءَ يَنْشُدُهُ
أَمَسْتُ تَنافَسُ فِيكِ الشُّهْبُ مِنْ شَرَفِ
لو لم تَكُنْ سَبَقَتَكَ الأنبياءُ لَهَا
وَوَدَّتِ الرِّيحُ لو كانت مُسَخَّرَةً
والشمسُ لو أَنَّها مِنْ أَفْقِها هَبَطَتْ
وقد تَمَنَّى الضُّحَى لو أَنَّهُمْ دَرَجُوا
يا راجِلًا أَكْبَرَتْكَ الحادِثاتُ وما
أَبْكَيْتِ حَتَّى العُلا والمَكْرُماتُ وما
وباتَ أَلْكَ والأَصْحابُ كُلُّهُمُ
يَبْكُونَ فَقَدْ امْرئٍ لِلْخَيْرِ مُنْتَسِبُ
(بَنِي أَباطة) لا زالت دِيارُكُمْ

لا قَدَّرَ اللهُ بعدَ اليومِ تَعْرِيةَ
وَعَظَّمَ اللهُ في (عُثْمَانَ) أَجْرَكُمْ
إِلَّا هِنَاءً عَلَى عِزٍّ وَتَخْلِيدِ
فِي رَحْمَةِ اللهِ أَمْسَى خَيْرَ مَغْمُودِ

(٢) رثاء سليمان أباطله باشا (قيلت في سنة ١٨٩٧م)

أَيْهَذَا النَّزَى إِلَامَ التَّمَادِي
أَنْتَ تَرَوِي مِنْ مَدْمَعِ كُلِّ يَوْمٍ
قَدْ جَعَلْتَ الْأَنَامَ زَادَكَ فِي الدَّهْرِ
فَالْتِمَسْ بَعْدَهُ الْمَجَرَّةَ وَرَدًا
لَسْتُ أَدْعُوكَ بِالتُّرَابِ وَلَكِنْ
بِخُذِ الْحِسَانَ، بِالْأَعْيُنِ النَّجْمِ
لَمْ تَلِدْنَا (حَوَاءً) إِلَّا لِنَشْقَى
أَسْلَمْتَنَا عَلَى صُرُوفِ زَمَانٍ
أَيُّهَا الْيَمُّ كَمْ بِقَاعِكَ نَفْسٍ
قَدْ تَحَالَفَتْ وَالتُّرَابَ عَلَيْنَا
خَبَرِنَا جُهَيْنَ لَا تَكْذِبِينَا
كَيْفَ أَمْسَى وَكَيْفَ أَصْبَحَ فِيهِ
رَجِمَ اللهُ مِنْهُ لَفْظًا شَهِيًّا
رَجِمَ اللهُ مِنْهُ طَرْفًا ثَقِيًّا
رَجِمَ اللهُ مِنْهُ شَهْمًا وَفِيًّا
أَلْهَمَ اللهُ فِيكَ صَبْرًا جَمِيلًا
بِتَّ فِي حُلَّةِ النَّعِيمِ وَبِتْنَا
وَسَكَنْتَ الْقُصُورَ فِي بَيْتِ خُلْدٍ

بَعْدَ هَذَا أَأَنْتَ غَرْتَانُ صَادِي
وَتُعَدِّي مِنْ هَذِهِ الْأَجْسَادِ
بِرٍّ وَقَدْ أَذَنَ الْوَرَى بِالنَّفَادِ
وَتَزَوَّدَ مِنَ النُّجُومِ بِزَادٍ
بِقُدُودِ الْمِلَاحِ وَالْأَجْيَادِ
لِي، بِتِلْكَ الْقُلُوبِ وَالْأَكْبَادِ
لَيْتَهَا عَاطِلٌ مِنَ الْأَوْلَادِ
ثُمَّ لَمْ تُوصِهَا بِحِفْظِ الْوِدَادِ
فِيكَ أَوَدْتُ مِنْ عَهْدِ ذِي الْأَوْتَادِ
وَتَقَاسَمْتُمَا فَنَاءَ الْعِبَادِ
مَا الَّذِي يَفْعَلُ الْبَلَى بِالْجَوَادِ؟
ذَلِكَ الْمُنْعِمُ الْكَثِيرُ الرَّمَادِ
كَانَ أَحْلَى مِنْ رَدِّ كَيْدِ الْأَعَادِي
وَيَمِينًا تَسِيلُ سَيْلَ الْغَوَادِي
كَانَ مِلءُ الْعُيُونِ فِي كُلِّ نَادِي
كُلُّ مَنْ بَاتَ نَاطِقًا بِالضَّادِ
فِي ثِيَابٍ مِنَ الْأَسَى وَالسُّهَادِ
وَسَكَنَّا عَلَيْكَ بَيْتَ الْحِدَادِ

وقال يرثيه أيضاً:

ما باتَ بِعَدَاكَ مُعْجَبٌ فَوْفَاءِ
فَلِمَنْ أَوْجَهُ فَيْكَ حُسْنُ عَزَائِي؟
لِلدَّهْرِ، أَمْ لَجَمَاعَةِ الْجَوَازِ؟
حُسْنُ الْوَفَاءِ وَبَهْجَةُ الْعُلَيَاءِ
مَا حَمَلْتِ مِنْ مِنَّةٍ وَعَطَاءِ
يَسْرِي بِهِ لِلرَّوْضَةِ الْفَيْحَاءِ
مُذْ لَامَسْتَهُ لَأَوْرَقْتُ لِلرَّائِي
كَالزَّهْرِ، أَوْ كَالخَمْرِ، أَوْ كَالْمَاءِ
مَا بَاتَ يَشْكُوهُ الْمُحِبُّ النَّائِي
مِنْ عِقَّةٍ، وَسَمَاحَةٍ، وَإِبَاءِ
قُلْنَا مَنَاقِبُ صَاحِبِ الْإِسْرَاءِ
أَحْدَاثِ، وَالْأَيَّامِ، وَالْأَعْدَاءِ
أَجَلُ الْقَرِيضِ وَمَوْسَمُ الشُّعْرَاءِ
بَسْمُوطٍ مَذْحٍ أَوْ سُمُوطٍ هَنَاءِ
أَحْيَا عَلَيْكَ مَرَاتِي الْخَنَسَاءِ
فِيهِ الْإِقَامَةُ وَاجِدُ الْعِذْرَاءِ
وَإِشْرَحْ (لَالِ أَبَاطَةِ) بُرَحَائِي
ضَيْقًا بِسَاحَةِ أَكْرَمِ الْكُرَمَاءِ

لَا وَالْأَسَى وَتَلْهَبِ الْأَحْشَاءِ
أَنْتِي حَلَلْتُ أَرَى عَلَيْكَ مَاتِمًا
لِبَنِيكَ، أَمْ لَدَوِيكَ، أَمْ لِلْكَوْنِ، أَمْ
أَوْدَى (سُلَيْمَانُ) فَأَوْدَى بَعْدَهُ
لَا تَحْمِلُوهُ عَلَى الرِّقَابِ فَقَدْ كَفَى
وَذَرُوا عَلَى نَهْرِ الْمَدَامِيعِ نَعْشَهُ
تَالِلِهِ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ أَعْوَادَهُ
خُلُقُ كَضْوَى الْبَدْرِ، أَوْ كَالرَّوْضِ، أَوْ
وَشِمَائِلُ لَوْ مَارَجَتْ طَبَعَ الدُّجَى
وَمَحَامِدُ نَسَجَتْ لَهُ أَكْفَانَهُ
وَمَنَاقِبُ لَوْلَا الْمَهَابَةُ وَالتُّقَى
وَعَزَائِمُ كَانَتْ تَفْلُ عَزَائِمَ الْـ
عَطَلَتْ فَنَ الشُّعْرُ بِعَدَاكَ وَانطَوَى
وَاللُّلُؤُ اسْتَعْصَى عَلَيْنَا نَظْمُهُ
إِلَّا عَلَى طَرْفِ بَكَاكٍ وَشَاعِرِ
شَوْقَتَنَا لِلتَّرْبِ بِعَدَاكَ وَاشْتَهَى
ثَبَّتْ فَوَادَكَ يَا قَلِيلَ تَصَبَّرِي
فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ بَاتَ عَزِيزُهُمْ

(٣) رثاء الملكة فكتوريا (نشرت في ٢٤ يناير سنة ١٩٠١م)

أَعَزِّي الْقَوْمَ لَوْ سَمِعُوا عَزَائِي
وَأَعْلِنُ فِي مَلِكِيَّتِهِمْ رِثَائِي
وَأَدْعُو الْإِنْجِلِيزَ إِلَى الرِّضَاءِ
بِحُكْمِ اللَّهِ جَبَّارِ السَّمَاءِ

فَكُلُّ الْعَالَمِينَ إِلَى فَنَاءِ
 أَشْمُسُ الْمُلْكِ أَمْ شَمْسُ النَّهَارِ
 هَوَتْ أَمْ تِلْكَ مَالِكَةُ الْبَحَارِ
 فَطَرَفُ الْغَرْبِ بِالْعَبْرَاتِ جَارِي
 وَعَيْنُ الْيَمِّ تَنْظُرُ لِلْبُخَارِ
 بِنَظْرَةٍ وَاجِدٍ قَلِقِ الرَّجَاءِ
 أَمَالِكَةُ الْبَحَارِ وَلَا أُبَالِي
 إِذَا قَالُوا تَغَالَى فِي الْمَقَالِ
 فَمِثْلُ غُلَاكِ لَمْ أَرِ فِي الْمَعَالِي
 وَلَا تَاجًا كَتَاكِ فِي الْجَلَالِ
 وَلَا قَوْمًا كَقَوْمِكَ فِي الدَّهَاءِ
 مَلَأْتَ الْأَرْضَ أَعْلَامًا وَجُنْدًا
 وَشَدْتَ لَأَمَّةٍ (السَّكُّونِ) مَجْدًا
 وَكُنْتَ لِفَالِهَا يُمْنًا وَسَعْدًا
 تَرَى فِي نَوْرِ وَجْهِكَ إِنْ تَبَدَّى
 سُعُودَ الْبَدْرِ فِي بُرْجِ الْهَنَاءِ
 وَكُنْتَ إِذَا عَمَدْتَ لِأَخْذِ ثَارِ
 أَسْلَتِ الْبَرَّ بِالْأَسَدِ الضُّوَارِي
 وَسَيَّرْتَ الْمَدَائِنَ فِي الْبَحَارِ
 وَأَمْطَرْتَ الْعَدُوَّ شِوَاظَ نَارِ
 وَذَرَيْتَ الْمَعَاقِلَ فِي الْهَوَاءِ
 أُعْزِّيْ فَيْكَ تَاجَكَ وَالسَّرِيرَا
 أُعْزِّيْ فَيْكَ ذَا الْمَلِكِ الْكَبِيرَا
 أُعْزِّيْ فَيْكَ ذَا الْأَسَدِ الْهَاصُورَا
 عَلَى الْعِلْمِ الَّذِي مَلَكَ الدُّهُورَا
 وَظَلَّلَ تَحْتَهُ أَهْلَ الْوَلَاءِ
 أُعْزِّيْ فَيْكَ أَبْطَالَ النَّزَالِ

وَمَنْ قَاسُوا الشَّدَائِدَ فِي الْقِتَالِ
وَأَلْقَوْا بِالْعَدُوِّ إِلَى الْوَبَالِ
وَلَمْ يَمْنَعُهُمْ فَوْقَ الْجِبَالِ
لَهَيْبُ الصَّيْفِ أَوْ قُرُّ الشَّتَاءِ

(٤) بيتان كُتبا على قبر السيّد عبد الرحمن الكواكبي (في سنة ١٩٠٢م)

هنا رَجُلُ الدُّنْيَا، هنا مَهْطُ التَّقَى
هنا حَيْرُ مَظْلُومٍ، هنا حَيْرُ كَاتِبِ
قِفُوا واقْرءوا أُمَّ الْكِتَابِ وَسَلِّمُوا
عليه فهذا القَبْرُ قَبْرُ (الكَوَاكِبِي)

(٥) رثاء محمود سامي البارودي باشا (نشرت في ٢٢ يناير سنة ١٩٠٥م)

رُدُّوا عَلَيَّ بَيَانِي بَعْدَ (محمود)
مَا لِلْبَلَاغَةِ غَضَبِي لَا تُطَاوَعُنِي
ظَنَنْتُ سُكُوتِي صَفْحًا عَنْ مَوَدَّتِهِ
وَلَوْ دَرَّتْ أَنَّ هَذَا الْخُطْبَ أَفْحَمَنِي
لَبَّيْكَ يَا مُؤَنِّسَ الْمَوْتَى وَمُوجِشَنَا
مُلْكُ الْقُلُوبِ — وَأَنْتَ الْمُسْتَقِلُّ بِهِ —
لَقَدْ نَزَحْتَ عَنِ الدُّنْيَا كَمَا نَزَحْتَ
أَغْمَضْتَ عَيْنَيْكَ عَنْهَا وَازْدَرَيْتَ بِهَا
لَبَّيْكَ يَا شَاعِرًا ضَنَّ الزَّمَانُ بِهِ
تَجْرِي السَّلَاسَةُ فِي أَثْنَاءِ مَنْطِقِهِ
فِي كُلِّ بَيْتٍ لَهُ مَاءٌ يَرِفُ بِهِ
لَوْ حَنَطُوكَ بِشَعْرٍ أَنْتَ قَائِلُهُ
حَلَّيْتَهُ بَعْدَ أَنْ هَذَّبْتَهُ بِسَنَا

إِنِّي عَيِّتُ وَأَعْيَا الشُّعْرُ مَجْهُودِي
وَمَا لِحَبْلِ الْقَوَافِي غَيْرَ مَمْدُودِي؟
فَأَسْلَمْتَنِي إِلَى هَمٍّ وَتَسْهِيدِ
لَأُطْلَقَتْ مِنْ لِسَانِي كُلُّ مَعْقُودِ
يَا فَارِسَ الشُّعْرِ وَالْهَيْجَاءِ وَالْجُودِ
أَبْقَى عَلَى الذَّهْرِ مِنْ مُلْكِ (ابن داود)
عَنْهَا لِيَالِيكَ مِنْ بَيْضٍ وَمِنْ سُودِ
قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَمْ تَحْفَلْ بِمَوْجُودِ
عَلَى النُّهَى وَالْقَوَافِي وَالْأَنَاشِيدِ
تَحْتَ الْفَصَاحَةِ جَرِي الْمَاءِ فِي الْعُودِ
تَغَارُ مِنْ ذِكْرِهِ مَاءُ الْعَنَاقِيدِ
غَنِيَتْ عَنْ نَفْحَاتِ الْمِسْكِ وَالْعُودِ
عَقْدٌ بِمَدْحِ رَسُولِ اللَّهِ مَنْضُودِ

يَوْمَ الْحِسَابِ وَذَاكَ الْعَقْدُ فِي الْجِيْدِ
هَزَّ الْحُسَامَ، وَمَنْ لَبَّى، وَمَنْ نُودِي
لَكَ الْفَضِيلَةَ رُكْنًا غَيْرَ مَهْدُودِ
غَيْرِ الْمَوَاهِبِ فِي زِكْرِ وَتَخْلِيدِ
إِنْ صَحَّ أَنَّكَ فِيهَا غَيْرُ مَحْمُودِ
دُونَ الْمَقَادِيرِ أَوْ فَازَتْ بِمَقْصُودِ
وَكَانَ هَمُّكَ هَمَّ الْقَادَةِ الصَّيْدِ
وَالْحَرْبُ تَضْرِبُ صَنْدِيدًا بِصَنْدِيدِ
هَذَا مَجَالِكِ سُودِي فِيهِ أَوْ بِيْدِي
فِي يَوْمِ (نَظَر) عَنْ (هَانِي بْنِ مَسْعُودِ)
عَلَى رَوِيٍّ وَلَكِنْ غَيْرُ مَعْنُودِ
يَرْمِي بِهِ عَرَبِيٌّ غَيْرُ رَعْدِيدِ
فَكَادَ صَرَّحَ الْمَعَالِي بِعَدِّهِ يُودِي
وَأَقْفَرَ الرُّؤُوسَ مِنْ شَدْوٍ وَتَغْرِيدِ
كَأَنَّهُ دَسَمَ فِي جَوْفٍ مَمْعُودِ
فَرَّاحٍ يَغْتَرُّ فِي حَشْوٍ وَتَغْقِيدِ
تُثِيرُهَا خَطَرَاتُ الْخُرْدِ الْخُودِ
مَنْ كُنَزَ حِكْمَتِهِ لَا جَوْفَ أُخْدُودِ
أَوْ وَاضِحٍ مِنْ قَمِيصِ الصُّبْحِ مَقْدُودِ
فَوْقَ الْكَوَاكِبِ لَا تَحْتَ الْجَلَامِيدِ
لِلشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَالْأَمْصَارِ وَالْبِيدِ
وَالنَّاسِ مَا بَيْنَ مَكْبُودٍ وَمَقْوُودِ
مَعَ الْمَلَائِكِ تَكْرِيمًا (لِمَحْمُودِ)
مُقَسَّمِ الْوَجْهِ مَحْسُودِ التَّجَالِيدِ
لَهَا بِخِذْرِ الْمَعَالِي أَلْفُ مَوْلُودِ
مُخْصِي الْجَدِيدِ سَجَلَاتِ الْمَوَالِيدِ
وَحُسْنُهَا بَيْنَ مَشْهُودٍ وَمَحْسُودِ

كَفَاكَ زَادًا وَزَيْنًا أَنْ تَسِيرَ إِلَى
لَبَّيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ هَزَّ الْبِرَاعَ، وَمَنْ
إِنْ هَذَا رُكْنُكَ مَنكُوبًا فَقَدْ رَفَعْتَ
إِنَّ الْمَنَاصِبَ فِي عَزْلِ وَتَوَلِّيَةِ
أَكْرَمَ بِهَا زَلَّةً فِي الْعُمُرِ وَاحِدَةً
سَلُوا الْحِجَابَ هَلْ قَضَتْ أَرْبَابُهُ وَطَرًا
كَنْتَ الْوَزِيرَ وَكَنْتَ الْمُسْتَعَانَ بِهِ
كَمْ وَقْفَةٍ لَكَ وَالْأَبْطَالُ طَائِرَةٌ
تَقُولُ لِلنَّفْسِ إِنْ جَاشَتْ إِلَيْكَ بِهَا
نَسَخَتْ (يَوْمَ كَرِيدِ) كُلَّ مَا نَقَلُوا
نَظَّمْتَ أَعْدَاكَ فِي سَلِّكَ الْفَنَاءِ بِهِ
كَأَنَّهُمْ كَلِمٌ وَالْمَوْتُ قَافِيَةٌ
أَوْدَى (الْمَعْرِي) تَقِي الشُّعْرَ مُؤْمِنُهُ
وَأَوْحَشَ الشَّرْقُ مِنْ فَضْلِ وَمِنْ أَدَبِ
وَأَصْبَحَ الشُّعْرُ وَالْأَسْمَاعُ تَنْبِذُهُ
أَلْوَى بِهِ الضَّعْفُ وَاسْتَرْخَتْ أَعْنَتُهُ
وَأُنْكَرَتْ نَسَمَاتُ الشُّوقِ مَرْبَعَهُ
لَوْ أَنْصَفُوا أَوْدَعُوهُ جَوْفَ لَوْلُؤَةٍ
وَكَفَّنُوهُ بِدَرْجٍ مِنْ صَحَائِفِهِ
وَأَنْزَلُوهُ بِأَفْقٍ مِنْ مَطَالِعِهِ
وَنَاشَدُوا الشَّمْسَ أَنْ تَنْعَى مُحَاسِنَهُ
أَقُولُ لِلْمَلِكِ الْغَادِي بِمَوْكِبِهِ
غَضَا الْعُيُونُ فَإِنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ
يَا وَيْحَ لِلْقَبْرِ قَدْ أَخْفَى سَنَا قَمَرِ
يَا وَيْحَهُ حَلَّ فِيهِ ذُو قَرِيحَتِهِ
فَرَائِدُ خُرْدٍ لَوْ شَاءَ أَوْدَعَهَا
كَأَنَّهُا وَهِيَ بِالْأَلْفَاظِ كَاسِيَةٌ

لَأَلِيَّ خَلْفَ بَلُورٍ قَدْ اتَّسَقَتْ
(مَحْمُودٌ) إِنِّي لَأَسْتَحْيِيكَ فِي كَلَمِي
فَاعِذِرْ قَرِيبِي وَاعِذِرْ فِيكَ قَائِلُهُ
فِي بَيْتٍ دُهْقَانٌ تَسْتَهْوِي نُهَى الْغِيدِ
حَيًّا وَمَيِّتًا وَإِنْ أَبْدَعْتُ تَفْصِيدِي
كِلَاهُمَا بَيْنَ مَضْعُوفٍ وَمَحْدُودِ

(٦) رثاء الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (نشرت في ٢٢ أغسطس سنة ١٩٠٥م)

سَلَامٌ عَلَى الْإِسْلَامِ بَعْدَ مَحَمَّدٍ
عَلَى الدِّينِ والدُّنْيَا، عَلَى الْعِلْمِ والحِجَا
لَقَدْ كُنْتُ أَخْشَى عَادِي الْمَوْتِ قَبْلَهُ
فَوَا لَهْفِي — وَالْقَبْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ —
وَقَفْتُ عَلَيْهِ حَاسِرَ الرَّأْسِ خَاشِعًا
لَقَدْ جَهِلُوا قَدْرَ الْإِمَامِ فَأَوْدَعُوا
وَلَوْ ضَرَحُوا بِالْمَسْجِدَيْنِ لَأَنْزَلُوا
تَبَارَكْتَ هَذَا الدِّينُ دِينُ مُحَمَّدٍ
تَبَارَكْتَ هَذَا عَالِمُ الشَّرْقِ قَدْ قَضَى
زَرَعْتَ لَنَا زَرْعًا فَأَخْرَجَ شَطْأَهُ
فَوَاهَا لَهُ أَلَّا يُصِيبَ مُوقَفًا
مَدَدْنَا إِلَى الْأَعْلَامِ بَعْدَكَ رَاحَنَا
وَجَالَتْ بَنَا تَبْغِي سِوَاكَ عِيُونُنَا
وَأَدْوَكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَأَنْكَرُوا
رَأَيْتَ الْأَدَى فِي جَانِبِ اللَّهِ لَذَّةً
لَقَدْ كُنْتُ فِيهِمْ كَوَكَبًا فِي غِيَاهِبِ
أَبْنَتْ لَنَا التَّنْزِيلَ حُكْمًا وَحِكْمَةً
وَوَقَفْتَ بَيْنَ الدِّينِ والعِلْمِ والحِجَا
وَقَفْتَ (لِهَانُوتُو) وَ(رِينَان) وَقَفَّةً
وَخِفْتُ مَقَامَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ

سَلَامٌ عَلَى أَيَّامِهِ النُّصْرَاتِ
عَلَى الْبِرِّ والتَّقْوَى، عَلَى الْحَسَنَاتِ
فَأَصْبَحْتُ أَخْشَى أَنْ تَطُولَ حَيَاتِي
عَلَى نَظَرَةٍ مِنْ تِلْكَمُ النُّظَرَاتِ
كَأَنِّي حِيَالَ الْقَبْرِ فِي عَرَفَاتِ
تَجَالِيدهُ فِي مُوحِشِ بَقْلَةٍ
بَخِيرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ خَيْرَ رُفَاتِ
أَيُّتْرِكَ فِي الدُّنْيَا بَغِيرَ حُمَاةٍ؟
وَلَأَنْتَ قَنَاةُ الدِّينِ لِلْغَمَزَاتِ
وَبِنْتَ وَلِمَا نَجَّتِ النُّمَرَاتِ
يُشَارِفُهُ وَالْأَرْضُ غَيْرُ مَوَاتِ
فَرُدَّتْ إِلَى أَعْطَافِنَا صَفِرَاتِ
فَعُدْنَ وَأَثَرْنَ الْعَمَى شَرِيقَاتِ
مَكَانَكَ حَتَّى سَوَدُوا الصَّفَفَاتِ
وَرُحْتَ وَلَمْ تَهْمُمْ لَهُ بِشَكَاةِ
وَمَعْرِفَةٍ فِي أَنْفُسِ نَكِرَاتِ
وَفَرَّقْتَ بَيْنَ النُّورِ والظُّلُمَاتِ
فَأُطْلِعْتَ نَوْرًا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتِ
أَمَدَكَ فِيهَا الرُّوحَ بالنَّفَفَاتِ
فَخَافَكَ أَهْلُ الشُّكِّ والنَّزَعَاتِ

نَفَضَتْ عَلَيْهَا لَذَّةَ الْهَجَعَاتِ
تُنَاجِي إِلَهَ الْبَيْتِ فِي الْخَلَوَاتِ
وَنَبَّهَتْ فِيهَا صَادِقَ الْعَزَمَاتِ
شَبَابَةَ يَرَاعِ سَاجِرِ النَّفَثَاتِ
بِأَسْطَارِ نَوْرِ بَاهِرِ اللَّمَعَاتِ
يُريكَ سَنَاهُ أَيْسَرُ اللَّمَسَاتِ
لَأَنْتِ عَلَيْنَا أَشْأَمُ السَّنَوَاتِ
وَأَذُوَيْتِ رَوْضًا نَاضِرَ الزَّهَرَاتِ
عَلَى جَمَرَاتِ الْحُزْنِ مُنْطَوِيَاتِ
فَأَنْذَرْنَا بِالْوَيْلِ وَالْعَثَرَاتِ
تَبَيَّتْ لَهُ الْأَبْرَاجُ مُضْطَرِبَاتِ
وَرُبَّ ضَعِيفٍ نَافِذِ الرَّمِيَاتِ
وَمَالَتْ لَهُ الْأَجْرَامُ مُنْخَرِفَاتِ
عَنِ النَّيْرِ الْهَآوِي إِلَى الْفَلَوَاتِ
وَيَخْطُرُ بَيْنَ اللَّمَسِ وَالْقُبْلَاتِ
وَتَذْفَعُهُ الْأَنْفَاسُ مُسْتَعِرَاتِ
وَضَاقَتْ عُيُونُ الْكَوْنِ بِالْعَبَرَاتِ
وَفِي (مَصْرٍ) بَاكِ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ
وَفِي تُونِسٍ مَا شِئْتَ مِنْ زَفَرَاتِ
سِرَاجِ الدِّيَاجِي هَادِمِ الشُّبُهَاتِ
غِيَاثَ ذَوِي عُذْمٍ إِمَامَ هُدَاةِ
وَإِنْ كَانَ ذِكْرِي حِكْمَةً وَثَبَاتِ
إِلَى نَوْرِ هَذَا الْوَجْهِ بِالسَّجَدَاتِ
وَطَاشَتْ بِهَا الْأَرَاءُ مُشْتَجِرَاتِ
وَيَا وَيْحَ لِلْخَيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ
عَلَى أَنْفُسٍ لِلَّهِ مُنْقَطِعَاتِ
بِإِحْسَانِهِ وَالذَّهْرِ غَيْرُ مُوََاتِي

وَكَمْ لَكَ فِي إِغْفَاءَةِ الْفَجْرِ يَقْظَةً
وَوَلَّيْتَ شَطْرَ الْبَيْتِ وَجْهَكَ خَالِيَا
وَكَمْ لَيْلَةٍ عَانَدَتْ فِي جَوْفِهَا الْكَرَى
وَأَرْصَدَتْ لِلْبَاغِي عَلَى دِينَ أَحْمَدٍ
إِذَا مَسَّ خَدَّ الطَّرْسِ فَاضَ جَبِينُهُ
كَأَنَّ قَرَارَ الْكَهْزَبَاءِ بِشِقِّهِ
فِيَا سَنَةً مَرَّتْ بِأَعْوَادِ نَعْشِهِ
حَطَمْتَ لَنَا سَيْفًا، وَعَطَلْتَ مِنْبَرًا
وَأَطْفَأْتَ نَبْرَاسًا وَأَشْعَلْتَ أَنْفُسًا
رَأَى فِي لِيَالِيكَ الْمُنْجَمُ مَا رَأَى
وَنَبَّأَهُ عِلْمُ النُّجُومِ بِحَادِثِ
رَمَى السَّرَطَانُ اللَّيْثَ وَاللَّيْثُ خَادِرُ
فَأَوْدَى بِهِ خَتْلًا فَمَالَ إِلَى الثَّرَى
وَشَاعَتْ تَعَاذِي الشُّهْبِ بِاللَّمَحِ بَيْنَهَا
مَشَى نَعْشُهُ يَخْتَالُ عُجْبًا بِرَبِّهِ
تَكَادُ الدُّمُوعُ الْجَارِيَاتُ ثَقْلُهُ
بَكَى الشَّرْقُ فَارْتَجَّتْ لَهُ الْأَرْضُ رَجَّةً
فَفِي الْهِنْدِ مَحْزُونٌ وَفِي الصِّينِ جَازِعٌ
وَفِي الشَّأَمِ مَفْجُوعٌ، وَفِي الْفُرْسِ نَادِبٌ
بَكَى عَالَمُ الْإِسْلَامِ عَالِمَ عَصْرِهِ
مَلَاذَ عَيَايِلٍ ثِمَالَ أَرَامِلٍ
فَلَا تَنْصَبُوا لِلنَّاسِ تِمَثَالَ (عَبْدِهِ)
فِيَا لَأَخْشَى أَنْ يَضِلُّوا فَيُؤْمِتُوا
فِيَا وَيْحَ لِلشُّورَى إِذَا جَدَّ جَدُّهَا
وَيَا وَيْحَ لِلْفَتْيَا إِذَا قِيلَ مَنْ لَهَا؟
بَكَيْنَا عَلَى فَرْدٍ وَإِنْ بُكَاءُنَا
تَعَهَّدَهَا فَضْلُ الْإِمَامِ وَحَاطَهَا

وَأَرْغَمَ حُسَّادِي وَغَمَّ عُدَاتِي
وَفِيهِ الْأَيْدِي مَوْضِعُ اللَّبَنَاتِ
عَبُوسَ الْمَغَانِي مُقْفَرِ الْعَرَصَاتِ؟
تَطُوفُ بِكَ الْأَمَالُ مُبْتَهَلَاتِ
وَمَطْلَعُ أَنْوَارٍ، وَكَنْزُ عِظَاتِ

فِيَا مَنْزِلًا فِي (عَيْنِ شَمْسٍ) أَظْلَنِي
دَعَائِمُهُ التَّقْوَى وَأَسَاسُهُ الْهُدَى
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ، مَا لَكَ مُوجِشًا
لَقَدْ كُنْتَ مَقْصُودَ الْجَوَانِبِ أَهْلًا
مَشَابَهُ أَزْزَاقٍ، وَمَهْبطُ حِكْمَةٍ

(٧) رثاء مصطفى كامل باشا (نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٨)

فَكَبَّرْ وَهَلَّلْ وَالْقَ ضَيْفَكَ جَائِيَا
شَهِيدَ الْعُلَا فِي زَهْرَةِ الْعُمَرِ دَاوِيَا
لَكَانَ التَّأْسِي مِنْ جَوَى الْحُزَنِ شَافِيَا
وَهَيْهَاتَ أَنْ يَأْتِي بِهِ الدَّهْرُ ثَانِيَا
وَأَيْنَ الْحَجَا وَالرَّأْيُ؟ وَيَحَكَ هَاهِيَا
فَقَدْ أُسْكِتَ الصَّوْتُ الَّذِي كَانَ عَالِيَا
إِلَى الْمَجْدِ فَاسْتَحْيَا النُّفُوسَ الْبَوَالِيَا
وَإِنِّي أَجِيدُ الْيَوْمَ فِيكَ الْمَرَاثِيَا
وَفِيكَ، وَإِلَّا مَا لِذَا الشَّعْبِ بَاكِيَا
لِمَا فِيهِ مِنْ دَاءِ النُّفُوسِ مُدَاوِيَا
فَأَسْهَدُتُنَا حُزْنًا وَأَمْسَيْتَ غَافِيَا
يَرِنُ كَمَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ دَاوِيَا
فَلَا تَهْدِمُوا بِاللَّهِ مَا كُنْتُ بَانِيَا
قَضَيْتُ وَأَنَّ الْحَيَّ قَدْ بَاتَ خَالِيَا
وَكُونُوا رَجَالًا لَا تَسْرُوا الْأَعَادِيَا
تُشَارِفُكُمْ عَنِّي وَإِنْ كُنْتُ بِالِيَا
أَخَافُ عَلَيْكُمْ فِي الْخِلَافِ الدَّوَاهِيَا
عَلَى الْعَهْدِ مَا دُمْنَا فَنَمَ أَنْتَ هَانِيَا

أَيَا قَبْرُ هَذَا الضَّيْفُ أَمَالُ أُمَّةٍ
عَزِيزُ عَلَيْنَا أَنْ نَرَى فِيكَ (مُصْطَفَى)
أَيَا قَبْرُ لَوْ أَنَا فَقَدْنَاهُ وَحْدَهُ
وَلَكِنْ فَقَدْنَا كُلَّ شَيْءٍ بِفَقْدِهِ
فِيَا سَائِلِي أَيْنَ الْمُرُوءَةِ وَالْوَفَا
هَنِيئًا لَهُمْ فَلْيَأْمَنُوا كُلَّ صَائِحٍ
وَمَاتَ الَّذِي أَحْيَا الشُّعُورَ وَسَاقَهُ
مَدَحْتُكَ لَمَّا كُنْتَ حَيًّا فَلَمْ أَجِدْ
عَلَيْكَ، وَإِلَّا مَا لِذَا الْحُزَنِ شَامِلًا
يَمُوتُ الْمُدَاوِي لِلنُّفُوسِ وَلَا يَرَى
وَكُنَّا نِيَامًا حِينَمَا كُنْتَ سَاهِدًا
شَهِيدَ الْعُلَا، لَا زَالَ صَوْتُكَ بَيْنَنَا
يُهَيِّبُ بَنَا: هَذَا بِنَاءُ أَقَمَّتْهُ
يَصِيحُ بَنَا: لَا تَشْعِرُوا النَّاسَ أَنَّي
يُنَاشِدُنَا بِاللَّهِ أَلَا تَفَرَّقُوا
فَرُوحِي مِنْ هَذَا الْمَقَامِ مُطْلَعًا
فَلَا تَحْزَنُوهَا بِالْخِلَافِ فَإِنَّنِي
أَجَلٌ، أَيُّهَا الدَّاعِي إِلَى الْخَيْرِ إِنَّنَا

بِناؤِكَ مَحْفُوظٌ، وَطَيْفَكَ ماثِلٌ
عَهْدُناكَ لا تَبْكِي وتُنْكِرُ أَنْ يُرى
فَرَحُصَ لَنَا اليومَ البُكاءَ وفي غَدٍ
فيا نَيْلُ إن لم تَجْرِ بَعْدَ وفاته
ويا (مَصْرُ) إن لم تَحْفَظِي ذِكْرَ عَهْدِهِ
وياهْلَ (مَصْرٍ) إن جَهِلْتُمْ مُصَابِكُمْ
ثلاثونَ عامًا بل ثلاثونَ دُرَّةً
سَتَشْهَدُ في التاريخ أَنكَ لم تَكُنْ
وَصَوْتُكَ مَسْمُوعٌ، وإن كنتَ نائِيا
أخُو البأسِ في بعضِ المَواطِنِ بِاِكِيا
تَرانا كَما تَهوى جِبالاً رَواِسيا
دَمًا أَحْمَرًا لا كَنتَ يا نَيْلُ جَارِيا
إلى الحَشْرِ لا زالَ انْجِلالُكَ باقِيا
ثَقُوا أَنْ نَجَمَ السَّعْدِ قَد غارَ هاويا
بجيدِ اللَّيالي ساطِعاتِ زَواها
فَتَيَّ مُفَرِّدًا بل كَنتَ جَيْشًا مُغازِيا

(٨) رثاء مصطفى كامل باشا أيضًا

أنشدها في حفل الأربعين في ٢٠ مارس سنة ١٩٠٨ م

نَثَرُوا عَلَيكَ نَوادِي الأَزْهارِ
زَيْنَ الشَّبَابِ وَزَيْنَ طُلُوبِ العُلاِ
غادَرْتَنّا والحادِثاتُ بِمَرَصِدِ
ما كانَ أَحْوَجَنا إِلَيْكَ إذا عَدّا
أَيْنَ الخَطِيبُ وَأَيْنَ خَلابُ النُّهى؟
باللهِ ما لَكَ لا تُجيبُ مُنادِيا
قُمْ وَاْمُحْ ما حَطَّتْ يَمِينُ (كُرومِر)
قَد كُنْتَ تَغْضَبُ لِلِكِنانَةِ كُلِّما
غَضَبَ التَّقِيُّ لِرَبِّهِ وِكتابِهِ
قَد ضاقَ جِسْمُكَ عَن مَدّاكَ فلم يُطِقْ
أودى بِهِ ذاكَ الجِهادُ وَهَداهُ
لَعِبْتَ يَمِينَكَ بِالِيراعِ فَأَعْجَزْتَ
وَجَرَيْتَ لِلْعُلَيا تَبْغِي شَأوها
أو كُلِّما هَزَّ الرِّجاءُ مُهَنِّدا

وَأَتَيْتُ أَنتَرُ بَيْنَهُم أَشْعاري
هل أَنتَ بِالْمُهْجِ الحَزِينَةِ دارِي؟
والعَيْشُ عَيْشٌ مَذَلَّةٌ وإِسارِ
عارٍ وصاحِ الصائِحونَ: بَدارِ
طالَ انْتِظارُ السَّمْعِ والأَبصارِ
ماذا أَصابَكَ يا أبا المِغْوارِ
جَهْلًا بَدِينِ الوادِى القَهَّارِ
هَمَسْتُ وَهَمَّ رِجاؤُها بِعِثارِ
أو غَضَبَةَ (الفاروقِ لِلْمُخْتارِ)
صَبْرًا عَلَيكَ وَأَنتَ شُعْلَةُ نارِ
عَزَمْتُ يَهْدُ جَلالُ الأَخْطارِ
لَعِبَ الفَوارِسُ بِالقَنا الخَطارِ
فَجَزَى القَضاءُ وَأَنتَ في المِضْمارِ
بَدَرْتَ إِلَيْهِ غَوائِلَ الأَقْدارِ

وَشَهِدْتُ مُوَكِّبَهُ فَقَرَّ قَرَارِي
بِالْكَهْرِبَاءِ، وَطَائِرُ بَبْخَارِ
وَعَلِمْتُ مِنْهُ مَرَاتِبَ الْأَقْدَارِ
حَقَّ الْوَلَاءِ وَوَاجِبَ الْإِكْبَارِ
يَمْشُونَ تَحْتَ (لِوَائِكَ) السَّيَّارِ
لِلْحُزْنِ أَسْطَارًا عَلَى أَسْطَارِ
رَكْبِ الْحَجِيحِ بِكَغْبَةِ الزُّوَارِ
عِنْدَ الْمُصَلَّى يُنْصِتُونَ لِقَارِي
تَجْرِي بِلَا كَلَجٍ وَلَا اسْتِنْثَارِ
مَا بَيْنَ سَيْلِ دَافِقٍ وَشَرَارِ
فِيَصُدُّنِي مُتَدَفِّقُ التِّيَّارِ
لَقَضَيْتُ بَيْنَ مَرَاكِجِ وَبِحَارِ
هَتَكْتُ عَلَيْكَ حَرَائِرَ الْأُسْتَارِ
فِي النَّعْشِ لَا خَبْرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
وَجَهَ الْخِمَارِ فَلَمْ تَلُذْ بِخِمَارِ
سِتْرٍ مِنَ الْأَحْزَانِ وَالْأَكْدَارِ
مِنْكَ الْوِدَادَ فَكَانَ خَيْرَ شِعَارِ
فِي طَيْهِ سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ
يَتَعَانَقَانِ عَلَى شَفِيرِ هَارِي
لِنَوَى مُرَوَّعَةٍ وَبُعْدِ مَزَارِ
مَا بَيْنَ حَرٍّ أَسَى وَحَرٍّ أَوَارِ
رَجُلًا يُنَاضِلُ عَنْهُ يَوْمَ فَخَارِ
بَاتَتْ تُقَاسُ بِأَطْوَلِ الْأَعْمَارِ
بَيُضَاءَ مِثْلَ صَحَائِفِ الْأَبْرَارِ
وَسَعَتْ مُحْصَلُ رَوْضَةِ مِغْطَارِ
رَاجِي الْوُصُولِ وَمُقْتَفِي الْأَثَارِ
لَوْ سَارَ بَيْنَ مَجَاهِلٍ وَقِفَارِ

عَزَّ الْقَرَارُ عَلَيَّ لَيْلَةَ نَعْيِهِ
وَتَسَابَقْتُ فِيهِ النُّعَاةَ فَطَائِرُ
شَاهَدْتُ يَوْمَ الْحَشْرِ يَوْمَ وَفَاتِهِ
وَرَأَيْتُ كَيْفَ تَفِي الشُّعُوبُ رَجَالَهَا
تِسْعُونَ أَلْفًا حَوْلَ نَعِشِكَ خُشَّعُ
خَطُّوا بِأَدْمُعِهِمْ عَلَى وَجْهِ الثَّرَى
أَنَا يُوَالُونَ الضَّجِيحَ كَأَنَّهُمْ
وَتَخَالَهُمْ أَنَا لَقَرِطُ خُشُوعِهِمْ
غَلَبَ الْخُشُوعُ عَلَيْهِمْ فَدُمُوعُهُمْ
قَدْ كُنْتُ تَحْتَ دُمُوعِهِمْ وَزَفِيرِهِمْ
أَسْعَى فَيَأْخُذْنِي اللَّهَيْبُ فَأَنْتُنِي
لَوْ لَمْ أَلُذْ بِالنَّعْشِ أَوْ بِظِلَالِهِ
كَمْ ذَاتِ خُذْرٍ يَوْمَ طَافَ بِكَ الرَّدَى
سَفَرْتُ تُودِّعُ أُمَّةً مُحْمُولَةً
أَمَنْتُ عُيُونَ النَّاظِرِينَ فَمَزَقْتُ
قَدْ قَامَ مَا بَيْنَ الْعُيُونِ وَبَيْنَهَا
أَدْرَجْتُ فِي الْعَلَمِ الَّذِي أَصْفَيْتَهُ
عَلَمَانِ مِنْ فَوْقِ الرُّعُوسِ كِلَاهُمَا
نَادَاهُمَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَأَمْسِيَا
تَالِلِهِ مَا جَزَعَ الْمُحِبُّ وَلَا بَكَى
جَزَعَ (الْهَلَالِ) عَلَيْكَ يَوْمَ تَرَكْتَهُ
مُتَلَفِّتًا مُتَحَيِّرًا مُتَخَيِّرًا
إِنَّ الثَّلَاثِينَ الَّتِي بِكَ فَاخَرْتُ
ضَمَمْتُ إِلَى التَّارِيخِ بَضْعَ صَحَائِفِ
شَبَّهْتُهِنَّ بِنُقْطَةِ عِطْرِيَّةِ
خَلَفَتْهَا كَالْمَشَقِّ يَحْذُو حَذْوَهَا
مَاذَا عَلَى السَّارِي — وَهْنٌ مَنَائِرُ —

ما زِلْتَ تَخْتَارُ الْمَوَاقِفَ وَغَرَّةً
وَهَدَمْتَ سُورًا قَدْ أَجَادَ بِنَاءَهُ
وَوَصَلْتَ بَيْنَ شَكَاتِنَا وَمَشَايِخِ
كَشَفُوا الْغِطَاءَ عَنِ الْعُيُونِ فَأَبْصَرُوا
نَبَذُوا كَلَامَ (اللُّرْدِ) حِينَ تَبَيَّنُوا
وَرَمَاهُمْ بِمُجَلَّدَيْنِ رَمَوْهُمَا
وَاهَا عَلَى تِلْكَ الْمَوَاقِفِ إِنَّهَا
لَمْ يَلَوْهَ عَنْهَا الْوَعِيدُ وَلَا تَنَى
فَاهِنًا بِمَنْزِلِكَ الْجَدِيدِ وَنَمَّ بِهِ
وَاسْتَقْبَلَ الْأَجَرَ الْكَبِيرَ جَزَاءَ مَا
نِعَمَ الْجَزَاءُ وَنِعَمَ مَا بُلِّغَتْهُ

حَتَّى وَقَفْتَ لَذَلِكَ الْجَبَّارِ
فَرَعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَالْأَنْهَارِ
فِي (الْبَرْلَمَانِ) أَعَزَّةَ أُخْيَارِ
مَا فِي الْكِنَانَةِ مِنْ أَذَى وَضِرَارِ
خَنَقَ الْمَغِيْظِ وَلَهْجَةَ الثَّرَثَارِ
فِي رُتْبَةِ الْأَصْفَارِ لَا الْأَسْفَارِ
كَانَتْ مَوَاقِفَ لَيْثٍ غَابَ ضَارِي
مِنْ عَزَمِهِ قَوْلُ الْمُرِيبِ: حَذَارِ
فِي غِبْطَةٍ وَانْعَمَ بِخَيْرِ جَوَارِ
ضَحَّيْتُ لِلْأَوْطَانِ مِنْ أَوْطَارِ
فِي مَنْزِلِكَ وَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ

(٩) رثاء قاسم أمين بك (نشرت في ٦ يونيه سنة ١٩٠٨م)

لِلَّهِ دَرَكٌ كُنْتُ مِنْ رَجُلٍ
خُلِقَ كَأَنْفَاسِ الرِّيَاضِ إِذَا
وَشَمَائِلُ لَوْ أَنَّهَا مُزَجَّتْ
جَمُّ الْمَحَامِدِ غَيْرُ مُتَّهَمٍ
يَا دَوْلَةَ الْأَخْلَاقِ رَافِلَةً
كَيْفَ انْطَوَيْتِ بِهِ عَلَى عَجَلٍ
يَا طَالِعًا لِلشَّرْقِ لَجَّ بِهِ
هَلَا وَصَلْتَ سُرَاكَ مُنْتَقِلًا
مَالِي أَرَى الْأَجْدَاثَ حَالِيَةً
فَإِذَا الْكِنَانَةُ أَطْلَعَتْ رَجُلًا
أَوْ كَلَّمَا أَرْسَلَتْ مَرَثِيَّةً
هَاجَتْ بِي الْآخَرَى دَفِينِ أَسَى

لَوْ أَمْهَلْتِكَ غَوَائِلُ الْأَجَلِ
أُسْحَرْنَ غَبَّ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ
بَطْبَائِعِ الْأَيَّامِ لَمْ تَحُلِ
جَمُّ التَّوَاضُعِ غَيْرُ مُبْتَدَلِ
مِنْ (قَاسِمٍ) فِي أَبْهَجِ الْحَلَلِ
أَكْذَا تَكُونُ مَصَارِعُ الدُّوَلِ؟
نَحْسُ النُّحُوسِ فَقَرَّ فِي (رُحْلِ)
عَلَّ السُّعُودَ تَكُونُ فِي النُّقْلِ
وَأَرَى رُبُوعَ النَّيْلِ فِي عَطَلِ
طَاخَ الْقَضَاءِ بِذَلِكَ الرَّجُلِ
مَنْ أَدْمَعِي فِي إِثْرِ مُرْتَجِلِ
فَوَصَلْتُ بَيْنَ مَدَامِعِ الْمُقْلِ

شُعْري فهذا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لي
عند البَدِيهَةِ قَوْلُ مُرْتَجِلٍ:
قد عَزَّ بَعْدَكَ مُرْسِلُ المَثَلِ
يَرْمِي بهنَّ مَقَاتِلَ الخَطَلِ
في الخَالِدِينَ نَوَابِغَ الأوَّلِ
يَشْقَى الأَبْيُّ بِصُحْبَةِ الوَكَلِ
لم تَشْكُ، لم تَسْتَوْصِ، لم تَقُلْ
يَبْكِي عليكِ وذاك في جَذَلِ
والمرءُ من دُنْيَاهُ في شُغْلٍ:
تَمْشي إليها غَيْرَ مُنْتَحِلِ
ما للحَكِيمِ بهنَّ مِنْ قَبْلِ
تَمُدُّدٍ إليه يَدًا ولم يَصِلِ
تُعْصَمُ، فِتْلَكَ مَرَاتِبُ الرُّسُلِ
فيما رَأَيْتَ فَنَمَ ولا تَسَلِ
للدَّهْرِ يُنْضِجُهُ على مَهَلِ
وَضَعَ الدَّوَاءَ مَوَاضِعَ العِلَلِ
وَتَرَكْتَ في دُنْيَاكَ مِنْ عَمَلِ
قَفَرًا وكانت مُلْتَقَى السُّبُلِ
وَدَكَّرْتَ فيها وَقْفَةً الطَّلَلِ
رَدَّ الجَوَابِ فَرَحْتُ في حَبَلِ
مُتَرَنَّحًا كالشارِبِ التَّمَلِ
يومَ انْتُوِيْتُ بِذَلِكَ البَطَلِ
تحت الترابِ بَقِيَّةَ الأَمَلِ
بالعِزِّ والإقْدَامِ والعَمَلِ
تلك النُّهْيُ في الحادثِ الجَلَلِ
في الجَنَّتَيْنِ بأَكْرَمِ النُّزُلِ:
لِلرَّاكِبِينَ مَرَاكِبَ الزَّلَلِ

إِنْ خَانَنِي فيما فُجِعْتُ به
ولقد أَقُولُ وما يُطَاوِلُنِي
يا مُرْسِلَ الأمْثَالِ يَضْرِبُهَا
يا رَائِشَ الآرَاءِ صَائِبَةً
لِلهِ آرَاءُ شَاوَتْ بها
قد كُنْتَ أَشْقَانَا بِنَا وكذا
لَهْفِي عليكِ قَضَيْتُ مُرْتَجِلًا
عَلَّ القضاء يَدَ القضاء فذا
شَغَلْتُكَ عَنْ دُنْيَاكَ أَرْبَعَةً
حَقُّ تُنَاصِرُهُ وَمَقْخَرَةٌ
وَحَقَائِقُ لِلْعِلْمِ تَنْشُدُهَا
وَفَضِيلَةُ أُعْيَتْ سِوَاكَ فَلَمْ
إِنْ رَيْتُ رَأْيًا فِي الحِجَابِ وَلَمْ
الحُكْمُ لِلآيَامِ مَرْجِعُهُ
وكذا طُهَاءُ الرَأْيِ تَتْرُكُهُ
فإِذَا أَصَبْتَ فَأَنْتَ خَيْرُ فِتْيِ
أَوْ لا، فَحَسْبُكَ مَا شَرُفْتَ به
وَاهَا على دارِ مَرَزَتْ بها
أَرْخَصْتُ فيها كُلَّ غَالِيَةٍ
سَاءَلْتُهَا عَنْ (قَاسِمٍ) فَأَبَتْ
مُتَعَتِّرًا يَنْتَابُنِي وَهَنْ
مُتَذَكِّرًا يَوْمَ (الإِمَامِ) به
يَوْمَ اخْتَسَبْتُ — وَكُنْتُ ذَا أَمَلٍ —
جَاوَزَ أَجَبَّتَكَ الأُلَى نَهَبُوا
واذْكُرْ لَهُمْ حَاجَ البلادِ إِلَى
قُلْ (لِلإِمَامِ) إِذَا التَّقْيْتُ به
إِنَّ الحَقِيقَةَ أَصْبَحَتْ هَدَفًا

للهِ آثَارٌ لَكُمْ خَلَدَتْ صاحِ الزَّوَالِ بها فلمْ تَزَلِ
للهِ أَيَّامٌ لَكُمْ دَرَجَتْ طالتْ عَوَارِفُهَا ولمْ تَطُلِ
نِعَمَ الظَّلَالِ لو أنها بَقِيَتْ أو أنْ ظِلًّا غَيْرُ مُنْتَقِلِ

(١٠) ذكرى مصطفى كامل باشا (نشرت في ١٢ فبراير سنة ١٩٠٩م)

أنشدتها في الحفل الذي أقيم عند قبره لإحياء ذكره الأولى

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا واقضوا هُنَاكَ ما تَقْضِي به الذَّمُّ
هنا جَنَانُ تَعَالَى اللهُ بَارِئُهُ ضاقتْ بِأَمَالِهِ الأَقْدَارُ والهِمَمُ
هنا فَمُ وَبَنَانُ لَاحَ بَيْنَهُمَا فِي الشَّرْقِ فَجْرٌ تُحْيِي ضَوْءَهُ الأَمَمُ
هنا فَمُ وَبَنَانُ طَالَمَا نَثَرَا نَثَرًا تَسِيرُ به الأَمْثَالُ والجِگَمُ
هنا الكَمِي الَّذِي شَادَتْ عَزَائِمُهُ لَطَالِبِ الحَقِّ رُكْنًا لَيْسَ يَنْهَدِمُ
هنا الشَّهيدُ، هُنا رَبُّ اللّوَاءِ هُنا حامي الذِّمَارِ، هُنا الشَّهْمُ الَّذِي عِلِمُوا
يَأْيُهَا النَّائِمُ الهَانِي بِمَضْجَعِهِ لِيَهْنِكَ النُّوْمُ لَا هَمٌّ وَلَا سَقَمُ
بَاتَتْ تُسَائِلُنَا فِي كُلِّ نَازِلَةٍ عَنْكَ المَنَابِرُ والقُرْطَاسُ والقَلَمُ
تَرَكْتَ فِينَا فَرَاغًا لَيْسَ يَشْغُلُهُ إِلَّا أَبِي ذَكِيّ القَلْبِ مُضْطَرِمُ
مُنْفَرِّ النُّوْمِ سَبَاقُ لَغَايَتِهِ آثَارُهُ عَمَمٌ آمَالُهُ أَمَمُ
إِنِّي أرى وفؤادي لَيْسَ يَكْذِبُنِي رَوْحًا يَحْفُ بِهَا الإِكْبَارُ والعِظَمُ
أرى جَلَالًا، أرى نورًا، أرى مَلَكًا أرى مُحْيَا يُحْيِينَا وَيَبْتَسِمُ
اللهُ أَكْبَرُ، هَذَا الوَجْهَ أَعْرِفُهُ هَذَا فَتَى النِّيلِ هَذَا المُفَرِّدَ العِلْمُ
غَضُّوا العُيُونَ وَحَيُّوهُ تَحْيَتَهُ مِنَ القُلُوبِ إِذَا لَمْ تُسْعِدِ الكَلِمُ
وَأَقْسِمُوا أَنْ تَذُودُوا عَنْ مَبَادِيئِهِ فَنَحْنُ فِي مَوْقِفٍ يَحْلُو به القَسَمُ
لَبَّيْكَ نَحْنُ الأُلَى حَرَكْتَ أَنْفُسَهُمْ لَمَّا سَكَنْتَ وَلَمَّا غَالَكَ العَدَمُ
جِئْنَا نُؤَدِّي جَسَابًا عَنْ مَوَاقِفِنَا وَنَسْتَمِدُّ وَنَسْتَعْدِي وَنَحْتَكِمُ
قِيلَ اسْكُتُوا فَسَكَنْتُمْ ثُمَّ أَنْطَقْنَا عَسْفُ الجُفَاةِ وَأَعْلَى صَوْتِنَا الأَلَمُ
قَدْ اتَّهَمْنَا وَلَمَّا نَطْلُبُ جَلَالًا إِنَّ الضَّعِيفَ عَلَى الحَالَيْنِ مُتَّهَمُ

قالوا: لقد ظَلَمُوا بِالْحَقِّ أَنْفُسَهُمْ
إِذَا سَكَنَّا تَنَاجَوْا: تِلْكَ عَادَتُهُمْ
قَد مَرَّ عَامٌ بَنَا وَالْأَمْرُ يَحْزُنُنَا
فَالنَّاسُ فِي شِدَّةٍ وَالذَّهْرُ فِي كَلْبٍ
وَالسِّيَاسَةُ فِينَا كُلُّ آوِنَةٍ
بَيْنَا نَرَى جَمَرَهَا تُخْشَى مَلَامِسُهُ
تُصْغِي لِأَصْوَاتِنَا طَوْرًا لَتُخَدَعْنَا
فَمِنْ مُلَايِنَةٍ أَسْتَارَهَا خُدْعُ
مَاذَا يُرِيدُونَ؟ لَا قَرَّتْ غَيُونُهُمْ
كَمْ أَمَّةٍ رَغِبَتْ فِيهَا فَمَا رَسَخَتْ
مَا كَانَ رَبُّكَ (رَبُّ الْبَيْتِ) تَارِكَهَا
لَبَّيْكَ إِنَّا عَلَى مَا كُنْتَ تَعْهَدُهُ
فَيَعْلَمُ النَّيْلُ أَنَا خَيْرٌ مَنْ وَرَدُوا
هَذَا الْغِرَاسُ الَّذِي وَالَيْتَ مَنْبِتَهُ
أَمْسَى وَأَضْحَى وَعَيْنُ اللَّهِ تَحْرُسُهُ
فَانْظُرْ إِلَيْهِ وَقَدْ طَالَتْ بَوَاسِقُهُ
يَأْيُهَا النَّشْءُ سَيَرُوا فِي طَرِيقَتِهِ
فَكُلُّكُمْ (مُصْطَفَى) لَوْ سَارَ سِيرَتَهُ
قَدْ كَانَ لَا وَإِنِّي يَوْمًا وَلَا وَكَلًّا
وَأَنْتَ يَا قَبْرُ قَدْ جِئْنَا عَلَى ظَمٍ
أَيْنَ الشَّبَابُ الَّذِي أَوْدَعْتَ نَضْرَتَهُ
وَمَا صَنَعْتَ بِأَمَالٍ لَنَا طَوِيَتْ
أَلَا جَوَابُ يُرَوِّي مِنْ جَوَانِحِنَا
نَمْ أَنْتَ، يَكْفِيكَ مَا عَانَيْتَ مِنْ تَعَبٍ
هَذَا (لَوَاؤُكَ) خَفَاقُ يُظَلِّلُنَا

وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الظَّالِمِينَ هُمْ
وَإِنْ نَطَقْنَا تَنَادَوْا: فِتْنَةٌ عَمَمٌ
أَنَا وَأَوْنَةٌ تَنْتَابُنَا النِّقَمُ
وَالْعَيْشُ قَدْ حَارَ فِيهِ الْحَازِقُ الْفَهْمُ
لَوْ أَنَّ جَدِيدٌ وَعَهْدٌ لَيْسَ يُحْتَرَمُ
إِذَا بِهِ عِنْدَ لَمَسِ الْمُصْطَلِي فَحَمٌ
وَتَارَةً يَزْدَهِيهَا الْكِبَرُ وَالصَّمَمُ
إِلَى مُصَالَبَةٍ أَسْتَارَهَا وَهْمٌ
إِنَّ الْكِنَانَةَ لَا يُطْوِي لَهَا عِلْمٌ
لَهَا — عَلَى حَوْلِهَا — فِي أَرْضِهَا قَدَمٌ
وَهِيَ الَّتِي بِحِبَالٍ مِنْهُ تَغْتَصِمُ
حَتَّى نَسُودَ وَحَتَّى تَشْهَدَ الْأُمَمُ
وَيَسْتَطِيلَ اخْتِيَالًا ذَلِكَ الْهَرَمُ
بَخِيرٍ مَا وَالَتْ الْأَضْوَاءُ وَالنَّسَمُ
حَتَّى نَمَا وَحَلَاهُ الْمَجْدُ وَالشَّمَمُ
تَهْنَأُ بِهِ وَلَأَنفِ الْحَاسِدِ الرَّغَمُ
وَنَابِرُوا، رَضِيَ الْأَعْدَاءُ أَوْ نَقِمُوا
وَكُلُّكُمْ (كَامِلٌ) لَوْ جَاوَزَهُ السَّأَمُ
يَسْتَقْبِلُ الْخَطْبَ بَسَامًا وَيَقْتَحِمُ
فَجَدُّ لَنَا بِجَوَابٍ، جَادَكَ الدَّيْمُ
أَيْنَ الْخِلَالُ — رَعَاكَ اللَّهُ — وَالشَّيْمُ؟
يَا قَبْرُ فَيْكَ وَعَفَى رَسْمِهَا الْقِدَمُ؟
مَا لِلْقَبُورِ إِذَا مَا نُودِيَتْ تَجِمُ؟
فَنَحْنُ فِي يَقْظَةٍ وَالشَّمْلُ مُلْتَمِمْ
وَذَاكَ شَخْصُكَ فِي الْأَكْبَادِ مُرْتَسِمٌ

(١١) رثاء تولستوي (نشرت في نوفمبر سنة ١٩١٠م)

لَمَدَحِكَ مَنْ كُتَابِ مِصْرَ كَبِيرُ
إِذَا قِيلَ عَنِّي قَدْ رثَاهُ صَغِيرُ
ضَعِيفٌ وَمَالِي فِي الْحَيَاةِ نَصِيرُ
حَوْتُكَ جِنَانٌ أَمْ حَوَاكُ سَعِيرُ
وَأَعَشَقُ رَوْضَ الْفِكْرِ وَهُوَ نَضِيرُ
وَهَزَّ لَهَا عَرْشُ وَمَادَ سَرِيرُ
وَقَالَ أَنَاسٌ إِنَّهُ لَبَشِيرُ
لَخِصَقَتْ بِهِ ذَرْعًا وَسَاءَ مَصِيرُ
وَمَالٌ — إِذَا جَدَّ النَّزَالُ — وَفِيرُ
بِهَا الزُّهْدُ ثَاوٍ وَالذِّكَاةُ سَتِيرُ
وَشَاهَدَتْ وَجْهَ الشَّيْخِ وَهُوَ مُنِيرُ
وَأَنَّ قُبُورَ الزَّاهِدِينَ قُصُورُ
مَهِيْبٌ عَلَى رَغَمِ الْفَنَاءِ وَقُورُ
عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْحَيَاةِ بَصِيرُ
بِمَا لَمْ تُخْبِرْ أَحْرَفُ وَسُطُورُ
يُجِيبُ بِهِ أَسْتَاذُنَا وَيُحِيرُ
وَمَاتَ وَلَمْ يَدْرُجْ إِلَيْهِ غُرُورُ
فَأَنْتَ بِأَجْرِ الْمُتَّقِينَ جَدِيرُ
وَمَا أَنْتَ إِلَّا مُحْسِنٌ وَمُجِيرُ
يَرِنُ صَدَاهَا سَاعَةً وَيَطِيرُ
إِلَيْهَا بِمَا تُعْطِيهِمْ وَتَمِيرُ
سَلَامًا وَأَسْبَابُ الْكِفَاحِ كَثِيرُ
وَكَدْحًا وَلَوْ أَنَّ الْبَقَاءَ يَسِيرُ
وَتَطْلُبُ مَحَضَ الْخَيْرِ وَهُوَ عَسِيرُ
دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ إِلَهَ قَدِيرُ

رَثَاكَ أَمِيرُ الشُّعْرِ فِي الشَّرْقِ وَانْبَرَى
وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَرْتِيكَ بَعْدَهُ
فَقَدْ كُنْتَ عَوْنًا لِلضَّعِيفِ وَإِنِّي
وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أَبْكِيكَ لِلوَرَى
فَإِنِّي أَحِبُّ النَّابِغِينَ لِعِلْمِهِمْ
دَعَوْتُ إِلَى عِيسَى فَضَجَّتْ كَنَائِسُ
وَقَالَ أَنَاسٌ إِنَّهُ قَوْلُ مُلْجِدٍ
وَلَوْ لَا حُطَامُ رَدِّ عَنْكَ كِيَادُهُمْ
وَلَكِنْ حَمَاكَ الْعِلْمُ وَالرَّأْيُ وَالْحِجَا
إِذَا زُرْتَ رَهْنُ الْمَحْبَسِينَ بِخُفْرَةٍ
وَأَبْصَرْتَ أُنْسَ الزُّهْدِ فِي وَحْشَةِ الْبَلَى
وَأَيَّقَنْتَ أَنَّ الدِّينَ لِلَّهِ وَحْدَهُ
فَقِفْ ثُمَّ سَلِّمْ وَاحْتَشِمْ إِنَّ شَيْخَنَا
وَسَائِلُهُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ فَإِنَّهُ
يُخَبِّرُكَ الْأَعْمَى وَإِنْ كُنْتَ مُبْصِرًا
كَأَنِّي بِسَمْعِ الْغَيْبِ أَسْمَعُ كُلَّ مَا
يُنَادِيكَ: أَهْلًا بِالَّذِي عَاشَ عَيْشَنَا
قَضَيْتَ حَيَاةَ مِلْؤُهَا الْبِرِّ وَالتَّقَى
وَسَمَّوْكَ فِيهِمْ فَيَلْسُوفًا وَأَمْسَكُوا
وَمَا أَنْتَ إِلَّا زَاهِدٌ صَاحَ صَيِّحَةً
سَلَوْتَ عَنِ الدُّنْيَا وَلَكِنَّهُمْ صَبَّوْا
حَيَاةَ الْوَرَى حَرْبٌ وَأَنْتَ تَرِيدُهَا
أَبَتْ سُنَّةُ الْعُمَرَانِ إِلَّا تَنَاحَرَا
تُحَاوِلُ رَفَعَ الشَّرِّ وَالشَّرُّ وَاقِعُ
وَلَوْ لَا امْتِزَاجُ الشَّرِّ بِالْخَيْرِ لَمْ يَقُمْ

ولم يَبْعَثِ اللّهُ النَّبِيَّيْنَ لِلْهُدَى
ولم يَعْشِقِ الْعُلَيَاءَ حُرٌّ وَلَمْ يَسُدْ
ولو كان فينا الْخَيْرُ مَحْضًا لَمَا دَعَا
ولا قِيلَ هَذَا فَيَلْسُوفُ مَوْفُقُ
فَكَمْ فِي طَرِيقِ الشَّرِّ خَيْرٌ وَنِعْمَةٌ
أَلَمْ تَرَ أَنِّي قُمْتُ قَبْلَكَ دَاعِيًا
أَطَاعُوا (أَبِيقُورًا) وَ(سُقْرَاطَ) قَبْلَهُ
وَمِتُّ وَمَا تَتَّ مَطَامِعُ طَامِعِ
إِذَا هِدِمَتْ لِلظُّلَمِ دُورٌ تَشِيدَتْ
أَفَاضَ كِلَانَا فِي النَّصِيحَةِ جَاهِدًا
فَكَمْ قِيلَ عَنْ كَهْفِ الْمَسَاكِينِ: بَاطِلٌ
وَمَا صَدَّ عَنْ فِعْلِ الْأَذَى قَوْلُ مُرْسَلٍ

ولم يَتَطَلَّعَ لِلسَّرِيرِ أَمِيرُ
كَرِيمٌ وَلَمْ يَرْجُ الثَّرَاءَ فَقِيرُ
إِلَى اللَّهِ دَاعٍ أَوْ تَبَلَّجَ نَوْرُ
ولا قِيلَ هَذَا عَالِمٌ وَخَبِيرُ
وَكَمْ فِي طَرِيقِ الطَّيِّبَاتِ شُرُورُ
إِلَى الزُّهْدِ لَا يَأْوِي إِلَيَّ ظَهِيرُ
وَحُولِفْتُ فِيمَا أُرْتئي وَأُشِيرُ
عَلَيْهَا وَلَا أَلْقَى الْقِيَادَ ضَمِيرُ
لَهُ فَوْقَ أَكْتَافِ الْكَوَاكِبِ دُورُ
وَمَاتَ كِلَانَا وَالْقُلُوبُ صُخُورُ
وَكَمْ قِيلَ عَنْ شَيْخِ (الْمَعْرَةِ) زُورُ
وَمَا رَاعَ مَفْتُونُ الْحَيَاةِ نَذِيرُ

(١٢) رثاء رياض باشا (نشرت في ٢٩ يولييه سنة ١٩١١م)

أنشدها على قبره في حفل الأربعين

(رياض) أَفُقْ مِنْ عَمْرَةِ الْمَوْتِ وَاسْتَمِعْ
أَفُقْ وَاسْتَمِعْ مِنِّي رِثَاءَ جَمْعَتِهِ
لَتَعْلَمَ مَا تَطْوِي الصُّدُورُ مِنَ الْأَسَى
لِئِنْ تَكْ قَدْ عُمِّرْتَ دَهْرًا لَقَدْ بَكِّي
مَضَاءٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَعَزْمَةٌ
رُجِمَتْ، فَمَا جَاءَ يُنَوِّهُ فِي الْعُلَا
ولا قَامَ فِي أَيَّامِكَ الْبَيْضِ مَا جَدُ
إِذَا قِيلَ: مَنْ لِلرَّأْيِ فِي الشَّرْقِ أَوْمَاتُ
وَأِنْ طَلَعَتْ فِي (مِصْرَ) شَمْسُ نَبَاهَةٍ
حَكَمْتُ فَمَا حَكَمْتُ فِي قَصْدِكَ الْهَوَى

حَدِيثَ الْوَرَى عَنْ طَيْبٍ مَا كُنْتَ تَصْنَعُ
تُشَارِكُنِي فِيهِ الْبَرِيَّةُ أَجْمَعُ
وَتَنْظُرُ مَقْرُوحَ الْحَشَا كَيْفَ يَجْزَعُ
عَلَيْكَ مَعَ الْبَاكِي خَلَاتُوقُ أَرْبَعُ:
مَنْ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ أَمْضَى وَأَقْطَعُ
بِصَاحِبِهِ إِلَّا وَجَاهُكَ أَوْسَعُ
يُنَازِعُكَ الْبَابَ الَّذِي كُنْتَ تَقْرَعُ
إِلَى رَأْيِكَ الْأَعْلَى مِنَ الْغَرْبِ إِصْبَعُ
فَمِنْ بَيْتِكَ الْمَعْمُورِ تَبْدُو وَتَطْلُعُ
طَرِيقُكَ فِي الْإِنْصَافِ وَالْعَدْلِ مَهْيَعُ

نِزَاهَةٌ نَفْسٍ فِي سَبِيلِكَ تَشْفَعُ
وَفِي كَفِّهِ سَيْفٌ مِنَ الْبَطْشِ يَلْمَعُ
إِلَى بَابِهِ الْأَيَّامُ، وَالنَّاسُ خُشَعُ
إِرَادَتُهُ رَفَعَ الدَّلِيلَ فَيُزْفَعُ
تُدْكُ جِبَالٌ لَمْ تَكُنْ تَتَزَعَزَعُ
تَسِيلُ بَحَارٌ بِالْعَطَاءِ فَتُفْرَعُ
يُصَارِعُهُ فِي الْغَابِ أَغْلَبُ أَرْوَعُ
إِرَادَةُ (إِسْمَاعِيلَ) وَالْمَوْتُ يَسْمَعُ
صُرُوفَ اللَّيَالِي وَالْمَنِيَّةُ مَشْرَعُ
حُلَاهَا بِأَيْدِي الْمُسْتَطِيلِينَ تُنْزَعُ
فَفَارَقَتْهَا أَسْوَانٌ وَالْقَلْبُ مُوجِعُ
أَقْلُ عَثْرَتِي؛ فَالْقَوْمُ فِي الظُّلَمِ أَدْعَا
إِلَيْكَ دُعَاءُ الْحَقِّ تَأْوِي وَتَفْزَعُ
وَمِثْلُكَ مَنْ يَحْمِي الْكَرِيمَ وَيَمْنَعُ
فَأَصْبَحَ فِي أَفْيَاءِ جَاهِكَ يَرْتَعُ
وَفِي صَدْرِهِ كَنْزٌ مِنَ الْعِلْمِ مُودِعُ
إِلَى أَلْمَعِيِّ بِالْبَرَاهِينِ يَصْدَعُ
وَعَاوَدَهُمْ ذَاكَ الذِّكَاءُ الْمُضْيِعُ
فَجَاءَ بِمَا يَشْفِي الْغَلِيلَ وَيَنْقَعُ
فَأَمَسَتْ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي الْحَقِّ تَرْجِعُ
عَلَيْهِ مِنَ الْإِمْلَاقِ ثَوْبٌ مُرْقِعُ
إِلَى الْمَجْدِ مِنْ أَطْمَارِهَا تَنْطَلِعُ
وَمَا كَانَ فِي تِلْكَ السَّعَادَةِ يَطْمَعُ
لَهَا أَيْنَ حَلَّتْ نَفْحَةٌ تَتَضَوُّعُ
يَنْوُءُ بِهَا أَيَّامٌ لَا غَوْتَ يَنْفَعُ
وَكَانُوا أَنْاسًا فِي الْجَهَالَةِ أَوْضَعُوا
لَخَالُوا (رِيَاضًا) فَوْقَهُمْ يَتَسَمَّعُ

وَقَدْ كُنْتَ ذَا بَطْشٍ وَلَكِنْ تَحْتَهُ
وَقَفْتَ (لِإِسْمَاعِيلَ) وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ
إِذَا صَاحَ لِبَاهُ الْقَضَاءِ وَأُسْرَعَتْ
يُذِلُّ — إِذَا شَاءَ — الْعَزِيزَ وَتَرْتَنِّي
فَفِي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ عَابِسُ
وَفِي كَرَّةٍ مِنْ لَحْظِهِ وَهُوَ بِاسِمُ
فَمَا أَغْلَبَ شَاكِي الْعَزِيمَةِ أَرْوَعُ
بَأَجْرًا مِنْ ذَاكَ الْوَزِيرِ مُصَادِمًا
وَفِي الثُّورَةِ الْكُبْرَى وَقَدْ أَحْدَقْتَ بِنَا
نَظَرْتَ إِلَى (مِصْرٍ) فَسَاءَكَ أَنْ تَرَى
وَلَمْ تَسْتَطِعْ صَبْرًا عَلَى هَتَاكِ خَدْرِهَا
وَعُدْتَ إِلَيْهَا حِينَ نَادَاكَ نِيْلُهَا:
فَكُنْتَ (أَبَا مُحَمَّدٍ) غَوْتًا وَعِصْمَةً
وَكَمْ نَابِغٍ فِي أَرْضِ (مِصْرٍ) حَمِيْنَةٍ
رَعِيَتْ (جَمَالَ الدِّينِ) ثُمَّ اصْطَفَيْتَهُ
وَقَدْ كَانَ فِي دَارِ الْخِلَافَةِ ثَاوِيًا
فَجِئْتَ بِهِ وَالنَّاسُ قَدْ طَالَ شَوْقُهُمْ
فَحَرَّكَ مِنْ أَفْهَامِهِمْ وَعَقُولِهِمْ
وَوَلَّيْتَ تَحْرِيرَ الْوَقَائِعِ (عَبْدَهُ)
وَكَانَتْ لِرَبِّ النَّاسِ فِيهِ مَشِيئَةٌ
وَجَاءُوا (بِإِبْرَاهِيمَ) فِي الْقَيْدِ رَاسِقًا
فَأَلْفَيْتَ مِلْءَ الثُّوبِ نَفْسًا طَمُوْحَةً
فَأَطْلَقْتَهُ مِنْ قَيْدِهِ وَأَقْلَبْتَهُ
وَكَمْ لَكَ فِي (مِصْرٍ) وَفِي (الشَّامِ) مِنْ يَدٍ
رَفَعْتَ عَنِ الْفَلَاحِ عِبَاءَ ضَرِيْبَةٍ
وَأَرْهَبْتَ حُكَّامَ الْأَقَالِيمِ فَارْعَوْا
خَافُوكَ حَتَّى لَوْ تَنَاجَوْا بِنَجْوَةٍ

أَقَمْتَ عَلَيْهِمْ زَاجِرًا مِنْ نَفُوسِهِمْ
 سَلَ النَّاسِ أَيَّامَ الرُّشَا مُسْتَفِيضَةً
 أَكَانَ (رياضُ) عَنْهُمْ غَافِلِ
 (أُمُوتَمَرِ الإِصْلَاحِ) وَالْعُرْفِ، قَدْ مَضَى
 وَكَانَ عَلَى كُرْسِيِّهِ خَيْرَ جَالِسِ
 فَيَا وَيْلُنَا إِنْ لَمْ تَسُدُّوا مَكَانَهُ
 بَعِيدِ مَرَامِ الْفِكْرِ أَمَّا جَنَانُهُ
 فَيَا نَاصِرَ الْمُسْتَضْعَفِينَ إِذَا عَدَا
 عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا قَامَ بَيْنُنَا
 إِذَا سَوَّلْتَ أَمْرًا لَهُمْ قَامَ يَرْدُعُ
 وَأَيَّامَ لَا تَجْنِي الَّذِي أَنْتَ تَزْرَعُ
 يَرُدُّ الْأَذَى عَنْ أَهْلِ (مِصْرَ) وَيَدْفَعُ
 (رِيَاضُ) وَأَوْدَى الْوَازِعُ الْمُتَوَرِّعُ
 لَهَيْبَتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَخْشَعُ
 بَنِي مِرَّةٍ فِي الْخُطْبِ لَا يَتَضَعُّعُ
 فَرحَبُّ، وَأَمَّا عِزُّهُ فَمُمَنِّعُ
 عَلَيْهِمْ زَمَانٌ بِالْعَدَاوَةِ مُولِعُ
 وَزِيرٌ عَلَى دَسْتِ الْعُلَا يَتَرَبَّعُ

(١٣) رثاء الشيخ علي يوسف صاحب المؤيد (نشرت في ٥ ديسمبر سنة ١٩١٣م)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بمنزل السادات

صُونُوا يَرَاعَ (عَلِيٍّ) فِي مَتَاحِفِكُمْ
 وشاوروه لدى الأَزْءِ والنُّوبِ
 واستلهموه إِذَا مَا الرَّأْيُ أَخْطَأَكُمْ
 يَوْمَ النَّضَالِ عَنِ الْأَوْطَانِ وَالنَّشَبِ
 قَدْ كَانَ سَلُوءَ (مِصْرٍ) فِي مَكَارِهَا
 وَكَانَ جَمْرَةَ (مِصْرٍ) سَاعَةَ الْغَضَبِ
 فِي شِقِّهِ وَمَرَامِيهِ وَرَيْقَتِهِ
 مَا فِي الْأَسَاطِيلِ مِنْ بَطْشٍ وَمِنْ عَطَبِ
 كَمْ رَدَّ عَنَّا وَعَيْنُ الْغَرْبِ طَامِحَةٌ
 مِنَ الرِّزَايَا وَكَمْ جَلَّى مِنَ الْكُرْبِ
 لَهُ صَرِيرٌ إِذَا جَدَّ النَّزَالُ بِهِ
 يُنْسِي الْكُفَاةَ صَلِيلَ الْبَيْضِ وَالْقُضْبِ
 مَا ضَرَّ مَنْ كَانَ هَذَا فِي أَنْامِلِهِ
 أَنْ يَشْهَدَ الْحَرْبَ لَمْ يَسْكُنْ إِلَى يَلْبِ

فلو رآه (ابن أُويس) ما قرأت له:
 (السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتُبِ)
 ألا فتى عربيّ يستقلُّ به
 بعدَ الفقيـد ويحـمي حوزةَ الأدبِ
 ويمنعُ الحقَّ أن يُغشي تـبـلـجـه
 ما في السـياسـة من زورٍ ومن كذبِ
 أودى فتى الشرقِ، بل شيخُ الصحافةِ بلُ
 شيخُ الوفايـة الوضـاحـة الحـسـبِ
 أقامَ فينا عصامياً فعلمنا
 معنى الثباتِ ومعنى الجدِّ والدَّابِ
 وراحَ عنا ولم تبـلـغ عزائـمنا
 مدى مُناها ولم تقربُ من الأربِ
 قالوا: عجبنا لمصرٍ يومَ مـصرعه
 وقد عـجـبتُ لهم من ذلك العـجـبِ
 إن الألى حـسـبـوها غير جازعة
 لا ينظرونَ إلى الأشياءِ من كُتـبِ
 تالله ما جهلت فيه مُصـيـبـتها
 ولا الذي فـقـدت من كاتـبِ العـربِ
 لكنّها ألفت والأمرُ يـحـزبـها
 ففقدَ الرِّجالِ وموتَ السّادة النُّجـبِ
 وعلمتْها اللـيـالي أن تُصابـرـها
 في الحادـثـات وإن أـمعنَ في الحـربِ
 كم أـزجـفوا بعد موتِ الشَّيخِ وارْتَقبوا
 موتَ (المؤيّد) فينا شرٌّ مرْتَقـبِ
 وإن يـمـت تـمـت الأـمالُ في بـلـدِ
 لولا (المؤيّد) لم ينشطُ إلى طـلـبِ
 صباـبـة من رجاـئ بين أضـلـعنا
 قد باتَ يرشـفُ منها كلُّ مُغتـصـبِ

المراثي

أَلَمْ يَكُنْ لِبَنِي (مِصْرٍ) وَقَدْ دُهِمُوا
مِنْ سَاسَةِ الْغَرْبِ مِثْلَ الْمَعْقِلِ الْأَشْبِ
كَمْ انْبَرَتْ فِيهِ أَقْلَامٌ وَكَمْ رُفِعَتْ
فِيهِ مَنَائِرُ مِنْ نَظْمٍ وَمِنْ خُطْبٍ!
وَكَانَ مَيْدَانُ سَبْقٍ لِلأَلَى غَضِبُوا
لِلذِّينَ وَالْحَقُّ مِنْ دَاعٍ وَمُخْتَسِبٍ
فَكَمْ يَرَاعِ حَكِيمٍ فِي مِشَارِعِهِ
قَدْ التَقَى بِيرَاعِ الْكَاتِبِ الْأَرْبِ
أَيُّ الصَّحَائِفِ فِي الْقُطْرَيْنِ قَدْ وَسَعَتْ
رَدَّ (الإمام) مُزِيلِ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
أَيَّامَ يَخْصِبُ (هَانُوتُو) بِفِرْيَتِهِ
وَجْهَ الْحَقِيقَةِ وَالْإِسْلَامِ فِي نَحْبِ
مَالِي أُعِدُّدُ آثَارَ الْفَقِيدِ لَكُمْ
وَالشَّرْقُ يَعْرِفُ رَبَّ السَّبْقِ وَالْغَلَبِ
لَوْلَا (الْمُؤَيَّدُ) ظَلَّ الْمُسْلِمُونَ عَلَى
تَنَاقُرٍ بَيْنَهُمْ فِي ظُلْمَةِ الْحُجُبِ
تَعَارَفُوا فِيهِ أَرْوَاحًا وَضَمَّهُمْ
رَغَمَ التَّنَائِي زِمَامُ غَيْرِ مُنْقَضِبِ
فِي مِصْرَ فِي تُونُسٍ فِي الْهِنْدِ فِي عَدَنِ
فِي الرُّوسِ فِي الْفُرْسِ فِي الْبَحْرَيْنِ فِي حَلَبِ
هَذَا يَحْنُ إِلَى هَذَا وَقَدْ عُقِدَتْ
مَوَدَّةٌ بَيْنَهُمْ مَوْصُولَةُ السَّبَبِ
(أَبَا بُثَيْنَةَ) نَمْ يَكْفِيكَ مَا تَرَكْتُ
فِينَا يَدَاكَ وَمَا عَانَيْتَ مِنْ تَعَبِ
جَاهَدْتَ فِي اللَّهِ وَالْأَوْطَانِ مُخْتَسِبَا
فَارْجِعْ إِلَى اللَّهِ مَأْجُورًا وَفُزْ وَطِبْ

واحمل بِيُؤْمَنَاكَ يَوْمَ النَّشْرِ مَا نَشَرْتَ
تلك الصَّحِيفَةُ فِي دُنْيَاكَ وَأَنْتَ سَبِ

(١٤) رثاء علي أبي الفتوح باشا (نُشرت في ٩ فبراير سنة ١٩١٤م)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه في الجامعة

وإذا أُبَيِّتِ فَأَجْمَلِي	جَلَّ الْأَسَى فَتَجَمَّلِي
كِ وَلَا فَتَى إِلَّا (علي)	يَا مِصْرُ قَدْ أُوْدَى فَتَا
ءِ وَغَابَ بَدْرُ الْمَحْفِلِ	قَدْ مَاتَ نَابِغَةُ الْقَضَا
ءِ فَصَابَهُ فِي الْمَقْتَلِ	وَعَدَا الْقَضَاءُ عَلَى الْقَضَا
تِ قَضَى بَدَاءٍ مُعْضِلِ	حَلَالُ عَقْدِ الْمُعْضِلَا
فِي غَمْرَةٍ لَا تَنْجَلِي	وَيْحَ الْكِنَانَةِ مَا لَهَا
رُ بِهَا وَكَارِثَةٌ تَلِي	بَاتَتْ وَكَارِثَةٌ تَمُرُ
رِيحَانَةُ الْمُسْتَقْبَلِ	يَا زَهْرَةَ الْمَاضِي وَيَا
ئِدْ فِي الزَّمَانِ الْمُقْبِلِ	كُنَّا نَعِدُّكَ لِلشُّدَا
مِ الْمُطْمَئِنَّ الْأَمْثَلِ	يَا لِابْسِ الْخُلُقِ الْكَرِي
جَتْنَا وَلَمْ تَتَمَهَّلِ	فَارَقْتَنَا فِي حِينِ حَا
بِ رَمَاكَ رَامِي الْأَجْدَلِ	يَا رَامِيًا صَدَرَ الصُّعَا
قِ وَيَا كَرِيمَ الْمَقُولِ	يَا حَافِظًا غَيَّبَ الصَّدِيدِ
بَحْلَاكَ لَمْ تَتَجَمَّلِ	أَيُّ الْمَحَامِدِ غَصَّةٌ
لَهُوًا وَأَنْتِ بِمَعْزِلِ	تَلْهُو لِدَائِكَ بِالصُّبَا
تِ الصَّالِحَاتِ وَتَعْتَلِي	تَسْعَى وَرَاءَ الْبَاقِيَا
تِرِ دَائِبًا لَا تَأْتَلِي	بَيْنَ الْمَحَابِرِ وَالْبَدَا
نَ وَحُزَّتْ فَضْلَ الْأَوَّلِ	أَذْرَكْتَ عِلْمَ الْآخِرِي
فَوْقَ السَّمَاءِ الْأَعَزَلِ	أَذْنَى مَرَامِكَ هِمَّةٌ
(مِصْرًا) تَسُودُ وَتَعْتَلِي	وَأَجَلُ قَصْدِكَ أَنْ تَرَى

تَرَكَوا الأَسَى وَالْحُزْنَ لِي	دَرَجَ الْأَحِبَّةُ بَعْدَمَا
عَيْشٌ وَلَمْ أَتَعَلَّلْ	لَمْ يَحُلْ لِي مِنْ بَعْدِهِمْ
حَرَى عَلَى مُتَرَحِّلٍ	لِي كُلَّ عَامٍ وَقُفَّةٌ
تِ وَأُصْطَلِي مَا أُصْطَلِي	أَبْكِي بُكَاءَ الثَّائِلَا
بِ عَزِيمَةٍ لَمْ تُفَلِّلْ	لَمْ يُبْقِ لِي يَوْمُ الْفَقِيرِ
بِفَتْنِي أَغَرَّ مُحَجَّلٍ	يَوْمٌ عَبَّوْشٌ قَدْ مَضَى
عِنْدَ الْقَضَاءِ الْمُنْزَلِ	مَنْ لَمْ يُشَاهِدْ هَوْلَهُ
رَ وَلَا انْخِزَالَ الْمُفْصِلِ	لَمْ يَدْرِ مَا قَصَمَ الظُّهُو
تَ بِوَجْهِهِ الْمُتَهَلِّلِ	يَا قَبْرُ وَيْحَكَ مَا صَنَعَ
كَانَتْ رِيَاضُ الْمُجْتَلِي	عَبَّسَتْ مِنْهُ نَضْرَةٌ
سَوْدَاءَ لَمَّا تَنُصِّلِ	وَعَبَّثَتْ مِنْهُ بِطُرَّةٍ
بِلِطَافِ تِلْكَ الْأَنْمُلِ؟	يَا قَبْرُ هَلْ لِعَبِّ الْبَلَى
سِ تَسِيلُ سَيْلَ الْجَدُولِ	لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الطُّرُو
لِ تَحُلُّ عَقْدَ الْمُشْكِ	لَهْفِي عَلَيْهَا فِي الْجِدَا
ءِ وَلِلْعُفَاةِ السُّؤْلِ	لَهْفِي عَلَيْهَا لِلرَّجَا
قَدْ كَانَ خَيْرَ مُؤَمِّلِ	يَا قَبْرُ ضَيْفُكَ بَيْنَنَا
دِيهِ وَلَمْ يَتَبَدَّلِ	لَمْ يَنْقَبِضْ كِبَرًا بَنَا
فَنَزَلْتُ أَكْرَمَ مَنَزَلِ	إِنِّي حَلَلْتُ رَحَابَهُ
فَوَرَدْتُ أَعَذَبَ مَنَهْلِ	وَنَهَلْتُ مِنْ أَخْلَاقِهِ

(١٥) رثاء فتحي وصادق (نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٤م)

قالها في رثاء الطيارين العثمانيين فتحي بك وصادق بك اللذين سقطت بهما الطائرة قرب دمشق، وكانا يعتزمان الطيران من دمشق إلى القدس ثم إلى مصر، ويؤمل فيها وصول الطيار الآخر نوري بك سالماً

أَخْتِ الْكَوَاكِبِ مَا رَمَا كِ وَأَنْتِ رَامِيَةُ النَّسُورِ؟

ماذا دهاك وفوق ظهـ
 خضعت لإمرته الرّيا
 فغدا يُصرّف من أعنـ
 (فتحي) وهل لي إن سألـ
 ويلاه هل جُزت الحدو
 فرماك حراس السّما
 أم غار منك السابحا
 حسدتك حين رأتك وخـ
 والعين مثل السهم تنـ
 حاولت أن تردّ المجز
 فوردت يا (فتحي) الجما
 وهويت من كيد السّما
 إن كان أعياك الصّعو
 فاسبح بروجك وحدها
 إن راعنا صوت النّعيـ
 فلعلّ من ضنّت يدا
 أن يستجيب دُعاءها
 باتت تراقب في المشا

ريك مريض الأسد الهصور؟
 ح من الصبا ومن الدبور
 حتها تصاريف القدير
 ت عن المصيبة من محير؟
 د وأنت مخترق السّطور؟
 ء وتلك قاصمة الظهور
 ت وأنت تسبح في الأثير
 دك ثم كالفلك المنير
 فذ في الترائب والنحور
 رة والورود من العسير
 م وأنت منقطع النّظير
 ء وهكذا مهوى البذور
 د بذلك الجسد الطهور
 واضعد إلى الملك الكبير
 ي وفاتنا نبأ البشير
 ه على الكنانة بالسّور
 في حفظ صاحبك الأخير
 رق والمغارب وجه (نوري)

(١٦) رثاء الدكتور شبلي شميل

أنشدها في الحفل الذي أقيم في نادي جمعيّة الاتحاد السوريّ في مساء الأحد ٩ فبراير
 سنة ١٩١٧م

سغن الفيلسوف بعد اضطراب
 لقي الله ربّه فاتركوا المر
 حزن العلم يوم مت ولكن
 إن ذاك السكون فصل الخطاب
 لديّانه فسيح الرّحاب
 أمن الدين صيحة المُرتاب

ضِ وَتَسْعَى وراءَ لُبِّ اللُّبَابِ
 قد بَلَغْتَ المُرَادَ تحتَ التُّرابِ
 قُ لَعَيْنَيْكَ ساطِعًا كالشَّهابِ
 بينَ شَكٍّ وَحَيْرَةٍ وَارْتِيَابِ
 كِ فَشَكُّ الحَكِيمِ بَدَأَ الصَّوَابِ
 عاشَ في البَحْثِ طارقًا كلَّ بابِ
 مُسْتَطِيرًا يُرِيغُ هَتَكَ الحِجَابِ
 دُ إلى الأرضِ باحِثًا عن جوابِ
 بُ طَوَاهَا مُسَبِّبُ الأسبابِ
 وانْتَنَى هَبْرَئِيَّهَا وهو كابي
 لشؤونِ المُهَيِّمِنِ الوَهَابِ
 سَ قديمًا فلم يَفْزُ بالطَّلَابِ
 قَوْلٌ حَتَّى تَفَنَّنُوا في عِتَابِي
 رَ ولا يَهْتَدِي بِهِدْيِ الكِتَابِ؟
 منه خِلًا أُمْسَى طویلَ الغِيَابِ
 لَ فقد كان صاحبي لا يُحَابِي
 كُنَّ أحلى من الشَّهادِ المُذَابِ
 لَ ولا يَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصَّحَابِ
 رَ جميعَ الفُؤادِ رَحَبَ الجَنَابِ
 امَ مالا ولم يَلِنَ للصُّعَابِ
 رى وفي العِلْمِ مَوْضِعَ الإعْجَابِ
 وأُصِيبَتْ روائِعُ الآدَابِ
 سَ وقد كانَ مَرْتَعُ الكُتَّابِ
 فوقَ ما نابَها بهذا المُصَابِ
 مَ، لقد آذَنْتَ إِذَا بالخَرَابِ
 فُجِعَتْ بالثَّلَاثَةِ الأَقْطَابِ
 كَلَّما غَيْبَ الثَّرَى لَيْثَ غَابِ

كُنْتَ تَبْغِي بَرْدَ اليَقِينِ على الأَرِ
 فاستَرَحَ أَيُّهَا المُجَاهِدُ وأَهْدَا
 وَعَرَفْتَ اليَقِينَ وَانْبَلَجَ الحَا
 لَيْتَ شِعْري وقد قَضَيْتَ حَيَاةَ
 هل أَتَاكَ اليَقِينُ من طُرُقِ الشَّ
 كم سَمِعْنَا مُسَائِلًا قَبْلَ (شُبْلِي)
 أَطْلَقَ الفِكْرَ في العوالمِ حُرًّا
 يَقْرَعُ النَّجْمَ سائِلًا ثُمَّ يَرْتَدُّ
 أَعْجَزْتَهُ من قُدْرَةِ اللهِ أَسْبَا
 وَقَفْتَ دونَها العُقُولُ حَيَارَى
 لم يَكُنْ مُلْجِدًا وَلَكِنْ تَصَدَّى
 رامَ إدراكَ كُنْهِ ما أَعْجَزَ النَّا
 إليه شُبْلِي قد أَكْثَرَ النَّاسُ فيكَ الـ
 قِيلَ: تَرْتِي ذَاكَ الَّذِي يُنْكَرُ النُّو
 قِلْتُ: كُفُّوا فَإِنَّمَا قُمْتُ أُرْتِي
 أَنَا وَاللهِ لا أَحَابِيهِ في القَو
 أَنَا أُرْتِي شَمَائِلًا مِنْهُ عِنْدِي
 كانَ حُرَّ الآرَاءِ لا يَعْرِفُ الحَتْمَ
 مُفْضِلًا مُحْسِنًا على العُسْرِ والْيُسْرِ
 عاشَ ما عاشَ لا يُلِيقُ على الأَيِّ
 كانَ في الودِّ مَوْضِعَ الثِّقَةِ الكُبْ
 نُكِبَ الطَّبُّ فِيهِ يَوْمَ تَوَلَّى
 وَخِلا ذَلِكَ النَّدِيُّ مِنَ الأَنْبِ
 وَبَكَتْ فَقَدَهُ الشَّامُ وَنَاءَتْ
 كلَّ يَوْمٍ يُهْدُ رُكْنٌ مِنَ الشَّأْ
 فَهِيَ (باليزجي) و(جُرْجي) و(شُبْلِي)
 فَعَلَى الرَّاحِلِ الكَرِيمِ سَلامٌ

(١٧) رثاء جورجي زيدان سنة ١٩١٤

وقد عَقَدْتُ هُوجَ الخُطوبِ لِساني
وَمِنْ كَمَدٍ قد شَفَّنِي وِبراني
على راحِلٍ فارَقْتُهُ فَشَجَّاني
مِنَ القلبِ إِنِّي قد فَقَدْتُ جَناني
وما نابَنِي يومَ (الإمام) كَفاني
يَدُ اللهِ يَوْمِي فانتَظَرْتُ أواني
ومالي قَريبٌ إِنْ قَضَيْتُ بَكَاني
وَتَقْصِيرُ أُمثالي جَنايَةَ جاني
لأَعْلَمُ ما لا يَجْهَلُ الثَّقَلانِ
له بَيِّنَ هالاتِ النُّوابِغِ ثاني
وأخرى (لَزِيدان) وقد سَبَقاني
إِذا التَّقيا يَوْمًا وقد ذَكَراني
ولم يَشْهَدَا في المَشْهَدَيْنِ مكاني
على غير هذا العَهدِ قد عَرَفاني
ضَنيْنَا وَلَكِنَّ القَريضَ عَصاني
يُصَرِّفُ في الإنْشاءِ كُلَّ عِنانِ
تَنَكَّسَ من أَعْلَامِهِ عَلمانِ
وَكَمْ زِنْتُ من رَبِّ (الضَّياءِ) بَياني
يُنَادِي بها النَّاعونَ كُلَّ حُسانِ
فأَنْتَ على رَغَمِ المَنيَّةِ داني
تَجَلَّى له ما أَضْمَرَ الفَتَيانِ
على الدُّرِّ غَوَاصٌ ببَحرِ (عُمانِ)
شَبًّا هِنْدُوانِيَّ وَحَدُّ يَماني
تَمائِلٌ إِعْجابًا بها البَلَدانِ
فتى (الْقُدْسِ) مِمَّا يُنْبِتُ الحَرمانِ
فمالي بما أَعيا القَريضَ يَدانِ

دَعاني رفاقي والقوافي مَريضَةٌ
فَجِئْتُ وبِي ما يَعْلَمُ اللهُ مِنْ أَسَى
مَلِئْتُ وَقُوفي بَيْنَكُمْ مَتَلَهْفاً
أَفِي كُلِّ يومٍ يَبْصَعُ الحُزْنَ بَضْعَةً؟
كَفاني ما لَقِيتُ مِنْ لَوَعَةِ الأَسَى
تَفَرَّقَ أَحبابي وأَهلي وأُخَرْتُ
ومالي صديقٌ إِنْ عَنَزْتُ أَقالَنِي
أَرانِي قد قَصَّرْتُ في حَقِّ صُحْبَتِي
فلا تُعْذِرُونِي يومَ (فُتُحي) فَإِنني
فقد غابَ عَنّا يَوْمَ غابَ ولم يَكُنْ
وفي ذِمَّتِي (الليازجِي) وَديعَةٌ
فيا لَيْتَ شِعْري ما يَقولانِ في التَّرى
وقد رَمَيا بالطَّرْفِ بَيْنَ جُمُوعِكُمْ
أَيَجْمَلُ بي هذا العُقُوقُ وإِنما
دَعاني وفائِي يَوْمَ ذاكَ فلم أَكُنْ
وقد تَخَرَّسَ الأَحْزانُ كُلَّ مُفَوِّهِ
أأنْساهُمَا والعِلْمُ فوق نَراهُما
وَكَمْ فُزْتُ مِنْ رَبِّ (الهِلالِ) بِحِكْمَةٍ
(أزِيدانُ) لا تَبْعُدْ وتلكَ عُلالةٌ
لَكَ الأَثَرُ الباقِي وَإِنْ كُنْتَ نائِياً
ويا قَبِرَ (زِيدان) طَوَيْتُ مُورِجاً
وعَقْلاً وَلَوْعاً بِالْكَنُوزِ فَإِنَّه
وعَزْماً شامِياً له أَيْنَما مَضَى
وكَفا إِذا جالَتْ على الطُّرسِ جَوْلَةٌ
أَشادَتْ بِذِكْرِ الرِّاشِدينَ كأَنما
سَأَلْتُ حُماةَ النَّثَرِ عَدَّ خِلالِهِ

(١٨) رثاء إبراهيم حسن باشا ومحمد شكري باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينهما في مدرسة القصر العيني في ٢٣ فبراير سنة ١٩١٧م

لَمْ يُرْعَ عِنْدَكَ لِلْأَسَاةِ ذِمَامُ
لِلنَّافِعِينَ مِنَ الرِّجَالِ تُقَامُ
فِيكَ الرَّدَى فَبَكَّتُهُمَا (الأهْرَامُ)
وَأَصَبْتَ (إِبْرَاهِيمَ) وَهُوَ إِمَامُ
وَالطَّبُّ نَبَتْ لَمْ يَجِدْهُ غَمَامُ
وَلِعُوا عَلَى بَعْدِ الْمَزَارِ وَهَامُوا
أَنَّ ابْنَ (مِصْرَ) مُجَرَّبٌ مِقْدَامُ
أَنَّ الْعَرِينَ يَحُلُّهُ ضَرْغَامُ
فَانْشَقَّ مِنْ عَلَمَيْهِمَا أَغْلَامُ
فَوْقَ السَّمَاءِ فَبَرَّتِ الْأَقْسَامُ
فِيهَا (لِبُقْرَاطٍ) الْحَكِيمِ مَقَامُ
بَذُوا الْأَسَاةَ فَلَمْ يَرْعُهُ سَقَامُ
صَدَقَ الرَّجَاءُ وَصَحَّتِ الْأَحْلَامُ
وَعَلَى الْوَلَاءِ — كَمَا عَلِمْتَ — أَقَامُوا
فَدَعَا بِعَافِيَةٍ لِكَ الْإِسْلَامُ
بَيْنَ الْمَمَالِكِ حَيْثُ تُحْنَى الْهَامُ
عِنْدَ الْجَرَاحَةِ بَلَسَمُ وَسَلَامُ
مِنْ رَحْمَةٍ فَجَرِيحُهُ بَسَامُ
دَاءُ الْعَلِيلِ وَحَارَتْ الْأَفْهَامُ
أَذُنٌ وَخَانَ الْمِسْمَعِينَ صِمَامُ
عَرَفْتَ خَفِيَ دَبِيبِهِ الْإِبْهَامُ
خَرَسَاءُ حَتَّى تَنْطِقَ الْأَلَامُ
وَتُنَى عِنَانَ الْمَوْتِ وَهُوَ زُؤَامُ
نُورًا إِذَا غَشَى الْعُيُونُ قَتَامُ

لَا مَرْحَبًا بِكَ أَيُّهَا الْعَامُ
فِي مُسْتَهْلَكِ رُغْتِنَا بِمَاتَمُ
عَلَّامَانِ مِنْ أَعْلَامِ (مِصْرَ) طَوَاهُمَا
غَيَّبْتَ (شُكْرِي) وَهُوَ نَابُهُ عَصْرُهُ
خَدَمَا رُبُوعَ النَّيْلِ فِي عَهْدَيْهِمَا
وَالنَّاسَ بِالْعَرْبِيِّ فِي تَطْبِيبِهِ
حَتَّى انْبَرَى (شُكْرِي) فَأُثْبِتَ سَبْقُهُ
وَأَقَامَ (إِبْرَاهِيمَ) أَبْلَغَ حُجَّةٍ
وَتَرَسَّمَ الْمُتَعَلِّمُونَ خُطَاهُمَا
قَدْ أَقْسَمُوا لِلطَّبِّ أَنْ يَسْمُوا بِهِ
وَعَدَتْ رُبُوعُ الطَّبِّ تَحْكِي جَنَّةُ
وَرَأَى عَلِيلُ النَّيْلِ أَنَّ أَسَاتَهُ
يَا (مِصْرَ) حَسْبُكَ مَا بَلَغَتْ مِنَ الْمُنَى
وَمَشَى بَنُوكَ كَمَا اشْتَهَيْتَ إِلَى الْعُلَا
وَمَدَدَتْ صَوْتُكَ بَعْدَ طَوْلِ خُفُوتِهِ
وَرَفَعْتَ رَأْسَكَ عِنْدَ مُفْتَخَرِ النُّهَى
كَمْ فِيكَ جَزَاحَ كَأَنَّ يَمِينَهُ
قَدْ صَيَّغَ مَبْضَعُهُ وَإِنْ أَجْرَى دَمًا
وَمَوْقِقَ جَمِّ الصَّوَابِ إِذَا التَّوَى
يُلْقِي بِسَمْعٍ لَا يَخُونُ إِذَا هَفَّتْ
وَإِذَا عُضَالُ الدَّاءِ أَبْهَمَ أَمْرُهُ
يَسْتَنْطِقُ الْأَلَامَ وَهِيَ دَفِينَةٌ
كَمْ سَلَّ مِنْ أَيْدِي الْمَنَايَا أَنْفُسًا
وَمُطَبِّبٍ لِلْعَيْنِ يَحْمِلُ مِيلُهُ

وَكأنَّ إِثْمَده ضِياءُ ذَرَّه
وَمُطَبَّبٌ لِلطُّفْلِ لَمْ تَنْبُتْ لَهُ
يَشْكُو السَّقَامَ بِنَظَرِيه وما لَهُ
فَكَمْ اسْتَشَفَّ وَكَمْ أَصَابَ كَأَنَّمَا
وَمَوْلِدٍ عَرَفَ الْأَجِنَّةُ فَضْلَه
كَمْ قَدْ أُنَارَ لَهَا بِحَالِكَةِ الْحِشَا
لَوْلا يَدَاهُ سَطَا عَلَى أَبدَانِهَا
فَبِهَوْلَاءِ الْغُرِّ يَا (مُضِر) اهْنَيْ
وَعَلَى طَبِيبِيكَ اللَّذِينَ رَمَاهُمَا

(عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ) فَانْجَلَى الْإِظْلَامُ
سِنٌّ وَلَمْ يَذْرُجْ إِلَيْهِ فِطَامُ
غَيْرُ التَّفَرُّزِ وَالْأَنْيُنِ كَلَامُ
فِي نَظَرَتَيْهِ الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامُ
إِنْ أَعْسَرَتْ بَوْلَادُهَا الْأَرْحَامُ
سُبُلًا تَضِلُّ سُلُوكُهَا الْأَوْهَامُ
كَرْبُ الْمَخَاضِ وَشَقُّهَا الْإِيْلَامُ
فَبِمِثْلِهِمْ تَتَفَاخَرُ الْأَيَّامُ
رَامِي الْمَنُونِ تَحِيَّةً وَسَلَامُ

(١٩) رثاء المغفور له الشيخ سليم البشري (نشرت في ١٧ أكتوبر سنة ١٩١٧م)

أنشدها عند دفنه

أَيْدُرِي الْمُسْلِمُونَ بَمَنْ أَصِيبُوا
هَوَى رُكْنُ الْحَدِيثِ فَأَيُّ قُطْبٍ
(مَوْطَأً مَالِكٍ) عَزَّ (الْبُخَارِيُّ)
فَمَا فِي النَّاطِقِينَ فَمَّ يُؤَفِّي
قَضَى الشَّيْخُ الْمُحَدَّثُ وَهُوَ يُمْلِي
وَلَمْ تَنْقُصْ لَهُ التَّسْعُونَ عَزْمًا
وَمَا غَالَتْ قَرِيحَتُهُ اللَّيَالِي
أَشْيَخَ الْمُسْلِمِينَ نَأَيْتَ عَنَّا
لَقَدْ سَبَقَتْ لَكَ الْحُسْنَى فِطَوْبَى
إِذَا أَلْقَى السُّؤَالَ عَلَيْكَ مُلْقٍ
وَنَادَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ إِنَّا
قِفُوا يَأَيُّهَا الْعُلَمَاءُ وَابْكُوا
فَهَذَا يَوْمُنَا وَلَنَحْنُ أَوْلَى
عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَقَفَّا

وَقَدْ وَارَوْا (سَلِيمًا) فِي التُّرَابِ
لَطُلَّابِ الْحَقِيقَةِ وَالصَّوَابِ
وَدَعُ لِلَّهِ تَعَزِيَّةَ (الْكِتَابِ)
عَزَاءَ الدِّينِ فِي هَذَا الْمُصَابِ
عَلَى طُلَّابِهِ فَضَّلَ الْخِطَابِ
وَلَا صَدَّتْهُ عَنْ دَرْكِ الطُّلَّابِ
وَلَا خَانَتْهُ ذَاكِرَةُ الشَّبَابِ
عَظِيمَ الْأَجْرِ مَوْفُورِ الثَّوَابِ
لَمَوْقِفِ شَيْخِنَا يَوْمَ الْحِسَابِ
تَسَدَّى عَنْكَ بِرُّكَ لِلْجَوَابِ
نُزْكَي مَا يَقُولُ وَلَا نُحَابِي
وَرَوْوَا لَحْذَهُ قَبْلَ الْحِسَابِ
بَبَدْلِ الدَّمْعِ مِنْ ذَاتِ الْخِضَابِ
وَأَهْلِيهِ إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ

(٢٠) رثاء المغفور له السلطان حسين كامل (نشرت في أول نوفمبر سنة ١٩١٧م)

شَامِخٌ مِنْ صُرُوحِ (آلِ عَلِيٍّ)
 لَمْ نُمَتِّعْ بِعَهْدِهِ الذَّهَبِيِّ
 أَفْقَدْنَا بِفَقْدِهِ كُلَّ شَيْءٍ؟
 هَا وَيَقْضِي لَهَا بِلُطْفٍ خَفِيٍّ؟
 فِي زَمَانِ الْمَتَوَجِّ الْعَلَوِيِّ
 تَحْتَ أَفْيَاءِ عَذْلِهِ الْكِسْرَوِيِّ
 مِنْ نَدَاهُ وَفَيْضِهِ الْحَاتِمِيِّ
 (رُ) فُجُودِي لَهُ بِدَمْعٍ سَخِيٍّ
 يَوْمَ وَلَّى بِشَاشَةِ الْأَرْيَحِيِّ
 لِلْيَتَامَى مِنَ الزَّمَانِ الْعَتِيِّ
 أُمَّةٌ ذَاتُ مَنَعَةٍ وَرُقِيِّ
 سَلَامٍ فِي مُلْكِهِ بَعَزْمٍ فَتِيٍّ
 لِ وَأَعْيَا قَرِيحَةِ الْعَبْقَرِيِّ
 أُعْجَزَتْ فِي الْقَرِيضِ طَوْقُ الرَّوِيِّ
 عَ وَرَاعَ الْمُفَوَّهَيْنَ بَعِيٍّ
 فِ وَذِيَالِكَ الْحَدِيثِ الشَّهِيِّ
 فَوْقَ زَاهِي بِسَاطِكِ الْأَحْمَدِيِّ
 زَهْرٍ جَادَتْهُ زُورَةُ الْوَسْمِيِّ
 يَفٍ فِي قَبْضَةِ الشُّجَاعِ الْكَمِيِّ
 خَجَلُ السَّائِلِ الْكَرِيمِ الْأَبِيِّ
 وَوَقَارُ يَزِينُ صَدْرَ النَّدِيِّ
 فَيْكَ لَمْ يَجْتَمِعْنَ فِي نَفْسٍ حَيٍّ
 وَضَعِيفًا حَلَلَتْ سَاخَ الْقَوِيِّ
 يَا أَلِيفَ الضَّنَى بَنُومَ هَنِيٍّ
 قَطَعَتْهُ رَنَاتُ صَوْتِ النَّعِيِّ

دُكَّ مَا بَيْنَ ضَحْوَةٍ وَعَشِيِّ
 وَهَوَى عَنْ سَمَاوَةِ الْعَرْشِ مَلَكُ
 قَدْ تَسَاءَلْتُ يَوْمَ مَاتَ (حُسَيْنُ)
 أَمْ تَرَى يُسْعِدُ الْكِنَانَةَ بَارِيٍّ
 لَمْ تَكْدُ تُدْرِكُ النَفُوسَ مُرَادًا
 لَمْ تَكْدُ تَبْلُغِ الْبِلَادَ مُنَاهَا
 لَمْ يَكْدُ يَنْعَمُ الْفَقِيرُ بِعَيْشٍ
 حَجَبَ الْمَوْتُ مَطْلَعَ الْجُودِ يَا (مُصْ)
 وَمَضَى وَاهِبُ الْأُلُوفِ فَوَلَّتْ
 وَقَضَى كَافِلُ الْيَتَامَى فَوَيْلُ
 كَمْ تَمَنَّى لَوْ عَاشَ حَتَّى يَرَانَا
 غَالَهُ الضَّعْفُ حِينَ شَمَّرَ لِلْإِضْ
 حَبَسَ الْخَطْبُ فَيْكَ أَلْسِنَةَ الْقَوِ
 وَإِذَا جَلَّتْ الْخُطُوبُ وَطَمَّتْ
 إِنَّ شَرَّ الْمُصَافِ مَا أَطْلَقَ الدَّمَ
 لَهْفَ نَفْسِي عَلَى انْبِسَاطِكَ لِلضَّيِّ
 يَحْسَبُ الدَّارَ دَارَهُ وَهُوَ يَمْشِي
 خُلُقٌ مِثْلَمَا نَشَقَّتْ أَرْيَجُ الزَّ
 وَاهْتَزَّ لِلْعُرْفِ مِثْلُ اهْتَزَازِ السَّ
 وَحَيَاءٌ عِنْدَ الْعَطِيَّةِ يَنْفِي
 وَاخْتِبَارٌ يُثْنِي عِنَانَ الْعَوَادِي
 رَجَمَ اللَّهُ (يَا حُسَيْنُ) خِلَالًا
 يَا كَرِيمًا حَلَلَتْ سَاخَ كَرِيمٍ
 قَدْ كَفَاكَ الشُّهَادُ فِي الْعَيْشِ فَاهِنًا
 وَيَحْ (مُصِرٍ) فَأَيُّ حَيْطٍ رَجَاءٍ

(٢١) رثاء باحثة البادية (نشرت في سنة ١٩١٨م)

(مَلَك) النُّهى لا تَبْعِدِي
إِنِّي أرى لك سيرة
رَبِّي أبوك الناشئ
وَسَلَكْتَ أَنْتِ سَبِيلَهُ
رَبِّيْتِهِنَّ عَلَى الْفَضِيحِ
وَعَلَى اتِّبَاعِ شَرِيعَةٍ
فَلَبِيتُكُمْ فَضْلٌ عَلَى الْـ
لِهِ دُرُّكَ إِنْ نَثَرُ
قَدْ كُنْتَ زَوْجًا طَبَّةً
سَادَتْ عَلَى أَهْلِ الْقُصُوفِ
غَرْبِيَّةً فِي عِلْمِهَا
شَرْقِيَّةً فِي طَبْعِهَا
بَيْنَا تَرَاهَا فِي الطُّرُقِ
وَتُرِيكَ حِكْمَةً نَابِيَهُ
فَإِذَا بِهَا فِي مَطْبَخٍ
وَإِذَا بِهَا قَعَدَتْ تَخِيَّ
فَخَرَّتْ بِوَالِدِهَا وَوَا
بِالْعِلْمِ حَلَّتْ صَدْرَهَا
فَانْظُرْ شَمَائِلَ فِكْرِهَا
وَاقْرَأْ (مُحَاضِرَةَ الْجَرِي
وَارْجِعْ إِلَى مَا أَوْدَعْتَ
تَعْلَمُ بَأَنَّا قَدْ فَقَدْنَا
ذَنْبَ الْمَنِيَّةِ فِي اغْتِيَا
يَا لَيْتَهَا عَاشَتْ (لَمْصُ
كَانَتْ مِثَالًا صَالِحًا

فَالْخَلْقُ فِي الدُّنْيَا سِيرُ
كَالرَّوْضِ أَرْجَهُ الزَّهْرُ
نَ فَعَاشَ مَحْمُودَ الْأَثَرِ
فِي النَّاشِئَاتِ مِنَ الصُّغَرِ
لَةِ وَالطَّهَارَةِ وَالْخَفَرِ
نَزَلْتُ بِهَا آيُ السُّورِ
سَاحِيَاءِ أَنْثَى أَوْ ذَكَرِ
تِ وَدُرُّ (حَفْنِي) إِنْ نَثَرِ
فِي الْبَدْوِ عَاشَتْ وَالْحَضَرِ
رِ وَسَوَدَتْ أَهْلَ الْوَبَرِ
مَرْمُوقَةً بَيْنَ الْأَسْرِ
مَخْدُورَةً بَيْنَ الْحُجَرِ
سِ تَخَطُّ آيَاتِ الْعَبَرِ
عَرَكَ الْحَوَادِثِ وَاخْتَبَرَ
تَطْهَوِ الطَّعَامَ عَلَى قَدَرِ
طُ وَتَرْتَضِي وَخَزَ الْإِبَرِ
لِذْهَا بِحِلْيَتِهَا افْتَحَرَ
لَا بِاللَّالِيِّ وَالْدُّرِ
بِاللَّهِ يَوْمَ (الْمُؤْتَمَرِ)
دَةِ وَالْمَقَالَاتِ الْغُرِ
عِنْدَ الْمَجَلَّاتِ الْكُبَرِ
نَا خَيْرَ رَبَّاتِ الْفِكْرِ
لِ شَبَابِهَا لَا يُغْتَفَرِ
رِ) وَلَمْ تُغَيِّبْهَا الْحَفَرِ
يُرْجَى وَكُنْزًا يُدَّخَرِ

إِنِّي رَأَيْتُ الْجَاهِلَا
 ورَأَيْتُ فِيهِنَّ الصَّيَا
 لَا وَازِعٌ — وَقَدْ انْطَوَتْ
 لَا كَانَ يَوْمُكَ يَوْمٌ لَا
 عَلَّمَتْ هَاتِفَةَ الْقَصَوِ
 وَتَرَكْتَ أَتْرَابَ الصَّبَا
 يَبْكِينَ عَهْدَكَ فِي الصَّبَا
 وَتَرَكْتَ شَيْخَكَ لَا يَعِي
 ثَمَلًا تَرْنَحُهُ الْهُمُو
 كَالْفَرْعِ هَزَّتْهُ الْعَوَا
 أَوْ كَالْبِنَاءِ يُرِيدُ أَنْ
 قَدْ زَعَزَعَتْهُ يَدُ الْقِضَا
 أَنَا لَمْ أَذُقْ فَقْدَ الْبَنِي
 لَكِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ
 ورَأَيْتُهُ قَدْ كَادُ يُحَا
 وشَهِدْتُهُ أَنِّي خَطَا
 أَذْرَكْتُ مَعْنَى الْحُزْنِ حُزْ
 وشَهِدْتُ زَوْجَكَ مُطَرِّقًا
 كَالْمُدْلِجِ الْحَيْرَانِ فِي الْ
 فَعَلِمْتُ أَنَّكَ كُنْتَ عَقْ
 صَبْرًا أَبَا (مَلِكٍ) فَإِنْ
 وَبَقْدَرِ صَبْرِ الْمُبْتَلَى
 كُنْ أَنْتَ أَنْتَ إِذَا تُسَا
 يَا بَرَّةً بِالْوَالِدَيْنِ
 فَسَلِّي إِلَهَكَ سَلْوَةً
 وَلِيَهْزِكَ الْخِذْرُ الْجَدِيدُ

تِ السَّافِرَاتِ عَلَى خَطَرِ
 نَّةَ وَالْعَفَافَ عَلَى سَفَرِ
 (مَلِكٌ) يَقِيهِنَّ الضَّرَرَ
 حَ الْحُزْنَ مُخْتَلِفِ الصُّورِ
 رَ نُوَاخَ هَاتِفَةِ الشَّجَرِ
 حُزْنًا يُقَطِّعْنَ الشَّعَرَ
 حَ وَفِي الْمَسَاءِ وَفِي السَّحَرِ
 هَلْ غَابَ زَيْدٌ أَوْ حَضَرَ
 مُ إِذَا تَحَامَلَ أَوْ خَطَرَ
 صِفُ فَالتَوَى ثُمَّ انْكَسَرَ
 يَنْقُصُ مِنْ وَقْعِ الْحَوَزِ
 ً وَلَزَلَتْهُ يَدُ الْقَدَرِ
 نَ وَلَا الْبَنَاتِ عَلَى الْكِبَرِ
 تِ فَوَادِهِ وَقَدْ انْفَطَرَ
 رِقْ زَائِرِيهِ إِذَا زَفَرَ
 خَطُوءًا تَخْبَلُ أَوْ عَثَرَ
 نِ الْوَالِدَيْنِ، فَمَا أَمَرَ
 مُسْتَوْجِشًا بَيْنَ السَّمَرِ
 بَيْدَاءِ أَخْطَاهُ الْقَمَرِ
 دَ هَنَائِهِ وَقَدْ انْتَثَرَ
 نَ الْبَاقِيَاتِ لِمَنْ صَبَرَ
 طُولُ الْمُصِيبَةِ وَالْقِصَرِ
 ُ كَأَنْتَ أَنْتَ إِذَا تُسَرَّرُ
 نِ أَبُوكَ بَعْدَكَ لَا يَقَرُّ
 لِأَبِيكَ فَهُوَ بِهِ أَبَرُّ
 دُ فَذَلِكَ دَارُ الْمُسْتَقَرِّ

(٢٢) رثاء محمد فريد بك (في سنة ١٩١٩م)

مات ذو العزْمَةِ والرَّأْيِ الأسدَّ
ومَشَى الوَجْدُ إلى يومِ (الأحد)
لَوْعَةً سَأَلْتَ على دَمْعِ جَمَدٍ
كُنْ مَدَادًا لي إذا الدَّمْعُ نَفَدَ
تَبْسَمِي للطلِّ فالعَيْشُ نَكِدَ
تَبْتَهَجُ بالشَّدْوِ فالشَّدْوُ حَدَدَ
رُكُنُ (مصر) وفَتَاها والسَّنَدُ
ليس يَبْلَى مَنْ له ذِكْرُ خَلَدٍ
نَزَلَتْ شَمْسُ الضَّحَى بُرْجَ الأسدِ
تَخْتَفِي في الغَرْبِ أَقْمَارُ الأَبَدِ
سُلُوءَ (النَّيْلِ) إذا ما الحَطْبُ جَدَّ
وشهابًا ضَاءَ وَهْنًا وَخَمَدَ
في جِوَارِ الدَّائِمِ الْفَرْدِ الصَّمَدِ
رَغَمَ ما تَلْقَى وإن طَالَ الأَمَدِ
أَوَّلِ البَانِيْنَ في هذا الْبَلَدِ
قد بَذَرْتَ الْحَبَّ وَالشَّعْبُ حَصَدَ
وَقُوَاهُ وَهَوَاهُ وَالْوَلَدِ
شَقْوَةَ أَحْلَى مِنَ العَيْشِ الرَّغْدِ
كَلِّمَا قَارِبَهُ، عنه ابْتَعَدَ
رُبَّ جِدِّ حَادٍ عن مَجْرَاهِ جَدِّ
فرصةً شَدَّ إليها وَصَمَدَ
وهو هَجِيرَاهُ (مَنْ جَدَّ وَجَدَ)
إنَّما تُنْكَرُهَا عَيْنُ الحَسَدِ
مَوْطِنُ يُعَوِّزُهَا فيه المَدَدِ
لَهُوَةِ المَيْدَانِ والمَوْتُ رَصَدَ

مَنْ لِيَوْمٍ نَحْنُ فيه مَنْ لِعَدِّ
حَلَّ (بالْجُمُعَةِ) حُزْنُ وَأَسَى
وبدا شِعْرِي على قِرْطاسِهِ
أَيُّهَا النَّيْلُ لقد جَلَّ الأَسَى
واذْبُلِي يا زَهْرَةَ الرُّوضِ ولا
والزَّمِ النَّوْحَ أيا طَيْرُ ولا
فلقد وَلَّى (فَرِيدُ) وانطَوَى
خالدَ الآثَارِ لا تَخْشِ الْبَلَى
زُرْتُ (بَرْلِينَ) فَنَادَى سَمْتُهَا:
واخْتَفَتْ شَمْسُكَ فيها وَكَذا
يا غَرِيبَ الدَّارِ والقَبْرِ ويا
وَحُسامًا فَلَّ حَدِيثَهُ الرَّدَى
قُلْ لَصَبِّ (النَّيْلِ) إنْ لاقَيْتَهُ
إنْ (مُضْرًا) لا تَنِي عن قَصْدِهَا
جِئْتُ عنها أَحْمِلُ الْبُشْرَى إلى
فاستَرَحْ واهنًا ونَمْ في غِبْطَةٍ
آثَرَ (النَّيْلِ) على أَمْوَالِهِ
يَطْلُبُ الْخَيْرَ (لمَصْرٍ) وهو في
ضاربٍ في الأرضِ يَبْغِي مَأْرَبًا
لم يَعْبَهُ أَنْ تَجَنَّى دَهْرَهُ
يَسْتَجِمُّ العَزَمَ حَتَّى إنْ بَدَتْ
فهو لا يَتَنِي عِنَانًا عن مَنَى
فأَيَادِيهِ إذا ما أَنْكَرَتْ
فَقَدَّتْ (مَصْرُ فَرِيدًا) وهي في
فَقَدَّتْ (مَصْرُ فَرِيدًا) وهي في

فَقَدْتُ مِنْهُ خَبِيرًا حَوْلًا وَهِيَ وَالْأَيَّامُ فِي أَخْذٍ وَرَدٍّ
لَمْ يَكْدُ يُمْتِعْهَا الدَّهْرُ بِهِ فِي رُبُوعِ (النَّيْلِ) حَيًّا لَمْ يَكْدُ
لَيْتَهُ عَاشَ قَلِيلًا فَتَرَى شَعْبَ (مِصْرَ) عَيْنُهُ كَيْفَ اتَّحَدَ
وَيَحْ (مِصْرَ) بَلْ فَوَيْحًا لِلثَّرَى إِنَّهُ أَبْلَغُ حُزْنًا وَأَشَدَّ
كَمْ تَمَنَّى وَتَمَنَّى أَهْلُهُ لَوْ يُوَارَى فِيهِ ذِيكَ الْجَسَدَ
لَهَفَ نَفْسِي هَلْ (بَبْرَلِينَ) امْرُؤُ فَوْقَ ذَاكَ الْقَبْرِ صَلَّى وَسَجَدَ؟
هَلْ بَكَتْ عَيْنٌ فَرَوَتْ نُرْبَهُ هَلْ عَلَى أَحْجَارِهِ خَطٌّ أَحَدُ؟
هَذَا هُنَا قَبْرُ شَهِيدٍ فِي هَوَى أُمَّةٍ أَيْقَظُهَا، ثُمَّ رَقَدَ

(٢٣) رثاء عبد الله أباطه بك

(أنشد هذين البيتين على قبره في سنة ١٩١٩م)

يَا عَابِدَ اللَّهِ نَمْ فِي الْقَبْرِ مُغْتَبِطًا مَا كُنْتَ عَنْ ذِكْرِ رَبِّ الْعَرْشِ بِاللَّاهِي
يَا رَحْمَةَ اللَّهِ هَذَا قَبْرُهُ فَقِيفِي وَأَنْسِي رُوحَهُ يَا رَحْمَةَ اللَّهِ

(٢٤) رثاء عبد الحميد رمزي (نشرت في ٦ مارس سنة ١٩٢٠م)

قالها على لسان إبراهيم رمزي بك في حفل تأبين ابنه عبد الحميد، وكان طالبًا بالمدارس الثانوية، ولم يَقَوْ أَبُوهُ عَلَى الْكَلَامِ فِي هَذَا الْحَفْلِ، فَنَابَ عَنْهُ حَافِظٌ وَقَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ:

وَلَدِي، قَدْ طَالَ سُهْدِي وَنَحِيبِي جِئْتُ أَدْعُوكَ فَهَلْ أَنْتَ مُجِيبِي؟
جِئْتُ أَرْوِي بِدُمُوعِي مَضْجَعًا فِيهِ أَوْدَعْتُ مِنَ الدُّنْيَا نَصِيبِي
لَا تَخَفْ مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ وَلَا تَبْتَئِسْ إِنِّي مُوَافٍ عَنْ قَرِيبِ
أَنَا لَا أَتْرُكُ شِبْلِي وَحْدَهُ فِي جَدِيدٍ مُوحِشٍ غَيْرِ رَحِيبِ
أَوْ حِينَ ابْتَرَزَ دَهْرِي قَوَّتِي وَذَوَى عُودِي وَوَفَانِي مَشِيبِي
وَاكْتَسَى غُصْنُكَ مِنْ أَوْرَاقِهِ تَحْتَ شَمْسِ الْعِزِّ وَالْجَاهِ الْخَصِيبِ

وَرَجَوْنَا فِيكَ مَا لَمْ يَرْجُهُ
يَنْتَوِيكَ الْمَوْتُ فِي شَرْخِ الصَّبَا
لَمْ يَدْعُ أَسِيكَ جُهِدًا إِنَّمَا
إِيَّاهُ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) انْظُرْ إِلَى
ذَاهِلٍ مِنْ فَرْطِ مَا حَلَّ بِهِ
كَلَّمَا أَبْصَرَ مِنْهُمْ وَاحِدًا
يَسْأَلُ الْأَغْصَانَ فِي إِزْهَارِهَا
يَسْأَلُ الْأَقْمَارَ فِي إِشْرَاقِهَا
غَمَرَ الْحُزْنَ نَوَاحِي نَفْسِهِ
فَهُوَ لَا يَنْفَعُهُ الْعَيْشُ وَهَلْ
طَالَعِي يَا شَمْسُ قَبْرًا ضَمَّهُ
وَاسْكُنِي يَا رَحْمَةً لِلَّهِ بِهِ

مُنْجَبُ الْأَشْبَالِ فِي الشَّبَلِ النَجِيبِ
وَالشَّبَابِ الْغَضِّ فِي الْبُرْدِ الْقَشِيبِ
غَابَ عِلْمُ اللَّهِ عَنْ عِلْمِ الطَّبِيبِ
وَالِدِ جَمِّ الْأَسَى بَادِي الشُّحُوبِ
بَيْنَ أَتْرَابِكَ يَمْشِي كَالْغَرِيبِ
هَزَّهُ الشَّقْوُ إِلَى وَجْهِ الْحَبِيبِ
عَنْ أَخِيهَا ذَلِكَ الْغُصْنِ الرَّطِيبِ
عَنْ مُحْيَا غَابَ مِنْ قَبْلِ الْمَغِيبِ
وَأَذَابَتْ لُبَّهُ سُودَ الْخُطُوبِ
تَصْلُحُ الْأَبْدَانُ مِنْ غَيْرِ قُلُوبِ؟
بِالتَّحَايَا فِي شُرُوقِ وَغُرُوبِ
وَاجْعَلِي فَيْضَكَ مُنْهَلًا السُّكُوبِ

(٢٥) رثاء عبد الحليم المصري الشاعر المعروف (نشرت في ٨ يولييه سنة ١٩٢٢م)

لَكَ اللَّهُ قَدْ أَسْرَعَتْ فِي السَّيْرِ قَبْلَنَا
وَقَدْ كُنْتَ فِينَا يَا فَتَى الشَّعْرِ زَهْرَةً
فَلَهْفِي عَلَى تِلْكَ الْأَنَامِلِ فِي الْبَلَى
وَيَا وَيْحَ لِلْأَشْعَارِ بَعْدَ نَجْيِهَا
تَرَوَّدَتْ مِنْ دُنْيَاكَ ذِكْرًا مُخَلَّدًا
وَأَوْرَثَتْنَا حُزْنًا عَلَيْكَ وَحَسْرَةً
فَلَمْ تَتَّوْ يَا (عَبْدَ الْحَلِيمِ) بِحُفْرَةٍ
فَدِيَوَانُكَ الرَّيَّانُ يُغْنِيكَ طِيبُهُ
فَسَامِرُ (أَبَا بَكْرٍ) هُنَاكَ فَإِنَّهُ
هَنِيئًا لَكَ الدَّارُ الَّتِي قَدْ حَلَلْتَهَا
عَلَيْكَ سَلَامٌ مَا تَرْنَمُ مُنْشِدُ

وَأَثَرَتْ يَا «مِصْرِي» سَكْنَى الْمَقَابِرِ
تَفْتَحُ لِلْأَذْهَانِ قَبْلَ النَّوَاطِرِ
فَكَمْ نَسَجَتْ قَبْلَ الْبَلَى مِنْ مَفَاخِرِ
وَوَيْحَ الْقَوَافِي سَاقَهَا غَيْرُ شَاعِرِ
وَذَاكَ لَعَمْرِي نِعَمَ زَادُ الْمُسَافِرِ
عَلَى فَقْدِ سَبَاقِ كَرِيمِ الْمَحَاضِرِ
وَلَكِنْ بَرُوضُ مَنْ قَرِيضَكَ نَاضِرِ
عَنِ الزَّهْرِ مَطْلُولًا بِجُودِ الْمَوَاطِرِ
سَيُظْفَرُ فِي عَدْنٍ بِخَيْرِ مُسَامِرِ
وَأَعْظَمُ بِمَنْ جَاوَزَتْهُ مِنْ مُجَاوِرِ
وَقَامَ حَطِيبٌ فَوْقَ هَامِ الْمَنَابِرِ

(٢٦) ذكرى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

أنشدتها في الحفل الذي أقيم بالجامعة المصرية في يوم الثلاثاء ١١ يولييه سنة ١٩٢٢ م
وقد ضمّنها رثاء المرحوم حفني ناصف بك

وَدَنَا الْمَنْهَلُ يَا نَفْسَ فُطَيْبِي
وَرَدَ الرَّاحَةَ مِنْ بَعْدِ اللَّغُوبِ
يَتَدَانِي فَاَسْتَثْبِي وَأُنِيبِي
نَحْنُ فِي قَبْضَةِ عَلَامِ الْغُيُوبِ
تَغْفِلِي ذِكْرَتَهُ عِنْدَ الْهُبُوبِ
مُؤْنِسٌ فِيهِ سِوَى تَقْوَى الْقُلُوبِ
بَعْضُ مَا قَدَّمَتْ مِنْ تِلْكَ الذُّنُوبِ
لَا أَرَاكَ الْيَوْمَ مِنْ فَقْدٍ مَشِيبِي
حَيْثُ أَنْسَى مِنْ عَدُوٍّ وَحَبِيبِ
شِدَّةَ الدَّهْرِ وَلَا شَدَّ الْخُطُوبِ
يُسَيِّمُ الْأَحْيَاءَ مِنْ عَيْشِ رَتِيبِ
عَالِمِ الْمَشْرِقِ فِي يَوْمٍ عَصِيبِ
هَكَذَا قَبْلِي وَإِنِّي عَنْ قَرِيبِ
بِاتِّفَاقٍ فِي مَنَايَاهُمْ عَجِيبِ
حَاضِرُ اللَّوْعَةِ مَوْصُولُ النَّحِيبِ
وَانْطَوَى (حَفْنِي) فَعَادَتْ لِلشُّبُوبِ
صَادِقُ الْعَزْمَةِ كَشَافُ الْكُرُوبِ
وَذَكَّرْنَا عَنْدهُ قَوْلَ (حَبِيبِ):
تُعْرِفُ الْأَقْمَارُ مِنْ بَعْدِ الْمَغِيبِ
عَامِرِ الْقَلْبِ وَأَوَّابِ مُنِيبِ
وَالنَّدَى بَيْنَ شُرُوقِ وَغُرُوبِ
يَرْقُبُ الْعَاشِقُ إِنْغِفَاءَ الرَّقِيبِ
حِينَ لَا يَحْسُنُ ظَنُّ بَقَرِيبِ

أَذْنَتْ شَمْسُ حَيَاتِي بِمَغِيبِ
إِنَّ مَنْ سَارَ إِلَيْهِ سَيَرَنَا
قَدْ مَضَا (حَفْنِي) وَهَذَا يَوْمُنَا
وَارْتُقْبِيهِ كُلُّ يَوْمٍ إِنَّمَا
اذْكُرِي الْمَوْتَ لَدَى النَّوْمِ وَلَا
واذكُرِي الْوَحْشَةَ فِي الْقَبْرِ فَلَا
قَدَمِي الْخَيْرَ احْتِسَابًا فَكَفَى
رَاعَنِي فَقَدْ شَبَابِي وَأَنَا
حَنَّ جَنَابِي إِلَى بَرْدِ الثَّرَى
مَضْطَعٌ لَا يَشْتَكِي صَاحِبُهُ
لَا وَلَا يُسَيِّمُهُ ذَاكَ الَّذِي
قَدْ وَقَفْنَا سِتَّةَ نَبْكِ عَلَى
وَقَفَ الْخَمْسَةُ قَبْلِي فَمَضَوْا
وَرَدُّوا الْحَوْضَ تِبَاعًا فَقَضَوْا
أَنَا مُذْ بَانُوا وَوَلَّى عَهْدُهُمْ
هَدَأَتْ نِيرَانُ حُزْنِي هَدَأَةً
فَتَذَكَّرْتُ بِهِ يَوْمَ انْطَوَى
يَوْمَ كَفَّنَاهُ فِي أَمَالِنَا
عَرَفُوا مَنْ غَيَّبُوهُ وَكَذَا
وَفَجَعْنَا بِإِمَامٍ مُصْلِحِ
كَمْ لَهُ مِنْ بَاقِيَاتٍ فِي الْهُدَى
يَبْذُلُ الْمَعْرُوفَ فِي السَّرِّ كَمَا
يُحْسِنُ الظَّنَّ بِهِ أَعْدَاؤُهُ

تَنْزِلُ الْأَضْيَافُ مِنْهُ وَالْمُنَى
 قَدْ مَضَتْ عَشْرُ وَسْبَعٍ وَالنُّهَى
 نَرْقُبُ الْأَفْقَ فَلَا يَبْدُو بِهِ
 وَنُنَادِي كُلَّ مَأْمُولٍ وَمَا
 دَوَى الْجُرْحُ وَلَمْ يُقَدَّرْ لَهُ
 أَجْدَبَ الْعِلْمُ وَأَمْسَى بَعْدَهُ
 رَحْمَةُ الدِّينِ عَلَيْهِ كُلَّمَا
 رَحِمَهُ الرَّأْيُ عَلَيْهِ كُلَّمَا
 رَحِمَهُ الْفَهْمُ عَلَيْهِ كُلَّمَا
 لَيْسَ فِي مَيْدَانٍ (مَضْرٍ) فَارِسُ
 كُلَّمَا شَارَفَهُ مِنَّا فَتَى
 مَا تَرَى كَيْفَ تَوَلَّى (قَاسِمُ)
 أَنْسَى الْأَحْيَاءُ ذِكْرِي (عَبْدِهِ)
 إِنَّهُمْ لَوْ أَنْصَفُوهَا لَبَنَوْا
 مَعَهُدًا لِلدِّينِ يُسْقَى غَرْسُهُ
 وَنَسِينَا ذِكْرَ (حَفْنِي) بَعْدَهُ
 لَمْ تَسِلْ مِنَّا عَلَيْهِ دَمْعَةٌ
 سَكَنْتْ أَنْفَاسُ (حَفْنِي) بَعْدَمَا
 عَاشَ خِصْبَ الْعُمْرِ مَوْفُورَ الْحِجَا
 وَالْخِلَالُ الْغُرُّ فِي مَرْعَى خَصِيبٍ
 فِي ذُبُولٍ وَالْأَمَانِي فِي نُضُوبٍ
 لَامِعٌ مِنْ نَوْرِ هَادٍ مُسْتَثْبِيبٍ
 غَيْرُ أَصْدَاءِ الْمُنَادِي مِنْ مُجِيبٍ
 بَعْدَ ثَاوِي (عَيْنِ شَمْسٍ) مِنْ طَبِيبٍ
 رَائِدُ الْعِرْفَانِ فِي وَادٍ جَدِيبٍ
 خَرَجَ التَّفْسِيرُ عَنْ طَوْقِ الْأَرِيبِ
 طَاشَ سَهْمُ الرَّأْيِ فِي كَفِّ الْمُصِيبِ
 ضَاقَ بِالْحَدَثَانِ ذُو الصَّدْرِ الرَّحِيبِ
 يَرْكَبُ الْأَخْطَارَ فِي يَوْمِ الرُّكُوبِ
 غَالَهُ الْمِقْدَارُ مِنْ قَبْلِ الْوُثُوبِ
 وَهُوَ فِي الْمَيْغَةِ وَالْبُرْدِ الْقَشِيبِ
 وَهِيَ لِلْمُسْتَفِيفِ مِنْ مِسْكٍ وَطِيبِ
 مَعَهُدًا تَعْتَادُهُ كَفُّ الْوُحُوبِ
 مِنْ غَيْرِ فَاضٍ مَ ذَاكَ الْقَلِيبِ
 وَدَفَنًا فَضْلَهُ دَفَنَ الْغَرِيبِ
 وَهُوَ أَوْلَى النَّاسِ بِالْدَّمْعِ الصَّبِيبِ
 طَيَّبَتْ فِي الشَّرْقِ أَنْفَاسَ الْأَدِيبِ
 صَادِقَ الْعِشْرَةِ مَأْمُونِ الْمَغِيبِ

(٢٧) تَابِينَ حَسَنَ عَبْدِ الرَّازِقِ بَاشَا وَإِسْمَاعِيلَ زَهْدِي بِكَ

قالها في الحفل الذي أقامه الأحرار الدستوريون لتأبين الفقيدي (يوم الأربعاء ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٢٢م) ن

عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِ مِصْرَ
 عَرَّعَا الرَّدَى فَطَوَاهُمَا
 (حَسَنُ) وَ(زَهْدِي) لَمْ يَمْتَدَّ
 عَ بِالشَّبَابِ كِلَاهُمَا

سَلَكَا سَبِيلَ الْحَقِّ مَا	عَاشَا وَمَا أَوْلَاهُمَا!
دَاسَ الْأَثِيمُ جَمَاهُمَا	تَحْتَ الدُّجَى وَدَاهُمَا
فَرَمَى النُّهَى وَالْفَضْلَ مُجْ	تَمَعَيْنِ حِينَ رَمَاهُمَا
إِنْ تَذْكُرُوا هِمَمَ الرَّجَا	لِ فَقَدُّمُوا ذِكْرَاهُمَا
أَوْ تَسْأَلُونِي عَنْ شَهِيدٍ	سَدَى مَبْدَأٍ فَهُمَا هُمَا

(٢٨) رثاء إسماعيل صبري باشا

أنشدها في حفل التأبين الذي أقيم في فناء مدرسة المعلمين بالمنيرة في مايو سنة ١٩٢٣م،
وحين وقف لإنشاد هذه القصيدة.. أكثر المجتمعون التصفيق ترحيباً به، فقال مرتجلاً:

أَكثَرْتُمْ التَّصْفِيقَ فِي مَوْطِنٍ	كَانَ الْبُكَاءُ فِيهِ بِنَا أَلْيَقَا
فَأَكْرَمُوا (صَبْرِي) بِإِنْصَاتِكُمْ	وَلِيُعْذَرَ الدَّمْعُ إِذَا صَفَّقَا

ثم ابتدأ في إنشاد قصيدته:

نَعَاكَ النُّعَاةَ وَحُمَّ الْقَدَرُ	وَلَمْ يُغْنِ عَنَّا وَعَنكَ الْحَدَرُ
طَوَتْ ذَبْحَةَ الصَّدْرِ صَدْرَ النَّدَى	فَلَمْ تَطْوِ إِلَّا سِجْلَ الْعَبَرِ
فَأَمْسَيْتَ تَذْكُرُ فِي الْغَابِرِينَ	وَإِنْ قَلَّ مِثْلُكَ فَيَمُنْ غَبَرِ
إِذَا ذُكِرَتْ سَيْرُ النَّابِهِينَ	فَسِيرَةُ (صَبْرِي) تَجِبُ السَّيَرِ
لَقَدْ كُنْتَ بَرًّا بظِلِّ الشَّبَابِ	فَلَمَّا تَقَلَّصَ كُنْتَ الْأَبَرِ
فَلَمْ تَسْتَبِقْ نَزْوَةً فِي الصَّبَا	وَلَمْ تَسْتَبِحْ هَفْوَةً فِي الْكِبَرِ
أَهْنَى الثَّرَى أَمْ أَعَزَّى الْوَرَى	لَقَدْ فَازَ هَذَا وَهَذَا خَسِرِ
أَوَّلَ يَوْمٍ لِعَهْدِ الرَّبِيعِ	تَجِفُّ الرِّيَاضُ وَيَذْوِي الزَّهَرُ؟
وَيَذْبُلُ زَهْرُ الْقَرِيضِ الثَّرِيِّ	وَيُقْفِرُ رَوْضُ الْقَوَافِي الْغُرِّ
لِيَهْدَأَ (عُمَانُ) فَعَوَاصُهُ	أُصِيبَ وَأَمْسَى رَهِينَ الْحَفْرِ
فَقَدْ كَانَ يَعْتَادُهُ دَائِبًا	بَكُورًا رَوْحًا لِنَهْبِ الدُّرِّ
يَقُولُ فَيُرْخِصُ ذُرَّ النُّحُورِ	وَيُغْلِي جُمَانَ بَنَاتِ الْفِكْرِ

وكم من مُطيلٍ مُملٍ عَثَرَ
لها مُعْجَزَاتُ قِصَارِ السُّورِ
جَلِيَّ البَيَانِ صَدُوقَ الْخَبَرِ
حَكِيمَ الْوُرُودِ حَكِيمَ الصَّدَرِ
رَوَى عَنْ شَذَاها نَسِيمُ السَّحَرِ
فَعَاْفَى وَآوَى وَأَغْنَى وَسَرَّ
وَرَدَّتْ نَمِيرًا لَذِيذَ الْخَصَرِ
لِفِكْرِ الْأَدِيبِ إِذَا مَا افْتَقَرَ
عَلَى صَفْحَتَيْهِ تَرَاءَى الصُّورِ
وَشِعْرُكَ فِيهِنَّ مِثْلَ الْحَوَرِ
لَهَا نَفَثَاتُ تَذِيبِ الْحَجَرِ
فَكَادَ يَدِبُّ إِلَيْكَ الشَّجَرُ
بِأَنْفَاسٍ صَبَّ طَوِيلِ السَّهَرِ
حَ عَلَيْهِ مِنَ الدَّاءِ حَتَّى انْفَطَرَ
لِذِكْرِي أَلِيفٍ سَلَا أَوْ هَجَرَ
وَمَرَّتْ بِنَفْسِي ذِكْرِي (عُمَرُ)
كَمَا زَانَ حُسْنَ الْمَلَا حِ الْخَفَرِ
شَهِيُّ الْأَحَادِيثِ حُلُوُّ السَّمَرِ
وَنَادِيهِ فِيهَا زَهَا وَازْدَهَرِ
لَطِيفٍ يُحِسُّ نُبُوَ الْوَتَرِ
يَمِيزُ الْقَدِيمَ مِنَ الْمُبْتَكِرِ
وَيَكْسُوهُ رِقَّةَ أَهْلِ الْحَضَرِ
فَتَسْتَأْفُ مِنْهُ النُّهَى وَالْفِكْرِ
إِمَامًا لِكُلِّ أَدِيبٍ شَعَرِ
ظِمَاءَ الْعُقُولِ وَكَانَ النَّهَرِ
وَجَاهُ أَظْلَى وَفَضْلُ بَهَرِ
وَسَاءَكَ أَنْكَ لَمْ تُخْتَصَرْ

يَسُوقُ الْقِصَارَ فَيَأْبَى الْعِثَارَ
قِصَارَ وَحَسْبُ النُّهَى أَتَهَا
رُحِمَتْ، فَقَدْ كُنْتَ حُلُوَ اللِّسَانِ
قَلِيلَ التَّعَجُّبِ جَمَّ الْأَنَاءِ
شَمَائِلُكَ الْغُرُّ هُنَّ الرِّيَاضِ
لَهَا مِثْلُ رَوْحِ الدُّعَاءِ اسْتَجِيبِ
إِذَا مَا وَرَدَتْ لَهَا مَنْهَلًا
وَفِكْرُكَ فِي خِصْبِهِ ثَرَوَةٌ
وَشِعْرُكَ كَالْمَاءِ فِي صَفْوِهِ
عُيُونُ الْقِصَائِدِ مِثْلَ الْعُيُونِ
وَكَمْ لَكَ شَكْوَى هَوَى أَوْ أَسَى
هَتَفَتْ بِهَا مَرَّةً فِي الْهَجِيرِ
وَكَمْ كُنْتَ تَشْعَلُ فَحْمَ الدُّجَى
فِيَا وَيْحَ قَلْبِكَ مَاذَا أَلَحَّ
أَيُخْفِقُ تَحْتَ الدُّجَى وَحْدَهُ
إِذَا قِيلَ (صَبْرِي) ذَكَرْتُ (الْوَلِيدِ)
يَزِينُ تَوَاضُّعَهُ نَفْسَهُ
زَكِيُّ الْمَشَاعِرِ عَفُّ الْهَوَى
لَقَدْ كُنْتَ أَغْشَاهُ فِي دَارِهِ
وَأَعْرِضْ شِعْرِي عَلَى مَسْمَعٍ
عَلَى سَمْعٍ بَاقِعَةٍ حَاضِرٍ
فَيَصْقُلُ لَفْظِي صَقْلَ الْجُمَانِ
يُرْقِرُقُ فِيهِ عَبِيرَ الْجِنَانِ
كَذَلِكَ كَانَ — عَلَيْهِ السَّلَامُ —
فَكُنَّا الْجَدَاوِلَ نُرْوِي الظَّمَاءَ
زَهْدَتْ عَلَى شَهْرَةٍ طَبَّقَتْ
خَلَعَتْ الشَّبَابَ فَلَمْ تَبْكِهِ

وقد ذُقت طَعْمَ الرَّدَى عندما
فأَقَسَمْتَ أَنَّكَ أَلْفَيْتَهُ
تَمَنَّيْتَ أَنْ لَمْ تَعُدْ لِلْحَيَاةِ
وكم ساعةٍ بين سَاعِ الحياةِ
فَرُحْتَ إِلَى أَخْتِهَا شَاكِيًا
فَفَتَّشْتَ أَثْنَاءَهَا جَاهِدًا
فَلَمْ تَرَ فِيهَا عَلَى طُولِهَا
وَمَا زِلْتَ تَشْكُو إِلَى أَنْ أَتَتْ
فَلَا صَدَّ تَخْشَاهُ بَعْدَ الْوِصَالِ
أَرِيحَ فُؤَادَكَ مِمَّا ضَنَاها
تَمَنَّيْتُهَا خُطْوَةً لِلْمَمَاتِ
وَهَا قَدْ خَطَاها وَنَلَتْ الْمُنَى
صَدَقْتَ ففِي الْمَوْتِ نَصْرُ الْأَبِيِّ
مَلِلْتَ الثَّوَاءَ بَدَارِ الزَّوَالِ
أَتَحْتَ التُّرَابِ يُضَامُ الْكَرِيمِ
وَيُهْضَمُ حَقُّ الْأَدِيبِ الْأَرِيبِ
أَتَحْتَ التُّرَابِ تُسَاقُ الشُّعُوبُ
وَيُعْقَدُ مُؤْتَمَرٌ لِلسَّلَامِ
فَإِنْ كَانَ مَا عِنْدُنَا عِنْدَكُمْ
خَضَمَ الْحَيَاةِ بَعِيدَ النَّجَاةِ
فَعُدْ سَالِمًا غَانِمًا لِلتُّرَابِ
أَصِيبَ قِطَارِكَ يَوْمَ السَّفَرِ
لَذِيذَ الْمَذَاقَةِ إِذْ تُحْتَضَرُ
وَلَكِنْ أَبَاهَا عَلَيْكَ الْقَدَرُ
سَقَتَكَ الْمُرَارَ بِكَأْسِ الضَّجَرِ
أَذَاتَكَ مِنْهَا فَكَانَتْ أَمْرُ
بَعَيْنِي بِصِيرٍ بَعِيدِ النَّظَرِ
هُنِيهَةً صَفَوْا خَلَّتْ مِنْ كَدَرِ
كَمَا تَشْتَهِي سَاعَةً لَمْ تَذَرْ
وَلَا ضَعْفَ تَشْكُوهُ بَعْدَ الْأَشْرِ
وَصَدْرَكَ مِمَّا عَلَيْهِ انْكَدَرِ
تُفَرِّجُ عَنْكَ كُرُوبَ الْغَيْرِ
فَهَلْ فِي الْمَمَاتِ بُلُوغُ الْوَطَرِ
عَلَى الدَّهْرِ إِنْ هُوَ يَوْمًا غَدَرِ
فَمَاذَا رَأَيْتَ بَدَارِ الْمَقَرِّ
وَيَشْقَى الْحَلِيمُ وَيَخْفَى الْقَمَرُ؟
وَيُطْمَسُ فَضْلُ النَّبِيِّ الْأَعْمَرُ؟
بَسْوَطِ الْعُبُودَةِ سَوْقِ الْبَقَرِ؟
فَنُخْرِجُ مِنْهُ إِلَى مُؤْتَمَرِ؟
فَلَيْسَ لَنَا مِنْ شَقَاءِ مَفَرِّ
فَطُوبَى لِرَاكِبِهِ إِنْ عَبَرَ
كَرَائِكَ فِي الْمَوْتِ وَاهِنًا وَقَرِّ

(٢٩) رثاء سعد زغلول (نشرت في ٢١ يولييه سنة ١٩٢٣م)

ما أَنْتَ أَوَّلُ كَوْكَبٍ فِي الْغَرْبِ أَذْرَكَهُ الْمَغِيبُ
فَهَنَّاكَ أَقْمَارُ الْمَشَا رِقٌّ قَدْ أُتِيحَ لَهَا الْغُرُوبُ

داس الحمام عرينَ خا
لم يثنيه عنك الرئيب
يا (سعدُ) كيف قضى (سعيد
عجباً! أتحمي أمة
ويغال ضيفك وابن أخ
نبتت أنك قد بكيت
وإذا بكى (سعدُ) بكيت
يا (آل زغلول) ذوى
فقدت به (مضر) فتى
يا (آل زغلول) وعو
إنني لأخجل أن أعز
شاكى سلاح الصبر مم
خطب الكنانة في فقي
لم يبق منا واحد

لك، وهو مرهوب مهيب
س ولا رمى عنك الخطوب
د) وهو من (سعد) قريب؟
وتخاف جانبك الخطوب
تت وهو عن (مضر) غريب؟
ت وهالك اليوم العصب
لبكائه منا القلوب
من روضكم غصن رطيب
أخلاقه مسك وطيب
دكم على الجلى صليب
يكم وكلكم أريب
تحن لدنياه لبيب
دكم لخطبكم يشيب
إلا له منه نصيب

(٣٠) رثاء محمد سليمان أباطه بك (في سنة ١٩٢٣م)

من لم يدق فقد أليف الصبا
أفقدني الموت به وإفيا
تقرأ في عينيه كل الذي
ثلاثة لم تعر عن عفة:
قد كان مثلاً لأمواله
أوشك أن يفقره جوده
أصيب فيه المجد يوم انطوى
كنا على عهد الصبا سبعة
(البابلي) صفوة فتياننا

لم يد ما أبدي وما أضمر
لا يعرف الختل ولا يغدر
في نفسه عن نفسه يستر
لسانه والذيل والمئزر
وكان نهاضاً بمن يغتر
ومن صنوف الجود ما يفقر
والعرف والسائل والمُعسر
بمستطاب اللهو نستأثر
و(ابن المؤلحي) الكاتب الأشهر

و(صَادِقُ) خَيْرُ بَنِي (سَيِّدِ)
وكانَ (عَبْدُ اللهِ) أَنَسًا لَنَا
لَهُوَ كَرِيمٌ لَمْ يَشِبْ صَفْوَهُ
فَكَمْ لَنَا مِنْ مَجْلِسِ طَيِّبٍ
نَلْعَبُ بِاللَّفْظِ كَمَا نَشْتَهِي
وَنُرْسِلُ النُّكْتَةَ مَحْبُوكَةً
ثُمَّ انطوى هذا وهذا، وما
كَمْ دَوْحَةٍ أودى بها عاصِفُ

و(بَيْرَمُ) إِذْ عُوْدُهُ أَخْضَرُ
وَأُنْسُ (عَبْدِ اللهِ) لَا يُنْكَرُ
رَجُسٌ وَلَمْ يَشْهَدْ مُسْتَهْتَرُ
يَشْتَاقُهُ (هَارُونَ) أَوْ (جَعْفَرُ)
وَنَضْمِرِ الْمَعْنَى فَمَا يَظْهَرُ
عَنْ غَيْرِنَا فِي الْحُسْنِ لَا تَصْدُرُ
يُطَوَّى مِنَ الْآيَامِ لَا يُنْشَرُ
وَالنَّجْمُ مِنْ مَأْمَنِهِ يَنْظُرُ

(٣١) ذكرى المرحوم محمد أبي شادي بك

عَجِبْتُ أَنْ جَعَلُوا يَوْمًا لِذِكْرَاكَ
إِذَا سَلَتْ (يَا أَبَا شَادِي) مُطَوَّقَةً
فِي مُهْجَةٍ (النَّيْلِ) وَالْوَادِي وَسَاكِنِهِ
قَدْ عَشْتُ فِينَا نَمِيرًا طَابَ مَوْرِدُهُ
فَمَا كَأُولَاكَ فِي بَرٍّ وَفِي كَرَمٍ
قَضِيَّةُ الْوَطَنِ الْمَغْبُونِ، قَدْ مَلَأَتْ
قَضِيَّةُ الْوَطَنِ الْمَغْبُونِ، قَدْ مَلَأَتْ
أَبْلَيْتَ فِيهَا بَلَاءَ الْمُخْلِصِينَ لَهَا
أَجْمَلْتَ مَا فَصَّلُوهُ فِي قِصَائِهِمْ
لَمْ يَبْقَ لِي قَيْدٌ شَبْرٌ صَاحِبَايَ وَلَمْ
يَا مُدْمِنَ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ مُحْتَسِبًا
لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ فِي دُنْيَاكَ مَفْخَرَةٌ

كَأَنَّنَا قَدْ نَسِينَا يَوْمَ مَنَعَاكَ
ذِكْرَ الْهَدِيلِ فثِقُ أَنَا سَلَوْنَاكَ
رَجَعُ لَصَوْتِكَ مَوْصُولٌ بِذِكْرَاكَ
أَسْمَى سَجَايَا الْفَتَى أَذْنَى سَجَايَاكَ
أُولَى كَرِيمٍ، وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ
أَنْحَاءَ نَفْسِكَ شُغْلًا عَنْ قَضَايَاكَ
أَنْحَاءَ نَفْسِكَ شُغْلًا عَنْ قَضَايَاكَ
وَكَانَ سَهْمُكَ أَنَّى رَشَتْ فَتَاكَ
حَتَّى لَقَدْ نَضَّرُوا بِالْحَمْدِ مَثْوَاكَ
يَفْسَحُ لِي الْقَوْلُ لَا هَذَا وَلَا ذَاكَ
هَأَنْتَ فِي الْخُلْدِ قَدْ جَاوَرْتَ مَوْلَاكَ
سَوَى (زَكِيٍّ) لَقَدْ جَمَلْتَ دُنْيَاكَ

(٣٢) رثاء المغفور له سعد زغلول باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبين الفقيد في ٧ أكتوبر سنة ١٩٢٧ م

كيف يَنْصَبُ في النُّفوس انْصِباباً؟
بُحَّ أَنْ الرِّئِيسَ وَلَّى وَغابا
كان أَمْضَى في الأَرْضِ منها شهابا
لِلدَّراري وللضُّحَى جِلْبَابا
واحِبُ شَمْسِ النَّهَارِ ذاكَ النَّقَابا
ضِ فغِيبِي عن السَّمَاءِ احْتِجابا
واجلسي لِلْعَزاءِ فالحُزْنَ طابا
غابَ عن صَدْرِهِ وعافَ الخِطابا
أَنْ يُنَادِيَ فلا يَرُدُّ الجَوابا
قد عَراهُ، لَقَدْ أَطالَ الغِيابا
فإذا لم يُجِبْ فَشَقُّوا الثِّيَابا
إنَّها السَّاعَةُ الَّتِي كُنْتُ أبى
فَسَ نَسَفاً وَتَفَقَّرَ الأَصْلابا
أَسْهاماً مَسْمُومَةً أَمْ جِرابا
ضِ وأُحْدِثْتُ في الوُجُودِ انْقِلابا؟
تَحْتَهَا زَفَرَةٌ تُذِيبُ الصُّلابا
إِنَّ زَلْزالِنا أَجَلُ مُصابا
في نُفُوسِ أبَيْنَ إِلا احْتِسابا
وَفَقَدْنَا المُهَنَّدَ القِرْضابا
ثُمَّ ناداهُ رَبُّهُ فَأجابا
وَتَخَطَّى التُّحُوتَ والأَوْشابا
أَرْعُوساً تُصِيبُ أَمْ أَدْنابا
قد حَوَى أُمَّةً وَبَحْراً عُبابا
أُعْجَزَ الهامَ حَمْلُهُ والرُّقَابا

إِيه يا لَيْلُ هَلْ شَهِدْتَ المُصابا
بَلَّغَ المَشْرِقَيْنِ قَبْلَ انْبِلاجِ الصُّ
وانْعَ لِلنَّيَّراتِ (سَعْدًا) فدَ (سَعْدُ)
قَدْ يا لَيْلُ من سَوايكَ ثُوبًا
أُنْسِجِ الحالِكاتِ مِنْكَ نِقابًا
قُلْ لَهَا: غابَ كوكَبُ الأَرْضِ في الأر
والبَسِيني عليه ثُوبَ جِدادِ
أَيْنَ (سَعْدُ)؟ فذاكَ أَوَّلُ حَفْلِ
لم يُعوِّذْ جُنودَهُ يَوْمَ خَطْبِ
عَلَّ أَمْرًا قد عاقَه، عَلَّ سُقْمًا
أَيَّ جُنودَ الرِّئِيسِ نادُوا جِهارًا
إنَّها النُّكْبَةُ الَّتِي كُنْتُ أَخشى
إنَّها اللَّفْظَةُ الَّتِي تَنسِفُ الأَثَرَ
ماتَ (سَعْدُ)، لا كُنْتُ يا (ماتَ سَعْدُ)
كيفَ أَقْصَدْتُ كُلَّ حَيٍّ على الأر
حَسْرَةً عِندَ أَنِّي عِندَ آهِ
قُلْ لِمَنْ باتَ في (فِلَسْطينَ) يَبْكِي
قد دُهِيتُمْ في دُورِكُمْ ودُهِينا
فَفَقَدْتُمْ على الحَواثِ جَفْنًا
سَلَّهُ رَبُّهُ زَمانًا فابْلَى
قَدَّرَ شاءَ أَنْ يُزَلْزَلَ (مِصرًا)
والمَقادِيرُ إِنْ رَمَتْ لا تُبالي
خَرَجَتْ أُمَّةٌ تُشَيِّعُ نَعْشا
حَمَلُوهُ على المَدافِعِ لَمَّا

شَفَقًا سَائِلًا وَصُبْحًا مُذَابًا
 حِينَ أَلْفَى الْجُمُوعَ تَبْكِي انْتِحَابًا
 فَرَأَى مَاتِمًا وَحَشْدًا عُجَابًا
 يَوْمَ كَانُوا لِأَهْلِهَا أَرْبَابًا
 وَمَا الْبَيْضُ يَوْمَ مَتَّ الْخَضَابَا
 دِي فَغَطَّتْ خَضْرَاءَهُ وَالْيَبَابَا
 وَتَوَخَّتْ فِي مَدْحِكَ الْإِسْهَابَا
 حَتَّى لَا أَطْنَبَ الْمُحِبُّ وَحَابِي
 سُّ لِمَا نَالَ نِيلُنَا وَأَصَابَا
 مَا لِ أَيْنَ اعْتَزَمْتَ عَنَّا الذَّهَابَا؟
 كُنْتَ فِيهَا الْمَهْيَبَ لَا الْهَيَّابَا؟
 زَادَ صَقْلًا فِرْنُدَهُ حِينَ شَابَا
 كُنْتَ أَقْوَى يَدًا وَأَعْلَى جَنَابَا
 (وَأَنْ) يَوْمًا لَصَاقَ عَنْهُ إِهَابَا
 هِ يَفْرِي مَتْنًا وَيَحْطِمُ نَابَا
 مُمُورٌ مِنْ هَوْلٍ بَطْشُهَا إِزْهَابَا
 فَوْقَ هَامِ الْوَرَى وَتَجْبِي السَّحَابَا
 يُّ وَسَاجَلَتْهَا (بِمَصْرَ) الضَّرَابَا
 وَسَلُّوا (طَارِقًا) أَرَامَ انْسِحَابَا؟
 مَا يَصُدُّ السُّيُولَ تَغْشَى الْهَضَابَا
 كَيْفَ نُعْلِي عَلَى الْأَسَاسِ الْقِبَابَا
 وَحَسَبْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ حِسَابَا
 مِثْلَمَا تُطْلِعُ الْكُؤُوسَ الْحَبَابَا
 نَحْمِلُ الْعِبَاءَ وَخَدْنَا وَالصَّعَابَا
 وَامْنَعُونَا طِعَامَنَا وَالشَّرَابَا
 قَى فَهَلْ تَلْمَحُونَ فِيهِ اِزْتِيَابَا؟
 وَفَتَحْتُمْ لِكُلِّ شَعْوَاءَ بَابَا

حَالَ لَوْنُ الْأَصِيلِ وَالْدَّمْعُ يَجْرِي
 وَسَهَا النَّيْلُ عَنْ سُرَاهُ ذُهُولًا
 ظَنَّ يَا (سَعْدُ) أَنْ يَرَى مَهْرَجَانًا
 لَمْ تَسْقُ مِثْلَهُ فَرَاعَيْنُ (مَضْرُ)
 خَضَبَ الشَّيْبُ شَيْبَهُمْ بِسَوَادٍ
 وَاسْتَهَلَّتْ سُحْبُ الْبُكَاءِ عَلَى الْوَا
 سَاقَتْ (التَّيْمِسُ) الْعِزَاءَ إِلَيْنَا
 لَمْ يَنْخُ جَارِعٌ عَلَيْكَ كَمَا نَا
 وَاعْتَرَفَ (التَّامِيزُ) يَا (سَعْدُ) مَقْيَا
 يَا كَبِيرَ الْفُؤَادِ وَالنَّفْسِ وَالْآ
 كَيْفَ نَنْسَى مَوَاقِفًا لَكَ فِينَا
 كُنْتَ فِي مِيعَةِ الشَّبَابِ حُسَامًا
 لَمْ يُنَازِلْكَ قَارِحُ الْقَوْمِ إِلَّا
 عِظْمٌ لَوْ حَوَاهُ (كُسْرَى) أَنْوَشَرُ
 وَمَضَاءُ يُرِيكَ حَدَّ قِضَاءِ اللَّ
 قَدْ تَحَدَّيْتَ قُوَّةَ تَمَلُّ الْمَعِ
 تَمَلِّكَ الْبَرِّ وَالْبَحَارَ وَتَمْشِي
 لَمْ يُنْهِنَهُ مِنْ عَزْمِكَ السَّجْنُ وَالنَّفْ
 سَائِلُوا (سَيْشِلًا) أَلْوَجَسَ خَوْفًا
 عَزْمَةً لَا يَصُدُّهَا عَنْ مَدَاهَا
 لَيْتَ (سَعْدًا) أَقَامَ حَتَّى يَرَانَا
 قَدْ كَشَفْنَا بِهِدْيِهِ كُلَّ خَافٍ
 حُجَّجُ الْمُبْطِلِينَ تَمْضِي سِرَاعًا
 حِينَ قَالَ: (انْتَهَيْتُ) قُلْنَا بَدَأْنَا
 فَاحْجَبُوا الشَّمْسَ وَاحْبِسُوا الرُّوحَ عَنَّا
 وَاسْتَشْفُوا يَقِينَنَا رَغَمَ مَا نَلَّ
 قَدْ مَلَكْتُمْ فَمَ السَّبِيلِ عَلَيْنَا

تَحْمِلُ الموتَ جائئًا والخرابا
ووعيدًا ورحمةً وعذابا
أو رأيْتُم مَنَّا إليكم مَثابا
أَلْفُ لَيْثٍ إذا العرينُ أهابا
إِنَّ عِنْدَ العرينِ أَسَدًا غَضابا
مَلَأَ الشَّرْقُ كُلَّهُ إِعْجَابا
كَيْفَ يُحْمَى الحِمَى إذا الخَطْبُ نابا
واستثارَ الأُسودُ غابًا فغابا
قِ وَيَتْلُو في النَّاسِ ذاكَ الكِتَابا
مِنْ ظِلَامٍ أَزالَ ذاكَ الحِجابا
عَالِمٌ باحتيالِهِمْ أينَ جابا
أَيُّ خَتَلٍ يُرِيغُ مِنْهُ اضْطِرَابا؟
هُ بِهِ اللُّهُ عَثْرَةً أو تَبابا
رَقُّ لِلصَّيْدِ مَغْنَمًا مُسْتَطَابا
مِنْ فِخاخِ الدَّهَاءِ خَابُوا وخابا
قَابَلُوا مِنْكَ في السَّمَاءِ عُقابا
وَتُسْقَى مُنَافِقُ القَوْمِ صابا
لا يَرَاهُ المُخَالِفُونَ صَوَابا
والمُضِلُّونَ يَعْشَقُونَ الضُّبابا
وأراهُمُ قد أوردونا السَّرابا
وَنَظَّمَتِ الشُّيُوخُ والنُّوَابا
بِ وَأُذِرْكْتَ بالأَنَاةِ الطُّلابا
لَا كُھولًا أَعَزَّةً وشَبابا
حَمَى يُغَذُّونَ للوصولِ الرِّكابا
يُسْعِدُونَ البَنِينَ والأَعْقابا
ورئيسًا ومِذْرَهًا خَلابًا
كَ عَظِيمًا مُوَفَّقًا غَلابًا

وَأَتَيْتُمْ بِالْحَائِمَاتِ تَرَامِي
ومَلَأْتُمْ جَوَانِبَ النِّيلِ وَعْدًا
هَلْ ظَفِرْتُمْ مَنَّا بِقَلْبِ أَبِي
لا تَقُولُوا خِلا العَرِينِ ففِيهِ
فاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ وَرُوعُوا حِمَاهَا
جَزَعَ الشَّرْقُ كُلَّهُ لِعَظِيمِ
عَلَمِ (الشَّامِ)، و(العِرَاقِ) و(نَجْدًا)
جَمَعَ الحَقُّ كُلَّهُ في كِتَابِ
وَمَشَى يَحْمِلُ اللُّوَاءَ إلى الحَا
كَلَّمَا أَسَدَلُوا عَلَيْهِ حِجَابًا
واقِفٌ في سَبِيلِهِمْ أينَ ساروا
أَيُّ مَكْرٍ يَدِقُّ عَنِ ذَهْنِ (سَعْدِ)
شَاعَ في نَفْسِهِ اليَقِينُ فَوْقًا
عَجَزَتْ حِيلَةُ الشُّبَّانِ وكان الشَّ
كَلَّمَا أَحْكَمُوا بِأَرْضِكَ فحَا
أو أَطَارُوا الحَمَامَ يَوْمًا لَزَجِلِ
تَقْتُلُ الدَّسَّ بالصَّرَاحَةِ قَتْلًا
وَتَرَى الصَّدْقَ والصَّرَاحَةَ دِينًا
تَعْشِقُ الجَوَّ صَافِي اللُّونِ صَحْوًا
أَنْتِ أوردْتَنَا مِنَ المَاءِ عَذْبًا
قد جَمَعْتَ الأَحْزَابَ حَوْلَكَ صَفًا
وَمَلَكْتَ الزَّمَامَ واحْتَطَطَ للغَيْبِ
ثُمَّ خَلَفْتَ بالكِنَانَةِ أَبْطَا
قد مَشَى جَمْعُهُمْ إلى المَقْصِدِ الأَسَفِ
يَبْتَثْنُونَ العُلَا يَشِيدُونَ مَجْدًا
قد بَلَوْنَاكَ قَاضِيًا وَوَزِيرًا
فَوَجَدْنَاكَ مِنْ جَمِيعِ نَوَاحِي

لَمْ يَنْلُ حَاسِدُكَ مِنْكَ مُنَاهُمْ
نَمْ هَنِئًا فَقَدْ سَهَدَتْ طَوِيلًا
كَمْ شَكَوْتَ السَّهَادَ لِي يَوْمَ كُنَّا
نَنْهَبُ اللَّهُوَ غَافِلِينَ وَكُنَّا
فَإِذَا الرُّزْءُ كَانَ مِنَّا بِمَرْمَى
حَرَمْنَا الْمَنُونُ ذِيَالِكَ الْوَجْهَ
وَسَجَايَا لَهُنَّ فِي النَّفْسِ رَوْحُ
كَمْ وَرَدْنَا مَوَارِدَ الْأَنْسِ مِنْهَا
وَمَرَحْنَا فِي سَاحِهَا فَنَسِينَا أَلْ
ثُمَّ وَلَّتْ بِشَاشَةِ الْعَيْشِ عَنَّا
خَفَتْ فِينَا مَقَامَ رَبِّكَ حَيًّا

لَا وَلَمْ يُلْصِقُوا بَعْلِيَاكَ عَابَا
وَسَيِّمَتْ السَّقَامَ وَالْأَوْصَابَا
بِالْبَسَاتِينَ نَسْتَعِيدُ الشَّبَابَا
نَحْسَبُ الدَّهْرَ قَدْ أَنَابَ وَتَابَا
وَإِذَا حَائِثُ الرَّدَى كَانَ قَابَا
هَ وَذَاكَ الْجَمَى وَتِلْكَ الرَّحَابَا
يَعْدِلُ الْقَوَزُ وَالِدُعَاءُ الْمُجَابَا
وَرَشَقْنَا سُلَاقَهَا وَالرُّضَابَا
أَهْلَ الْأَصْدِقَاءِ وَالْأَحْبَابَا
حِينَ سَارُوا فَوَسَّدُوا التُّرَابَا
فَتَنْظَرُ بَجَنَّتِيهِ الثُّوَابَا

(٣٣) رثاء أمين الرافعي بك

أنشدها في الحفل الذي أقامه الحزب الوطني لذكرى الشهداء في ١٦ فبراير سنة ١٩٢٨م

أَمَّا (أَمِينُ) فَقَدْ دُقْنَا لِمَصْرَعِهِ
لَمْ تُنْسِنَا ذِكْرَهُ الدُّنْيَا وَإِنْ نَسَجَتْ
مَضَى نَقِيًّا عَفِيفَ النَّفْسِ مُحْتَسِبَا
جَرَتْ عَلَى سَنَنِ التَّوْحِيدِ نَشَاتُهُ
لَمْ يَلُوهُ الْمَالُ عَنْ رَأْيِ يَدِينُ بِهِ
وَلَمْ يَلِنْ عَوْدُهُ لِلْخَطْبِ يَرْهَقُهُ
ظُلْمٌ مِنَ الْقَبْرِ أَنْ تَبْلَى أُنَامِلُهُ
كَانَتْ مَطِيَّةً سَبَّاقَ جَوَانِبِهِ
عِشْرُونَ عَامًا عَلَى الطَّرْسِ الطَّهْورِ جَرَى
يَجُولُ بَيْنَ رِيَاضِ الْفِكْرِ مُقْتَطِفًا
فَيَنْشَقُّ الذُّهْنَ مِنْ أَسْطَارِهِ أَرْجَا

وَحَطْبِهِ مِنْ صُنُوفِ الْحُزْنِ أَلْوَانَا
لِلرَّاحِلِينَ مِنَ النَّسِيَانِ أَكْفَانَا
فَهَدَّ مِنْ دَوْلَةِ الْأَخْلَاقِ أَرْكَانَا
فِي اللَّهِ وَالرَّأْيِ إِخْلَاصًا وَإِيمَانَا
(وَلَوْ حَمَلَتْ إِلَيْهِ الدَّهْرَ مَلَانَا)
قَسَا عَلَيْهِ شَدِيدُ الْعَيْشِ أَمْ لَنَا
فَكَمْ رَمَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ خَانَا
يُرويك فَيَاضُهَا صَدَقًا وَعِرْفَانَا
مَا خَطَّ فَاجِشَةً أَوْ خَطَّ بُهْتَانَا
مِنْ طَيِّبٍ مَغْرَسَهَا وَرَدًّا وَرِيحَانَا
وَتُبْصِرُ الْعَيْنُ فَوْقَ الطَّرْسِ بُسْتَانَا

إلى فتى لا يرى للمال سلطانا
 ذي مرة يتلقى الخطب جدانا
 وأنت تخرج من دنياك عريانا؟
 ترى به القوت ياقوتاً ومرجانا
 ولا رضىت لغير الحق إذعانا
 أن يورث الحلو مر العيش أحيانا
 تبكي عليك إذا خطب امرئ هانا
 فأنت أرحنا في الحشر ميزانا
 حظاً وإن كنت في دنياك أشقانا
 واذكر لهم ما يعاني قومنا الآن
 أن يحرس النيل ممن رام طغيانا

(أمين) فارقتنا في حين حاجتنا
 إلى أمين على أوطانه يقظ
 ألبس الخز من لانت مهزته
 إن القناعة كنز كنت حارسه
 فما سعت لغير الحمد تكسبه
 أودى بك (السكر) المضني ولا عجب
 ما هان خطبك والأخلاق والهة
 (أمين) حسبك ما قدمت من عمل
 أبشر فإنك في أخراك أسعدنا
 بلغ ثلاثتكم عنا تحييتنا
 واضرع إلى الله في الفردوس مبتهلاً

(٣٤) رثاء الدكتور يعقوب صروف

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتأبينه بدار الأوبرا الملكية في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٨ م

على الأريب الكاتب الألمي
 فزاد في الجود على الطيع
 فقد اليراع المعجز المبدع
 حظ ولا للشام في أروع
 فليبكه كل فؤاد يعي
 تنسجها الأقدار للمضرع
 صغ له منعه من الأدمع
 فعاش ملء العين والمسمع
 خلا من الفضل فلم ينفع
 ينهار منها صلف المدعي
 أزهى من السيفين والمدفع

أبكي وعين الشرق تبكي معي
 جرى عصي الدمع من أجله
 نقص من الشرق ومن زهوه
 ليس لمضر في رجالاتها
 مصاب (صروف) مصاب النهي
 كرم بالأمس وأكفائه
 يا صائغ الدر لتكريمه
 قد زين العلم بأخلاقه
 تواضع والكبر دأب الفتى
 تواضع العلم له روعة
 وحلة الفضل لها شارة

يُشْبِعُ مَنْ حَصَلَ مِنْ عِلْمِهِ
مُبَكَّرُ تَحْسَبُهُ طَالِبًا
قد غَالَتْ الْأَسْقَامُ أَضْلَاعَهُ
مَاتَ وَفِي أَنْفُلِهِ صَارِمٌ
صَاحِبَهُ خَمْسِينَ عَامًا فَلَمْ
مُؤَفَّقًا أَنَّى جَرَى مُلْهَمًا
لَمْ يَجْرِه بَارٍ سِوَى رَبِّهِ
فِي النُّقْلِ وَالتَّصْنِيفِ أَرْجَى عَلَى
أَيِّ سَبِيلٍ لِلْهُدَى لَمْ يَرِدْ
يَقْتَطِفُ الزَّهَرَ وَيَخْتَارُهُ
فَتَحَسَبُ الْقُرَاءَ فِي جَنَّةِ
(صُرُوفٍ) لَا تَبْعُدُ فَلَسْتَ الَّذِي
أَسْكَتَكَ الْمَوْتُ وَلَكِنَّهُ
نِزَارَكَ لَا تَنْفَكُ مَوْصُولَةً

وَهُوَ مِنَ التَّحْصِيلِ لَمْ يَشْبِعِ
يُسَابِقُ الْفَجَرَ إِلَى الْمَطْلَعِ
وَالرَّأْسَ فِي شُغْلٍ عَنِ الْأَضْلَعِ
لَمْ يَنْبُ فِي الضَّرْبِ عَنِ الْمَقْطَعِ
يَخُنُّ لَهُ عَهْدًا وَلَمْ يَخْدَعِ
مَا ضَلَّ فِي الْوَرْدِ عَنِ الْمَشْرِعِ
وَلَمْ يَحْزِهِ جَاهِلٌ أَوْ دَعَى
مَدَى (ابن بَحْرِ) وَمَدَى (الْأَضْمَعِي)
وَأَيَّ بَابٍ مِنْهُ لَمْ يَقْرَعَ
كَالْنَحْلِ لَا يَغْفُو عَنِ الْإِنْعِ
عُقُولُهُمْ فِي رَوْضِهَا تَرْتَعِي
يَطْوِيهِ طَاوِي ذَلِكَ الْمَضْجَعِ
لَمْ يُسْكِتِ الْإِثَارَ فِي الْمَجْمَعِ
فِي مَعْهَدِ الْعِلْمِ وَفِي الْمَصْنَعِ

(٣٥) رثاء عبد الخالق ثروت باشا

أنشدها في الحفل الذي أقيم بالأوبرا الملكية لتأبينه في يوم السبت ١٠ نوفمبر سنة ١٩٢٨ م

لِعَبِّ الْبِلَى بِمُلَاعِبِ الْأَلْبَابِ
وَطَوَى الرَّدَى (عَمَرُو) الْكِتَانَةَ غَافِلًا
مَنْ كَانَ يَدْرِي يَوْمَ سَافِرٍ أَنَّهُ
حَزَنْتَ عَلَيْهِ عُقُولُنَا وَقُلُوبُنَا
الْقَلْبُ يُنْسِيهِ الْغِيَابُ أَلَيْفَهُ
بِالْأَمْسِ مَاتَ أَجَلُنَا وَأَعَزَّنَا
وَالْيَوْمَ قَدْ غَالَ الْجِمَامُ أَسَدَّنَا
رَأْسٌ يُدَبِّرُ فِي الْخَفَاءِ كَأَنَّهُ

وَمَحَا بِشَاشَةِ فَمِّكَ الْخَلَابِ
وَرَمَى شَهَابَ دَهَائِهِ بِشِهَابِ
سَفَرٍ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ إِيَابِ
وَبَكَتْ، وَحَزُنُ الْعَقْلِ شَرُّ مُصَابِ
وَالْعَقْلُ لَا يُنْسِيهِ طَوْلُ غِيَابِ
جَاهًا وَأَبْقَانَا عَلَى الْأَحْقَابِ
رَأْيًا فِطَاحَ بِحِكْمَةٍ وَصَوَابِ
قَدَرٌ يُدَبِّرُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ

حَتَّى إِذَا أَرْضَى النُّهَى وَتَنَاسَقَتْ
يَمْشِي عَلَى سَنَنِ الْجِجَا مُتَمَهِّلًا
تَتَنَاسَّرُ الْأَقْوَالُ عَنْ جَنَابَاتِهِ
لَا الْمَدْحُ يَغْرِيه وَلَا يُلَوِّي بِهِ
حُلُو التَّوَاضُّعِ لَمْ يُخَالِطْ نَفْسَهُ
حُلُو الْأَنَاءَةِ إِذَا يَسُوسُ وَعِنْدَهُ
حُلُو السُّكُوتِ كَكُوكِبٍ مُتَالِقٍ
يَهْدِي السَّبِيلَ لِسَالِكِيهِ وَلَمْ يَرُدِّ
مُتَمَكِّنٌ مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَغْرُهُ
يَزِنُ الْأُمُورَ كَأَنَّمَا هُوَ صَيَّرُفٌ
وَيَحُلُّ غَامِضَهَا بِثَاقِبِ ذَهْنِهِ
وَيَقْيِسُ شَقَّتَهَا بِمِقْيَاسِ النُّهَى
مُتَبَسِّمٌ وَعَلَى مَعَارِفِ وَجْهِهِ
شَيْمٌ تَرُدُّ النَاقِمِينَ لَوْدَهُ
يُرْضِي الْمُرْتَلَّ فِي الْكَنِيسَةِ صُنْعَهُ
يَرْتَاحُ لِلْمَعْرُوفِ لَا مُتَرَبِّحًا
يُرْوِي الصَّدِيقَ مِنَ الْوَفَاءِ وَلَمْ يَكُنْ
لَمْ يَبْدُ فِينَا جَازِعًا أَوْ غَاضِبًا
وَبُكَائِهِ فِي يَوْمِ (سَعْدٍ) زَادَنِي
قَامَتْ صِعَابٌ فِي مَسَالِكِ سَعْيِهِ
فَطَهَّيْرُهُ عِنْدَ النَّضَالِ وَرُكْنُهُ
لِلَّهِ سِرٌّ فِي بِنَايَةِ (ثُرُوتٍ)
إِنِّي سَأَلْتُ الْعَارِفِينَ فَلَمْ أَفْزُ
هُوَ مُسْتَقِيمٌ مُلْتَوٍ، هُوَ لَيِّنٌ
هُوَ حَوْلٌ، هُوَ قَلْبٌ، هُوَ وَاضِحٌ
هُوَ ذَلِكَ الطَّلَسْمُ.. مَنْ أَغْيَا الْجِجَا
هُوَ مَا تَرَاهُ مُفَاوِضًا كَيْفَ انْبَرَى

آيَاتُهُ رَاعَ الْوَرَى بِعُجَابٍ
بَيْنَ الْعُدَاةِ الْكُثْرِ وَالْأَحْبَابِ
مِنْ شَانِيٍّ وَمُنَاصِرٍ وَمُحَابِي
عَنْ نَجْدِهِ الْمَرْسُومِ وَقَعَ سَبَابُ
زَهْوِ الْمُدْلِ يُحَاطُ بِالْإِعْجَابِ
أَنَّ التَّعَجُّلَ آفَةُ الْأَقْطَابِ
وَاللَّيْلُ سَاجِ أَسْوَدِ الْجَلْبَابِ
شُكْرًا وَلَمْ يَغْمَلْ لِنَيْلِ ثَوَابِ
قَلَقِ الضَّعِيفِ وَخَيْرَةُ الْمُرْتَابِ
يَزِنُ النُّضَارَ بِدَقَّةٍ وَحِسَابِ
حَلِّ الطَّبِيبِ عُنَاصِرِ الْأَغْشَابِ
فَتَرَى صَحِيحَ قِيَاسِ (الْأَصْطُرْلَابِ)
آيَاتُ مَا يَلْقَى مِنَ الْأَوْصَابِ
وَشَمَائِلُ تَسْتَلُّ جِقْدَ النَّبَايِ
كَيْسًا وَيُرْضِي سَاكِنَ الْمَحْرَابِ
فِيهِ وَلَا هُوَ فِي الْجَمِيلِ مُرَابِي
بِالْحَاسِدِ النُّعْمَى وَلَا الْمُغْتَابِ
لَا هُمْ إِلَّا غَضَبَةُ النُّوَابِ
عِلْمًا بَأَنَّ الْيَوْمَ يَوْمُ تَبَابِ
مِنْ بَعْدِ (سَعْدٍ) دُعِمَتْ بِصِعَابِ
أُمْسَى حَدِيثَ جَنَائِلِ وَثُرَابِ
سُبْحَانَ بَانِي هَذِهِ الْأَعْصَابِ
مَنْهُمْ عَلَى عَرْفَانِهِمْ بِجَوَابِ
صُلْبٌ، هُوَ الْوَاعِي، هُوَ الْمُتَغَابِي
هُوَ غَامِضٌ، هُوَ قَاطِعٌ، هُوَ نَابِي
حَلًّا وَمَاتَ وَلَمْ يَفْزُ بِطَلَابِ
لِكَبِيرِهِمْ بِذَكَائِهِ الْوَثَابِ

إِلَّا نَجَا بَدَهِائِهِ مِنْ بَابٍ
بَلْـيُونَةٍ وَلَبَاقَةٍ وَخِلَابٍ
خَشَبًا تَنَازَّرَ فَوْقَ ظَهْرِ عُبَابٍ
دُونَ الْحِمَى تُعْيِي أَسْوَدَ الْغَابِ
يَسْعَى بَغَيْرِ كِتَابٍ وَجِرَابٍ
عَلَمًا عَضَضْنَ عَلَيْهِ بِالْأَنْيَابِ
جَمَّ التَّوَجُّعِ دَامِيَ الْأَهْدَابِ
فِي مَنْبِتِ خِصْبٍ وَرَحْبِ جَنَابِ
أَنَا أَمَامَ مُحَنِّكِينَ صَلَابِ
فِي وَغَرِّهَا وَكُوُودِهَا بِالْكَابِي
إِنْ لَمْ يَفْزُ قُوْزًا فَلَيْسَ بَعَابِ
أَبْنَاءِ (مِصْرَ) وَأَيَّدَتْ بِكِتَابِ
مَرْفُوعَةِ الْأَعْلَامِ وَالْأَطْنَابِ
إِنِّي غَذَّذْتُ إِلَى مَدَاكِ رِكَابِي
بِشَهَادَةِ الْأَعْدَاءِ وَالْأَصْحَابِ
مَشْبُوبَةً كَانَتْ عَلَى الْأَبْوَابِ
رَنْقًا، وَكُنْتَ مُوَفِّقَ الْأَسْبَابِ
حُزْنَا عَلَيْكَ وَأَنْتَ مِنْ أَتْرَابِي
أَلْفَى دُعَاءَ الصَّبْرِ غَيْرَ مُجَابِ
يَبْقَى عَلَى الْأَجْيَالِ لِلْأَعْقَابِ
فِي حَلَبَةِ الشُّعْرَاءِ وَالْكِتَابِ
بِالْبِشْرِ فِي نَادِيكَ وَالتَّرْحَابِ
تَأْسَى الرِّيَاضُ عَلَيْهِ غَبَّ ذَهَابِ

لَمْ يَأْتِ مِنْ بَابٍ لَصِيدِ دَهَائِهِ
وَيَظِلُّ يَرْقُبُهُ وَيَغْزُو كِبَرِهِ
وَيَرُوضُهُ حَتَّى يَرَى أَسْطُولَهُ
وَيَرَى صُنُوفًا مِنْ ذِكَاةِ صُفْفَتِ
وَأَتَى بِأَقْصَى مَا يَنَالُ مَفَاوِضَ
وَاسْتَلَّ مِنْ أَشْدَاقِ آسَادِ الثَّرَى
خَلَقًا خَبَا ضَوْءُ الْهِلَالِ لَطِيَّهِ
فَاخْضَرَ فَوْقَ رُبُوعِ مِصْرٍ غُودُهُ
إِنْ فَاتَهُ بَعْضُ الْأَمَانِي فَادْكُرُوا
قَدْ جَازَ تَيْهَاءَ الْأُمُورِ وَلَمْ يَكُنْ
رَجُلٌ يَفَاوِضُ وَحْدَهُ عَنْ أُمَّةٍ
رَفَعَ الْحِمَايَةَ بَعْدَمَا بَسَطَتْ عَلَى
وَأَتَى (لِمِصْرَ) وَأَهْلَهَا بِسَيَادَةِ
غَفَرًا فَلَسْتُ بِبَالِغِ فَيْكِ الْمَدَى
كَمْ مَوْقِفٍ لَكَ فِي الْجِهَادِ مُسَجَّلِ
فِي خَطْبِ مِصْرَ (لِبَطْرُسَ) أَخْمَدَتْهَا
أَلْفَتْ بَيْنَ الْعُنُصْرَيْنِ فَأَصْبَحَا
خَالَفْتُ فَيْكَ الْجَازِعِينَ فَلَمْ أَنْحُ
النَّوْحُ فِي الْجَلَى اجْتِهَادُ مُقْصِرِ
فَأَنَا الَّذِي يَبْكِي بِشَعْرِ خَالِدِ
قَدْ كُنْتَ تُحَسِّنُ بِي وَتَرْقُبُ جَوْلَتِي
وَتَهْشُ إِنْ لَاقَيْتَنِي وَتَخْصُنِي
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الرَّبِيعُ بِنُورِهِ

(٣٦) رثاء محمود سليمان باشا (نشرت في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٩م)

وَمُكْرِمِ الصَّيْفِ أَمْسَى صَيْفَ (رِضْوَانِ)
إِذَا أَلَمْتُ بِنَا ذِكْرِي (سُلَيْمَانِ)
رُدُّوا النُّفُوسَ إِلَى صَبْرٍ وَسَلْوَانِ
تَحْتَ التُّرَابِ وَفَوْقَ النَّجْمِ فِي أَنْ
تُعِدُّ زَادَكَ مِنْ بَرٍّ وَإِحْسَانِ
وَكَمْ غَرَسْتَ وَكَانَ الْمُعَوِّزُ الْجَانِي
وَكَمْ مَشَيْتَ بِصُلْحٍ بَيْنَ إِخْوَانِ
مَنْ الْجَلَالِ عَلَى جَنْبَيْهِ نُورَانِ
سَكِينَةً حَرَكْتَ نَفْسِي وَوَجَدَانِي
وَبَيْنَ جَنْبَيْكَ قَلْبٌ غَيْرُ وَسْنَانِ
عَلَى بَنِيكَ فَكُنْتَ الْوَالِدَ الْحَانِي
مَلِيمٌ سُحْتٍ وَلَا حَقًّا لِإِنْسَانِ
بِجَمْعٍ فَإِنْ يُعَانِي جَمْعُهُ فَانِي
تُسَبِّحُ اللَّهَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ
(مُحَمَّدًا) يَتَرَاءَى فَوْقَ (كِيَوَانِ)
يَقْضِي (سُلَيْمَانُ) فِي عِزٍّ وَسُلْطَانِ
فَضْلٍ وَنُبْلِ وَإِحْسَانٍ وَعِرْفَانِ
وَأُورَقْتُ فِي ذُرَاهُ عِرَّةُ الشَّانِ
صَرَحًا مِنَ الْمَجْدِ أَعْلَى رُكْنِهِ الْبَانِي
بَشُكْرِهَا لَكَ عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْصَانِي

مُسْدِي الْجَمِيلِ بَلَا مَنْ يُكَدِّرُهُ
تَجْتَازُنَا عَبَقُهُ مِنْ رَوْضَةٍ أَنْفٍ
فَقُلْ (لَالِ سُلَيْمَانِ) إِذَا جَزَعُوا
مَا إِنْ رَأَيْتَ دَفِينًا قَبْلَ شَيْخُكُمْ
قَضَيْتَهَا مِئَّةً فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ
فَكَمْ صَفَحْتَ عَنِ الْجَانِي وَلَمْ تَرَهُ
وَكَمْ أَقَلْتَ كَرِيمًا عِنْدَ عَثْرَتِهِ
إِنِّي رَأَيْتُكَ قَبْلَ الْمَوْتِ فِي فَلَكِ
نُورِ الْيَقِينِ وَنُورِ الشَّيْبِ بَيْنَهُمَا
عَلَى جَبِينِكَ آيَاتِ الرِّضَا ارْتَسَمَتْ
قَسَمَتْ مَا جَمَعْتَ كَفَّاكَ مِنْ نَشْبِ
مَالٍ حَلَالٍ مُزَكَّى مَا خَلَطْتَ بِهِ
زَهْدَتْ فِيهَا وَهَامَ الْعَابِدُونَ لَهَا
بِكَسْرَةٍ وَكَسَاءٍ عِشْتَ مُغْتَبِطًا
أَقَرَّ عَيْنَيْكَ فِي دُنْيَاكَ أَنْ رَأَا
قَضَيْتَ فِي الْأَوْجِ مِنْ عِزِّيْكُمْ وَكَذَا
أُنْجَبَتْ أَرْبَعَةٌ سَادُوا بِأَرْبَعَةٍ:
أُورَثْتَهُمْ شَمًّا هَشًّا الْإِبَاءُ لَهُ
يَذْكُرْنَ بَرًّا رَحِيمًا قَدْ أَقَامَ لَهُمْ
كَمْ نِعْمَةٍ لَكَ يَا (مَحْمُودُ) عِنْدَ أَبِي

(٣٧) تأبين محمد المويلحي بك (نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٣٠م)

أبيات قالها وهو يسير خلف نعشه

غاب الأديبُ أديبُ (مُضِر) واختفى
لَهْفِي على تلك الأناملِ في البلى
مات (المُولِحِي) الحُسانُ ولم يمتْ
فلتَبِكِه الأَقلامُ أو تتَقَصِّفَا
كم سَطَرْتُ حِكْمًا وهَزَّتْ مُرْهَفَا
حَتَّى غَزَا «عِيسَى» العُقُولَ وثَقَّفَا

وقال يرثيه أيضًا: أنشد هذه القصيدة في حفل التأبين الذي أقيم في مسرح حديقة الأزبكية في ١٣ يونيه ١٩٣٠م

دَمْعَةٌ من دموعِ عَهْدِ الشَّبَابِ
لَبَّتِ اليومَ يا (مُحَمَّدُ) لَمَّا
هَدَأْتُ لَوَعَتِي وَسَرَّتْ قَلِيلًا
مَوْكِبُ الدَّفْنِ خَلَفَ نَعْشِكَ يَمْشِي
لم يُجَاوِزْ منازلَ البَدْرِ عَدًّا
لم يَسِرْ فيه مَنْ يُحَاوِلُ أَجْرًا
مَوْكِبُ مَا جَ جانباهُ بِحَفْلٍ
شاعَ فيه الوفاءُ والحُزْنُ حَتَّى
فَكَانَ السَّمَاءُ والأَرْضُ تَمْشِي
تَتَمَنَّى قِياصَ الأرضِ لَوْ فَاءِ
رُبَّ نَعْشٍ قد شَيَّعَتْهُ أَلُوفُ
ليس فيهم من جازعٍ أو حَزِينِ
كنتَ لا تَرْتَضِي النُجُومَ مَحَلًّا
كنتَ راحَ النُّفُوسِ في مَجْلَسِ الأَنْدِ
كنتَ لا تُرْهِقُ الصَّدِيقَ بَلُومَ
ولئن بَتَّ عاتِبًا أو غَضُوبًا
جُزْتَ سَبْعِينَ حِجَّةً لا تُبالي
وسواءٌ لَدَيْكَ والرأيُ حُرٌّ

كُنْتُ خَبَّاتُهَا لِيَوْمِ المُصَابِ
راعني نَعْيُ الكُتَّابِ
عن فؤادي وَلَطَقْتُ بَعْضَ ما بي
في احتِسَابِ وحَسرةٍ وانتِحَابِ
من بقايا الصَّدِيقِ والأَحْبَابِ
عند حَيِّ مُؤَمِّلٍ أو يُحَابِي
من وفودِ الأخلاقِ والأحسابِ
ضاقَ عَن حَشْدِهِ فسيحُ الرِّحَابِ
فيه من هَيْبَةٍ وعِزِّ جَنابِ
رَتَّ لَدَى مَوْتِهَا بهذا الرِّكابِ
مَنْ سَوايَ تَعْلُوهُ سُودُ النُّيَابِ
صادِقِ السَّعْيِ أو أليفِ مُصَابِ
فلماذا رَضِيتَ سَكْنَى التُّرابِ!
سِ وراحَ العقولِ عند الخِطابِ
لا ولا تَسْتَبِيحُ غَيْبَ الصُّحَابِ
لِقَرِيبِ الرِّضا كَرِيمِ العِتَابِ
بشهادٍ تَعاقَبَتْ أُمُ بَصَابِ
رَوْحُ (نَيْسانَ) أو لَوافِحُ (آبِ)

يا شجاعاً وما الشجاعة إلا الض
كنت نعم الصبور إن حزب الأم
كم تجملت والأمانى صرعى
عشت ما عشت كالجبال الرواسي
مؤثر اليؤس والشقاء على الشك
كنت تخلو بالنفس والنفس تشوى
فتسرّي بالذكر عنها وتنفي
وترى وحشة انفرادك أنسا
بنت عنها وما جنيت وقد كا
ونبتت الثراء تبذل فيه
لو شهدتم (محمداً) وهو يملئ
وقفت حوله صفوف المعاني
لعلتم بأن عهد (ابن بحر)
أدب مستو وقلب جميع
عند رأي موفق، عند حزم
جل أسلوبه النقي المصفى
وسما نقده النزيه عن الهج
ذقت في غربّة الحياة عناء
بلغ (البابلي) عنّي سلاماً
كان تربّي وكان من نعم المّب
فارس في الندى إذا قصر الفر
يُرسل النكتة الطريفة تمشي
قد أثار (المحمّدان) دفيناً
خلفاني بين الرفاق وحيداً

بر لا الخوض في صدور الصعاب
ر وسدت مسارح الأسباب
وتماسكت والخطوط كوابي
فوق نار تذيب صم الصلاب
وى وإن عضك الزمان بنا
من كؤوس الهموم والأوصاب
ما عراها من غصة واكتئاب
بحديث النفوس والألباب
بدت بأساءها على الأحقاب
من إباء في بذله شر عاب
آي «عيسى» ومُعجزات الكتاب
وصفوف الألفاظ من كل باب
عاود الشرق بعد طول احتجاب
وذكاء يريك ضوء الشهاب
عند علم يفيض فيض السحاب
عن غموض ونفرة واضطراب
ر فما شيب مرة بالسباب
فدق اليوم راحة في الإياب
كعبير الرياض أو كالملا
دع - سبحانه - على الأثراب
سان عنه وفارس في الجواب
في رقيق الشعور مشي الشراب
في فؤادي وقد أطارا صوابي
مستكيناً وأمعنا في الغياب

(٣٨) رثاء عبد الحليم العلالي بك (نشرت في ٦ مايو سنة ١٩٣٢م)

يا بنَ (عَبْدِ السَّلَامِ) لا كَانَ يَوْمٌ
كُنْتَ فِيهِمْ كَالرُّمَحِ بِأَسَا وَلِينَا
يا عَرِيقَ الْأَصُولِ وَالْحَسَبِ الْوَضِّ
كُنْتَ فَرْعًا بَدْوَحَةَ الْعِزِّ تَأْوِي
قَصَفَتُهُ الْمَنُونُ وَهُوَ نَضِيرُ
كُنْتَ تَأْسُو جِرَاحَهُمْ وَتَقْيِيهِمْ
خَانَ نُطْفِي وَلَمْ تَخْنِي دُمُوعِي
غَيْرُ بَدْعٍ إِذَا نَظَّمْتَ رِثَائِي
فَمِنْ الْحُزْنِ مَا يَدُكُ الرُّوَاسِي

غَبَّتَ فِيهِ عَنْ هَالَةَ الْأَحْرَارِ
كُنْتَ فِيهِمْ كَالْكُوكَبِ السَّيَّارِ
سَاحِ وَالنَّبْلِ يَا كَرِيمَ الْجَوَارِ
تَحْتَ أَفْنَانِهِ عُفَاةُ الدِّيَارِ
مُورِقُ عُودِهِ جَنَى الثَّمَارِ
وَتُقِيلُ الْعِثَارَ عِنْدَ الْعِثَارِ
— لَهْفَ نَفْسِي — فَقَصَرْتُ أَشْعَارِي
فِي صَدِيقِي مِنَ الدُّمُوعِ الْجَوَارِي
وَمِنْ الْحُزْنِ مَا يَهْدُ الضَّوَارِي

وقال يرثيه أيضًا: (نشرت في ١٦ يونيه ١٩٣٢م)

مَضَيْتَ وَنَحْنُ أَحْوَجُ مَا نَكُونُ
بِرَغْمِ (النَّيْلِ) أَنْ عَدَّتِ الْعَوَادِي
بِرَغْمِ (التَّغْرِ) أَنْ غَيَّبَتْ عَنْهُ
أَجَلَ مُنَاهُ لَوْ يَحْوِيكَ مَيِّتًا
أَسَالَ مِنَ الدُّمُوعِ عَلَيْكَ بَحْرًا
وَقَامَ النَّادِيَاتُ بِكُلِّ دَارٍ
أَصِيبَ بَذِي مَضَاءٍ أَرْيَحِي
فَتَى الْغَتِّيَانِ غَالَتِكَ الْمَنَايَا
صَحْبَتُكَ حَقَبَةً فَصَحِبْتُ حُرًّا
نَبِيلَ الطَّبَعِ لَا يَغْتَابُ خِلًّا
تَطَوَّعَ فِي الْجِهَادِ لَوَجْهِ (مَضْرٍ)
وَلَمْ يَثْنِ الْوَعِيدُ لَهُ عِنَانًا
وَلَمْ تَنْزِلْ بَعِزَّتَهُ الدَّنَايَا
مَضَى لِسَبِيلِهِ لَمْ يَحْنِ رَأْسًا

إِلَيْكَ وَمِثْلُ خَطْبِكَ لَا يَهُونُ
عَلَيْكَ وَأَنْتَ خَادِمُهُ الْأَمِينُ
وَأَنْ نَزَلْتَ بِسَاحَتِكَ الْمَنُونُ
لِيَجْبَرَ كَسْرَهُ ذَاكَ الدَّفِينُ
تَكَادُ بُلُجَّةُ تَجْرِي السَّفِينُ
وَكَبَّرَ فِي مَآذِنِهِ الْأَذِينُ
بِهِ عِنْدَ الشَّدَائِدِ يَسْتَعِينُ
وَعُصْنُكَ لَا تُطَاوِلُهُ غُصُونُ
أَبِيًّا لَا يُهَانُ وَلَا يُهَيْنُ
وَلَا يُؤْذِي الْعَشِيرَ وَلَا يَمِينُ
فَمَا حَامَتْ حَوَالِيهِ الظُّنُونُ
وَلَمْ تَخْنُثْ لَهُ أَبَدًا يَمِينُ
وَلَمْ يَغْلُقْ بِهِ ذُلٌّ وَهُونُ
وَلَمْ يَبْرَحْ سَرِيرَتَهُ الْيَقِينُ

وَلَيْسَ سِوَى الدُّمُوعِ لَهَا مُعِينُ	تَرَكْتَ أَلِيفَةً تَرْجُو مُعِينًا
وَقَدْ غَالَ الرَّدَى — ذَاكَ الْقَرِينُ	تَنُوحُ عَلَى الْقَرِينِ وَأَيْنَ مِنْهَا
فَمَزَّقَ مُهْجَتِي ذَاكَ الْأَنِينُ	سَمِعْتُ أَنْيْنَهَا وَاللَّيْلُ سَاجٍ
عَلَى عِلَاتِهِ الْقَلْبُ الْحَزِينُ	فَقَدْ عَانَيْتُ قَدَمًا مَا يُعَانِي
سَمَا بِجَلَالِهِ أَدَبٌ وَدِينُ	مَنْ الْخَفِرَاتِ قَدْ نَعِمْتُ بِزَوْجٍ
فَكُلُّ حَيَاتِهَا رَغْدٌ وَلِينُ	أَقَامَتْ فِي النَّعِيمِ وَلَمْ تَرَوْعُ
وَزَانَ رِدَاءَهَا الْخِذْرُ الْمَصُونُ	لَقَدْ نَسَجَ الْعَفَافُ لَهَا رِدَاءً
وَكَدَّرَ صَفْوَهَا الدَّهْرُ الْخَوُونُ	دَهَاها الْمَوْتُ فِي الْإِلْفِ الْمُفَدَّى
لِسَاعَتِهَا وَتَقْتُلُهَا الشُّجُونُ	فَكَادَ مُصَابُهَا يَأْتِي عَلَيْهَا
وَلَمْ تَشْرُقْ بِأَدْمُعِهَا الْجُفُونُ	رَبِيبَةَ نِعْمَةٍ لَمْ تَبُلْ حُزْنًا
كَذَاكَ كَرِيمَةُ (الْلُوزِي) تَكُونُ	وَفَتْ لِأَلِيفِهَا حَيًّا وَمَيِّتًا
وَيَحْرُسُ خِذْرَهَا (الرُّوحُ الْأَمِينُ)	سَتَكْفِيهَا الْعَنَاءُ كُلَّ شَرٍّ

(٣٩) رثاء محمود الحمولي

وهو ابن المرحوم عبده الحمولي المغني المعروف، وكان قد مات بعد قرانه بقليل

لَبَدْرٍ تَمَّ غَابَ قَبْلَ الْأَوَانِ	شَوْقُتُمَانِي أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ
عَلَّمْتُمَا عَيْنِي نَظْمَ الْجُمَانِ	وَكُلَّمَا أَشْرَقْتُمَا مَرَّةً
يُؤُوبَ حَتَّى يَرْجِعَ الْقَارِظَانِ	عَلَى عَزِيزٍ قَدْ تَوَلَّى وَلَنْ
قَرَّتْ بِهَا أَعْيُنُ حُورِ الْجِنَانِ	عَجَلَتْ يَا (محمود) فِي رِحْلَةٍ
قَدْ كَانَ مِنَّا لَيْلَةَ الْمَهْرَجَانِ	كَأَنَّمَا آخِرُ عَهْدِ الْهَنَا

(٤٠) رثاء حبيب المطران باشا

أُعْزِّي فِيكَ أَهْلَكَ، أَمْ أُعْزِّي
وما أدري أُرْكُنُ الجاهِ أَوْدَى
عُفَاةَ النَّاسِ، أَمْ هِمَمَ الْكِرَامِ؟
— وقد أُوْدِيَتْ — أَمْ رُكُنُ الشَّامِ؟

(٤١) رثاء المرحوم أحمد البابلي

بَدَأَ الْمَمَاتُ يَدْبُ فِي أَتْرَابِي
يا بابلي فِدَاكَ إِلْفُكَ فِي الصُّبَا
وَبَدَأْتُ أَعْرِفُ وَحْشَةَ الْأَحْبَابِ
وَفِدَا شَبَابِكَ فِي التُّرَابِ شَبَابِي
وَمَقَرَّ أَمَالِي وَخَيْرَ صَحَابِي
بِالْمَجْدِ مَبْكِيًّا مِنَ الْأَحْبَابِ
قَدْ كُنْتُ خُلْصَانِي وَمَوْضِعَ حَاجَتِي
فَاذْهَبْ كَمَا ذَهَبَ الْكِرَامُ مُشَيِّعًا

(٤٢) تعزية المرحوم محمود سامي البارودي باشا في ابنته

وَدِيعَةٌ رُدَّتْ إِلَى رَبِّهَا
أَلَمْ يَكُنْ صَبْرُكَ فِي بُعْدِهَا
وَمَالِكُ الْأَرْوَاحِ أَوْلَى بِهَا
يَرْبُو عَلَى شُكْرِكَ فِي قُرْبِهَا؟

وقال يرثيها أيضاً:

بَيْنَ السَّرَائِرِ ضَنَّةٌ دَفَنُوكِ
ما أَنْتِ مَمَّنْ يَرْتَضِي هَذَا الثَّرَى
أَمْ فِي الْمَحَاجِرِ خُلْسَةٌ خَبَنُوكِ؟
نُزُلًا فَهَلْ أَرْضُوكِ أَمْ غَبَنُوكِ؟
لَمَسُ التُّرَابِ لِحْسِمِكَ الْمَنْهُوكِ
وَاهَا لَغَضِّ شَبَابِكَ الْمَتْرُوكِ
وَحَتَّوْهُ فَوْقَ سَنَّاكِ يَا شَمْسَ الضُّحَى
دَاسَ الْجِمَامُ عَرِينَ آسَادِ الشَّرَى
يَعْلُوهُ غَمْدٌ مِنْ دَمٍ مَسْفُوكِ
يَلْقَى الرَّدَى بِمُهَنْدٍ

يا نَفْسَ (مَحْمُودٍ) وَأَنْتِ عَلِيمَةٌ
عَهْدُكَ لَا تَتَّصِدَعِينَ لِحَادِثِ
هَذَا التُّرَابِ — وَأَنْتِ أَعْلَمُ — مُلْتَقَى
هَلْ أَنْتِ إِلَّا بَيْنَ جَنْبَيْ مَا جِدِ
يُغْضِي بِحَضْرَتِهِ الزَّمَانُ فَيَلْتَقِي
بَطَرِيقِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَسْلُوكِ
أَوْ أَنْتِ بَاقِيَةٌ كَمَا عَهْدُكَ
هَذَا الْوَرَى مِنْ سُوْقَةٍ وَمُلُوكِ
صَعْبِ الشَّكِيمَةِ لِلْخُطُوبِ ضَحُوكِ
عِزُّ الْمَلِكِ وَذِلَّةُ الْمَمْلُوكِ

(٤٣) «من مرثية وهمية»

بلغ حافظًا أنَّ جورج الخامس ملك إنجلترا قد توفي، فلم يكد يسمع هذا النبأ حتى بدأ
ينظم قصيدة في رثائه، ثم تبين له — بعد — عدم صحة هذا الخبر وقد وقفنا على بيتين
من هذه المرثية، وهما:

إِنَّ الَّذِي كَانَتْ الدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ
وَغَابَ عَنْ مُلْكِهِ مَنْ لَمْ تَغِبْ أَبَدًا
أُمْسَى مِنَ الْأَرْضِ يَحْوِيهِ ذِرَاعَانِ
عَنْ مُلْكِهِ الشَّمْسُ مِنْ عِزِّ وَسُلْطَانِ

(٤٤) شهداء العلم (جريدة السفور (١٥ أبريل سنة ١٩٢٠))

في سنة ١٩٢٠ أوفدت مصر أول بعثة دراسية من شبابها النابه إلى أوروبا لاستكمال
دراساتهم العليا في جامعاتها، وقد ذهبوا جميعًا ضحية حادث أليم وقع للقطار الذي
كان يقلهم عبر إيطاليا في أكبر كارثة للسكك الحديدية شهدتها أوروبا.
وكان وقع المصاب الفادح بالغ الألم والأثر في مصر وفي سائر البلاد العربية
والأجنبية. وقد رثاهم شاعر النيل بهذه القصيدة التي أقيمت في حفل جريدة السفور
التي أقيمت مساء ١٤ من أبريل سنة ١٩٢٠.

عَلَّمُونَا الصَّبْرَ يُطْفِي مَا اسْتَعَزَّ
صَدْمَةٌ فِي الْغَرْبِ أُمْسَى وَقَعُهَا
زُلْزَلَتْ فِي أَرْضِ مِصْرٍ أَنْفُسًا
لَمْ يُزْلَزْ لَهَا قَرَارُ الْمُؤْتَمَرِ
إِنَّمَا الْأَجْرُ لِمَفْجُوعٍ صَبَرَ
فِي رُبُوعِ الشَّرْقِ مَشْنُومِ الْأَثَرِ

ساكني الأرض بأذهى وأمر
فَجَنَى أَجْمَلَ طاقَاتِ الزَهَرِ
فتهاووا قمرًا بعد قمر
ذِمَّةِ اللَّهِ قَضَى الْإِثْنَا عَشَرَ
في مسارِ الغربِ من صَرْفِ الْغَيْرِ
وأَصَمَّ السَّمْعَ مِنَّا وَالْبَصَرَ
كُنِسَ الْأَعْفَرَ، وَالطَّيْرَ وَكَرَّ
مستطيرِ اللَّبِّ مَفْقُورِ الظَّهَرِ
سائرِ النظرةِ مِنْ وَقَعِ الْخَبَرِ
عَضُّهَا الشَّكْلُ بِنَابِ فَعَقَرِ
عَلَّمَ الْأَشْجَانَ سُكَّانَ الشَّجَرِ
كَلَّمَا صَفَّقَ طَيْرٌ وَاصْطَحَرَ
كَلَّمَا غَوَّرَ نَجْمٌ أَوْ ظَهَرَ
أَنَّهُ أَفْلَتَ مِنْ كَفِّ الْقَدَرِ
وبلاءٌ ما لها منه مَفَرٌّ
في تَرَاثٍ مِنْ بَنِيهَا مُدْخَرٌ
إِنَّمَا نَقَلْتُهُمْ إِحْدَى الْكُبَرِ
في ترابِ الْغَرْبِ كَانَ الْمُسْتَقَرُّ
في ربوعِ الْعِلْمِ شَبْرًا فَنُسِرُ
شَاهِدًا مِنَّا لِكُتَّابِ السَّيَرِ
ناشئٌ حَيًّا ثَرَاهِ وَادَّكُرُ
قَامَ فِي الْغَرْبِ بِمِصْرٍ فَاغْتَحَرَ
صَوَّرَتْ مُعْجِزَةً بَيْنَ الصُّورِ
أَشْرَقَ الْعِلْمُ عَلَيْهَا وَازْدَهَرُ
خَيْرَ رَمَزٍ لِرَجَاءٍ مُنْتَظَرُ
بصْنِيعٍ مِنْ أَيْدِيكَ الْغُرُرُ
مِنْ بَنِينَا فَوْقَ وَادِيكَ انْتَثَرُ

ما اصطدامُ النجمِ بالنجمِ على
قَطَفَ الْمَوْتِ بَوَاكِيرَ النُّهْيِ
وعَدَا الْمَوْتُ عَلَى أَقْمَارِنَا
في سبيلِ النِّيلِ وَالْعِلْمِ وَفِي
أَيِّ بُدُورِ الشَّرْقِ مَاذَا نَابَكُمْ
نَبَأٌ قَطَّعَ أَوْصَالَ الْمَنَى
كم بِمِصْرٍ زَفْرَةٌ مِنْ حَرِّهَا
كم أَبِ أَسْوَانَ دَامَ قَلْبُهُ
ساهِمِ الْوَجْهِ لِمَا حَلَّ بِهِ
كم بِهَا وَالِدَةٍ وَالْهَيْةِ
ذَاتِ نَوْحٍ تَحْتَ أَذْيَالِ الدُّجَى
نَسَأُ الْأَطْيَارَ عَنْ مَوْنِسِهَا
تَسْأَلُ الْأَنْجَمَ عَنْ وَاجِدِهَا
نَهَبُ الْعَمْرِ لِمَنْ يُنْبِئُهَا
وَيُخِّصُ مِصْرَ، كُلَّ يَوْمٍ حَادِثُ
هَانَ مَا تَلَقَّاهُ إِلَّا خَطْبُهَا
قَدْ ظَلَمْتُمْ مَجْدَهُمْ فِي نَقْلِهِمْ
فَسَوَاءٌ فِي تَرَابِ الشَّرْقِ أَمْ
أَبْيَيْتُمْ أَنْ نَرَى يَوْمًا لَنَا
أَضْيَنْتُمْ أَنْ تُقِيمُوا بَيْنَهُمْ
وَمَزَارًا كَلَّمَا يَمَّمُهُ
ودليلاً لَابِنِ مِصْرٍ كَلَّمَا
كم مِسْلَاتٍ لَنَا فِي أَرْضِهِمْ
قُفْمَنَ رَمَزًا لِعُصُورٍ قَدْ خَلَتْ
فاجعلوا أمواتنا اليومَ بِهَا
أُمَّةَ الطُّلِيَّانِ خَفَّفَتِ الْأَسَى
جَمَعَتْ كِفَاكَ عِقْدًا زَاهِيَا

وَمَشَى فِي مَوَكِبِ الدَّفْنِ لَهُمْ
وَسَعَى كُلُّ امْرِئٍ مُفْضِلٍ
وَبَكَّتْ أَفْلَاذُكُمْ أَفْلَاذَنَا
وَصَنَعْتُمْ - صَنَعَ اللَّهُ لَكُمْ -
قَدْ بَكَيْنَا لَكُمْ مِنْ رَحْمَةٍ
فَحَفِظْتُمْ وَشَكَرْتُمْ صُنْعَنَا
أَيُّ شَبَابِ النِّيلِ لَا تَقْعُدُ بِكُمْ
إِنَّ مَنْ يَعْشَقُ أَسْبَابَ الْعُلَا
فَاطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ جَشَمَكُمْ
نَحْنُ فِي عَهْدِ جِهَادٍ قَائِمٍ

مَنْ بَنِيكُمْ كُلُّ مِسْمَاحٍ أَغْرَ
بَادِي الْأَحْزَانِ مَخْفُوضِ النَّظَرِ
بِدَمْعٍ رَوَّضَتْ تِلْكَ الْحُفَرُ
فَوْقَ مَا يَصْنَعُهُ الْخِلُّ الْأَبْرُ
يَوْمَ «مَسِينَا» فَأَرْخَصْنَا الدُّرُرَ
وَبَنُو الرُّومَانِ أُولَى مَنْ شَكَرَ
عَنْ خَطِيرِ الْمَجْدِ أَخْطَارُ السَّفَرِ
يَطْرَحُ الْإِحْجَامَ عَنْهُ وَالْحَذَرُ
فَوْقَ مَا تَحْمِلُ أَطَوَاقُ الْبَشَرِ
بَيْنَ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ لَمْ تَقِرْ

(٤٥) رثاء فقيده العلم والوطن محمد عاطف بركات باشا (المقطم في ١٣ سبتمبر ١٩٢٤)

(القيت في حفل تأبينه)

ثَمَّنَ الْمَجْدِ وَالْمَحَامِدِ غَالِي
قَدْ هَوَى مِنْكُمْ ثَلَاثَةٌ أَقْمَا
مَاتَ «فَتْحِي» وَمَنْ لَنَا بِحِجَاهُ
كَانَ أَعْجُوبَةُ الزَّمَانِ ذَكَاءُ
و«سَعِيدُ» وَكَانَ غُصْنًا نَدِيًّا
وَقَضَى «عَاطِفُ» وَكَانَ عَظِيمًا
يَهْزِلُ النَّاسَ وَالزَّمَانَ، وَيَأْبَى
سَاهِدُ الرَّأْيِ، نَائِمُ الْحَقْدِ، لَاهٍ
قَدْ جَلَا سَيْفَ عَزْمِهِ صَيْقُلُ الْ-
وَنَمَتْ رَأْيُهُ التَّجَارِبُ حَتَّى
يَا شَهِيدَ الْإِصْلَاحِ غَادَرْتَ مِصْرًا

آلَ زَغْلُولٍ فَاصْبِرُوا لِلْيَالِي
رَخَلَتْ مِنْهُمْ بِرُوحِ الْمَعَالِي
وَأَفَانِينَ فِكْرُهُ الْجَوَالِ
وَمَضَاءٌ فِي كُلِّ أَمْرِ عُضَالِ
فُتِّحَتْ فِيهِ زَهْرَةُ الْأَمَالِ
صَادِقَ الْعِزِّ مُطْمَئِنِّ الْخِلَالِ
غَيْرَ جِدِّ مُوَاصِلِ وَنِضَالِ
عَنْ مَلَاهِي الْوَرَى، عَفِيفُ الْمَقَالِ
نَفِي، فَأَرْبَى عَلَى السِّیُوفِ الصُّقَالِ
بَاتَ أَمْضَى مِنْ نَافِذَاتِ النَّبَالِ
وَهِيَ تَجْتَازُ هَوْلَ دَوْرِ انْتِقَالِ

لُ على هذه الخطوبِ التوالي
سُ، حريصٌ على البعيدِ المنالِ
عن مُناه غوائلِ الآجالِ
خاملُ الذكرِ في نعيمٍ وخالِ
ويَمِرُّ الغرابُ بالأجيالِ
لهفَ نَفْسِي عليك والجسمُ بالِ
ءِ داءٌ يَهْدُ أَسَدَ الدِّحَالِ
فيك مَشْيِ المُحَاذِرِ الْمُغْتَالِ
تَتَجَلَّى في هيكلٍ من خيالِ
فَمَضَتْ في سبيلها لا تُبالي
هَدَمَ الموتُ عُمُرَ باني الرجالِ
بَحَرَ قد دَبَّ في رؤوسِ الجبالِ
غَالٌ بعدَ الهدوءِ بالأشغالِ
نامه كانَ تحتِ تلكِ الرمالِ
وهو فوقِ الفراشِ بادي الهُزالِ
هُ اجتواءٌ وحلٌّ عودَ الخلالِ
تَ على السالفينِ مَعْنَى المُحالِ
دَمَرَتْها يدُ العصورِ الخوالي
بَ» على العلمِ السنينِ الطوالِ
لُمُجِدُّ مُوَفَّقٍ فَعَّالِ
قد رماها أعداؤها بالخيالِ
قد أضرَّ الجيادَ ضيقُ المَجالِ
كسفينٍ يَعْبُرُنَ مَجْرَى القنالِ
ها تُباري في السَّبْقِ رِيحَ الشمالِ
فَيَبْنِي بفضلهِ كلَّ غالِ
و فَيُفْضِي به إلى شَرِّ حالِ
إِنَّ في اسمِ الرئيسِ أَيْمَنَ فالِ

لو تَرَيْتِ لاسْتِطَالَ بك النيبِ
غيرَ أَنَّ الردى، وإنْ كَثُرَ النابِ
كلَّما قامَ مُصْلِحٌ أَعْجَلَتْهُ
يُخْطَفُ النَّابُغُ النَبِيهَ وَيَبْقَى
أَيَعِيشُ الرُّبَالُ في الغابِ جِيلا
كنتَ فوقِ الفراشِ والسقمُ بادِ
لم يُزَحْزَحْكَ عن نهوضك بالأعبا
شَغَلَتْكَ الجُهُودُ والداءُ يَمْشِي
لم يَدْعُ منك غيرَ قوَّةِ نفسِ
عجزِ السُّقْمِ عن بلوغِ مداها
لم تَزَلْ في بِناءِ النشءِ حتَّى
عَجَبَ الناسُ أَنَّ رَأَوْا سَرَطَانَ الـ
مَنْ رَأَى «عاطفاً» وقد وصلَ الأشـ
ظَنَ، أو كادَ، أَنَّ أَوَّلَ نَوْمِ
أو رأى قوَّةَ العزيمةِ فيه
ظَنَ بِأَسِ الحديدِ فارقَ مَثُوا
قد تَبَيَّنَتْ كُلُّ مَعْنَى فَأَنْكَرُ
رُمْتُ في أَشْهُرِ صَلَاحِ أُمُورِ
رُمْتُ إِصْلاحَ ما جَنَتْ يَدُ «دنلو
وقليلٌ عندي لها نصفُ جيلِ
لم تكنِ مصرُ بالعقيمِ ولكنِ
أَفْسَحُوا للجِيادِ فيها مجالاً
أَصْبَحَتْ في القيودِ تَمْشِي الهَوَيْنَى
فاصدَعُوا هذه القيودَ وخالُوا
عَرَفَ الغَرْبُ كيفَ يَسْتَمِرُّ الجِدُ
وَدَرَى الشَّرْقُ كيفَ يَسْتَمِرُّ الهـ
فاتركوا اللهوَ في الحياةِ وجَدُوا

فاصنعوا صُنْعَ عاطف واذكروه
يا مُحِبَّ الجِدالِ نَمَ مستريحًا
صامتٌ يُسَكِتُ المَقَوَّةَ فاعجب
كلُّ شيءٍ إلا التحيةَ يُرْجَى
إن بَكَتْ غيرَكَ النساءُ وأذرف
فعلى المصلحين مثلكَ تبكي
آيةَ المجدِ — ذِكْرَةَ الأبطالِ
ليس في الموتِ مَنَفَذٌ للجِدالِ
وبطيةٍ يَبْزُ خَطُو العِجالِ
فهي لله، والدُّنا للزوالِ
نَ عليه الدموعُ مثلَ اللّالي
ثمَّ تبكي جلائلُ الأعمالِ

(٤٦) رثاء الأديب مصطفى لطفى المنفلوطي

رَجَمَ اللهُ صاحِبَ النظراتِ
يا أَميرَ البيانِ والأدبِ النُضِ
كيف غادَرْتَنّا سَريعًا وعهدي
أَقْفَرْتُ بعدكَ الأساليبُ واستر
جَمَحَتْ بعدكَ المعاني وكانت
وأقامَ البيانُ في كلِّ نارٍ
لَطَمَتْ «مجدلين» بعدكَ خَدَيْ
وانطَوَتْ رِقَّةُ الشعور وكانت
كنتَ في مصرَ شاعرًا يَبْهَرُ اللـ
فَهَجَرْتَ الشَّعْرَ السَّريَّ إلى النشِ
مُتَّ والناسُ عن مُصابِكَ في شُغْ
شُغِلُوا عن أديبهم بِمَنَجِّبِ
وأفاقوا بَعْدَ النجاةِ فألَفُوا
قد بَكَكَ الرَّئيسُ وهو جريحُ
لم تُبَقِّ يا فتى المحامدِ مالاً
كم أسألتُ لك اليراعةَ سَيْلاً
لم تُؤثِّلْ مما كَسَبْتَ ولم تَحْ

غابَ عَنّا في أحرَجِ الأوقاتِ
رِ لَقد كُنتَ فخرَ أُمَّ اللغاتِ
بك يا مصطفى كثيرَ الأناةِ
خى عِنانَ الرسائلِ الممتِعاتِ
سَلَساتِ القِيادِ مُبْتَدِراتِ
مَأْتِماً للبدائعِ الرائِعاتِ
ها وقامتِ قيامَةُ «العِبراتِ»
سلوةَ البائسينِ والبائِساتِ
بَ بآياتِ شِعْره البيِّناتِ
رِ فجئتُ الكُتَّابَ بالمُعْجَراتِ
لِ بجرِحِ الرَّئيسِ حامِي الحُماةِ
هَمَ فلم يَسْمَعُوا نداءَ النُّعاةِ
منزَلَ الفضلِ مُقْفَرِ العَرَصاتِ
ودموعُ الرَّئيسِ كالرَّحِماتِ
فلقد كُنتَ مُغَرِّماً بالهَباتِ
من نُضارٍ يَفِيضُ فيضُ الفُراتِ
سِبَ على ما أرى حِسابَ المِمارِ

مِتَّ عَنْ يَافِعٍ وَخَمِيسِ بَنَاتٍ لَمْ تُخَلِّفْ لَهَا سِوَى الذُّكْرِيَّاتِ
وُتِرَاتُ الْأَدِيبِ فِي الشَّرْقِ حُزْنٌ لِبَنِيهِ، وَثَرَوَةٌ لِلرَّوَاةِ
لَا تَخَفُ عَثْرَةَ الزَّمَانِ عَلَيْهِمْ لَا، وَلَا صَوْلَةَ اللَّيَالِي الْعَوَاتِي
عَيْنٌ سَعِدَ تَرْعَاهُمْ بَعْدَ عَيْدِ نِ الْهِ فَاهْدَأْ فَقَدْ وَجَدْتَ الْمَوَاتِي

(٤٧) رثاء أحمد حشمت باشا

كان أحمد حشمت باشا من رجالات مصر في العصر السابق، وليَ مناصب القضاء والإدارة ثمَّ وزيرًا للمعارف «التربية والتعليم الآن».

وقد ناصر الأدب واللغة العربيّة في عصر اشتدّت حملة الاستعمار والمبشرين عليها شدةً مسعورة، وكانت له — رغم منصبه الوزاري ووجود مستشار المعارف الإنجليزي — مواقف مشهودة، خرجت بفضلها اللغة العربيّة سليمة خالصة لأهلها، وحفظت عليهم لسانهم العربيّ المبين.

وكان من الطبعيّ أن تقوم الصلة قويّة متينة بين حشمت باشا وشاعر النيل، وأن يقرّبه الوزير إليه، ويعيّنه رئيساً للقسم الأدبي بدار الكتب المصريّة. فكان عملاً جريئاً من الوزير أن يعيّن في وظيفة حكوميّة، أديباً يطارد الاستعمار ويطارده الاستعمار في عصر الاستعمار.

ولقد رثاه الشاعر سنة ١٩٢٦ بهذه المراثية المنبثقة من ضمير ووجدان الشاعر الوطنيّ الوفيّ الكليم.

حَبَسَ اللِّسَانَ وَأَطْلَقَ الدَّمْعَا نَاعٍ أَصَمَّ بِنَعْيِكَ السَّمْعَا
لَكَ مِنْهُ قَدْ طَوَّقَتْ عُنْقِي مَا إِنْ أُرِيدَ لَطَوَّقَهَا نَزْعَا
مَاتَ الْإِمَامُ وَكَانَ لِي كَنَفَا وَقَضَيْتَ أَنْتَ وَكُنْتَ لِي دِرْعَا
فَلْيَشْمَتِ الْحَسَّادُ فِي رَجُلٍ أُمْسَتْ مِنْهُ وَأَصْبَحَتْ صَرْعَا
وَلْتَحْمِلِ الْأَيَّامُ حَمَلَتَهَا غَاضَ الْمَعِينُ وَأَجْدَبَ الْمَرْعَى
إِنِّي أَرَى مِنْ بَعْدِهِ شَلَلَا بِيَدِ الْعُلَا وَبِأَنْفِهَا جَدْعَا
وَأَرَى النَّدَى مُسْتَوْجِشًا قَلِقًا وَأَرَى الْمَرْوَةَ أَقْفَرَتْ رَبْعَا

قد كان في الدنيا أبو حسن
 إن جاء ذو جاه بمحمدية
 فإذا نظرت إلى أنامله
 سألني فإني من صنائعه
 قد أخصبت أم اللغات به
 تالله لولا أن يقال أتى
 قد ضقت ذرعاً بالحياة، ومن
 وعدت في بلد تكتفني
 كم من صديق لي يحاسنني
 يسعى فيخفي لين ملمسه
 كم حاولت هدمي معاولهم
 أصبحت فرداً لا يناصرني
 ومناهم أن يحطموا بيدي
 ولرب حُر عابه نفر
 من ذا يواسيني ويكلؤني
 لا جاء يحميني، ولا مدد
 بك كنت أدفع كل عادية
 وأقيل عثرة كل مبتئس
 حتى نعى الناعي أبا حسن
 غيظ العداة فحاولوا سفهاً
 راموا له بتاً — وقد حملوا
 يا دوحة للبر قد نشرت
 ومنازة للفضل قد رفعت
 ومثابة للرزق أحمدها
 إني رثيتك والأسى جلل
 لا غرو إن قصرت فيك فقد
 سأفيك حقك في الرثاء كما

يولي الجميل ويحسن الصنعاً
 وتراً شأه بمثلها شفعاً
 تندي، حسبت بكفه نبعا
 وسل «المعارف» كم جنت نفعا
 خصباً أذراً لأهلها ضرعا
 بدعا، لطفت بقبره سبعا
 يفقد أحبته يضق ذرعاً
 فيه الشرور ولا أرى دفعا
 وكأن تحت ثيابه أفعى
 عني مسارب حية تسعى
 وأبى الإله فزادني رفعا
 غير البيان، وأصبحوا جمعا
 قلما أثار عليهم النقعا
 لا يصلحون لنعله شسعا
 في هذه الدنيا ومن يرعى
 عني يرد الكيد والقذعا
 وأجيب في الجلى إذا أدعى
 وأفي الحقوق وأنجح المسعى
 فوددت لو كنت الذي ينعى
 منه لحبل وادنا قطعاً
 ظلماً — فكان لوصله أدعى
 في كل صالحة لها فرعاً
 فوق الكنانة نورها شعاً
 ما رد مسكيناً ولا دعا
 والحزن يصدع مهجتي صدعا
 جل المصاب وجاوز الوسعاً
 ترضى، إذا لم تقدّر الرجعى

